

الحزبُ العُكُربِيُّ الفِلسطِينِي
و حزب الدفاع الوطني

١٩٢٤-١٩٢٧

تأليف

د. علي سعود عطية

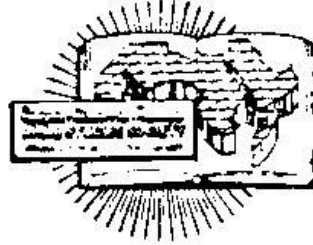
جمعية الدراسات العربية

آب ١٩٨٥

ان الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر جمعية الدراسات العربية

حقوق الطبع محفوظة

الفلاف من تصميم
الفنان
سليمان منصور



جمعية الدراسات العربية

علمية - فكرية

بناية فندق الاورينت هاوس
١٠ شارع ابو عبيدة بن الجراح

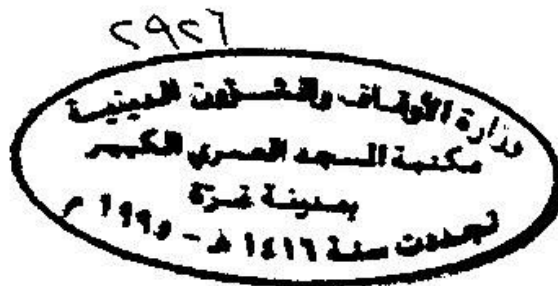
تلفون : ٢٨١٠١٢

ص . ب : ٢٠٤٧٩

القدس

الإهداء

الى زوجهي ، قديرًا وعرفانا لدورها في اخراج هذه الدراسة
الى عهد النور



٩٥٦٠١٢
٤

المحتويات

=====

الموضوع	الصفحة
كلمة الجمعية	٩
كلمة تقدير	١١
الخلاصة	١٣
المقدمة	١٧
الباب الاول : المجتمع الفلسطيني وطبيعة التنظيمات والممارسات السياسية	
منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى قيام الحزبين ١٩١٨ - ١٩٣٤	٢٩
المرحلة الاولى ١٩١٨ - ١٩٢٣	٣٤
المرحلة الثانية ١٩٢٣ - ١٩٢٩	٦٢
المرحلة الثالثة ١٩٢٩ - ١٩٣٤	٨٠
حواشي الباب الاول	٩٨
الباب الثاني	
قيام الحزبين وسيرهما على طريق التنظيم	١٢٣
الاسس النظرية لتأسيس الحزبين - قانون الحزبين -	١٢٥
قانون الحزب العربي	١٤٠
قيادة كل من الحزبين ، ظهورهما وشخصياتها وسلطاتها	١٤٧

١٦٢	تكوين الفروع وعملها
١٧٤	المليشيا، مليشيا الحزب العربي، فرق الفتوة
١٧٨	حواشي الباب الثاني
١٩٣	الباب الثالث
	الممارسات السياسية للحزبين خلال عام ١٩٣٥
١٩٥	حتى قيام الثورة في ابريل ١٩٣٦
١٩٧	الصراع بين الحزبين
	محاولات متعثرة لكل من الحزبين
٢٠٦	تنسيق او توحيد الجهود الوطنية
	النشاطات القائمة على التظاهرات الاجتماعية
٢١٣	وكتابة المذكرات والاحتجاجات
٢٢٢	موقف الحزبين من القسام
٢٣٢	الحزبان والمجلس التشريعي
٢٤٩	حواشي الباب الثالث
٢٦٥	الباب الرابع
٢٦٧	ممارسات الحزبين أثناء ثورة ١٩٣٦
٢٧٤	دور كل من الحزبين في تنظيم الثورة والدعوة لها
٢٨١	دور الحزبين في المحافظة على الاضراب والمشاركة فيه
٢٨٨	الحزبان والمقاومة المسلحة
٢٩٨	دور الحزبين في الحلبة العربية والدولية
٣٠٥	الحزبان والوساطة العربية
٣٢٨	حواشي الباب الرابع

٣٤٣	الباب الخامس
	موقف الحزبين في الفترة الانتقالية ما بين نهاية الاضراب
	والمرحلة الاولى من الثورة (أكتوبر ١٩٣٦) الى حل اللجنة
٣٤٥	العربية العليا والاحزاب (أكتوبر ١٩٣٧)
٣٤٥	ممارسات الحزبين حتى قدوم اللجنة الملكية
٣٤٦	الحزبان يقاطعان اللجنة الملكية
٣٤٨	اللجنة العربية تعدل عن مقاطعة اللجنة الملكية
	موقف الحزبين في الفترة ما بين مغادرة اللجنة الملكية
٣٥٤	الى اصدار قراراتها في ٧ يوليه
٣٥٩	رد فعل الحزبين لقرارات لجنة بيل في التقسيم
٣٧٢	حواشي الباب الخامس
٣٧٩	الخاتمة
٣٨٧	قائمة بالمصادر والمراجع

كلمة الجمعية

=====

يسر جمعية الدراسات العربية في القدس ان تقدم هذا الكتاب الذي يتضمن دراسة علمية وموضوعية حول حزبي "العربي الفلسطيني" و "الدفاع الوطني" وهما الحزبان اللذان لعبا دورا هاما ومؤثرا في مجرى الحياة السياسية في فلسطين خلال مرحلة الانتداب البريطاني. وتغطي هذه الدراسة الفترة ما بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ أي منذ ظهور الحزبين وصعودهما الى المسرح السياسي وحتى انحلالهما.

* * * * *

ان هذا الكتاب هو في الاصل رسالة قدمها المؤلف الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت كجزء من متطلبات الحصول على درجة دكتوراه في الفلسفة. والكتاب يعالج بموضوعية دور أكبر حزبين ظهرا في تاريخ فلسطين المعاصر.

* * * * *

يستعرض المؤلف في الباب الاول من الكتاب طبيعة التنظيمات السياسية في فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى وحتى قيام الحزبين ١٩١٨ - ١٩٣٤ كما يتعرض في الباب الثاني للاسس النظرية لتأسيس الحزبين وقيادة كل منهما وقوانينهما وفروعهما، بينما يتعرض الباب الثالث للعمارات السياسية

للحزبين خلال عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ويشير الى الصراع بينهما وموقفهما ازاء عدد من القضايا. أما في الباب الرابع فان المؤلف يتناول بالتحليل دور الحزبين أثناء ثورة عام ١٩٣٦ سواء في مجال اعداد الخطوات الاولى للاضراب أو تكوين الكوادر القومية. كما يشير الى دور كل من الحزبين في التنظير للثورة والدعوة لها ودورهما ازاء المقاومة المسلحة وموقفهما في المجالين العربي والدولي، وفي الباب الخامس والآخر من الكتاب يستعرض المؤلف موقف الحزبين في الفترة الانتقالية ما بين نهاية الاضراب والمرحلة الاولى من الثورة الى حل اللجنة العربية العليا والاحزاب ١٩٣٦ و ١٩٣٧.

* * * * *

ان جمعية الدراسات العربية اذ تضيف هذا الكتاب الى المكتبة العربية فانها تأمل أن تتبعه بمزيد من الدراسات التاريخية المتخصصة بفلسطين والتي تعتبر مرجعا ومصدرا للباحثين والدارسين بصفة خاصة والتي تهتم المثقفين بصفة عامة.

جمعية الدراسات العربية

القدس

نيسان - ١٩٨٥

كلمة تقدير

=====

حاولت في الصفحات التالية أن أدرس الحزبين العربي والدفاع في فلسطين منذ ظهورهما عام ١٩٣٤ الى نهاية عام ١٩٣٧ .
وقد دفعني الى القيام بهذا العمل الدور الكبير الذي لعبه الحزبان المذكوران في تاريخ فلسطين وعدم وجود دراسات مستقلة عنهما فيما أعلم .
أرجو أن أكون قد سددت ثغرة في دراسات تاريخ فلسطين لا يستغني عنها كل من يدرس فترة الانتداب بل والفترات الاخرى أيضا .
ولا بد من أن أتقدم بالشكر لجميع من شاركوا في ارشادي ومساعدتي في هذه الدراسة وفي مقدمتهم الدكتور محمود زايد الذي أولاني من عنايته ورعايته ما لا مزيد عليه وكذلك اشكر الاساتذة الذين تجشموا مصاعب قراءتها ونقدها من أعضاء لجنة الامتحان التي تألفت من الدكتور محمود زايد بوصفه مشرفا ومن حضرات الاعضاء الدكتور أنيس صايغ والدكتور سمير صيقللي والدكتور مروان بحيرى والدكتور رشيد خالدي .
ولن أنسى ما منحني اياه الدكتور سمير صيقللي من وقته وجهده ، وتعاطفه اثناء كتابة هذه الرسالة . وما كان لملاحظاته من أثر كبير في خروجها بهذا الشكل .
وأود أن أضيف أنني وحدي المسؤول عما قد يجده القارئ في هذه الرسالة من أخطاء . وما قد يلاحظه من نواحي نقص ، فالكمال لله وحده .

د . علي سعود عطية

١٩٧٩

الخلاصة

في أوائل القرن العشرين كان المجتمع الفلسطيني يتكون من فئتين رئيسيتين هما فئة الوجهاء والاعيان وهي فئة محدودة العدد . وفئة العامة التي تشمل غالبية الشعب الفلسطيني . وقد لعبت العائلة دورا كبيرا كركيزة أساسية في تكوين المجتمع . كما كان هذا المجتمع من المجتمعات العربية التي شملها تيار الوعي القومي الذي تمثل في المطالبة بخلق كيان مستقل عن السلطان العثماني وتكوين دولة عربية واحدة .

لكن هذا المجتمع لم يلبث حتى أصيب بتحد مزدوج تمثل في الاحتلال الانجليزي الذي جاء مصحوبا بوعد بلفور واللجنة الصهيونية . وهنا تداعى العرب الفلسطينيون للدفاع عن أرضهم والتصدي لهذا الخطر الوافد . ومن هنا بدأت أولى التشكيلات السياسية التي شملت الجماعات الاسلامية المسيحية والنوادي السياسية الاخرى . وقد قامت هذه التشكيلات بكثير من الممارسات السياسية التي تميزت بالقوة والاندفاع في السنوات القليلة التي تلت الاحتلال . وقد شملت هذه الممارسات الدعوة للقضية الفلسطينية والتنظير لها ، كما شملت ايضاد الوفود ، وعقد المؤتمرات التي تميزت بقراراتها بوجه عام بالرفض . كما كان منها أيضا المظاهرات العييفة والانتفاضات .

وبالرغم من هذا النشاط العارم ، لم تستطع هذه التشكيلات السياسية القضاء على التحدي . ولعل من أهم أسباب ذلك عدم وضوح الرؤية في مجابهة الاستعمار الانجليزي والصهيونية معا وبنفس الدرجة ، بمقدار ما كان التركيز على الصهيونية بالدرجة الاولى . بالإضافة الى ضعف هذه التشكيلات من الناحية التنظيمية وبشكل خاص سيطرة الجهات عليها .

وعندما جاءت المرحلة الثانية التي شملت سنوات أواسط العشرينات ومع ميل التحدي الصهيوني في هذه المرحلة الى الضعف مالت الحركة السياسية الفلسطينية الى مزيد من الضعف في ممارساتها . وكانت أبرز هذه الممارسات جولات من التنافس الداخلي بين أجنحة الحركة السياسية التي انشقت على نفسها بعد أن كانت متحدة في المرحلة الاولى . وقد قام هذا التنافس بين

معسكرين أساسيين وهما المجلسيون والمعارضة بقيادة كل من الحسينيين والنشاشيبيين .

وفي أواخر العشرينات ، ومع تصاعد التحدي الصهيوني - البريطاني دخلت الحركة السياسية الفلسطينية في منعطف جديد تميز بقاعدة شعبية عريضة للتنظيمات السياسية . كما ان هذه المرحلة التي امتدت الى قيام الثورة شهدت سير الحركة السياسية الفلسطينية نحو الراديكالية ، وقيام الاحزاب ، وكان أبرز ممارسات هذه المرحلة توجيه النضال ضد التنافس الرئيسي وهو الانتداب الانجليزي الذي اعتبرته الحركة السياسية راس الداء باعتباراه هو الذي جلب الصهيونية في ركابه .

وفي ديسمبر ١٩٣٤ ولد حزب الدفاع الوطني ولم تَمْض سوى أشهر قليلة حتى ولد الحزب العربي الفلسطيني في مارس ١٩٣٥ . وكانت ولادتهما متساوقة مع تطلع الحركة الوطنية الى تنظيم نفسها في تشكيلات سياسية تخلف اللجنة التنفيذية المختلفة تحت مظلتها . كما أن قيام هذين الحزبين لم يخل من كونه مظهرا من مظاهر الخلاف العائلي بين الحسينيين والنشاشيبيين الذين تولوا قيادة هذين الحزبين .

ومع قيام الحزبين سلكا طرق تنظيم خاصة بهما . ووضع الحزب العربي نظرية لتنظيم نفسه في قانون تميز بوضوح اهدافه . كما شمل هذا القانون غايات الحزب الاساسية في الحرية والاستقلال والوحدة العربية . ووضع حزب الدفاع لنفسه أهدافا مشابهة . ولكن هذه القوانين لم تأخذ طريقها الى التنفيذ . وظلت التنظيمات الحزبية تسلك طريقا تقليدية في الغالب . وظهر ذلك في قيادات الحزبين والتي ظلت عائلية الطابع كما اسلفنا . كما أن الفروع التي أقامها كل من الحزبين لم تعمل بصورة فعالة . ولم تحقق مستوى جيدا من الممارسات السياسية اليومية .

عمل الحزبان طيلة ثلاثة أعوام . ففي عام ١٩٣٥ وهو العام الذي تدفقت فيه الهجرة على فلسطين ، وتسليح اليهود بشكل مكثف وترسخت جذور الوطن القومي اليهودي ، في هذا العام لم ينجح الحزبان في العمل على توحيد جهود الامة لمواجهة الاخطار الصهيونية كما ان أغلب ممارساتها قامت على

التظاهرات الاجتماعية وكتابة المذكرات والاحتجاجات . وعندما قام القسام بانتفاضته في نوفمبر ١٩٣٥ لم يجد منهما عوناً . وفي هذه المرحلة لم تنجح مفاوضات الحزبين مع المندوب السامي - بفعل عوامل كثيرة - في تأسيس المجلس التشريعي .

وجاء اعلان الاضراب العام والثورة عام ١٩٣٦ ، ليفجر الطاقات الوطنية الكامنة لدى الحزبين ، كما فجرت الطاقات الكامنة في غالب المجتمع العربي الفلسطيني بل لقد بادر انصار كل من الحزبين - مع الاحزاب الاخرى - الى تعميم الاضراب وتكوين الكوادر القومية . كما تكونت من قيادة الاحزاب اللجنة العربية العليا ، التي عملت على توجيه العمل الوطني من خلال اللجان القومية في تنظيم فعال .

ساهم الحزبان مساهمة فعالة في كل ممارسات الثورة : محافظة على الاضراب وروح الثورة ، ودعوة لها بأجهزة صحفية وبشوية ، وعصيانياً مدنياً ومظاهرات ساخنة ، ودخول معتقلات ، الى المساهمة بالثورة المسلحة وحرب العصابات ، كما كان لهما دور في الحلبة العربية والدولية .

وظل زخمهما متناغماً مع زخم الثورة حتى وقت متأخر . ولكن عندما ضعفت الثورة بفعل عوامل داخلية وخارجية قبل الحزبان بوقف الاضراب لدوافع متباينة ذات علاقة بسياسة كل منهما .

وفي المرحلة التي تلت وقف الاضراب دعا الحزبان الى مقاطعة اليهود مقاطعة اقتصادية . الا أنه لم يلبث أن بدأ حزب الدفاع في الميل للعمل منفرداً والانشقاق عن اللجنة العربية العليا ، وكان لاختلال ميزان القوى بين الحسينيين والنشاشيبين اثر في ذلك . فقد حقق المفتي من خلال اللجنة العربية ، اثناء الثورة اعظم اسباب قوته .

ومهما يكن من أمر فإن الطرفين قاطعا اللجنة الملكية التي قدمت في هذه الفترة للتحقيق في احداث الثورة . الا انهما ما لبثا ان عدلا عن هذه المقاطعة بفعل ما لقياه من ضغوط خارجية وداخلية - وقدما شهادتهما أمام اللجنة .

وبانتهاء مهمة هذه اللجنة الملكية في يناير ١٩٣٧ وعودتها الى بريطانيا ومع سيطرة جو من الاشاعات التي تنبئ بالتقسيم انشق حزب الدفاع عن اللجنة

وهنا وضح أن حزب الدفاع كان أميل الى مبدأ التقسيم ، لكن الحزب العربي رفض التقسيم وبدأ المفتي عمليات احباطه من محاور متعددة : فلسطينية وعربية : شعبية ورسمية . وكان من جراء ذلك أن تراجع حزب الدفاع عن قبول التقسيم كما تراجع الامير عبد الله الذي كان قد رحب أيضا بالتقسيم .

كانت استعدادات المفتي لاستئناف الثورة من أجل الاجهاز على التقسيم وتحقيق الاستقلال ، والتي رافقها سيطرة موجة من العنف أدت الى مقتل حاكم الجليل أندروز ، مبررا للانجليز لحل اللجنة العربية العليا ونفي اعضائها . وكان هذا الاجراء في حل اللجنة ايذانا بحل الاحزاب ، واختفاء أي دور لاية قيادة سياسية عربية في فلسطين .

المقدمة

تعريف بالمصادر

هذه دراسة للحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني في فلسطين ، منذ تأسيسهما في أواخر عام ١٩٣٤ وأوائل عام ١٩٣٥ حتى نهايتهما بانحلال اللجنة العربية العليا في نهاية عام ١٩٣٧ .

وهنالك سببان رئيسيان دفعاني الى القيام بهذه الدراسة : الاول هو رغبتي في دراسة القضية الفلسطينية والثاني أنه فيما أعلم لم يسبق لاحد أن جعل الحزبين موضوعا لدراسة علمية مستقلة : فقد عنيت الدراسات حتى الان بالحركة الوطنية أكثر من عنايتها بدراسة الاحزاب كاحزاب . وعندما كانت تتعرض لدراسة هذه الاحزاب كانت تعالجها باعتبارها أجنحة للحركة الوطنية بدون التركيز عليها كمؤسسة سياسية ذات بناء تنظيمي معين . وعلى هذا فهي لم تحاول ان تدرس هذا البناء التنظيمي دراسة تحليلية ناقدة .

كما أن هذه الدراسات لم تحاول أن تدرس ممارسات الاحزاب باعتبارها تطبيقا لبرامج المؤسسة بمقدار ما حاولت أن تعالج دورها بوجه عام ومن الزاوية الوطنية بصورة خاصة . وعلى هذا - ومع ادراكي الكامل ان اصالة الحزب العربي والدفاع أولا وآخرا ، تنبع من كونهما جناحين من أجنحة الحركة الوطنية - فقد حاولت في هذه الدراسة ان أركز على صفتيها المؤسسية تنظيميا وممارسات من خلال الاطار التاريخي الذي عملا ضمنه .

ولقد حرصت من أجل استكمال البحث أن تكون المصادر بقدر الاستطاعة شاملة وأساسية . وعلى هذا فقد رجعت الى المصادر التالية التي سأحاول أن أعطي فكرة موجزة عنها - وبمقدار ما تسمح به هذه المقدمة - لا سيما وأني حاولت التعقيب على الكثير منها ، ونقده من خلال هذه الدراسة :

اولا : الوثائق الانجليزية غير المنشورة والمنشورة : أفاد الكاتب من وثائق مركز

السجلات العامة افادة جلية

وكشفت هذه الوثائق أبعادا في تاريخ الحزبين لم تكن لنكتشف لو لم تتح لي فرصة

الاطلاع عليها . فالتقارير المختلفة لوزارة المستعمرات ، ووزارة الخارجية ، ووزارة الطيران ، ومجلس الوزراء ودائرة التحقيقات الجنائية ساهمت في اضافة الكثير لهذه الدراسة . وتقارير دائرة التحقيقات الجنائية كان لها دور جيد في كشف الكثير من فاعليات الحزبين ، لا سيما وأن سجلاتهما خير معين للكشف عن ممارسات الاحزاب ، وتنظيماتها ، واتجاهات قياداتها . بل أن كثيرا من النشاطات السرية للاحزاب خاصة ، والحركة الوطنية واتجاهات الراى العام عامة لا يستطيع أن يتابعها ويلم بها الا أجهزة متخصصة كجهاز دائرة التحقيقات الجنائية . وقد أخذت هذه التقارير أهمية على أعلى المستويات ، فهي عادة كانت تمر على المندوب السلمي ، كما أنها كانت تعم على وزارات الدولة المعنية مثل وزارة المستعمرات ووزارة الخارجية .

ولقد أتاحت الفرصة للكاتب أن يحصل على مجموعة كبيرة من هذه الوثائق البوليسية ، من مركز دراسات الشرق الاوسط ، في كلية سنت أنتوني ، بجامعة أكسفورد ، وهي أوراق سير تشارلز تيجارت الذي عمل رئيسا للبوليس في فلسطين أثناء المرحلة الثانية من الثورة (١٩٣٧ - ١٩٣٩) . وميزة هذه الاوراق أنها تركز على العناصر المؤثرة في الحركة الوطنية : شخصيات قيادية ، ومؤسسات حزبية ، وجمعيات وحلقات جهادية ، وتتبع تاريخها منذ وقت مبكر . وما يزيد في أهمية هذه الاوراق ، الحرص - فيما يظهر - على جمع أكبر كمية ممكنة من المعلومات من أجل القضاء على الثورة بالقضاء على هذه العناصر المؤثرة فيها . ولذلك فإنه جمع مادة كبيرة عن عشرات الشخصيات والجماعات والاحزاب ، وقادة الثورة . كما أن هذه الوثائق تحوى على كثير من التحقيقات مع عدد من رجالات فلسطين قامت بها دوائر البوليس ، الامر الذى يساعد المؤرخ في استكشاف المنظور العام الذى جرت من خلاله الاحداث .

كما أننا نستطيع أن نضيف الى المادة الوثائقية الانجليزية ، التقارير الرسمية المنشورة للحكومة البريطانية ، وبصورة خاصة تقارير حكومة فلسطين التي كانت ترفعها للجنة الانتداب الدائمة . كما افاد الكاتب من تقارير لجان التحقيق المختلفة من لدن لجنة بالين اول لجنة قدمت الى فلسطين بعد أحداث عام ١٩٢٠ عبورا الى لجنة هايكرافت (١٩٢١) ولجنتي شووسيمسون (١٩٣٩) الى

لجنة بيل (١٩٣٧) . وتقريب هذه اللجنة الاخيرة يمكن اعتباره - ليس فقط وثيقة سياسية - وانما وثيقة تاريخية عظيمة ، جمعت في صفحات معدودة كثيرا من المعلومات القيمة التي لا يستغنى عنها الباحث ، ويعتبرها الكثيرون من اصدق المراجع تقديرا لتطور مراحل القضية الفلسطينية لا سيما وهي التي حاولت أن تقيم تجربة الانتداب في مجملها .

ثانيا : الوثائق العربية غير المنشورة والمنشورة : ولقد حاول الكاتب أن يستقصى

الوثائق غير المنشورة ذات

العلاقة بالبحث ، والموجودة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ومركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ، ومركز الوثائق العراقي ببغداد .

ومن مؤسسة الدراسات الفلسطينية أفاد الكاتب من وثائق خاصة بأكسبرم زعيتر جمع فيها بيانات وقرارات تتعلق بفترة مبكرة من نشاط الجماعات السياسية في فلسطين مثل الجمعيات الاسلامية المسيحية والنوادي السياسية ، تعود الى الايام الاولى للاحتلال البريطاني وقدم اللجنة الصهيونية ، وعقد اول مؤتمري فلسطيني في القدس عام ١٩١٨ . كما أفاد الكاتب من وثائق نبيه العظمة ، وبالذات مايتعلق منها بحزب الاستقلال لا سيما وأنه أحد مؤسسيه وأحد كبار العاملين في الحقل الوطني والعربي عامة .

ومن مركز الابحاث أفاد الكاتب من وثائق عوني عبد الهادي وأحمد الامام ووثائق أخرى جمعها المركز تتعلق بالقضية الفلسطينية .

وبالنسبة لمركز الوثائق العراقي ، حرص الكاتب على تتبع ما في وثائق الحكومة العراقية مما هو ذو علاقة بالحزبين ومن خلال دور العراق الرسمي في القضية الفلسطينية كما بدا في جهود الوساطة وما تلاها من وقف الاضراب وبهذه المناسبة فان أرشيف الحكومة العراقية ومراسلاتها الخارجية يمكن استقاؤه على أفضل وأرتب ما يكون توثيقا من مركز الوثائق الوطني العراقي .

وبالنسبة للوثائق العربية المنشورة فقد أفاد المؤلف من المادة الوثائقية

الفلسطينية والتي ساهم في جمعها ونشرها في السنوات الاخيرة ، أكثر من مؤلف وعينت بها أكثر من جهة أو مؤسسة . ومن هذه الوثائق تلك التي جمعها عبد الوهاب الكيالي والتي بذل في جمعها من مظانها (صحف ومراجع ومكتب

السجلات العامة في لندن وغيرها) جهدا جيدا . ولقد ركزت هذه الوثائق على ممارسات الحركة الوطنية ، وما سجلت هذه الحركة من بيانات في مناسبات مختلفة ، وما وضعت مؤتمراتها من قرارات ، وما رفعت من مذكرات لجهات كثيرة محلية ودولية ، وهذه الوثائق تسد ثغرة أساسية في المكتبة التاريخية والسياسية الفلسطينية .

كما أفاد الكاتب من الوثائق التي قامت بجمعها بعض المؤسسات الرسمية المصرية ، مثل وزارة الاعلام ، التي جمعت مادة وثائقية تحت اسم ملف وثائق القضية الفلسطينية عن اللجنة التنفيذية الفلسطينية ، واللجنة العربية العليا ، وشهادات الشخصيات العربية أمام اللجنة الملكية ، وبلاغات القيادة العامة للثورة الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) .

والى هذا فلم يغفل الكاتب الوثائق التي جاءت كملاحق لكثير من المصادر والمراجع مثل ملاحق عزة دروزة في كتابه " القضية الفلسطينية " والتي حوت مادة تفرد بها عن حزب الاستقلال وبياناته التأسيسية ، كما أن كامل خله جمع بعض المادة الوثائقية في ملاحقه في كتابه " فلسطين والانتداب البريطاني " من بعض المظان ، وبالذات من الجمعيات الاسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية وأحزاب العشرينات .

ثالثا : الاوراق غير المنشورة : كما أتيج للكاتب الحصول على مجموعات ليست قليلة من الاوراق غير المنشورة

بالانجليزية والعربية مما أثار البحث من أكثر من زاوية . فمن الاوراق غير المنشورة الانجليزية أفاد الكاتب من مذكرات تيجارت وهي مخطوطة في مركز الدراسات الشرقية باكسفورد وتصور هذه المذكرات دوره ومحاولاته في حصار الثورة بين فلسطين وسوريا ولبنان ورحلاته وجهوده المتعاقبة في ذلك . كما أفاد الكاتب من مذكرات بومن ، وما جمعه المندوب السامي ما يكمل

وما جمعه أيضا هربرت صموئيل أول مندوب سام لفلسطين .

ومن الاوراق غير المنشورة العربية ، أفاد الكاتب من أوراق عارف العارف

والموجودة أيضا في جامعة أكسفورد ، وهي معنونة بـ " يوميات غزة " وهذه الاوراق ، سجل حافل دون فيه مؤرخ من مؤرخي فلسطين ، وانسان ذو تجربة مبكرة في الحقل الوطني - وكما تعكس هذه الاوراق - فهو لم يكن بعيدا عن المساهمة في الحركة الوطنية خلال الثورة في مرحلتها الثانية : ومهما يكن من أمر فان هذه المذكرات صورة تنبض بالحياة . ومع كونها مشوية أحيانا ببعض العاطفة أو الذاتية ، والتي على ما يظهر أملتتها عليه غيرته الوطنية وخصومته للمعارضه (أنصار حزب الدفاع) الا أنها مع ذلك من أصدق وأشمل المذكرات تصويرا للشخصيات التي تتحدث عنها . ففي علم الكاتب لم يستطع احد أن ينفذ لسيكولوجية الانتهازية في الحركة السياسية الفلسطينية كما نفذ العارف . فترك بذلك صورا انسانية تنبض بالحياة . فنصويره على سبيل المثال لشخصية فخرى النشاشيبي من القدس والحاج عادل الشوا من غزة ، ومن زوايا متعددة ، تقرير نادر المثال في الادبيات السياسية للفضية الفلسطينية المعاصرة . وتأتي أصالة هذه الاوراق أو المذكرات من كونها سجلا يوميا أو سيد يومي للاحداث التي سجلها ، مقرونة بسحنات كاتبها النفسية . ومع ذلك فهي تحوى الكثير من المعلومات التي يرصدها مؤرخ ذو منصب رفيع في الدولة ، يتيح له أن يطلع على دهاليز السياسة ، ويكشف عن رأى كثير من المسوءولين البريطانيين بأشخاص رجال الحركة الوطنية ومعارضيهم .

والى هذه الاوراق غير المنشورة ينبغي أن أعرف بالفضل لاوراق رحل آخر لا تنقصه الوطنية أيضا ، كما لا ينقصه الوعي . وقد ترك لنا سفرا كبيرا ، ذلك هو الدكتور حسين فخرى الخالدي .

تقع أوراق الخالدي في حوال (٦٠٠) صفحة من الحجم الكبير ، وتبدأ التاريخ منذ نهاية الحكم العثماني في فلسطين ، ومع بداية الاحتلال البريطاني . وتستمد هذه الاوراق أهميتها من أن كاتبها عاش تجربة مليئة بالحياة . فقد عمل في ظل الحكومة البريطانية (بعد أن عمل في ظل السلطات العثمانية) طبيبا في القدس . كما أنه عمل رئيسا لبلدية القدس ابتداء من ١٩٣٤ ، وانتخب عضوا في اللجنة العربية العليا ، مندوبا عن حزب الاصلاح ، وكان من بين من نفتهم السلطة الى جزر سيشل فيمن نفت من أعضاء هذه اللجنة .

هذه التجربة الخصبة أثرت في مذكرات كاتبها ، فوضعت الاحداث -

في غالب الامر - في منظورها التاريخي الصحيح ، والى هذا فان مذكرات الخالدي لا تخلو من الطابع الذاتي شأنها في ذلك شأن أية مذكرات ، لا سيما عندما يتحدث عن منافسيه في الحقل الوطني والحزبي وبالذات آل النشاشيبي . والكاتب مدين لهذه المذكرات لكثرة ما تحويه من معلومات عن الاشخاص والاحداث ، كما أنه ينفرد فيها أحيانا من دون غيره . ولو أنه أتيح لهذه المذكرات أن تسجل بطريقة يومية أو شبه يومية كما فعل عارف العارف لكانت فائدتها تضاعفت أكثر وأكثر .

ولعل ما فات الخالدي أن يفعل ، فعلة أكرم زعيتر - كما فعله عارف العارف . فمذكرات زعيتر سجلت أحداثها بصفة يومية ، وهي أيضا غنية في مادتها ، وتتم عن جهد صاحبها في الحقل الوطني ، وبخاصة أثناء الثورة الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ وما سبقها وما تلاها . وزعيتر مثقف فلسطيني ، عمل بالتدريس ، كما أنه عمل في الحقل الوطني منذ نعومة أظفاره . وكان من بين مؤسسي حزب الاستقلال . وعلى هذا فهو يتحدث عن الاحداث حديث العارف والمشارك فيها مشاركة صميمية . ولعل مذكرات زعيتر تعتبر من أوفى المصادر ان لم ثقل أصدقها عن الايام الاولى للاضراب في فلسطين ، حيث كان له دور كبير في قيام اللجنة القومية بنابلس وفي تحريض مدن فلسطين المختلفة - من خلال البرقيات والصحافة والخطابة - للمشاركة في الاضراب وتكوين اللجان القومية . وقد أفاد الكاتب من هذه المذكرات في رصد دور الحزبين العربي والدفاع في ثورة ١٩٣٦ ومبتدباتها بصورة خاصة .

رابعا : المذكرات والاوراق المنشورة : بفضل جهود مركز الابحاث الفلسطينية أتيج للباحث أن يطلع على مذكرات وأوراق بعض العاملين والمشاركين في أحداث الثورة ودور كل من الحزبين العربي والدفاع فيها .

وأما أوراق عوني عبد الهادي فقد ألفت أضواء على بعض الاحداث فانارتها من زاويتها ، وهي أوراق تشكل جزءا من تاريخ القضية الفلسطينية ، لا سيما وأن صاحبها كان علما من أعلام السياسة الفلسطينية ، ورئيس حزب الاستقلال ، وذا باع طويل وتاريخ عريق في حركة القومية العربية عامة . ولا يقل أثرا عن هذه المذكرات مذكرات أميل الغوري التي نشرها تحت

اسم " فلسطين عبر ستين عاما " والتي حوت معلومات شتى ، وسجلت حقائق عن دور الحزب العربي ، والمفتي ، في القضية الفلسطينية ، كما لم يسجله أى مرجع آخر - لوحده - حتى الان . وعلى ما يظهر ، فان الغورى - الذى عمل سكرتيرا للحزب العربي وكان مقربا من المفتي ، فضلا عن كونه ذا ثقافة كبيرة ودعائيا من طراز ممتاز ، أتيح له أن يطلع على ، أو يحتفظ بوثائق للحزب العربي وكان هو أول من كشف الغطاء عنها أو عن بعضها على الاقل ، ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب . فقد تعرض الغورى لابعاد مختلفة عن حزبه : تنظيما وشخصيات ومؤسسات ، كما أنه خص المفتي بأوسع الصفحات .

ونحن اذا كنا نأخذ شيئا على مذكرات الغورى فهو أنها كانت تتلون بلون حزبي أحيانا . كما أن حرصه على الاشارة بدور المفتي بصورة خاصة ، والحزب العربي بصورة عامة ، يجعله يميل أحيانا الى التبرير . وحتى عندما يحاول أن ينقد المفتي فانه يمس برفق ، ويقلب بهذا الرفق المثلية الى حسنة ، فتبدو كالشامة في وجه الحسناء تزيدها حسنا .

ولو ابتعد الغورى عن الذاتية ، ولو تحرى الدقة فيما يذهب اليه ، لترك لنا سفرا ثميناً ، يكشف عن دور فئة معينة لعبت بما لا شك فيه - دورا في تاريخ فلسطين الحديث ، ربما كان أكثر من دور أية فئة أخرى . أقول يكشف لنا دور هذه الفئة بصورة ممتازة لا سيما وأن كثيرا من المادة المصدرية لا تتعارض ، في غالب الامر ، مع ما يذهب اليه الغورى .

وعلى أية حال فان هذه الدراسة مدينة للغورى بأنه أعطاها صورة جديدة عن التنظيمات السرية العسكرية الطابع للمجلسين من أنصار الحزب العربي ، وكشف عن حقائق لأول مرة تتعلق بدورها وقياداتها وكوادرها وتمويلها واجتماعاتها وانتشارها وهكذا

وهناك مذكرات أخرى منشورة عربية وانجليزية أفاد الكاتب منها فائدة جزئية مثل مذكرات السكاكيني ومذكرات وايزمن وبن غوريون وماينر زكهن وكيش وصموئيل هوارس وستورز ومس نيوتن . وقد أفادت هذه المذكرات بصورة خاصة في تكوين صورة عن الخلفيات التنظيمية والممارسات التي سبقت ظهور الحزبين ابتداءً من الانتداب .

خامسا : الصحافة : أفاد الكاتب من الصحافة الفلسطينية بصورة خاصة ،
والصحافة العربية بصورة عامة . فهي - أي الصحافة
مصدر لا غنى عنه للمؤرخ السياسي لفلسطين وذلك بالنظر لناحيتين
أساسيتين : المقال الناقد الذي يقيم الاحداث والمواقف والاشخاص ، والخبر
المفيد ، الذي تنفرد الصحافة عادة بإيراده وتنقله عنها وسائل الاعلام والثقافة
الأخرى .

ولعل مما يزيد في قيمة الصحافة الفلسطينية أنها لم تكن دائما متفقة (ما
عدا أيام الثورة) وتصدر عن رأي واحد . فالصحافة الوطنية الفلسطينية كالحركة
الوطنية الفلسطينية - في غالب أمرها - اتسمت بأنها كانت منقسمة شعبا
وتفريعات ، ومذاهب واتجاهات . ونحن اذا علمنا أن كثيرا من الصحف ذات
التزام معين ، مجلسي (معارض ، حزبي عربيا و حزب دفاع ، نستطيع القول
بأن هذه الصحف التي تمتعت بقسط غير قليل من الحرية - وبخاصة عند الهجوم
على الزعماء المحليين - لم تكن حريصة على كتمان الخبر ولا التخلي عنه
ومع هذا فان المرء لا ينبغي أن ينسى أن الصحافة في مجملها - حتى وهي
تتحامل - كانت تحاول أن تقيس الامور قياسا وطنيا يتناسب مع المفاهيم
والمشاعر للقارئ العادي تخاطبه . ومن الملاحظ أنها حرصت طوال الوقت
- مع وجود الخطرين الكبيرين الانجليزي والصهيوني - أن تعمل بصورة او بأخرى
كضمير للمواطن العادي ، تدله على مواطن الضعف وتحذره من مكان الخطر .

وقد أفاد الكاتب بصورة رئيسية من ثلاث جرائد " الكرمل " عن
العشرينات ، و " فلسطين " و " الجامعة العربية " عن الثلاثينات . والجريدتان
الاخيرتان تحتلان أهمية خاصة لان كلا منهما كانت تمثل خطأ خاصا بها ، الاولى
جريدة المعارضة ، والثانية جريدة المجلسيين .

سادسا : المصادر الرئيسية والثانوية من المؤلفات : لن نتعرض هنا لهذه
المصادر بتوسع . ولعله

يكفي أن نذكر أن من أوسع هذه المصادر الاولية أو الرئيسية هي مؤلفات محمد
عزة دروزة . ولهذه المؤلفات ميزة أن كاتبها شارك في الحركة الوطنية منذ
بواكيرها ، كما أن مادته تعتمد على مواد اولية كان الكاتب يسجلها أو يجمعها

أولا بأول . (اطلع دروزة كاتب هذه السطور على عدد من مفكراته التي كان يدونها ويجمع ما فيها أولا بأول) . وعلى أية حال يظهر في كتابات عمزة دروزة أنه يحكمها خط أساسي . فقد جرب الكاتب أن يحاكم العمل الوطني بالنظر لعلاقة العاملين فيه ، بالانجليز ، فأخذ على هؤلاء العاملين مهادنتهم للانجليز منذ وقت مبكر ، وعزا الى ذلك ضعف الحركة الوطنية في مجملها . ولعل تفسير هذا المذهب في موقف دروزة يعود الى كونه من أركان حزب الاستقلال الذين اعتبروا الانجليز رأس البلاء وأساس الداء ولعلمهم في ذلك على حق كبير . وبالمقابل فإن السفري ينحو في كتابه " فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية " منحى وسطا لا يميز فيه بين الخطرين ، وإنما يعتبرهما من الأهمية بمكانة واحدة ، ان لم يزد الخطر الثاني على الاول . كما أن مؤلفات صبحي ياسين عن الثورة - بالرغم من نزعتة القسامية - لا يستغنى عنها أيضا .

كما أفاد الكاتب من البحوث المنشورة : كتبا ومقالات . وميزة هذه البحوث أنها موثقة . وتعتمد في غالبيتها على المصادر الاوليذ بالدرجة الاولى . ومن هذه البحوث ما قام به بوراث ، وميزته أنه بالإضافة الى أنه يعتمد على مصادر مكتب السجلات العامة بلندن ، فإنه يعتمد أيضا على المصادر الصهيونية فيكشف أبعادا في بحثه بالإضافة الى الأبعاد التي يتيحها له اطلاعه على وثائق مركز السجلات . ولا يستطيع المرء أن يأخذ مأخذ أساسية على بوراث الا أنه كان أحيانا يحكم الشواهد الصهيونية أكثر من تحكيمه غيرها من الشواهد ، عند معالجته لبعض القضايا المتعلقة بتطور الحركة الوطنية الفلسطينية . وهنا يظهر أن الكاتب لم يستطع أن يتحرر من أسار مادته المصدرية .

كما أفاد الكاتب - من ناحية أخرى - من بحوث أخرى قام بها كتاب عرب فلسطينيون مثل الكيالي ، وخلة ، وغيرهما . ولعل المأخذ الأساسي عليهما أنهما لم يحاولا أن يدرسا الحركة الوطنية من داخلها ، بمقدار ما حاولا أن يفسراها تفسيرا خارجا عنها ، مرات كثيرة ، مع أن جهدهما العلمي يبقى جهدا جيدا في مجمله . فالكيالي من أوائل الباحثين الذين اعتمدوا على السجلات البريطانية كما أن خلة أفاد أفادة كبيرة من الصحافة العربية .

ويبقى أن نضيف أن هنالك عددا من الكتب التي رجعنا اليها حتى تكتمل

٢٩٢٦

٢٥ -
د. رماف والشرفين الدينية
مكتبة المسجد العمري الكبير
بمنطقة غزة
تجددت سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

لنا الصورة عن عهد الانتداب في فلسطين . ومن بين هذه الكتب مؤلفات جون مالرو . ومالرو عموما - رغم أن كتبه تشكو من قلة التوثيق ، فهو لم يرجع الى وثائق مكتب السجلات على سبيل المثال - اوتي مقدرة كبيرة على الفهم وحسن التفسير مما يجعل كتاباته ، مما لا يستطيع المرء أن يستغني عنه بسهولة عند البحث عن عهد الانتداب في فلسطين .

ولقد كان مقدرا لمصدر آخر - عالِم فترة الانتداب أيضا - أن يكون بنفس الثقل والاهمية ، ذلك هو كتاب كرستوفر سايكس : " الطرق المتقاطعة الى اسرائيل " لو أن هذا الكاتب لم يلون استنتاجاته بلون يعميل نحو الانتداب من ناحية ، وأحيانا نحو الصهيونية من الناحية الأخرى . ومع هذا فإنه للحق نقول أنه نفذ الى جوانب كثيرة من القضية الفلسطينية فأرخلها بأصالة كاملة وبنفس مؤرخ حقيقي .

وشبيه بهذين الكاتبين هيروتز الذي قام بدراسة جيدة رغم أنها لا تخلو من بعض التحامل على العرب أحيانا ، وهي موثقة توثيقا دقيقا ، مع أنه فاتته من الناحية الأخرى أن يرجع الى وثائق مكتب السجلات العامة .

وكتاب جون كمشي " فلسطين أو اسرائيل " يعود الى وثائق مكتب السجلات وهذا الكتاب وان خلا أحيانا من روح الحياد والموضوعية ، فإنه لا يخلو أحيانا أخرى من الأبداع في التفسير وطرح وجهات نظر جديدة ، اولعلمها رؤية جديدة للأحداث ، يحاول أن يدعمها بمادته المصدرية . وعلى آية حال فإن كتابا مثل كتاب أهارون كوهين ، يحمل صفة أفضل ، كما أن أطروحة تستحق البحث : لقد حاول كوهين أن يقول أن الخطأ الأساسي للحركتين العربية والصهيونية ، أنهما لم تلتقيا إذ لا بد من أن يتعايش العرب واليهود في فلسطين من أجل مستقبل أفضل للطرفين، فإذاعتارفة ذهيبية وكان لبريطانيا دور كبير في ذلك وهو أمر شبيه بأطروحة جون كمشي ولكن كمشي يحمل التطرف العربي - بالإضافة الى البترول العربي - وزر ذلك ولا يحمله لليهود بنفس الدرجة .

الباب الاول

(١)
المجتمع الفلسطيني وطبيعة التنظيمات والممارسات السياسية
منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى قيام الحزبين
١٩١٨ - ١٩٣٤

كان المجتمع الفلسطيني في مطلع القرن العشرين يتألف بصورة عامة
من فئتين رئيسيتين : فئة الوجهاء أو الاعيان وهي محدودة العدد . وفئة
العامة التي تشمل غالبية الشعب الفلسطيني .

أولاً : فئة الوجهاء والاعيان : كانت هذه الفئة تشمل وجهاء واعيان
المدن والقرى . أما وجهاء واعيان المدن فقد استندت وجاهتهم الى دعائم
دينية وادارية واقتصادية . وكانت الدعامة الدينية تقوم في الاساس على
الانتساب الى البيت النبوي أو الى أحد كبار الفاتحين العرب . وقد اعترفت
لهم الدولة العثمانية ببعض الامتيازات وعرفوا بالاشراف ورئيسهم النقيب . ومن
هذه الامتيازات محاكمة الاشراف في بيت النقيب ، كما أنهم كانوا يدفعون شيئاً
من الضرائب ويعفون من الاشتراك في الجردة (العسكرية) . (٢) ولقد ساعد على
تعاظم نفوذ الواجهة الدينية ، استفادتها من الاوقاف ، ونوارثها للوظائف
الدينية مثل الامامة والخطابة والاذان وخدمة المساجد و " تمسك كل عائلة كبيرة
بهذه الوظائف " . (٣) .

ونشأت الدعامة الاقتصادية من الغاء الدولة العثمانية لنظام الالتزام في
جمع الضرائب عام ١٨٣٩ ، والغاء حق جمع الضرائب الذي كان بموجب نظام
الالتزام في أيدي شيوخ النواحي والقرى . فقد أصبح منح حق جمع الضريبة يتم
في مزاد علني ويخول لمن يدفع فيه المبلغ الاكبر . ويبدو أن اعيان المدن
استفادوا أكثر من غيرهم من هذا التغيير (٤) .

وقد استمد الاعيان نفوذهم في الادارة من الوظائف الادارية المهمة التي
أسندت اليهم في أعقاب العمل بالتنظيمات الذي ابتدأ في عام ١٨٤٠ . وظلوا
يشغلونها الى بداية القرن العشرين . ومن أصحاب تلك الوظائف عبد اللطيف

صلاح الذي أسس حزب الكتلة الوطنية عام ١٩٣٤ ، كما سيأتي معنا . فقد شغل منصب السكرتير الاول لمجلس المبعوثان العثماني ، وأحمد حلمي عبد الباقي ، أحد مؤسسي حزب الاستقلال عام ١٩٣٢ شغل منصب المدير العام للبنك الزراعي ، ومصطفى الخالدي الذي أسند اليه منصب رئيس بوليس بيروت ومدعيها العام ، وموسى كاظم الحسيني الذي شغل منصب حاكم مقاطعة في اليمن (٥) .

وقد تمتع أعيان القدس بمكانة خاصة ، ربما لان القدس صارت بعد عام (١٨٥٠) متصرفية مستقلة عن حاكم صيدا وحاكم دمشق وارتبطت بالاستانة . فان مساواة القدس بدمشق جعل أعيانها يتساوون في المدينتين . كما ان هذه الميزة للقدس جعلت أعيانها يرتفعون عن أقرانهم في مدينة كنايلس مثلا (٦) . ويتجلى بروز أعيان القدس في المناصب التي تبوأها أفرادها في هذه المدينة في القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين . فقد شغل آل الحسيني منصب الافتاء منذ منتصف القرن التاسع عشر . وعندما تأسست بلدية القدس (١٨٧٧) رأسها عدد من أبنائها . كما شارك بعض أفراد عائلتي الخالدي والعلمي في هذا المنصب . وكان موسى كاظم باشا الحسيني يشغله عند الاحتلال البريطاني (٨) كمشغل آل الخالدي مناصب دينية وثقافة أبناء هذه العائلة منصب قاضي الشرع في القدس بصورة خاصة (٩) .

وجاء تقدم عائلة النشاشيبي في وقت متأخر عن الاسر الاخرى في القدس وتمثل بروزها في انتخاب عثمان النشاشيبي ، الذي كان ملاكا كبيرا ، عضوا في مجلس المبعوثان عام (١٩١٢) . بينما عمل راغب النشاشيبي مهندسا لمقاطعة القدس . وفي عام (١٩١٤) أنتخب هو أيضا عضوا في مجلس المبعوثان (١٠) . وجهاء القرى : على الرغم من أن وجهاء القرى فقدوا كثيرا من نفوذهم

الاداري لاعيان المدن كما رأينا ، الا أنهم مع ذلك احتفظوا بكثير من مظاهر الرفعة الاجتماعية . ويزودنا الاستاذ البرغوثي بصورة واضحة عن وجهة بعض العائلات في القرى واحتفاظها بحقوقات هذه الوجهة ، وبخاصة الارض الى وقت قريب ، حين يذكر أنه كان لال عبد الهادي ١٧ قرية ولال الجيوسي ٢٤ قرية وآل البرغوثي ٣٩ قرية . وفي العقد الثالث من هذا القرن كان عدد أفراد هذه

العائلات ما يلي : عبد الهادي ٦٠٠ شخص ، والجبوسي ٦٠٠ شخص والبرغوثي ٣٠٠٠ . وكانت تلك العائلات الثلاث تعتقد أن لها ميزة على غيرها من العائلات وفي حين أن عائلي الجبوسي وعبد الهادي لم يدخل فيهما دم غريب أدخلت عائلة البرغوثي بعض العائلات " الماجدة " أي ذات الرفعة والشأن في دمها . ولقد كان التشدد الأكبر في حقل المصاهرة . وكانت هذه الأسر لا تصاهر غيرها لاصرارها على الحفاظ على النسب ، ثم توسعت وصاهرت من ثبت نبله وتأكدت عربيته . وعلى هذا آثرت هذه العائلات تزويج أبنائها وبناتها ان أمكن الى أبناء القبائل البدوية النبيلة (١١) :

ولقد حافظت كل من فئتي أعيان المدن والقرى على مكانتها الاجتماعية حتى عهد الانتداب وصارت أساسا لتقدمها . فقد ذكر مراسل جريدة الكوكب القاهرية في رسالة الى جريدته ، صوّر فيها مدى النفوذ الذي يتمتع به وجهاء فلسطين منذ الايام الاولى للاحتلال ، قال : " فهم الذين تعتمد الحكومة عليهم في أعمالها ، كما كانت تفعل حكومة الترك ، والوظائف الكبرى والصغرى محرمة الا عليهم وعلى من يلوذهم ، ولو كان غيرهم من الكفاءة والاهلية بمكان عظيم (١٢) . وبحسب دراسة قام بها الدكتور الناشف للنخبة الفلسطينية ودورها في العمل السياسي ان اللجنة العربية العليا التي قامت بها ١٩٣٦ (وأطلق عليها فيما بعد الهيئة العربية العليا) كانت مكونة من الناحية الاجتماعية على الوجه التالي :-

النسبة	العدد	الفئة العليا
٠/٠ ٨٧٥	٢٨	
٠/٠ ١٢٥	٤	الفئة الوسطى
٠/٠ ١٠٠	٣٢	المجموع

ويذكر الناشف أن هذه الفئة العليا كانت تشمل كبار الملاكين الذين كان عددهم ١٨ على الأقل (بنسبة ٦٤٣/٠ من اللجنة العربية العليا) ، وكبار التجار الذين شكلوا ١٠٧/٠ من مجمل عدد اللجنة بواقع ٣ أعضاء . ويضيف الى ذلك أن أكثرها كان من عائلات المدينة . كما يذكر الناشف أنه كانت تتم المصاهرة بين أفراد هذه اللجنة ، كما تمتع أعضاءها بمستوى عال من التعليم وهكذا (١٣) .

ثانيا : فئة العامة : وقد شملت هذه الفئة البورجوازية المتوسطة والصغيرة من المسيحيين والمسلمين والتي عملت بالتجارة والصناعة والمهن الاخرى . وليس من السهولة تمييز هذه الفئة البورجوازية من الفئة الاولى من الاعيان والوجهاء ، على أسس اقتصادية (١٤) .

وقد شملت هذه الفئة عمال المدن ، وفلاحي القرى الذين شكلوا نسبة تبلغ ٧٠ - ٧٥ ٪ من مجمل السكان (١٥) ولعل كتاب مسز فن () يعطي صورة حقيقية وحية عن وضع الفلاحين في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر (١٦) والذي استمر في مجمله الى وقت متأخر حتى عهد الانتداب فقد عانى الفلاحون بصورة كبيرة من الفقر والجهل والمرض ، وزاد في شقاؤهم كثرة الضرائب مما جعلهم يتخلون عن اراضيهم لحساب الافندية بأسعار بخسة ، حيث كان يذهب بعضها للصهاينة (١٧) . كما شعر كثير من الفلاحين بتعالي أهل المدن عليهم . ولقد شكل البدو نسبة كبيرة من هذه الفئة العامة وأكثر من الفلاحين من الناحية العددية ولكن مع ذلك ظل دورهم محدودا في حياة المجتمع العربي الفلسطيني (١٨) .

وقد كانت الاسرة كما هي الحال في المجتمعات العربية الاخرى هي ركيزة المجتمع الاولى . وقد كادت في فلسطين أن تكون أيضا محور حياة الفرد الذي يستأثر بولائه وذلك بسبب عوامل اجتماعية وتاريخية في مقدمتها عدم وجود كيان واضح قومي ، يشد الفرد اليه . يقول خليل السكاكيني " كان الفرد من الاسرة الاسلامية لا يقول كلمة ولا يخطو خطوة الا وهو مراع تقاليد قبل كل شيء ، ومصالحة اسرته قبل كل مصلحة ، ونفوذ اسرته قبل كل نفوذ . . . الفلسطينيون منشقون على أنفسهم بعضهم على بعض كل واحد منهم يمثل اسرته لا وطنه (١٩) . (التوكيد من قبيل المؤسف .

ولقد ارتبطت العائلات الضعيفة بالعائلات القوية برابطة تدعمها العلاقات التقليدية والمصالح الاقتصادية . ويرى العالم السياسي الامريكي كوندت أن العائلة في فلسطين شكلت هرمية كاملة من أقصى القرى الى العاصمة (٢٠) ويعطي الاستاذ عزة دروزة أمثلة على ارتباط العائلات " الفرعية " بالعائلات الاكبر منها ومنها عائلة طوقان في نابلس : " وهذه اسرة عربية كان لها بروز في مجال الحكم في فلسطين وخاصة في منطقة نابلس مثل بني النمر ، وكان بروزها على أساس بروز

هو، لا أي أن منهم موظفين تابعين للدولة عزلا ونصبا مع امتداد بروزهم أكثر من ١٥٠ سنة وينضوي تحت اسم طوقان اسر خليفة وخضر ورحال وسعيد وعبد الرزاق والعثمان والخواجة ثم الاغوات والبيكات والاسرة الاخيرة هي التي كانت تسمى طوقان دون اسم آخر " (٢١) وقد وجد الموالون لاسرة طوقان على مستوى قضاء نابلس جميعه . وقس على آل طوقان غيرهم من العائلات مثل عبد الهادي والجبوسي والبرغوثي الخ .

هذا على الصعيد الاجتماعي أما على الصعيد السياسي والمعتقدات السياسية فقد تأثر الفلسطينيون بالقومية العربية (٢٢) التي بدأت تحسنا ثقافيا وحضاريا لمقومات الامة العربية وتحولت فيما بعد الى محاولة للانتفاخ على الاتراك بدأت معالمه في التبلور والوضوح في مقتبل القرن الحالي ومع ظهور حركة التتريك فقد شارك الفلسطينيون في التنظيمات السياسية (٢٣) المناوئة للاتراك . وقد قاد بعض الفلسطينيين بعض هذه التنظيمات مثل الجمعية " العربية الفتاة " كما أنهم ساهموا في جمعية العهد (٢٤) .

كما كانوا عاملين في نوادي الاستانة التي كانت تضح بالحماس للقومية العربية مثل المنتدى العربي (٢٥) (٢٦) .

ومع قيام الحرب العالمية الاولى تعرض شباب فلسطين العاملون في حقل القومية العربية الى قمع السلطات التركية وكان منهم شهداء في عاليه ودمشق وغيرهما (٢٧) وباندلاع الثورة العربية عام ١٩١٦ على الاتراك تداعى الفلسطينيون لنصرة الامير فيصل بن الحسين . وأسهموا في وضع الميثاق العربي (ميثاق دمشق) (٢٨) ، الذي نادى باستقلال الارض العربية ، وتنظيمها في دولة واحدة مستقلة ، وأصبح بمثابة الدستور السياسي للشريف الحسين الذي اعتمد عليه في مفاوضاته مع بريطانيا .

كما شارك الفلسطينيون في معارك الثورة ضد الاتراك العثمانيين وقاد أمين الحسيني الذي هجر صفوف القوات التركية في أزمير وفرّ الى فلسطين - عددا من المتطوعين الفلسطينيين يذكر أحد المؤرخين أنه بلغ ألفي رجل (٢٩) .

وبصدور وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ واحتلال القوات البريطانية فلسطين في ٩ ديسمبر ١٩١٧ ، وابتداء فصل جديد من النشاط الصهيوني على أساس وعد بلفور تمثل بقدوم اللجنة الصهيونية ، كان من الطبيعي ان يتركز نشاط الفلسطينيين

في مقاومة الاحتلال ومطامع الصهيونية . يقول أمين الحسيني : " وقعت في مصيبة مزدوجة بين برائن بريطانيا الظالمة ، وبين مخالبي اليهودية العالمية الفاشمة ، وكلتاها لا تقيم للحق والعدل وزنا ، ولا تعرف للرحمة معنى " (٣٠) ولقد كان هذا الواقع السياسي الجديد بعدا آخر عمل الفلسطينيين تحت تأثيره . فقد كانت الصهيونية بصورة أو بأخرى امتدادا للاستعمار البريطاني .

ويتبين لنا من دراسة التنظيمات والممارسات السياسية أنها مرت بمراحل

ثلاث :-

المرحلة الاولى : وتمتد زمنيا بين عام ١٩١٨ - ١٩٢٣ تقريبا .

المرحلة الثانية : وتمتد زمنيا بين عام ١٩٢٣ - ١٩٢٩ .

المرحلة الثالثة : وهي تمتد زمنيا بين عام ١٩٢٩ - ١٩٣٤ .

المرحلة الاولى

١٩١٨ - ١٩٢٣

مارس الفلسطينيون نشاطهم السياسي في هذه المرحلة ضمن دائرتين : دائرة فلسطينية ، ودائرة سورية . وقد تداخلت هاتان الدائرتان أحيانا . فمن حيث الدائرة الاولى نجد أن التنظيمات والممارسات السياسية كانت تجسيدا للحركة الوطنية المحلية . فقد ولد أول تنظيم سياسي - كما سنوضح فيما سيتلو من صفحات - وهو الجمعية الاسلامية المسيحية كرد فعل مباشر للخطر الصهيوني الذي دق ناقوسه صدور وعد بلفور ووصول اخباره الى فلسطين . يقول السفري : " لم يكذب يطلع العرب على تصريح الجنرال بولز (عن وعد بلفور) . . حتى هبوا للجهاد ومقاومة خطر الصهيونية (٣١) كما تتفق مراجع كثيرة على أن الحركات السياسية في فلسطين كانت رد فعل مباشر للاحتلال الانجليزي (٣٢) الذي التزم أيضا بالصهيونية بموجب وعد بلفور . ولقد جاءت الاحداث التالية لوعد بلفور لتزيد أهل فلسطين شعورا بالغضب فقد أثار خطاب وايزمن في مؤتمرات السلام في باريس والذي قال فيه : " ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انجلترا انجليزية (٣٣) فكان من القلق المريع لدى الفلسطينيين .

ووصف الجنرال كلايتون الذي كان يشغل منصب الضابط السياسي للإدارة العسكرية في فلسطين ، بناءً على اتصاله بالقادة والناس عامة في فلسطين ، السيطرة اليهودية على فلسطين ، بأنها حلم رهيب للمسلمين والمسيحيين (٣٤) .
ومن الناحية الأخرى توجه الفلسطينيون نحو الأمة العربية وبالذات نحو سوريا . بل لقد وجدت تنظيمات سياسية في فلسطين كانت وليدة هذا التوجه العربي ، مثل الناديين العربي والمنتدى الأدبي - اللذين سنبحثهما بدراستنا عن التنظيمات بعد صفحات قليلة . - فدعاة هذا الاتجاه اعتبروا فلسطين جزءاً لا يتجزأ من سوريا الكبرى . والواقع أن روح النضال في فلسطين باعتبارها سوريا الجنوبية طغت على النضال من أجل فلسطين كـفلسطين . ولقد لعبت عوامل عديدة دورها في خلق هذا الاتجاه ، وفي تطلعتها أن دمشق كانت قد أصبحت قاعدة ونجسيدا للقومية العربية والاستقلال العربي عن الأتراك ، تلك الفكرة التي طالما راودت أحلام القوميين العرب وضخوا من أجلها تضحيات جسيمة (٣٥) . كما أنه كان لتنصيب فيصل رئيساً لهذه الدولة أثره في التفاف الفلسطينيين حولها وحوله إذ " لم يبق ما يمثل الثورة العربية والأمال العربية والدماء العربية غير الحجاز وغير سوريا الداخلية والتي قامت فيها حكومة عربية عسكرية على رأسها فيصل ، والتي كان العالم العربي يتموج فوقها وحدها " (٣٦) وقد النف حول فيصل رعبيل ليس بالقليل من الفلسطينيين : وكان في دمشق في خلال الفترة جالية فلسطينية كبيرة لها صوت مسموع في الدوائر السياسية .

كما تبوأ عدد كبير من رجالها مناصب رفيعة في دوائر الحكومة وفسى الأحزاب والجمعيات والصحافة (٣٧) .

يضاف إلى العوامل السابقة عامل آخر ليس أقل أهمية منها ، ألا وهو أن سكان سوريا كانوا قد وعدوا بالحق في اختيار حكومتهم . وعلى هذا فقد عجز الفلسطينيون حرمانهم من هذا الحق إلى وعد بلفور ومن هنا ازداد تشبثهم في أن يعتبروا جزءاً من سكان سوريا .

وعلى أية حال فإنه ليس من السهل وضع تاريخ محدد لبداية التوجه في النشاط السياسي في فلسطين ، ما بعد الاحتلال الإنجليزي ، نحو سوريا الفيصلية ولكنه على ما يظهر بدأ مع بواكير استشعار الفلسطينيين بالخطر الصهيوني وعقدتهم لأول مؤتمر عام لهم في نوفمبر ١٩١٨ (٣٨) وما لا شك فيه أن هذا التوجه في

قسم كبير منه كان مترسبا عن ، أو امتدادا للتوجه الفلسطيني نحو القومية العربية قبل ذلك . فلقد تمكن أنصار هذا الاتجاه في المؤتمر الأول من الانتصار على الاتجاه الآخر الذي كان يؤثر الاكتفاء بالعمل لفلسطين كفلسطين فقط وليس كسوريا الجنوبية . وقد قاد أنصار الاتجاه العربي محمد أمين الحسيني رئيس النادي العربي في القدس (٣٩) .

إلا أنه من السهل من الناحية الأخرى وضع تاريخ محدد لنهاية هذه المرحلة السورية . فقد اختتمت هذه المرحلة بسقوط فيصل أو تخليه عن عرش سوريا ، الذي شعر الفلسطينيون حياله بأسى شديد وخيبة أمل كبيرة ظهر أثرهما في مشاعر المؤتمرين المعاصرين (٤٠) .

التنظيمات في المرحلة الأولى :

١ - الجمعيات الإسلامية المسيحية : كانت أولى التنظيمات السياسية في فلسطين انبثاقا هي الجمعيات الإسلامية المسيحية " لغرض اظهار الوحدة القائمة بين المسيحيين والمسلمين العرب ولاحباط أية دعاية طائفية ودينية يقوم بها الانجليز ضد العرب (٤١) " . وقد اتخذت هذه الجمعيات رمزا لها " اشارة الهلال بداخله الصليب " (٤٢) دليلا على ما هدفت اليه . ولقد ظهرت أول جمعية إسلامية مسيحية في يافا في نوفمبر ١٩١٨ وتلتها جمعية القدس بعد حوالي اسبوعين وقد ولدت هذه الجمعية الأخيرة كرد فعل على احتفال اللجنة الصهيونية بذكرى وعد بلفور (٤٣) . وهناك أكثر من دليل على أن الحكومة البريطانية - انطلاقا من سياسة حفظ التوازن بين اللجنة الصهيونية والعرب - شجعت أو على الأقل لم يكن لديها مانع في قيام هذه الجمعيات . فقد ورد في خطاب رفيق العظم - وهو أحد قادة الجالية السورية العاملين في الحقل السياسي والدعائي للقضية العربية عامة في القاهرة - ما نصه " ونحن نساعدكم بمقدار ما يمكن ، وقد صرحت لنا الحكومة بتشكيل مثل هذه الجمعيات " (٤٤) .

كما أن حاكم يافا العسكري كتب لحكومة الاحتلال يقول: " اقترح انشاء لجنة عربية من أجل حفظ التوازن بين العناصر . فالذي يخشاه العرب ليس اليهود في فلسطين ولكن اليهود القادمين الى فلسطين " (٤٥) كما كتب كلايتون في ٤ اغسطس ١٩١٨ تقريرا يقول فيه : " استقالت الجمعية الإسلامية المسيحية في يافا

بسبب فشلها التام في تحقيق هدفها في السهر على مصالح العرب المسيحيين
والمسلمين ويقوم الحاكم العسكري الان باتخاذ الخطوات اللازمة لتشكيل جمعية
جديدة (٤٦) " .

وقد أثنى تقرير آخر للميجر جنرال واتسن نائب الحاكم العام لفلسطين
على اعتدال هذه الجمعيات (٤٧) ٦ على أن امتداد الجمعيات الاسلامية المسيحية
وانتشارها على مستوى فلسطين جميعها كان - كما نرى وفي وثائق أكرم زعبيتر -
نتيجة لضغط الشباب العرب الذي جاء ردا على المؤتمر الذي عقده اليهود في
في ١٨ ديسمبر ١٩١٨ لوضع مشروع الحكومة المؤقتة في فلسطين (٤٨) . كما أنه
لم يلبث أن بدأ السعي لتوحيد هذه الجمعيات في جمعية واحدة تستطيع أن تصنع
برنامجا موحدا وتتبنى أهدافا واحدة تتقدم بها الى مؤتمر السلام (٤٩) وقد
أسفرت هذه الجهود عن تشكيل الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية وجعل
مركزها القدس . وتم ذلك بموافقة السلطات البريطانية (٥٠) . ومنح قانون الجمعية
الحق لجميع أقضية فلسطين في انشاء فروع للجمعية فيها اذا رأى القضاء الارتباط
بها مناسبا . ونص قانون الجمعية على " أن تنتخب كل جمعية عضوين من أعضائها
ما عدا جمعية القدس فتنتخب أربعة (٥١) وتتألف من مجموع هؤلاء الاعضاء
المنتخبين قيادة هذه الجمعيات أو ما سمي " الجمعية الفلسطينية " (٥٢) وعلى
هذا صارت قيادة سياسية مركزية تكون " قراراتها سارية على كل قضاء في فلسطين " .
وقد عقدت هذه الجمعيات ثلاثة مؤتمرات عامة . وفي المؤتمر الثالث في حيفا
(١٩٢٠) انتخبت هذه الجمعيات لجنة تنفيذية دائمة وأصبح لهذه اللجنة
سكرتيرية دائمة (٥٣) . وعلى الرغم من هذا فلم تستطع اللجنة التنفيذية أن تحول
الجمعيات الاسلامية المسيحية عن كونها اطارا ففرضا للعمل السياسي ، غلبت
عليه أحيانا كثيرة الصفة المحلية ، وغابت في تنظيمها الناحية الهرمية بالنسبة
لصلتها باللجنة التنفيذية . فلم تكن الجمعيات الاسلامية فروعاً بمعنى الفروع لهذه
اللجنة التنفيذية ، تتلقى تعليماتها وأوامرها منها وترتبط بها ارتباطا وثيقا . بل
يظهر أن دور اللجنة التنفيذية اقتصر على متابعة قرارات المؤتمر والتي كانت
تأخذ صفة عامة ذات علاقة بالقضايا الكبرى للبلاد (٥٤) ويلقى تقرير للمنسوبة
السامي ضوءاً على طبيعة هذه النشاطات العامة للجنة التنفيذية . فاللجنة التنفيذية
تطلب من الفروع موافقاتها عن موقفها من :-

- أ - الرأي في عدم دفع الضرائب .
- ب - الرأي في المقاطعة اليهودية .
- ج - نشاطات جمعيات كالنرسكي الوطنية (الجمعيات الوطنية الاسلامية)
- د - الوفد المسيحي .
- هـ - طلب دفع المخصصات المالية " (٥٥) .

فلقد كانت الجمعيات الاسلامية المسيحية الوسيلة التي تتصل من خلالها القيادة في القدس (اللجنة التنفيذية) بقطاعات الشعب العريضة وتلقى منها رأى هذه القطاعات ولكن مع ذلك لم تشكل الجمعيات الاسلامية المسيحية مع اللجنة التنفيذية كيانا واحدا متماسكا ومتجانسا يعمل بطريقة عضوية ، وفعالة ومستمرة (٥٦)

كما كانت الجمعيات الاسلامية المسيحية تعاني من حيث تنظيمها من خلل أساسي تمثل في افتقارها الى نظام الانتخابات في اختيار عناصر القيادة . فقد سيطرت عليها نخبة من الوجهاء وأبناء العائلات والمتقدمين اجتماعيا في الاوساط المختلفة من الطوائف والقرى والحمائل .

وعلى أية حال فانه في أفضل الحالات كان يتم الانتخاب بواسطة اجتماعات طارئة يعقدها الاعضاء العاملون ولكن بدون أن تأخذ هذه الاجتماعات طابعا منظما بطريقة مدروسة أو بأوقات محدودة . وكثيرا ما أخذ على الاختيار طابع الارتجال ، وتمشية الحال ، وسد الخانات ، فمؤتمر حيفا الثالث وهو من أهم المؤتمرات الفلسطينية ، كان يتألف من ٣٧ عضوا بينهم ١٧ من حيفا نفسها (٥٧) .

ومن الاسباب التي أدت الى عدم انتهاج اسلوب الانتخاب سيطرة الامية على نسبة كبيرة من الشعب العربي في فلسطين . ويقدر أحد الكتاب أن حق الانتخاب لم يكن يمنح الا لخمسة في المائة من مجموع الامة وهم أولئك الذين يحسنون القراءة والكتابة وتتجاوز أعمارهم الخمسة والعشرين (٥٨) .

ولدى الدكتور حسين فخرى الخالدي ، وهو شخصية معاصرة ، صورة لقيادة هذه الجمعيات وردت في معرض حديثه عن المؤتمر الثالث لهذه الجمعيات :

" أول مؤتمر حضره بعض الاعيان والشخصيات المعروفة الحضرية منها والقروية والبدوية من عشائر بئر السبع " . كما أنه يأخذ على هذه القيادة غياب الديمقراطية التي أشرنا اليها أعلاه : " ولم يكن هنالك قاعدة ديمقراطية كما

يقولون لانتخاب أبناء الذوات الذين دعوا لحضور هذا المؤتمر الاول . وكانست الدعوة مرتجلة ترتب قوائم المدعويين من قبل القائمين على مكتب الرئاسة والسكرتيرية ليضمنوا بها الاكثرية التي تقف الى جانبهم وتعمل بوجيهم وارشادهم وتوجيههم . يحضرها ممثلون عن الجمعيات الاسلامية المسيحية وغيرها من الجمعيات وروءساء البلديات وبعض الاعيان ومخاتير القرى وروءساء العشائر وظل هذا النظام معمولاً به في المؤتمرات اللاحقة سنين وبذلك سيطرت سكرتيرية المؤتمر على من يدعى ومن لا يدعى " (٥٩) .

والدارس لتركيب هذه الجمعيات لا يعارض الخالدي في ما يذهب اليه فواقع الامر ان قيادة الجمعيات الاسلامية المسيحية سيطرت عليها مراكز القوى العائلية وبخاصة من الحسينيين (٦٠) .

كما ترك غياب الصفة الانتخابية للاعضاء القيايين بصورة منتظمة وعلى اسس رياضية اثره على القيادة من ناحيتين رئيسيتين : الاولى انها جاءت مكررة في كثير من مؤتمراتها ولجانها التنفيذية . بل ان مؤرخا هو سينون وليامز يذهب الى ان عناصر مؤتمر يونيه ١٩١٩ (من الفلسطينيين) في دمشق هي التي كانت يعاد تكوين الهيئات القيادية منها الى عام ١٩٣٥ (٦١) . وكان هذا هو اساس اتهامها هي والمؤتمرات من قبل اعداء الحركة الوطنية كالمصهاينة وسلطات الانتداب بأنها غير ممثلة لابناء البلاد (٦٢) .

وعلى ما يظهر فان عضوية الجمعيات الاسلامية المسيحية لم تكن من الناحية التنظيمية بافضل حال من القيادة . فقانون الجمعية الاساسي لا يتضح منه ان هناك شروطا واجبة للعضوية (٦٣) ومن هنا فقد سيطر مبدأ الحشد والتجميع كيفما اتفق في اختيار الاعضاء . " يشكل كل قضاء جمعياته الخصوصية حسب القانون الذي يوافق قضاة وله ان يزيد وينقص في عدد الاعضاء حسب المصلحة (٦٤) . وعلى هذا فقد اجتمع لهذه الجمعيات اعضاء من كل اتجاه بلغ بعضهم ان يكون " ماجورا " او " اجنبي النزعة " كما يذهب السكاكيني . (٦٥) .

وقد ترك تركيب القيادة والعضوية لهذه الجمعيات اثره على نشاطها التنظيمي . ولم يكن هنالك اجتماعات منظمة او منتظمة للاعضاء (٦٦) كما انه لم يكن لهذه الجمعيات ايدلوجية معينة او برامج محددة او مقننة كما انها اشكتت من غياب التثقيف السياسي . فهي كما يصفها احدهم " لم تكن نواة سياسية

حقيقة تضم نخبة مفكرى البلاد أو المثقفين ، ولم تكن تلقى فيها المحاضرات السياسية التي تشرح للمواطن حقائق الامور . . . (٦٧) .

كما أنه لم يكن هنالك انضباط أو انتظام في دفع الاشتراكات بحسب ما دعا اليه قانون الجمعية (٦٨) وعلى هذا فقد كان هنالك نقص في تمويل هذه الجمعيات ولجانها التنفيذية أدى الى عرقلة أعمالها فكثير من الوفود الرسمية لهذه الجمعيات كانت تصطدم بالصعوبات المالية . وكثيرا ما اضطرت هذه الوفود لقلّة المال أن تستدين أو تستعطف بعض التجار الاعيان لتنظيم مصاريفها السفرية ولم يكن هنالك تنظيم في الاعمال والمال اللازم (٦٩) .

ومجمل القول لقد انطبع نشاط هذه الجمعيات بطابع العفوية والارتجال وتمشية الحال . يقول السكاكيني عن جمعية القدس : " يجتمعون كل أسبوع ، يفتحون جلساتهم ويختمونها ، بدون قراءة وقائع أو تقرير أمر . كأنهم مجتمعون في قهوة ، يمر الشهر تلو الشهر . ولا يدفع اشتراك بحيث يضيفون ذرعا بأجرة البواب . الخلاصة أنها جمعية على وشك الاحتضار . " (٧٠)

كما يصف الخالدي " اللجنة التنفيذية " وهي الجهاز الاعلى أو المركزى لهذه الجمعيات بأنها مضافة كبيرة ومكان سمر وحديث ولا طفات ولا وثائق ولا احصاءات أو فنيون أو خبراء كما كانت عليه الحالة في معسكر اليهود " (٧١) .

٢ . النوادي والجمعيات ذات الطابع المتطرف

وظهرت في هذه المرحلة تنظيمات أخرى اتسمت ببعض الكفاءة ، وكان أهم هذه التنظيمات النادي العربي والمنتدى الادبي والجمعيات السرية التي عملت كأجهزة منفذة لاهداف الناديين غير المعلنة في مقاومة الصهيونية والاستعمار مثل جمعية الاخاء والعفاف (الفدائية) وجمعية الكف السودا .

وقد اختلف الناديان في تكوينهما عن الجمعيات الاسلامية المسيحية فأغلب أعضائهما كانوا من الشباب المتنور كما يظهر أنهما كانا ينطلقان من أفكار تقوم على الايمان بالقومية العربية وتوحيد فلسطين مع سوريا . (٧٢)

وقد قام على تأسيس النادي العربي في القدس ، وعمل رئيسا له ، أمين الحسيني كما شارك معه في التأسيس شخصيات أخرى من القدس (٧٣) ولم يلبث هذا النادي أن أسس له فرعين الاول في يافا والاخر في نابلس (٧٤) ويذكر بوراث

اعتمادا على المصادر الصهيونية أن الاعضاء العاملين في هذا النادي كانوا من بين الصفوف الشابة من آل الحسيني ومن كان يمت لهم بطة المصاهبة مرة أو النسب (٧٥) .

وقد أصدر عارف العارف وحسن البديري - وهما عضوان نشيطان في هذا النادي - أول جريدة في فلسطين بعد الاحتلال باسم "سورية الجنوبية" (٧٦) وورد في العدد الاول " اذا لم يسمع لصوتنا فاننا سنمضي من الاقوال الى الافعال " وسنستبدل السيوف بالكلمات وسنكتب بالدم بدلا من المداد (٧٧). وقد انطلقت هذه الجريدة من ثلاثة مبادئ رئيسية دافعت عنها بطريقة " قوية الحجة ، شديدة اللهجة " هذه المبادئ هي الوحدة السورية والاستقلال التام ورفض الهجرة الصهيونية " ويبدو أنها كانت أشبه بمدرسة فكرية " علمت الناس كيف تقاوم " كما يرى السفري (٧٨) .

أما المنتدى الادبي فقد تأسس في القدس عام (١٩١٨) على يد حسن صدقي الدجاني ويوسف الخطيب باسم "جمعية مقتطف الدروس" التي لم تلبث أن تحولت الى المنتدى الادبي ، حيث برزت للمنتدى قيادة جديدة من الاعضاء البارزين لعائلة النشاشيبي كان من بينهم العربي والاديب اسعاف النشاشيبي يساعده فخرى وفؤاد النشاشيبي . كما أن غالبية أعضاء هذا النادي والقاعدة الرئيسية له تكونت من آل النشاشيبي (٧٩) .

وكان هدف هذا النادي شبيها بهدف النادي العربي : توحيد فلسطين مع سوريا . ويبدو أنه لم يكن أقل ميلا الى العنف والتطرف من النادي العربي . ويظهر ذلك في أدبيات هذا النادي التي كان ينشرها أعضاءه العاملون . فقد دعا اسعاف النشاشيبي الى خلق حالة من " الاضطرابات الدائمة " كما دعا محمود عزيز الخالدي الى اغتيال بعض زعماء اليهود في يافا وحيفا لئلا يذعر في قلوب من يحتمل هجرته الى فلسطين من اليهود . وقال أن شباب هذا البلد لا يخشون أحدا بما في ذلك الحكومة الاستبدادية نفسها . أنهم يريدون البدء بالعمل حالا ، وهم جميعا على استعداد لملاقاة الموت سعاداً ، وأن معظمهم يسألونني عن الموعد الذي يشرعون فيه بالثورة ضد الكفار ، ويظهرون فيه قوتهم ، ويتخلصون منهم الى الابد (٨٠) . ولعل نزعة التطرف هذه هي التي جعلت كلا من الانكليز والصهاينة يعتبرانه الأكثر بين النوادي والجمعيات الاخرى تطرفا (٨١) .

وارتبط بالناديين العربي والادبي جمعيات أخرى قليلة الاعضاء ولكنها كانت أكثر تمسكا بالسرية في نشاطها وخططها . ولقد كان بين هذه الجمعيات " جمعية الاخاء والعفاف " التي كانت بمثابة القوة الضاربة أو اليد المنفذة للمنتدى الادبي ثم فيما بعد ذلك للنادي العربي ، وكانت مهمة هذه الجمعية توزيع المنشورات والمحافظة على الانضباط في الاجتماعات كما أنها تشرف على تنظيم المظاهرات (٨٢) . كما يبدو أنها كانت تعمل على التخلص بالوسائل السرية من العناصر الموالية لليهود من العرب (٨٣) . وقد رأس هذه الجمعية الشيخ سعيد الخطيب وكان من بين دعائها بعض رجال الدين .

كما كان من بين هذه الجمعيات " جمعية الكف الاسود " التي تأسست عام (١٩١٩) (٨٤) . وقد غيرت هذه الجمعية اسمها في ٥ مايو (١٩١٩) الى جمعية الفدائية ويظهر أن أمين الحسيني كان له دور كبير في تأسيسها (٨٥) . ولم تلبث هذه الجمعية أن انتشرت في البلاد وكونت فروعاً لها في القدس وعزة ونابلس وطولكرم ورام الله والخليل ويافا وقد ارتبطت هذه الجمعية - مثلها في ذلك مثل جمعية الاخاء والعفاف - بالناديين العربي والادبي (٨٦) .

٣ . الجمعيات السياسية في سوريا :

عمل الفلسطينيون أثناء وجودهم في سوريا الفيصلية من خلال جمعيات معينة مثل النادي العربي بدمشق الذي " غدا بيتاً قومياً يلتقي في أهبائه وغرفه السياسية شباب الحركة ورواد دمشق القادمون من مختلف الانحاء العربية (٨٧) . كما عملوا من خلال جمعية النهضة الفلسطينية " التي أنشأوها لمناصرة القضية الفلسطينية والدفاع عنها وأسماع صوت فلسطين " (٨٨) .

وفي أول يوليو ١٩٢٠ أنشأوا جمعية باسم " الجمعية العربية الفلسطينية " تعمل على جمع كل الجمعيات الفلسطينية وتوحيد غاياتها وتسعى لمقاومة الهجرة الصهيونية وانتخبوا لها هيئة إدارية من إبراهيم القاسم عبدالهادي وأمين الحسيني وسليم عبد الرحمن ومعين الماضي وعزة دروزة وعارف العارف (٨٩) . ويظهر أنه ولدت في هذه الفترة بجهود أمين الحسيني لجنة الدفاع الفلسطينية التي اعتمدت على أعضاء آل الحسيني . وكانت ، منظمة بطريقة حسنة من قبل موسى كاظم الحسيني وأمين وجمال الحسيني الذين كان لهم تأثيرهم الكبير على الشباب الفلسطينيين (٩٠) .

ثالثا الممارسات :-

حفلت المرحلة الاولى (١٩١٨-١٩٢٣) بانماط متعددة من الممارسات .
وقامت فيها الحركة السياسية في فلسطين بدور كبير في النشاط السلمي والعنيف :
فمن بيانات الى مظاهرات وعصيان وانتفاضات ، الى مؤتمرات ووفود واجتماعات الخ .
ونستطيع ان نتبين وسط معترك الممارسات أربعة خطوط رئيسية :-

١ - الدعاء والتنظير : وقد شملت اصدار البيانات والمذكرات والاحتجاجات
والنداءات والبرقيات واقامة الاحتفالات المسيية
والقاء الخطابات وكتابة المقالات الصحفية . وكذلك
وضع المفهومات الكبرى للنضال الوطني .

٢ - التظاهرات السياسية واساليب العصيان والانتفاضات .

٣ - ايفاد الوفود من أجل المفاوضة حول القضية الفلسطينية واسماع وجهة النظر
الفلسطينية للرأى العام العالمي .

٤ - عقد المؤتمرات التي تميزت قراراتها بالرفض .

١ . الدعاء والتنظير : كان في طبيعة من دعوا الى القضية الفلسطينية على
أساس من خطهم السياسي والمنادى بالقومية العربية النادى العربي
والمنتدى الادبي . بدا ذلك في الاحتفالات الادبية والمظاهرات والحفلات
والمؤتمرات والمنشورات وغيرها . ويحدثنا السكاكيني في مذكراته - وهو
الذى يعتبر نفسه منظرا للقومية العربية (٩١) عن الاحتفالات الادبية التي
كثيرا ما استقطبت اهتمام اناس مسوء ولين (بريطانيين وعرب) وعاديين (٩٢)
وتروي جريدة فلسطين أن فريقا من أدباء القدس قاموا في ١١ و ١٢ ابريل
١٩١٨ (أي بعد يوم واحد من وصول اللجنة الصهيونية) بتمثيل رواية
(فتاة عدنان وشهامة العرب) وهي عن (حرب اليسوس) في منتدى المدرسة
الرشيدية . وعلقت في قاعة التمثيل خريطة كبيرة لفلسطينيين كتب تحتها
الابيات التالية :-

أرض فلسطين التي بوركت	أرض الميامين بني يعرب
يا خير أرض الله لا تيا سي	مالي عن حيك من مذهب
اننا سنفديك بأرواحنا	ونرتقي مستصعب المركب
حتى تُرى كالشمس في خدرها	تضيء في الشرق وفي المغرب (٩٣)

ولم تكن الاحتفالات برغم كل دلالاتها على أصالة التوحّد العربي لدى أعضاء هذين الناديين كل ما هنالك . بل لقد رفع هذان الناديان شعارات وخاصة بمناسبة قدوم لجنة كنج كرين - نلمح منها مدى وضوح التوجه السياسي أو الروئية السياسية لدى هذين الناديين. يقول السكاكيني : " لم تشرق شمس هذا النهار (الاحد ١٥/٣/١٩١٩) حتى كان النادي العربي بالاشتراك مع المنتدى الادبي قد علقوا على حبل مشدود من النادي الى مطعم سليم ملاءات كتبوا عليها بخط كبير هذه الجمل " نطلب استقلالاً تاماً " ، " سوريا لا تتجزأ " ، " نجتمع علي الصهيونيين ونرفض مهاجرة اليهود الى بلادنا " " ليعيش الامير فيصل " سوريا تمتد من جبال طوروس شمالاً الى ترعة السويس جنوباً " ولكن لم تلبث الحكومة ان اعترضت على ذلك فانزلوا ملاءاتهم عند الساعة الحادية عشر صباحاً . (٩٤) .

كما ان هذه المرحلة امنلاّت بالبيانات والصدائات والمنشورات التي نجد نماذج كثيرة لها في صحف هذه الفترة ومؤلفاتها (٩٥) .

فمنذ بواكير العمل الوطني نجد احتجاجات وبيانات الجمعيات الاسلامية المسيحية تتوالى مصورة فظاعة ما يتعرض له العرب من ظلمات وبذكر السفري أن أول " عمل قامت به الجمعيات هو الاحتجاج على قرار مجلس الحلفاء الاعلى بفرض الانتداب وادماج وعد بلفور فيه خلافا للعهد المقطوعة للعرب والتي لاجلها اشتركوا مع الحلفاء في الحرب الكبرى (٩٦) .

والدارس لشعارات هذه المرحلة عموماً يدرك الزخم الوطني الكبير الذي كان تعبيرا عن المشاعر التي عاناها الفلسطينيون في هذه الفترة . ويذهب أحد المؤرخين اليهود الى أن الوثائق الصهيونية المحفوظة في سجل الوثائق الصهيونية المركزي تحتوى على خمسة وثلاثين شعاراً بعضها مطبوع وبعضها الاخر مكتوب بخط اليد . وكان من هذه الشعارات التالية : " الخطر الصهيوني حقيقي وليس متوهماً " و " بيع الاراضي للصهيونية خيانة " و " فلسطين حصن سوريا " و " الاقصى ثالث الحرمين قائم في فلسطين " و " ستصبح فلسطين صهيونية عندما تصبح انجلترا المانية و " قوة اليهود في المال وقوة العرب في الوحدة " (٩٧) .

وأثناء وجود العاملين السياسيين الفلسطينيين في دمشق حملت بياناتهم الى فلسطين هذه الشعارات : " انقذوا المسجد الاقصى من الغازي الصهيوني "

" احموا كنيسة القيامة " و " سيفيض نهر اليرموك بالدم ولن تذهب فلسطين لليهود " و " كل اليهود صهاينة " (٩٨) .

عمل هذا الادب الدعائي على تكوين مفاهيم سياسية متكاملة عن القضية الفلسطينية ، قامت على مقولة الاستمرار التاريخي للعرب في فلسطين ونسبتهم العددية لليهود في فلسطين . كما بنى الفلسطينيون حقهم في بلادهم على حجج دينية مثل أن مدينة القدس مقدسة لدى جميع الاديان وبينما يشكل المسلمون (٣٥٠) مليوناً والمسيحيون (٧٥٠) مليوناً فان عدد اليهود لا ينوف عن (١٤) مليوناً (٩٩) . كما ركز العرب على العهود والمواثيق التي أعطيت لهم من الحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى وما تلاها . وقد استند العرب الفلسطينيون في حقهم : الاستقلال ضمن دولة عربية ، على مراسلات الشريف حسين مكماهون وبالذات رسالة ٢٤ أكتوبر (١٠٠) ومن هنا فقد ركز الفلسطينيون هجومهم على وعد بلفور باعتباره مخالفا لهذه المراسلات كما أنه مخالف للمادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم والتي تقضي بأنه اذا اراد عضو الدخول في هذه العصبة وكانت هنالك التزامات تتعارض مع نص هذا الميثاق ، فانه مسؤول عن تحرير نفسه من هذه الالتزامات (١٠١) .

أما من حيث الصهيونية فقد وضع الفلسطينيون الصيغة العربية في مواجهة الصيغة الصهيونية ، ورفضوا الصهيونية رفضاً مطلقاً ووصفوها بأنها رأس كل الشرور .
٢ . التظاهرات السياسية وأساليب العصيان المدني والانتفاضات والثورات

المحدودة .

كانت التظاهرات والمظاهرات السياسية مظهراً بارزاً من ممارسات الحركة السياسية الفلسطينية في هذه المرحلة . بل أن بعض هذه المظاهرات كالمظاهرات في ذكرى وعد بلفور أخذ شكل النعمة الثابتة أو الايقاع المتكرر في سيمفونية العمل السياسي الفلسطيني .

واكبت هذه المظاهرات العمل السياسي الفلسطيني من بداياته . وبينما يذكر السفري أن اول مظاهرة سياسية حصلت في فلسطين بعد الاحتلال كانت بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٢٠ واشترك فيها ٤٠ الف شخص ، وكانت بتحريض من جريدة

سورية الجنوبية ١٠٢) فان غيره من المؤرخين كالكساكيني وما يردان هذه المظاهرات بطابعها العنيف الى تاريخ أبكر من ذلك .

يذكر مالرو أن أول مظاهرة جدية أخذت طابع العصيان كانت في ابريل ١٩١٩ وقد تصادم فيها العرب مع اليهود وقتل فيها خمسة من اليهود وأربعة من العرب كما جرح فيها أحد عشر يهوديا وواحد وعشرون عربيا . وقد عزا اليهود هذه التظاهرات العنيفة الى تحريض الجمعيات الاسلامية المسيحية " التي كانت قد شكلت في فلسطين من أجل " الشعب " واثارة القلاقل ضد وعد بلفور كما لامت الادارة العسكرية لسماحها بهذا الشعب . (١٠٣) .

وتركز المراجع الاجنبية والعربية على مظاهرة حيفا التي قادها وديع البستاني والتي كان لخطابه الناري فيها أثره الكبير في اثاره مشاعر الجماهير . (١٠٤) .

وعندما زار هربرت صموئيل في ابريل ١٩٢٠ بيسان تجمع جمهور كبير في الشوارع وقد سارت النساء وهن يمشين الاثايد الوطنية وراء حمل محلل بالسواد . وقد حمل المتظاهرون رايات سوداء مكتوبا عليها " المسلمون والمسيحيون اخوان " لتسقط الصهيونية " ليعيش الموء نمر العربي . (١٠٥) .

ولقد شارك بوجه خاص النادبان العربي والادبي والجمعيات السرية المتعاونة معهما في الاحداث الدامية لانتفاضة (١٩٢٠ - ١٩٢١) . وعلى ما يظهر كان لامين الحسيني وعارف العارف دور اساسي في احداث احتفالات النبي موسى في ابريل ١٩٢٠ . وقد كان منطلق هذين الرجلين من سوريا قاعسدة الفلسطينيين أثناء الحكم الفيصلي كما ذكرنا . فتقرير بالين يعزو الحمى السياسية التي أمسكت بتلابيب العرب في فلسطين في فبراير وابريل عام ١٩٢٠ الى الوقائع والظروف السياسية التي صاحبت تتويج فيصل في سوريا (١٠٦) .

وعندما عاد الحاج أمين الحسيني الى فلسطين في مارس ١٩٢٠ فانه أخبر رؤساء الجمعيات في القدس بأن " بريطانيا لا تعارض اعطاء أو تحويل البلاد الى الشريف (١٠٧) . كما أن جون كمشي الذي يؤرخ بالتفصيل للفترة السورية في النشاط السياسي الفلسطيني ، يعزو الى لجنة الدفاع العربية التي قامت على الحسينيين كما ذكرنا ، الدور الاساسي في انتفاضة ١٩٢٠ ويساند هذه الفكرة من المؤرخين العرب عيسى السفري وأميل الفوري وآخرون غيرهم (١٠٨) . وينفرد بوراث بين مؤرخي القضية الفلسطينية . وربما بسبب اعتماده على الوثائق الصهيونية ، بالقول بأن بعض أعمال العنف التي قامت على أثر انتفاضة يافا عام

١٩٢١ إنما كانت بفعل جهود جمعية الكف الاسود أو الفدائية التي مارست نشاطها ضد بعض المستعمرات مثل الخضيرة وبتاح تكفا . ويظهر ان الجمعيات الاسلامية المسيحية لم تساهم بدور فعال في الانتفاضة ولا في ما تلاها الامر الذي جعلها محل لوم من سليم عبد الرحمن . (١٠٩) .

تلك كانت المظاهرات السلمية والعنيفة على أرض فلسطين . ولكن الحركة السياسية قامت بجهد مماثل من موقعها في سوريا . فقد نجح الفلسطينيون أثناء وجودهم في دمشق بتعريب القضية الفلسطينية ، وتمكنوا في فترة وجيزة من خلق جبهة عربية متواصلة حول شعار مقاومة الصهيونية . وقد تجسد الحماس العربي في مظاهرات استنكار كبيرة لموقف الحلفاء من الصهيونية تمت بمناسبة زيارة سايكس لدمشق حتى لقد روى عنه قوله " أن هنالك على الاقل قضية رئيسية واحدة تلحق عليها جميع الفئات والافرقة العربية - الصهيونية (١١٠) .

كما أن الفلسطينيين لم يقتصروا على المظاهرات بل تطور موقفهم الى القيام بممارسة العمل المسلح عبر الحدود الفلسطينية من دمشق نفسها . يقول "عزة دروزة" (١١١) بدأت بعض حركات مسلحة في منطقة سمخ دبرها بعض الذين كانوا في دمشق من رجال فلسطين في سبيل الكفاح ضد المؤامرة كما نشرت جريدة الدفاع الدمشقية اخبار مهاجمة العرب المستعمرة " المظلة " الواقعة قرب مرجعيون واقتحامها من قبلهم ورفعهم العلم العربي عليها (١١٢) .

وتؤيد ذلك خيرية قاسمية اعتمادا على أوراق محب الدين الخطيب التي تذكر أسماء زعماء الاحزاب وأمراء العربان الذين اشتركوا في أعمال العنف من دمشق : " ولكن ما هو ثابت أنه ما كان يجري في فلسطين كان مركزه دمشق ، يديره رجال غير سوء ولين ويؤيدهم الرجال المسوءولين بالمال والسلاح " (١١٣) .

٣٠٣ ايضاد الوفود الى أوروبا وجهات العالم المختلفة:

شكلت فكرة ارسال الوفود مظهدا بارزا من مظاهر نشاطات الجمعيات الاسلامية المسيحية وموتمراتها المتتالية واللجان التنفيذية لهذه المؤتمرات ، وقد بدأت فكرة ارسال الوفود تأخذ طريقها الى الناحية العملية مع بواكير الحركة السياسية في فلسطين منذ المؤتمرات الاول الذي انعقد في القدس في نوفمبر ١٩١٨ . فهذا المؤتمرات هو صاحب أول اقتراح في ارسال الوفود الى مؤتمرات الصلح بباريس وسوريا . وبالفعل سافر أول وفد الى سوريا ولم يسمح للوفد المصنرح

وعلى أثر انعقاد المؤتمر الثالث الذي انعقد في حيفا ١٩٢٠ انتدب وفد لمقابلة تشرشل الذي كان آنذاك يزور القدس وعرضوا عليه قرارات المؤتمر وخاصة إلغاء وعد بلفور ووقف الهجرة والموافقة على حكومة وطنية . وهنا أجابهم تشرشل بقولته المعروفة " لقد سألتموني أن ألغي وعد بلفور وأوقف الهجرة وليس هذا من صلاحيتي كما أنه لا ينفق مع رغبتني " (١١٥)

كما أن المؤتمرين الرابع والسادس انتدبا وفدين للسفر الى بريطانيا . وعلى أية حال فإن الوفد الذي ذهب الى لندن لأول مرة بعد الاحتلال والذي يعرف عادة بالوفد الاول أشهر هذه الوفود (١١٦) وقد تكون هذا الوفد من موسى كاظم الحسيني رئيسا وتوفيق حماد وابراهيم شماس وشبلي الجمل وأمين التميمي ومعين الماضي أعضاء^(١١٧) . ولقد أتيح لهذا الوفد أن يمكث قرابة العام في بريطانيا ، وأن يفتح ملف القضية الفلسطينية كاملا مع السلطات البريطانية كما أن لدينا مادة مصدرية جيدة عن مداولاته ومراسلاته مع هذه السلطات تتيح لنا تقييم فكرة الايفاد - من خلاله ، باعتبار قمة ما وصلت اليه المباحثات ، ومن خلال نشاطات الوفود الاخرى التي سبقته وتلتها - كممارسة سياسية . ومن أجل هذا التقييم لا بد لنا أن نعرف دوافع وغايات هذه الوفود والوسائل التي اتبعت لتحقيق هذه الغايات ، وما تمكنت من انجازه وما لم تتمكن من انجازه .

نبعت فكرة ايفاد الوفود من حقيقة أو مجمل حقائق أساسية . فلقد كان هدف المؤتمر الاول من ايفاد الوفود هو اسماع صوت القضية الفلسطينية في مؤتمر الصلح في باريس ، أو كما تقول وناثق أكرم زعيتر " ليدافعوا عن حقوق البلاد ويبلغوا احتجاجاتهم وبراهينهم عن قرب " كما أن الوفد الذي سافر الى سوريا كان " للاجتماع الى أهل الرأي فيها (١١٨) وقد أيدت جريدة لسان العرب الوفد الاول لبريطانيا " لانه نقل القضية الى قلب لندن فكسب انصارا عديدين ، وأبرز جوانب القضية للرأي العام البريطاني بعد أن كان يجهل حالة فلسطين ، ويظهر أن الاكثريّة المطلقة يهود والعرب قليلون ولا يفهمون معنى المدنية (١١٩) ، ومن ناحية أخرى كانت الوفود محاولة في اكتشاف وسائل جديدة لمعالجة شؤون القضية الفلسطينية وذلك بالنظر - كما تورد مس نيوتن - " لعدم جدوى الاحتجاجات والعرائض وحتى المظاهرات في تحقيق الاهداف الوطنية (١٢٠) .

ولعل الالاهم بين هذه الدوافع جميعها هو أن هذه الوفود كانت تذهب من أجل ان تحصل من بريطانيا أو الجهات المعنية الاخرى كلجنة الانتداب الدائمة بعصبة الامم على المقابل السياسي للكفاح العربي على أرض الوطن . ومن هنا جاء توقيت سفر الوفد الاول بعد احداث ١٩٢١ ، كما جاء توقيت سفر وفد ١٩٣٠ الى بريطانيا بعد انتفاضة ١٩٢٩ ، ووفد ١٩٣٩ بعد الثورة (١٩٣٦ - ١٩٣٩) لا سيما وأنه كانت تبدو من بريطانيا ومن لجان تحقيقها بالذات بوادر مشجعة أنس العرب منها بوادر تحول في الموقف البريطاني ، فحاولوا اغتنامه . يعلل السفري سفر الوفد الاول الى بريطانيا بأنه كان نتيجة للاضطرابات التي حصلت في يافا والتي كان لها الاثر الكبير في نشاط الحركة الوطنية في البلاد (١٢١) . وقد كان تقرير هايكرافت الذي عزا الانتفاضة الى " نمو المشاعر القومية ومقاومة سياسة الاستعمار الصهيوني (١٢٢) " عاملا مشجعا ، وكان تصريح هيربرت صموئيل في " أن العرب يجب أن يسترضوا (١٢٣) اثرا مماثلا .

تلك كانت الدوافع والغايات ، فماذا تحقق ؟ مما لا شك فيه أن فكرة ارسال الوفود حققت بعض النتائج الايجابية بالنظر لما توخاه اصحابها من مجابهة البريطانيين على أرضهم بوقائع القضية . وكسبت الوفود بعض المكاسب السياسية والدعائية . فقد تعاطف - على سبيل المثال - مع الوفد الاول بعض الموظفين من وزارة المستعمرات (١٢٤) كما أيده بعض أعضاء مجلس العموم واللوردات . كما أن الوفد نشر بعض المقالات في جريدة التايمز (١٢٥) ولكن من الناحية الاخرى كان هنالك سلبيات ، لا سيما وان هذه الوفود في مراحلها الاولى اعتبرت الايفاد بديلا للكفاح المادي أو العملي وانها العلاج الناجع لكل شيء ، وليس بلا مغزى ان الامير شبيب ارسلان كتب الى اصدقائه في يافا قبيل انتفاضة تلك المدينة يخبرهم أن أي " هبة أو انتفاضة في فلسطين ستكون أكثر تأثرا بكثير من ارسال أي وفد للغرب (١٢٦) . ومن هنا فقد أخذ البعض - مثل المؤرخ البريطاني مالرو - على فكرة الايفاد مأخذ أساسية أهمها أنها " رسخت مبدأ المشورة ، أي مشورة بريطانيا في الامور المتعلقة بمصير فلسطين (١٢٧) وعدم القطع بأمر قبل العودة اليها . كما انه يأخذ عليها أيضا أنها نقلت المفاوضات السياسية من القدس الى لندن الامر الذي كان له الاثر الاكبر في غلبة حكمة وحصافة وايزمن التي اتسمت بالاعتدال الظاهر على جهود الوفود التي اتسمت مواقفها بالتصلب بل لقد استساغ

البريطانيون هذا الاعتدال الصهيوني واعتبروه بديلا سياسيا مفضلا على التشدد العربي (١٢٨) .

ولعل مما يتصل بهذه الناحية ان الوفود لم تكن دائما - وربما هذا عائد الى ان القيادة الفلسطينية عموما كانت كفاءتها الاولى تنبع من وجاهتها اكثر من كفايتها - لم تكن مؤهلة للقيام بالمهمة الملقاة على عاتقها . فتقرير شكبورغ من وزارة المستعمرات البريطانية يصور كيف نظر اليهم وايزمن بانهم اقل مما يمكن ان يتفاوض معهم ، ومارس عليهم غطرسة واستعلاء " فقد كان موقفه موقف المنتصر الذي يقدم لاعدائه المهزومين شروط السلام (١٢٩) ولا تختلف - على أية حال رواية أحد أعضاء الوفد الاول عن وقائع هذا الاجتماع في مضمونها عن مضمون رواية شكبورغ (١٣٠) بل أن ضعف هذا الوفد بصورة تدعو للرتاء يظهر في ما يورده كاتب سيرة موسى العلمي ، يروي عن لسان موسى العلمي نفسه : " لكن النظرة لهؤلاء (الوفد) أحدثت صدمة من الخيبة والمرارة . . . كانوا هيئة تدعو للشفقة فباستثناء أمين سرهم . . لم يكن لاي منهم أي صلة بالغرب أو أنه كان يتكلم بأية لغة أجنبية غير العربية أو التركية ، لقد كانوا في عالم آخر ، . . . ولقد سمع أخيرا أنهم كانوا يعاملون " كأطفال متخلفين " لدرجة أنه يقال لهم بصفاقة وعندما يطلبون مقابلة الوزراء حتى يعرضوا وجهة النظر العربية أن وزير المستعمرات قد سبق له ورأي دكتور وايزمن وأنه ينبغي عليهم أن يبحثوا مشكلتهم مع اليهود " (١٣١) . وعلى أية حال فان الوفد لم يعان فقط من الفرق الشاسع بين الوسائل والغايات فمما عمل على شل حركته أيضا انه وقع أسير هذه الغايات . فالوفد الذي اتسم اشخاصه عموما بالاعتدال وكما وصفهم المندوب السامي فسي تقريره عنهم (١٣٢) هذا الوفد الذي وقع أسير قرارات الحركة الوطنية ومواقفها فقد ذكرت الكرمل " كما ينتظر منها (أي لجنة الوفد) أن لا تتحدى في مهمتها قرارات المؤتمرات الذي تمثله الا وهي الاحتجاج على الوطن القومي . . . والمطالبة بالحكومة الوطنية ليكون تمثيلها حقيقيا (١٣٣) .

ولقد جاء الحرج في موقف الوفد من أن التزامه بموقف الوطنية الصلبة كان يتعارض تعارضا مطلقا مع موقف بريطانيا القائم على الالتزام المزدوج نحو كل من العرب واليهود واستمساكهل أي بريطانيا - بوعده بلفور الذي هو أساس سياسة الالتزام المزدوج (أقره فيما بعد صك الانتداب والكتب البيضاء المختلفة) بينما

رفض العرب هذا الوعد رفضا مطلقا . ومن هنا ربما كانت عقدة الامر كله . . . واتسم الحوار كما بدا في الرسائل المتبادلة بين الوفد ووزارة المستعمرات (١٣٤) بأنه حوار طرشان .

ولعله كان مقدرًا لهذا الوفد أن يحقق غايات لو أنه جاء بتتويجا لكفاح طويل وترجمة موضوعية أو مقابلا موضوعيا لهذا الكفاح - مع توفر الكفاءة السياسية في أعضائه كما ذكرنا - ولعله كان الأولى بالحركة السياسية الفلسطينية بدلا من البحث عن الحلول في معازل الصهيونية الدولية أن تبحث عنها على أرض فلسطين . ولعله كان يكفي الوفد للدرس والاعتبار رفض تشرشل لمطالب الوفد في القدس ، ومع ذلك فقد صرف الوفد قرابة العام - جرت فيه أحداث متغيرة على أرض فلسطين وتحولت بعض أجنحة الحركة السياسية الى الارتقاء في أحضان بريطانيا - يحاول أن يزحزح بريطانيا . بأساليبه التي تحدثنا عنها من موقفها من الوعد الذي قالت فيه الكرمل " ليس بالعالم قوة تستطيع أن تزيل هذا الوعد من بروغرام الحكومة البريطانية (١٣٥) .

بل ان وجود الوفد في بريطانيا في وضع كان فيه أضعف من الايتام أمام قوة المفاوض البريطاني ودهائه جعل هذا الوفد ينزلق ويقبل ما رفضه على أرض الوطن فقد قبل الوفد الجلوس الى وايمن . وبدلا من جعل اللعبة السياسية تدور بين العرب والبريطانيين ، أدخل البريطانيون ، الصهاينة شركاء أصليين ومعتمدين أساسيين ينصح الوفد كما ذكرنا بالذهاب اليهم لبحث أمره معهم . فبدا كما ان بريطانيا تخلت عن انتدابها على فلسطين لتعطيها للصهيونيين . ولقد ذكرت الكرمل ما يفيد بأنه باستثناء اصدقاء العرب من البريطانيين فانهم - أي البريطانيين - نصحوا الوفد بالتفاهم مع الصهيونيين " أن كثيرا من رجالات بريطانيا عدا اللورد سيدنهام واللورد لمنجتون نصحوا الوفد ان الطريق الوحيد للنجاح هو التفاهم مع الصهيونيين وهذا هو السبب الذي من أجله دخل الوفد في مفاوضاتهم " (١٣٦) .

٤ - المؤتمرات الفلسطينية وسياسة الرفض : لقد كانت المؤتمرات الفلسطينية التي عقدت تحت مظلة الجمعية الإسلامية المسيحية مظهرا بارزا من مظاهر النشاط السياسي . فقد ساهم في هذه المؤتمرات كثير من الحركات والعناصر الوطنية

الفلسطينية . وقد انعقد في الفترة الاولى ستة مؤتمرات : خمسة منها على أرض فلسطين (والسادس منها وترتيبه الثاني في دمشق) . وامتازت قراراتها برفضها المطلق لوعده بلفور وسياسة اقامة الوطن القومي اليهودي . كما نادى كبدليل لذلك بانشاء حكومة وطنية ممثلة تمثيلا حقيقيا لابناء البلاد (١٣٧) وعلى أية حال فان القرارات لم تكن هي كل ما صدر عن هذه المؤتمرات . فربما كان أهم من ذلك مغزاها وروحها . فمن يعنى النظر فيها يدرك كم حرص الفلسطينيون على رفض فكرة الاعتراف بالصهيونية أو التعامل مع اليهود بأى شكل من الاشكال . وبأخذ جون كمشي - على سبيل المثال - على المؤتمرات الثالث انه جذر أو أصل فكرة عدم قبول الصهيونية في فلسطين ، من خلال رفض المؤتمرات لفكرة الوطن القومي اليهودي ، وبشبه ميثاق المؤتمرات بميثاق "فتح" الحالي الامر الذي لا يخلو من مغزى بطبيعة الحال (١٣٨) .

كما أن هذه المؤتمرات كانت بمثابة محطات على طريق المبادرات المتواصلة لتوجيه النضال الوطني ورفض المشاريع المطروحة والتي لا تحقق الحكم الوطني فقد بدأ رفض المجلس التشريعي من المؤتمرات الخامس وأصدر المؤتمرات من أجل ذلك ميثاقا غليظا وقسما عظيما يكرس رفضه (١٣٩) . وعلى الاثر شنت اللجنة التنفيذية حملة من أشرس الحملات السياسية التي شهدتها تاريخ فلسطين الحديث ضد المجلس التشريعي باعتباره تطبيقا لروح الكتاب الابيض ١٩٢٢ ، ووسيلة للاندماج في المخططات البريطانية وحرمان الفلسطينيين من مقومات الحكم الذاتي ، خدمة لاغراض اقامة الوطن القومي اليهودي على أرضهم (١٤٠) (كان صك الانتداب الذي سيكرس اقامة الوطن القومي في دور الصياغة) .

وبما أنه ليس من هدفنا التوسع في التاريخ للممارسات ، بمقدار تقييمها وتحليل أبعادها ، سنكتفي بالقاء بعض الاضواء على حملة مقاطعة المجلس التشريعي ، باعتباره نموذجا لموقف من مواقف الرفض .

شارك في هذا المؤتمرات الجماهرة الكبرى من الفلسطينيين : قيادات سياسية ، ومجلس اسلامي أعلى وصحافة وعائلات وحمايل وقرى ومدن ، حتى تمكنت في النهاية من احباط الانتخابات . ومن هذه المشاركة نجد أن الوفد الاول الذي سبق له أن رفض مشروع المجلس التشريعي المتضمن في الدستور المقترح على أرض بريطانيا ، قام بحولة في طول البلاد وعرضها لكي يوضح للمجتمع الفلسطيني الاضرار التي ستنتج عن الانتخابات (١٤١) .

كما أن المجلس الاسلامي الاعلى الذي كان قد تأسس في يناير ١٩٢٢

نفس فترة الانتخابات - بقيادة المفتي الحاج أمين الحسيني ، ذي الخلفية النضالية المعروفة ، شن أيضا عبر أجهزته حملة كبيرة . فقد أدمج الائمة والخطباء موضوع المجلس التشريعي في خطبهم . واعتبروا مقاطعتها واجبا دينيا ، بل أخذوا اليمين على المصلين بأن لا يشاركوا في الانتخابات (١٤٢) وكتبت الكرمل مقالا بعنوان " لا ننتخب " يضح بالحماس ويفند الاسباب التي من أجلها لا ينتخب العرب (١٤٣) .

وقد وصل صدى هذه المقاطعة الى أبعد القرى والداكر ومراكز التجمعات الفلسطينية وتعاهدت العائلات والقرى على رفض الانتخابات . وسجل أهالي طيرة بني صعب مضبطة تدل قارئها على وعي سياسي وحجج منطقية في رفض مشروع المجلس التشريعي وقد رفعت هذه المضبطة للحاكم الادارى ، وعليها توقيعاتهم وكان طول المضبطة ٢٠ مترا (١٤٤) .

وفي خاتمة المؤتمرات آتت هذه الحملة اكلها وتمكنت الحركة السياسية من حمل الناخبين على عدم التصويت (١٤٥) - رغم جهد الحكومة في اجرائه . وعلى ما يظهر من الشواهد المعاصرة كانت هذه الحملة السياسية في مجملها انتصارا باهرا وعملا محكما متقنا . وصفه نجيب نصار بقوله " خرج عرب فلسطين من معمعة الانتخابات يزينون رؤوسهم بأكاليل الظفر . وخرجت منها الادارة ولديها البرهان الجلي الساطع على أن أهل فلسطين غير راضين عن هذا الدستور الذى يجردهم من الجانب الاكبر من حقوقهم ويضعها في يد سعادة المندوب السامي وموظفي ادارته ليمنحوها لليهود اوللصهيونيين الذين ليس لديهم أدنى حق مشروع غير ما منحهم اياه السياسة البريطانية بالقوة (١٤٦) . ونشرت فلسطين بيانا للوفد الثاني عن أعماله أمام المؤتمرات العربي الفلسطيني السادس (١٩٢٣) يشعر بالفبطة والسعادة التي شعر بها الوفد من جراء نتيجة الانتخابات وكيف أنهم كانوا يعولون على هذه النتيجة من أجل اقناع السلطات البريطانية والرأى العام البريطاني بعدم جدوى الحلول الوسط أو سياسة الترقيع " الامر الذى أثبت للذين يشتغلون معنا ، ولخصومنا ، ان فلسطين جادة في حركتها الوطنية وأن الحركة فيها حركة شعبية اجماعية لا افرادية شخصية (١٤٧) . ويعتل عزة دروزة هذا النجاح بالروح الوطنية القوية الجارفة - مما كان يجعل قبول المجلس مستحيلا (١٤٨) .

ورفض المؤتمر السادس بعد ذلك المعاهدة الانكلو عربية المقترحة على الملك حسين ملك الحجاز من الحكومة البريطانية لانها " مخالفة للعهد المقطوعة للعرب وحقوق الشعب الفلسطيني (١٤٩) " كما أن هذا المؤتمر قاد الأمة في مقاطعة المجلس الاستشاري المعين والذي أرادت الحكومة البريطانية الاستعاضة به عن المجلس التشريعي المنتخب (١٥٠) كما رفض الوفد الثاني للمؤتمرات العربية من خلال مفاوضاته مع وزارة المستعمرات تأليف وكالة عربية - شبيهة بالوكالة اليهودية - من أجل سياسة أمور العرب في فلسطين (١٥١) . ويعقب مالرو على رفض العرب للوكالة العربية التي اقترحها أصدقاء العرب في اللجنة الوزارية البريطانية بأن العرب " تجاوزوا حدودهم " . وفي حقيقة الامر فان هذا الموقف الراض من هذا الوفد ، كما هو الحال في أمور أخرى ، لم يعط فرصة ولو ضئيلة لاي أمل في أن يكون التشدد هو الموقف الاسلام للوصول الى الاهداف السياسية المبتغاة (١٥٢) .

ورأى مالرو هذا وغيره سيجعلنا ندخل في مناقشة أسلوب الرفض . هذا الأسلوب الذي طال الاخذ والرد فيه ، ولم تنته المعركة حوله حتى يومنا هذا . كما كان مع نقيضه أي سياسة التساهل والمهادنة والحلول الوسط مثار نقاش وتساؤل وصراع قام أحيانا بين أجنحة الحركة الوطنية المتطرفة والمعتدلة .

ونحن نجد هنا رأيين أو مدرستين : المدرسة الاولى وهي المدرسة التي تحاول استقراء الحوادث التاريخية بطريقة واقعية تصل الى برحة البراجماتية أحيانا ، وكثيرا ما تسقط هذه المدرسة الواقع الراهن للقضية الفلسطينية ، وما أنجرت اليه أو آلت اليه هذه القضية من انحدار وهزيمة ، على الماضي . وفي طبيعة هؤلاء عدد كبير من مؤرخي فترة الانتداب البريطاني من الانكليز مثل سايكس وهايمسون ومالرو ، والبعض الاخر من الصهيونيين وهؤلاء في مجملهم ينعون على العرب رفضهم في الاندماج في المشروعات الدستورية البريطانية . فسايكس الذي يعتبر القومية الفلسطينية قومية متطرفة باعتبارها قومية بادئة يصف الرفض العربي بأنه عناد مزر أو محزن " لم يجلب عليهم الاحرامانهم من اية حكومة تمثيلية (١٥٣) .

ويذهب الباحث الاسرائيلي المعاصر الجنرال ي . هاركابي ، الى ابعد من ذلك فهو يعتقد أنه " لو قبل العرب بما قدمه المجلس التشريعي في العشرينات

فان اسرائيل لم تكن لتوجد " ويضيف الى ذلك قوله " ان الرفض العربي هو الذي فرض التقسيم وقيام الدولة اليهودية . انه لمن سخرية التاريخ أن العرب ينبغي ان يعدوا من ضمن الاباء المؤسسين للدولة اليهودية (١٥٤) .

بينما يرى المؤرخ والعالم السياسي الامريكى "كواندت" والذي لا تخلو كتاباته من روح الانصاف ان الحكومة البريطانية في لندن نظرت للعرب كأناس عنيدين وسلبيين وصعبي المراس فقرروا أن لا يقوموا بأى عروض سياسية لهم مؤملين من وراء ذلك أن يحطوا سلطة اللجنة التنفيذية علسي المجتمع العربي (١٥٥) .

والمدرسة الاخرى هي المدرسة التي تنظر الى الامور نظرة شاملة وأكثر موضوعية ولا تنسى أن تقيس المواقف بالعشرينات على مثيلاتها في الثلاثينات ، كما أنها تتباعد عن تحميل الرفض العربي أكثر مما يطيق . ولا تحاول أن تفسر التاريخ بعامل واحد . ولعل من أفضل من تمثل هؤلاء من المؤرخين الغربيين - بالاضافة الى المؤرخين العرب - (١٥٦) - الذين يحاولون أن يصفوا الاشياء في منظورها التاريخي الصحيح ، "ديفد هرست" الذي كان يرد على محاكمات المؤرخين الذين ذكرواهم ، ولا يعتبر المجلس التشريعي باعتباره كان قمة الرفض العربي ، فرصة ضائعة ... يقول "ديفد هرست" : " ان حجة ليست مما يستطيع البرهنة عليه حجة واهية ، ولكن في شكلها الاشد قوة غير عادلة قطعاً . فان الفلسطينيين لم يكن باستطاعتهم في ذلك الوقت - رغم أن حدسهم كان دقيقاً بصورة كاملة - أن يروا أن الحوادث التالية ستعزز حجة منتقديهم . وعندما عرضت الحكومة البريطانية في عام ١٩٣٥ قدراً محدوداً من الحكم الذاتي لم يخل من عدم الانصاف ولا بحال من الاحوال ، اعتبره الصهيونيون أسوأ بكثير (من المشروع الاول) وكانوا هم وليس العرب الذين اندفعوا ليدفنوا هذه التجربة الضعيفة في الديمقراطية ... وعندما رفضها وستنمتر أمام البرلمانات (ليس العرب هللت الصحافة اليهودية لهذا الموقف باعتباره انتصاراً عظيماً لليهود . هذا في حين أن العرب كانوا على الاقل على استعداد لكي ينظروا في العرض (١٥٧) .

ومع كل هذا فهنالك من يأخذون على الرفض الفلسطيني أنه كان أقل مما ينبغي ، وأنه لم يكن رفضاً كاملاً ، وأنه كان ينقصه العنف أو المقاومة المسلحة المستمرة . ومن هؤلاء " بوراث " الذي يأخذ على الحركة السياسية الفلسطينية

أنها ينبغي أن لا تتوقف عن العنف ، وأنها لو فعلت لربما تغير وجه القضية الفلسطينية . وكما لام هاركاوي العرب الفلسطينيين على رفضهم واعتبره سببا في قيام دولة اسرائيل واعتبر العرب احد آباؤها - كما ذكرنا - فان مقولة "بورات" تعتمد على أن الرفض العربي المنقوص هو الذي أتاح للييشفوف أن ينمو (١٥٨) وتتضاعف مساحته . وسوف نناقش هذه الآراء كلها من خلال مناقشتنا للاستراتيجية العامة للحركة الوطنية خلال هذه المرحلة وتحقيقها لاهدافها .

ولنبداً بالقول أن الحركة الوطنية لم تحقق في هذه المرحلة أهدافها . فالغاء وعد بلفور الذي كان الهدف الرئيسي لم يتم ، كما أن الحركة الوطنية لم تستطع أن تقيم حكومة أو شبه حكومة كما حدث في البلاد العربية كالعراق . وعلى العكس من ذلك فقد تمت الموافقة على صك الانتداب في عام (١٩٢٣) ، وبذلك وضعت الاسس القانونية والفعلية لقيام الوطن القومي اليهودي . ويعود اخفاقهما الى أسباب أو نواح أساسية وأولها هو عدم وضوح الرؤية السياسية وبشكل خاص من ناحية تحديد العدو الرئيسي . فبينما أولى العرب الفلسطينيين الصهيونية كل عنايتهم ، وذهبوا الى رفضها الى حد تحريم التعامل مع اليهود فانهم لم ينظروا على النحو ذاته للانكليز فلم يصروا على الاستقلال الكامل من الناحية العملية بالرغم من مطالبتهم المتكررة من خلال مؤتمراتهم بالحكومة الوطنية والاستقلال التام ، كما بدا واضحا في المؤتمر الثالث .

ولعلنا نجد تفسيراً لهذا التباين الشاسع بين الشعارات أو النظر وبين الواقع في العوامل التالية التي نوجزها هنا من أجل أن تلقى ضوءاً على جميع الممارسات السياسية على المرحلة الحالية وربما على المراحل التالية الى ثورة (١٩٣٦) .

٠١ اعتقد البعض بأنهم يمكن أن يحاربوا الانتداب من خلال الصهيونية ، وأنهم بقضائهم على الفرع الا وهو الصهيونية يستطيعون ضرب الاصل وهو الانتداب الذي يربعاها . يقول أحد مؤرخي الانتداب : " كان السياسة العرب الدهاء سريعين في الاستجابة الى مقتضيات ومقاليد القيادة التي منحت لهم ، وبدلاً من المحاربة الجهرية للانتداب كانتداب ، أو ضد هذا الانتداب ، فانهم بدورهم وضعوا برامج الوطن القومي في ظليعة أهداف المعركة ضد الانتداب ، جاعلين من هذه البرامج هدفاً

مزعوما لانتفاضاتهم الشرسة التي تميزت بالحقد والدعاية العنيفة (١٥٩) .
وأعتقد البعض الآخر أنهم يستطيعون أن يشطروا معسكر الاعداء الى
شطرين ، أو يدقوا أسفينا بين الصهيونية والانتداب ، ويعطّل جون كمشي قبول
أمين الحسيني لمنصب الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى بأنه انما حاول
ذلك من أجل أن يدق أسفينا بين الانكليز واليهود ، لقد حذر العرب بأن
يكونوا اذكيا كاعدائهم . . . عليهم أن يدقوا أسفينا بين الانكليز واليهود بدون
أن يبدو عليهم أنهم يفعلون ذلك . . . الشيء الهام هو عزل اليهود عن
الانكليز (١٦٠) .

ولعل التركيز على مقاومة الصهيونية دون الانكليز ، يعود الى عجز الحركة
الوطنية أمام قوة العسكرية البريطانية . ويتفق " بوراث " والكيالي علي أن العرب
في فلسطين تعرضوا لضربات عنيفة من القمع الانكليزي كما حصل في انتفاضة عام
(١٩٢١) ، اذ أن خسائر العرب البشرية والمادية لم تكن أقل من الخسائر
الصهيونية (٦١) ومع ذلك فإن الجمعيات الاسلامية والحسينيين " رفضوا على
الدوام أي اطار قد يفسر على أنه موافقة على تصريح بلفور " (١٦٢) .

٢ . وهذا يقودنا الى العامل الثاني من عوامل عدم وضوح الرواية وعدم
الانسجام بين الشعارات والتطبيق . ذلك أن اللعبة السياسية كانت ذات ثلاثة
أطراف ، انكليز وعرب وصهيونيين . وعلى ما يظهر فإن بريطانيا كانت أمهر
اللاعبين . فقد تمكن الحكم البريطاني من أن يأخذ دور الوسيط أو الحكم ،
واعتبر نفسه ولمدة طويلة وكأنه فوق الخلافات الجزئية ، وبريثا من الصراع العربي
الصهيوني مما ساعده على توطيد أركانه وقواعده . وأكثر من ذلك فإن بريطانيا
امعانا منها في لعبتها السياسية جعلت كلا من العرب واليهود يحس أن الدولة معه
ولقد كان لليهود عذرهم في هذا التصور أو الشعور (١٦٣) ، ولكن العرب على ما
يظهر خدعوا عن أنفسهم . وعلى أية حال فقد طرح كل من الطرفين في بعض

المراحل شعار " الدولة معانا " مما زاد في غموض الاشياء . يذهب أهارون كوهين
وهو من أكثر المؤرخين اليهود دقة في كتابه " اسرائيل والعالم العربي " الى أن
التأثير البريطاني - ضمن أشياء أخرى - كان وراء عدم اللقاء العربي اليهودي .
يقول : " وبعد سنوات عندما استعرض كالفركسي موقف اللجنة الصهيونية من
الاقتراحات التي قدمها لفصيل في دمشق والاسلوب (المنتع) من قبل القيادة

العربية ، وجد توازنا وتقابلا بين الاسلوب السائد آنذاك في المؤسسات اليهودية والاسلوب (المتبع) من قبل القيادة العربية . فاليهود عندئذ ، والعرب فيما بعد ذلك ، كما قال هو (كالفرسكي) كانوا يعتقدون أن " الدولة معنا " . ولما كانت الحكومة معهم أو بجانبهم فما الداعي إذن الى اتفاق أو تفاهم مع الطرف الآخر (١٦٤) (راجع أعلاه من قول أمين الحسيني للعرب قبيل انتفاضة (١٩٢٠) . ولعل هذا الموقف من بريطانيا ، بالإضافة الى كونه استراتيجية عريضة تقوم على سياسة فرق تسد كان نابعا من اختلاف الدبلوماسية البريطانية على المستويين المحلي (في فلسطين والبلاد العربية) والبريطاني (في بريطانيا نفسها) واختلاف الدبلوماسيين أيضا بين بعضهم البعض في هذه المواقع . فبينما نجد أن هنالك اختلافا واضحا في الرأي والمنطلق أحيانا كثيرة بين موقف الحكام البريطانيين المحليين مثل بولز وموني وستورز ، ودوائر وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات بعد ذلك من ناحية ، نجد أن السياسة البريطانيين كانوا يختلفون فيما بينهم على المستوى المحلي من الناحية الأخرى ، كما اختلف موقف بولز وستورز وريشموند وموني - الذين كثيرا ما تعاطفوا مع الموقف العربي - عن آخرين من الموظفين البريطانيين مثل أورمسي غور وماسيرز هيجن . حقا أن هذا الاختلاف كان على الأمور الفرعية وليس على الأمور الأساسية إلا أنه مع ذلك كان يصل الى حد الاختلاف على النواحي الاستراتيجية كما كانت الاجتهادات المتضاربة لكل من سايكس وكلايتون . ولعل كل هذا الاختلاف إنما كان نابعا في أساسه من عدم قابلية وعد بلفور للتطبيق من الناحية العملية (١٦٥) .

والذي يدرس بعناية وثائق انحرامز والمعنونة بـ "بذور الصراع" والتي تعالج الايام الأولى من الاحتلال العسكري والانتداب البريطاني الذي تلاه يجد بونا شاسعا بين موقف اشخاص مثل كرزون وزير الخارجية وتوينبي (الذي كان يعمل خبيرا بدائرة الاستخبارات في وزارة الخارجية) واللذين حاولا انصاف الحق العربي والموظفين الآخرين الذين لم يكونوا يبالون بنفس الدرجة أو أنهم يقفون موقفا معاديا للعرب ومتعاطفا مع اليهود .

والعامل الثاني وراء اخفاق الممارسات هو ذو علاقة وطيدة بالعامل الأول أو الناحية الأولى . ويقوم هذا العامل على أن الموقف المعادي لبريطانيا أحيانا والمهادن لها أحيانا أخرى ، لم يلبث طويلا حتى تحول الى نوع من المعايضة

ولعل هذا يعود الى الاطار العريض تنظيما وايدولوجيا لهذه الحركة فقيادتها واعضاؤها لم يستطيعوا ان يكونوا حزبا متجانسا يجند الامة من اجل هدف استراتيجي محدد . ويصف اكثر من مؤرخ المجتمع الفلسطيني بانه غير ميسر (١٧١) . ومن هنا فاننا نجد رغم بعض المحاولات السياسية من مثل افشال مشروع المجلس التشريعي ان الطابع العام للنضال اخذ احيانا كثيرة شكل اصدار القرارات .

ومهما يكن من امر فقد كان هنالك بعض القادة ممن ادركوا اهمية الثورة او القتال المستمر لحل مشكلات فلسطين ولكنهم عدلوا ، اما رغبة في تثبيت اقدامهم في مناصبهم ومراكز قوتهم ، كما فعل الحاج امين عندما تسلم منصب الاقناع ورتاسة المجلس الاسلامي الاعلى - وكما ذكرنا - او انهم آثروا السلامة ، او لان الظروف الموضوعية في نظرهم لم تكن ملائمة فجمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية كان من بين هؤلاء ، ولكن خوفا من المصائب الاقتصادية اثر الحل السلمي على الحل الثوري . وكان مما قاله لديدس سكرتير المندوب السامي في مقابلة خاصة " هناك واحد من طريقين للوصول الى الحقوق السياسية الكاملة في فلسطين : اما الوسائل الدستورية او الثورة وان الوسيلة الاولى هي المفضلة وان كانت الوسيلة الثانية تكفل حصول الفلسطينيين على ما يطلبونه بحق في غضون سنة اشهر (١٧٢) بل لقد لعب بعض القادة دور التهدة للتيار الذي يدعو الى انتهاج اساليب ثورية وتتبنى الاستفادة من البدو للقيام بحرب العصابات " (١٧٣) . وكان الفريق الثاني قد تشجع بالمثل الذي ضربه مصطفى كمال لاعتراف الدول الغربية به غير ان اللجنة التنفيذية آثرت الوسائل السلمية بل ان المندوب السامي بعث بتقرير قال فيه : " ان اللجنة تتعاون مع الحكومة عمليا في صيانة السلام " (١٧٤) يقول ديفد هيرست : " ان القيادة وضعت ثقفتها في قدرتها على الاقناع ، وفي علاقاتها الشخصية مع سلطات الانتداب . ولكن ثقفتهم لم تكن في محلها وعندما كانت باذرة للمقاومة تفرض نفسها ، فانهم في العادة كانوا يرغبون في وقفها . ولم تكن انتفاضة يافا اول مناسبة ذهب فيها الوجهاء الى سلطات الامن يطلبون التهدة (١٧٥) .

هذه العوامل والنواحي المختلفة من عدم القدرة على تحديد العدو الاستراتيجي وبالتالي عدم احكام سياسة المقاطعة ضد هذا العدو ، ومن ثم اختلاف موقف القيادات المتساهلة مرات كثيرة عن موقف العناصر المتشددة ادت في النهاية الى شل حركة الجمعيات الاسلامية المسيحية ، التي تحطمت مقدراتها من الناحية الفعلية ، من جراء عجزها عن تنفيذ قراراتها النظرية التي تميزت بالرفض الذي قوبل برفض مقابل من بريطانيا : يقول مالرو : " لقد بدأت مكانة الجمعيات الاسلامية المسيحية بالضعف باعتبارها القوة الرئيسية لحياة العرب السياسية ، بعد المفاوضات الانجلو - عربية والتي لم يكن هنالك طائل من ورائها ، تلك المفاوضات التي انتهت برفض العرب للعرض البريطاني " (١٧٦) .

لقد كان لسياسة الرفض - التي كانت بداية نقاشنا للممارسات مجملية - من اجل ان توءتي اكلها كاملا ، ان تكون عملية مادية وليس نظرية فقط كما انه كان عليها ان تتسم بالشمول لجميع القطاعات وليس لقطاع دون قطاع وان تكون ايضا مكثفة جامعة مانعة ومستمرة وليست هبات او انتفاضات منقطعة .

المرحلة الثانية

١٩٢٣ - ١٩٢٩

ولدت هذه المرحلة في أحشاء المرحلة السابقة (الأولى) ولكن ملامحها لم تتضح بجلاء الا مع انتهاء المرحلة الأولى من الناحية الزمنية في عام ١٩٢٣ ، واستمرت حتى انتفاضة ١٩٢٩ .

ولقد تميزت هذه المرحلة بالركود والضعف مقابل النشاط والاندفاع الذي تميزت به المرحلة السابقة بوجه عام . وقد انعكس هذا الركود في الآثار التاريخية المعاصرة ، وتردد في تقارير المندوب السامي . ففي احد التقارير كتب المندوب السامي : " يستمر الركود في الدوائر العربية بسبب قلة الاموال والنزاع الداخلي " (١٧٧) وفي تقرير آخر قال ايضا " يسيطر الركود في العالم السياسي ولا تقدم هنالك في (جهود) المصالحة بين الاطراف المتصارعة " (١٧٨) . ويمكن ان نعزو هذا الركود والضعف الى الظروف الموضوعية التالية :

١ . ضعف التحدي الخارجي الذي كان دائما وراء قوة الحركة الوطنية ومن ثم الحركة السياسية الفلسطينية . فالحركة الوطنية التي كانت تعمل دائما بقانون رد الفعل - كما سعت الاشارة - وليس بقانون الفعل والمبادأة ، كانت محكومة وظلت كذلك - كما سنرى - بمقدار ما تقابل من اخطار وما يحيط بها من تحديات . وعلى هذا فان ضعف الحركة الصهيونية في هذه المرحلة على المستويين المحلي والعالمي والذي بدا اثره في قرارات كارلسباد غير المتطرفة (١٧٩) كما بدا في ضعف تيار الهجرة الى فلسطين الى درجة وصل معها في بعض السنوات الى ان عدد المهاجرين من فلسطين كان اكثر من الوافدين اليها . (١٨٠) هذا الضعف ترك اثره على الزخم الوطني الفلسطيني واحس العرب ان الحركة الصهيونية حركة قصيرة الاجل ، ولا تستحق الخوف منها . ولقد سجل تقرير بيل هذه الحقيقة بقوله : " انه من المعقول ان السبب الرئيسي للهدوء والاذعان العربيين ، انما كان لسبب الانحطاط الحاد في خطوط ومصير الوطن القومي اليهودي (١٨١) .

ومع هذا الضعف الظاهر فان الحركة الصهيونية لم تغفل تماما عن تحقيق

" اليوتوبيا " الصهيونية على ارض فلسطين ، بل استمرت في بناء "البيشوف" من ناحية ، كما لعبت دورا كبيرا في تخريب الحركة السياسية الفلسطينية ووضعت ثقلها " المادى والروحي " وراء كثير من الجمعيات والاحزاب . (١٨٢) ومن هنا فقد تميزت الحركة السياسية بالانشقاق الذى بلغ احيانا درجة التشرذم او التفتتخ . ٢ . غفل العرب الفلسطينيون او تغافلوا عن الخطر الاستعمارى ، بينما استمر الاستعمار في احكام سيطرته على فلسطين ، وعين مندوبا ساميا بمقدرة وسطوة بلومر ، الذى يعزوا اليه سايكس السلام الطويل الذى خيم على فلسطين طوال العشرينات كما يعزو الى تغييره باخر هو شانسلور ، الاضطرابات التى لحقت هذا التغيير (١٨٣) كما انه استمر في ممارسة أسلوبه المعروف باسلوب " فرق تد " الذى احرز قدرا كبيرا من النجاح . فقد أمسكت السلطات البريطانية بنلابيب أجنحة الحركة الوطنية جميعا وقيدتها بقيود مختلفة أهمها المناصب التى سبقت الاشارة اليها (١٨٤) . ومن هنا ظهر في الحركة الوطنية ظاهرة يطلق عليها عزة دروزة " الوطنية الخنثى " التى لا ترى محاربة الانكليز ومن يتعاون معهم . بل صار من المستحسن على حد تعبيره " ان تبقى تلك الصلة مع من يساير الانجليز ويتصل بهم (١٨٥) وعلى هذا استمرت الحركة الوطنية في طريق الانحدار . وقد وصف محمد علي الطاهر فلسطين بعد زيارة لها بقوله : " فى الحقيقة ان الحالة في فلسطين مؤلمة مؤسفة ، ولا شك ان الحركة الوطنية ماتت وحلت محلها حركة فسادية أنانية لا نتيجة لها الا وقوع ما بقي من ارض فلسطين في قبضة الصهيونية (١٨٦) .

٣ . ضعف زخم الحركة الذاتى : ان هذه الحركة التى عانت تنظيما واستراتيجيا من نقاط ضعف أصيلة بدت في عدم تحقيق أهداف المرحلة الاولى كما وضحنا ، أخذت تفقد كثيرا من اندفاعها ، وجوانب أصالتها . فقد كشفت قرارات المؤتمرات السادس عام ١٩٢٣ مدى التحول الذى جرى على قوة الحركة الوطنية فقد نصمى القرار ٢١ على " مطالبة الحكومة باطلاق ايجار العقارات " ودعا القرار ٢٢ الى تخفيف الضرائب . كما نادى القرار ٢٧ " باستنهاض همم المهاجرين فى امريكا لتنفيذ فكرة المصرف الزراعي الوطني في فلسطين والسعي لاجتذاب رؤوس اموال من مصر والمهاجرين في امريكا لمشاريع اقتصادية اخرى (١٨٧) .

عملت هذه العوامل مجتمعة في الحركة الوطنية بحيث بدت في وضع لا تحسد عليه . وربما بلغت درجة من الضعف لم تبلغها في أي عهد من عهودها السابقة أو اللاحقة . وبدأ في فلسطين " منظر كريبه بائس ومحزن وموءسف واختلط فيه الحابل بالنابل وتساند فيه المخلص مع المغمور (١٨٨) .

التنظيمات : بالرغم مما أصاب الجمعيات الاسلامية المسيحية وقيادتها اللجنة التنفيذية من ضعف سبقنا الاشارة اليه (أنظر ما سبق صفحة (٥٤)) الا أن هذه الجمعيات استمرت تغالب نفسها للبقاء في الصورة السياسية الفلسطينية من الناحية التنظيمية باعتبارها الحركة الوطنية الام . فقد جاء في تقرير للسلطة مؤرخ في يناير ١٩٢٣ ما يفيد بأن الجمعيات الاسلامية المسيحية لا زالت هي الاقوى وانها الحركة الرسمية المعترف بها في مجال العمل السياسي كما أن الحسينيين هم دعائها وأركان قيادتها الاساسيون . فمنهم كان ثلاثة من كبار القادة وهم " موسى كاظم الحسيني الرئيس وجمال الحسيني السكرتير والمفتي (١٨٩) .

ولدينا مادة وافرة في المراجع عن جهود كثيرة بذلت من أجل توحيد الصف وأن نداء جمعية النهضة الوطنية الفلسطينية بنيويورك موقع من نائب رئيسها عمر حسين (١٩٠) الى كتابات شباب نابلس في الصحف من أجل عقد مؤتمرات وطني (١٩١) الى دعوة شباب يافا الى تعزيز قوة الجمعيات الاسلامية المسيحية وتطهيرها من بعض العناصر (١٩٢) كما أن التقارير البريطانية اشارت الى ظهور التناقض بين جيلين في الحركة السياسية : الجيل الجديد والجيل القديم ، وأن الجيل الجديد انتقد بقسوة الجيل القديم لفتور العمل السياسي . ففي اجتماع للجنة التنفيذية في القدس " كان النعمة السائدة في المناقشات ، عدم القناعة بالحزب القديم (الجمعيات الاسلامية المسيحية) ، والذي بسبب من عنايته بشؤونه المقرونة بعجزه ، اعتبره المثقفون استهتارا بهم وعلى هذا فقد رد أنصار الحزب القديم " من الحسينيين على المثقفين باتهامهم بالبلشفية

ومع هذا - فانه على ما يظهر - لم تنجح سياسة الترقيع والتطهير من الناحية التنظيمية ، فقد استمرت حركة الانشقاق . بل أن اللجنة التنفيذية أبدت استعدادها لان تحل نفسها وتفسح المجال للمتشقين لكي يختاروا لجنة تنفيذية مؤقتة على أساس المساواة (سنة لكل فريق) على أن تنظم اللجنة

عملية عقد المؤتمرات السابع الذي سيختار لجنة تنفيذية جديدة (١٩٣) .
الا أنه قدر للجمعيات الاسلامية وبوجه خاص لقيادتها في اللجنة التنفيذية
أن تحافظ على بعض هيبتها أمام المنشقين عنها . فقد ظفرت بتأييد حليف قوى
مد في عمرها واستطاع أن يبقيها في الصورة السياسية الى وقت متأخر . وكان
هذا الحليف هو المجلس الاسلامي الاعلى وبالذات رئيسه الحاج أمين الحسيني .
ولد المجلس الاسلامي كيانا مسيسا ، وجاء تسببه من مقولة معينة ذات أبعاد
تاريخية تعود الى ظهور التجمعات الملوية كتنظيمات سياسية والتي تعود الى فشل
الاصلاحات الدستورية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني . فقد انتظر المسلمون
المتعلمون بفارغ الصبر أن يعاملوا مثل الملل المسيحية في سيطرتها على
استقلالها الذاتي ، الامر الذي ساعدها على نشر التعليم والعمل الاجتماعي
عامة (١٩٤) بل تذهب بعض المصادر الى أن المفتي اعتبر المجلس الاسلامي
الوسيلة الوحيدة للانقاذ أمام خطر الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني (١٩٥) .
ارتبط قيام المجلس الاسلامي الاعلى بيروز نجم أمين الحسيني التي كانت
السلطات قد قبلت بتعيينه مفتيا عام ١٩٣١ من أجل أن تنأى به عن السلطة
فرد هو على ذلك بأن أحضر الدين الى السياسة (١٩٦) وعلى أية حال فقد
سار المجلس في مهمته الاساسية وهي رعاية شؤون المسلمين الدينية . واضطلع
لذلك بمهام واسعة في الاوقاف والمساجد والمدارس والقضاء الشرعي وشؤون
الايتام الخ . ولقد أحصى بنتوش المؤسسات النالية التي كان يشرف عليها
المجلس ١٨ محكمة شرعية وجهاز من ٢٥٠ معاونا ، ومن ست دوائر اوقاف فيها
٥٩٢ موظفا ومن عشر مدارس وكلليات دينية فيها ١٦٥٠ تلميذا ، وكذلك عـددة
مؤسسات أخرى (١٩٧) .

ولقد تميز المجلس الاسلامي الاعلى بهيكلية تنظيمية بلغت بتأثيره أقصى
البلاد . كما أنه أتيح لرئيسه صلاحيات غير محدودة في تعيين موظفيه أو التخلي
عنهم - الامر الذي جعله يختارهم على عينه ، ومن المخلصين له ولخطه
السياسي بصفة خاصة (١٩٨) .

ومع مرور الوقت أصبح للمفتي جهاز ديني سياسي كامل ، كثيرا ما وصفته
المصادر بأنه دولة داخل دولة أو حكومة داخل حكومة (١٩٩) كما أن كوادرها هذا
الجهاز من أئمة ووعاظ وخطباء وغيرهم شكلت وسيلة فعالة للاتصال بقطاع عريض

من الشعب وخاصة الفلاحين . ولقد كان الاحتفال السنوي بموسم النبي موسى ، حيث كانت جماهير غفيرة من الفلاحين تحج للقدس في طريقها الى مقام النبي موسى ، بالقرب من أريحا ، مناسبة للالتقاء بالمفتي الرئيس الروحي للمسلمين عبر هذا الاحتفال ، من أجل تجديد معاني التأييد والولاء له مما زاد في شعبيته وترسيخ معاني زعامته (٢٠٠) وعلى ما يظهر فان اتصال المجلس الاسلامي الاعلى بهذا القطاع العريض من الشعب انعكس على توجيهه وأسبغ عليه صبغة شعبية (٢٠١) .

وبالرغم من أن تقييد المفتي بهذا المنصب كما أشرنا قلل الى حد كبير من اندفاعه الوطني ، الا أنه مع ذلك تمكن من أن يعطي لهذا المجلس طابعا وطنيا تجاوز به الطائفة الاسلامية لتشمل الوطن كله كوطن بجميع فئاته ، بل أصبح المفتي الزعيم السياسي الاكبر للمسيحيين العرب كما هو للمسلمين العرب ولم يمض وقت كبير حتى انخرط هذا المجلس في الممارسات السياسية - كما سنوضح - حتى احتل مركز الصدارة في العمل الوطني وحل الى حد كبير محل الجمعيات الاسلامية المسيحية من حيث القوة والتأثير (٢٠٣) . ولعل أهم ما أضافه المفتي - من خلال هذا المجلس - الى الحركة الوطنية الفلسطينية أو القومية الفلسطينية هو أنه وجهها وجهة جديدة باحياؤ الاهتمام لدى العالم الاسلامي عموما بمصير فلسطين (٢٠٤) بل لعل سر قوته هو أنه جعل القدس وفلسطين (الديار المقدسة) مناط عمله ، ونشاطه الرئيسي ، قبيل أي شيء آخر (٢٠٥) .

وعلى الرغم مما ولد هذا المجلس من خصومات محلية اضررت بسمعته وبالحركة الوطنية فانه - مع ذلك - ظل مركزا من مراكز ثقل الحركة الوطنية ، بل ان السفري يعده " أول وأعظم مؤسسه وطنية تشكلت في البلاد " (٢٠٦) كما اعتبرته جريدة الكرمل طبيعتها (٢٠٧) ويصفه اميل الغوري أيضا بأنه " الحصن الاول للحركة الوطنية " . ويقارن هذا الكتاب أيضا بين دور اللجنة التنفيذية والمجلس الاسلامي الاعلى ، عندما يوضح دور كل من قائدي هاتين المؤسستين فيقول : " على الرغم من أن موسى كاظم باشا كان زعيم البلاد وقائد حركتها الوطنية وأن اللجنة التي كان يرأسها كانت تمثل الشعب الفلسطيني وتنطق باسمه وتحمل مسؤولية القضية الوطنية ، فاننا كنا نشعر بأن الحاج أمين كان القوة الدافعة

ومركز الثقل في المقاومة الفلسطينية " (٢٠٨) . ويصف سايكس المفتي بأنه كان أصلب ارادة وأكثر مقدرة من موسى كاظم الحسيني (٢٠٩) ويرى مالرو أيضا أن وطنية المفتي أو ما يسميه رفضه لم تكن وسيلة يميز بها أقرانه أو يزايد بها عليهم بمقدار ما كانت حقيقية لا تقبل الشك أو الخطأ (٢١٠) .

ولقد جاء الوقت الذي انسحب فيه اسم المجلس والمجلسيين على مجمل الحركة الوطنية (بمن فيها الجمعيات الاسلامية والمسيحية) وصار هذا الاسم يعني المعارضة ، بينما أصبحت المعارضة تطلق على من يعارض هذا المجلس الذي يعارض الحكومة (٢١١) ، فضلا عن ذلك لقد شكل المجلس الاسلامي الاعلى مع الجمعيات الاسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية عروة لا تنفصم وتحالفا لا يتزعزع . واطلق على هؤلاء جميعا اسم الجبهة الوطنية واعتبروا أنفسهم الحركة الوطنية وأعداءهم معارضيها .

الا أن اللجنة التنفيذية والجمعيات الاسلامية المسيحية وحليفها القوى المجلس الاسلامي الاعلى ، الذين سيطر عليها الحسينيون ، وحدوا خصما عنيدا تقاسم معهم الصورة السياسية واطلق عليه المعارضة أو أحزاب المعارضة .

تبعت المعارضة من عوامل متعددة وسبقت كظاهرة سياسية من الناحية الزمنية النزاع العائلي الحسيني والنشاشيبي . فقد بدأت المعارضة - كما تؤيد الشواهد المختلفة - بدوافع ليست كلها عائلية وكانت مظهرا من مظاهر ضعف الحركة الوطنية وحتى عندما أخذت مظهرا عائليا ظلت في أبعادها الحقيقية نزاعا سياسيا مرتبطا بالناحية الوطنية .

وكانت المعارضة نتيجة لتفاعل التناقض الانجلو صهيوني مع التناقض العربي الداخلي فقد فعل التناقض الاول (والخارجي) فعله على الناحية الداخلية في المجتمع العربي الفلسطيني بما فيها من أمراض الفردية والاقليمية والطائفية وكل مظاهر العصبية والتعصب ، من أجل توسيع شقة الخلاف في الجبهة العربية . ومن هنا برزت تنظيمات أطلق عليها أسماء جمعيات وأحزاب وغذتها المصادر الخارجية بالعون المادى والادبي .

كانت الجمعية الوطنية الاسلامية أسبق طوائف المعارضة الى الظهور (٩١٢٠) وترى من تقرير للمندوب السامي أنها "تأسست بجهود يهودية . . . وهي ليست

أكثر من نتاج متكلف (اصطناعي) بالغ التكلفة . والذي يجنبها الانحلال الكامل ، هو ما يجنيه بعض أعضائها من الفوائد المالية ، التي غلبت في أهميتها بالنسبة لهم على مضايقات الصحافة واحتقار الرأي العام . (٢١٢) كما أنها حاولت استغلال قيامها من أجل صيغ الحركة الوطنية بالصيغة الاسلامية الطائفية فقد ورد في احد تقارير السلطة : ليس لها (أي الجمعيات الوطنية الاسلامية) سند أو مؤيدون في الوقت الراهن . وهي تعارض بمرارة الجمعية الاسلامية المسيحية ولا ترغب في حكومة عربية . وهي تعلن بصراحة أنها مع الوحدة بين الصهيونيين والعرب في فلسطين (٢١٣) بل لقد اتهمت هذه الجمعيات الحركة الوطنية الفلسطينية بسيطرة المسيحيين عليها (٢١٤) وواضح أن هذه التهمة انما كانت من أجل تهديم هذه الحركة الوطنية . يقول اميل الغوري أن كالفركسي تمكن من شراء واقتناص بعض النفوس والمازقين من "الوجهاء" "وأبناء" الذوات " فالغوا ما أسموه بالجمعيات الاسلامية الوطنية لهدف مقاومة الحركة الوطنية ثم صبغها بالصيغة الدينية لاثارة الغربيين ضدها ولكن المسلمين أعرضوا عن تلك المؤسسات الكلفرسكية (٢١٥) .

كما أن الحرب الزراعي (قام عام ١٩٢٤) سعى الى التفريق بين القرية والمدينة بإيقاظ الريبة وسوء الظن لدى الفلاح نحو المدني (٢١٦) ويذهب الغوري الى انه قام بتأثير الاستعمار يقول : "شكل الاستعمار وأنصاره (حزب الزراع العرب)" فابتعد عنه الفلاحون ابتعاد السليم عن المجدوم (٢١٧) وعلى أية حال فان شواهد كثيرة ومختلفة المنابع تتضافر على تأكيد أن هذا الحزب لم يكن بعيدا عن التأثير الصهيوني وعونه العادي (٢١٨) .

كما أن الحزب الوطني الذي كان أول تنظيم يطلق على نفسه اسم حزب بالمعنى السياسي للحزب ، أخذ على الجمعيات الاسلامية المسيحية سلبيتها وتطرفها ، وطرح بديلا عن ذلك ، سياسة اعتبرها ايجابية ، سياسة "خذ وطالب" وبدلا من التطرف نادى بالاعتدال . بل لقد اعتبر سياسة خذ وطالب السياسة المثلى . وكان هذا مع العلم أن طبيعة المعركة مع الصهيونية والاستعمار لم تكن تسمح بمثل هذه السياسة . (٢١٩) .

وهناك شواهد كثيرة على أنه كانت تكمن وراء المعارضة أيضا النزعة الفردية والميل لتحقيق المصالح الشخصية وحب الزعامة .

فعارف باشا الدجاني أيد أحزاب المعارضة لأنه فقد رئاسة المؤتمر الفلسطيني
الاول لحساب موسى كاظم الحسيني الذي انتخب رئيسا للمؤتمر الثالث (٢٢٠).
وتمتلي صفحات الكرمل بأمثلة كثيرة على تمجيد اشخاص مثل الشيخ التاجي الفاروقي
وأسد الشقيري وأنها أولى بالزعامة من أشخاص آخرين وبوجه خاص أمين الحسيني
(٢٢١).

ويرى الفوري أنه انضم الى المعارضين "بعض الاشخاص لاعتبارات شخصية
وحزابات محلية ومن هنا نشأ ما عرف في فلسطين (بالمعارضة والمعارضين) ووجدت
فيهم الحكومة البريطانية العكاز الذي تنكيء عليه ليظم وحدة صفوف العرب ومقاومة
الحركة الوطنية (٢٢٢). كما يقول جمال الحسيني "أنا لا ننكر أن بين أعضاء هذه
الاحزاب من لا يضر لامته غير الاخلاص، ولكننا لا نقدر أن نتقاضى عن أن
بينهم أيضا من لم يدخلوا الاحزاب الا للاصطياد والقنص على حساب الامة (٢٢٣).
اتخذت تنظيمات المعارضة الفرع وحدة تنظيمية لها ومع هذا فان انتشارها ظل
محدودا. فالجمعيات الوطنية الاسلامية كانت مراكزها في شمال فلسطين في عكا وحيفا
وطبرية. كما انتشرت بصورة جزئية في الوسط (نابلس وجنين) وشغل انصارها بعض
العائلات فقط (٢٢٤) كما أن الحزب الزراعي انتشر بصورة خاصة في بعض قرى نابلس
وجنين والخليل (٢٢٥). كما اتخذ الحزب الوطني مركزه في القدس وأسست له فروع
صغيرة في الرملة والناصرة وحيفا وعكا والخليل وطولكرم وعزة (٢٢٦).
وعلى أية حال فقد لقيت هذه الاحزاب والجمعيات معارضة كبيرة حصرتها
شعبيا وجغرافيا وقصرت من عمرها زمنيا، فقد عاشت الجمعيات الوطنية الاسلامية ثلاث
سنوات فقط، كما أن الحزب الوطني والزراعي اضمحلا نهائيا في العام ١٩٢٧.
وتمثلت قيادة هذه الاحزاب والجمعيات في النخبة من الاعيان والوجهاء من
ملاكي الاراضي وتيوخ القرى فالجمعيات الاسلامية الوطنية اعتمدت في قيادتها على
رؤساء البلديات وملاكي الاراضي وأغنياء التجار في المدن الغربية. وقد حددتهم أحد
تقارير السلطة :

- ٠١ حسن أفندي شكرى الذى كان لدى قيام هذه الجمعيات سكرتيرا عاما لحاكم عكا .
- ٠٢ راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس الذى كان عضوا في مجلس الاعيان خلال الحكم العثماني .
- ٠٣ حيدر بيك طوقان (نابلس) عضو مجلس المبعوثان خلال الحكم التركي (٢٢٢٧) .
- كما اعتمد الزراع على مشايخ القرى النافذين في مناطقهم مثل فارس السعود في برقة الذى يصفه كيش رئيس اللجنة التنفيذية في اللجنة الصهيونية بقوليه : " هو الرجل ، أمين ، قوى ، مستقل ، ويعمل بجهد ، ليمنع المؤتمر العام من تأليف جبهة موحدة ضد الانتداب (٢٢٢٨) وعبد اللطيف أبو هنطش من قاقون وموسى هديب من الدوايمة من الخليل (٢٢٢٩) .
- كما اشترك في الحزب الوطني " رؤساء بلديات وأعضاء لجان حكومية وأعضاء سابقون في المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري وبعض وجهاء ومتحركين ينتمون اليهم بصلة . ويطمعون في البروز والنهوض عن طريق الحزب من جهة أخرى (٢٣٠) .
- ومن أبرز زعمائه المعروفين الثلاثي : أسعد الشقيرى وعارف الدجاني وراغب النشاشيبي (٢٣١) .
- لم يكن لهذه الاحزاب أو الجمعيات أى صفة هيكلية ، أو ارتباط تنظيمي دقيق بين الاعضاء والقيادة ، فقد وصف تقرير للمندوب السامي الحزب الزراعي بأنه احزاب وليس حزبا واحدا وقال : " هذه الاحزاب ضعيفة في تنظيمها المركزي والتجانس بين أعضائها (٢٣٢) .
- بل أن الباحث في هذه الاحزاب من الناحية التنظيمية يرى أن عائلات بعينها كانت بمثابة حجارة الشطرنج التي تتبادلها هذه الاحزاب أو الجمعيات بكيفية أو بأخرى ، من أجل أن تشكل منها مادة العمل السياسي ، فلقد شكلت بعض العائلات قاسما بين هذه التنظيمات جميعها .
- شابتهت برامج وأهداف احزاب المعارضة وجمعياتها تركيبها من حيث التنظيم قيادة وعضوية وانسحب مزاج أعضائها على هذه البرامج والاهداف . فقد وصف المندوب السامي مؤسس الحزب الوطني بأنهم " نواقون للحياة الهادئة

ولا يودون التورط في صراعات سياسية فهم يرغبون في زيادة ثرواتهم ، ويعتقدون أن الإدارة والسيطرة البريطانية في الوقت الراهن هما خير ما يمكن أن يجعلهم ويجعل البلاد أكثر ازدهارا . وبعضهم مدفوعون الى موافقهم هذه بدوافع أقوى ناجمة عن الحزازات داخل صفوف معسكر المعارضة (أي الجمعيات الاسلامية المسيحية) وهناك من يعتقدون أنهم قد يظفرون بمزايا وفوائد مباشرة أو غير مباشرة من خلال الوقوف الى جانب الحكومة (٢٣٣) ومن هنا فقد اتسمت برامجهم بالاعتدال أو ما أطلقنا عليه آنفا سياسة " خذ وطالب " . ويربط دروزة بين سياسة الاعتدال هذه وبين رغبة أصحابها (اتباع الحزب الوطني خاصة) في التعاون الحقيقي مع الحكومة من أجل مصالحهم بالدرجة الاولى التي مناهم بها الانجليز " ومناهم كلايتون بما يمكن أن يصلوا اليه من المركز والمكانة (٢٣٥) . ولقد تمادى بعض هذه الاحزاب في سياسة الاعتدال الى درجة أنهم عادلوها بالتساهل أو التنازل . فالجمعية الوطنية الاسلامية نادت بالسماح بالهجرة لليهود ورحبت بالانتداب . ونص البيان التأسيسي للجمعية في القدس على " قبول الانتداب بشرط أن يراعي مركز الاكثية الاسلامية وهي الاكثية الساحقة في فلسطين والسعي لتأليف ذات البين بين العناصر المستوطنة في فلسطين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم وازالة سوء التفاهم والشقاق (٢٣٥) . كما ذكر تقرير للمندوب السامي عن أهداف هذه الجمعيات ما نصه : " أهدافها كما هي مبينة ، التعاون مع الحكومة وترقية العلاقات بين أطراف المجتمع المختلفة (٢٣٦) .

وشبيهة ببرامج الجمعيات الوطنية الاسلامية كانت برامج الحزب الزراعي فقد بلغ الامر مثل فرع السامرة ابلاغ كمشي عن برنامجه قبل اعلانه ، بما فيه " التصديق على الانتداب " (٢٣٧) .

وعندما كانت برامج هذه المعارضة ذات صبغة وطنية من الناحية الظاهرية مثل برامج الحزب الوطني في الوحدة العربية ، وعدم الاعتراف بوعد بلفور ، وسن دستور يحقق رغبات الامة ، وتأليف مجلس نيابي ، وتشكيل حكومة وقبول ما يمكن الحصول عليه من الحكومة ، فإن هذه البرامج لم تزدد عن كونها لافتات ترفع وقد تعارض معها السلوك السياسي للحزب من الناحية العملية . وعندما سببت هذه البرامج المعلقة بعض الخيبة لليهود كما يذكر المندوب السامي (٢٣٨) لم

يتوان هو، لا أن يبلغوا اليهود أن السياسة لم تكن سوى كلام يقال أو يصدر عن الشفاه (٢٣٩) .

ولم يغب هذا الواقع المتناقض للأحزاب بين برامج معلنة، وتصرف يناقضها في الخفاء، على المعاصرين فقد قالت جريدة " النظام " القاهرية معقبة على برنامج الحزب الوطني : (ما أشبه برنامج الحزب الجديد ببرامج الاحرار الدستوريين عندنا . . . مقررات خلافة جذابة ولكن ينطبق عليها وآسفاه قول الشاعر :-

يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعلله من تحته مغلول (٢٤٠) .

الممارسات : تميزت الممارسات في هذه الفترة بالضعف وفقدان ما كان لها من

زخم وضجيج في المرحلة الاولى . فلا اللجنة التنفيذية استطاعت أن تمارس نشاطا حيويا أو بناء بفعل اخفاقاتها السابقة ونظرا لانها أصبحت مكيلة الاجنحة بأحزاب المعارضة . ولا أحزاب المعارضة بما افتقدته من عنصر الثقة وبما حاصرتها أيضا به قيادة الجمعيات الاسلامية ، استطاعت أن تقوم بعمل ذي شأن في الحقل الوطني . وقد صورت الكرملة الحالة التي وصل اليها جميع الفرقاء في مقال لها بعنوان " الى متى هذا الاستخفاف " جاء فيه :

..... " أيها المخلصون من أعضاء اللجنة التنفيذية والجمعيات ،

إذا بقيتم مستسلمين لبضعة أنفار ينصرفون بشؤون الأمة

فأنتم المسوء ولون .

" الحزب الوطني "

يا ضيعة الامل في الحزب الوطني الذي أملنا أن يقف للجنة بالمرصاد

ويقوم بالواجب نحو وطنه وإذا هو نائم غير موجود . . .

..... أما حزب الزراع فيحسن صنعا إذا لم يشغل بالسياسة ، ماذا عمل الى

الان للنهضة الزراعية (٢٤١) .

ومقابل الادب الدعائي الذي شاهدنا انماطاً منه للقضية الوطنية في المرحلة

الاولى ، طورت الاطراف المتصارعة أدبا من نوع آخر ، يقوم على الدعاية

وتشكيك كل طرف في الطرف الاخر . الامر الذي أدى الى انشغال الطرفين انشغالا

يكاد يكون كاملا ، وبالتالي شل جهودهما . كتب المندوب السامي في تقريره

يصور هذه الظاهرة : " تنتشر الان الاتهامات المعتادة التي يرددها خصوم الحزب الوطني ، في أنه يتلقى العون الصهيوني وخلافه . ولكن من الناحية الاخرى هناك صحة كبيرة للرأى القائل انه قد آن الاوان لنحدى قوة الجمعيات الاسلامية المسيحية (٢٤٢) .

ومع غياب الانجازات الحقيقية على جبهة العمل الوطني ، فقد استمرت الحركة السياسية الفلسطينية تسير على مناهجها المعهودة في ممارستها السياسية والتي كان أغلب الحرص فيها منصبا على التغطية الشكلية للمناسبات المختلفة . فقد حرصت اللجنة التنفيذية بصورة خاصة على اشعار السلطات بوجود - مجرد وجود - حركة وطنية تتبنى قضايا الامة . وعلى أية حال فقد كانت تمر باللجنة فترات ينتابها الخمول وتنعدم الفاعلية . وقد بدا ذلك واضحا في عامي ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ " ولولا صوت كان يرتفع من حين لآخر هو صوت جمال الحسيني سكرتير اللجنة لساد الاعتقاد بأن اللجنة اصبحت اثرا بعد عين " (٢٤٣) .

ومع هذا فقد شهدت هذه المرحلة سبع من اصدار البيانات والاحتجاجات والمذكرات من قبل اللجنة حتى أن الدكتور حسين فخرى الخالدي عندما سأل أحد أعضاء اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ عن وظيفة اللجنة التنفيذية أجاب " تقديم الشكاوي الكثيرة والاحتجاجات " (٢٤٤) ، وعلى هذا اختفى أي جهد عملي فمبنية ثورة سوريا (١٩٢٥) دعت اللجنة المواطنين الى اقامة الصلوات والدعاء في مساجد فلسطين وكنائسها لتخليص سوريا من الاستعمار (٢٤٥) . وأما من الناحية الاخرى ، فإن الممارسات غلب عليها النزاع الداخلي والتنافس المرير بين أطراف الحركة الوطنية بعضها مع بعض : متطرفين ومعتدلين (والتطرف والاعتدال هنا قضية نسبية) ، مجلسيين ومعارضة ، لجنة تنفيذية وأحزابا منشقة عنها . وأخذت شكل فصول ومشاهد متتالية ملاءت المسرح السياسي ، وشغلت الممثلين عن أي شيء آخر . ولذا فإن الباحث لا يستغرب غياب أي مظهر من مظاهر العصيان المدني ، أو المظاهرات ذات الطابع العنيف التي شاهدنا أمثلة عليها في المرحلة الاولى .

والذي يريد أن يوءرخ لحوالات الصراع الداخلي يجد بدايتها من الناحية الزمنية في المرحلة السابقة ، ولكنها لم تبلغ درجة الحدة الا في مرحلتها الحالية وربما خفف من تأثيرها في المرحلة السابقة ما طغى عليها من نشاط عام للحركة

الوطنية ، غلبت فيه الايجابيات على السلبيات .

وعلى أية حال فاننا يمكن أن نعتبر بداية النزاع الداخلي في تعيين راجب النشاشيبي رئيسا لبلدية القدس بدلا من موسى كاظم الحسيني ، كما مرّ معنا (انظر فيما سبق ص ٦٨) ولقد كان هذا التعيين والظروف الوطنية السياسية التي أحاطت به ايدانا بحرب التنافس بين المعسكرين الحسيني والنشاشيبي ، الذي على ما يظهر كان له جذور كامنة في التنافس بين العائلات الكبرى في القدس قبل الانتداب بفترة طويلة .

ولكن جولة الصراع الحقيقي التي كانت بمثابة معركة حقيقية ، كانت معركة انتخاب مفتي القدس ، التي كان مرشح النشاشيبيين فيها الشيخ حسام الحار الله مقابل الحاج أمين الحسيني ، مرشح الحسينيين . وقد تنوعت في هذه المعركة اساليب الممارسات السياسية والدعائية يتحدث عنها بوراث في فصله الممتاز عن ظهور الحاج أمين الحسيني (٢٤٦) . وكانت الجولة الثانية التي انتصر فيها الحاج أمين أيضا على خصومه فوزه بمنصب رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى .

ومهما يكن من أمر فان الصراع بين الطرفين لم ينته بانتهاج الجولتين السابقتين . بل ان المجلس الاسلامي الاعلى في حد ذاته أصبح مصدر كسيرا للنزاع ، لا سيما وان المفتي مارس من خلال المجلس كثيرا من مظاهر السلطة ، التي منحها اياها ما يسميه عزة دروزة " الانتفاخ " في قانون المجلس ، والذي يبدو ان البعض اعتبره نوعا من التعويض عن غياب حكومة حقيقية للفلسطينيين . فهذا القانون " يكاد يجعل المجلس بمثابة حكومة اسلامية يستطيع المسلمون أن يطمئنوا لرغباتهم وعاداتهم العامة والنفسية والدينية بما منح للمسلمين من حق الاشراف والتدقيق والتشريع العام الواسع والاجتماعات والمداورات البرلمانية كان له من ميزانية ومؤسسات ومحاكم ومدارس ورسوم وضرائب من جهة ثانية (٢٤٧) .

استثيرت المعارضة من جراء ذلك حسدا ومناقسة . ونظرت الى المفتي كأنما هو حاكم فلسطين والمعارضة له هي معارضة لهذا الحاكم . ولعل هذا ما جعل المجتمع العربي الفلسطيني ينقسم الى قسمين لا ثالث لهما : مجلسيين ومعارضة وكان المقابل من حيث الممارسة لهذا الانقسام ان جعل رجال المعارضة " يدققون في اعماله (المجلس) وتصرفاته ومشاريعه وينبشون عن كل صغيرة وكبيرة

ويقومون بالاسفار والرحلات ويعقدون الاجتماعات ويؤلفون الجبهات في صدد ذلك كله (٢٤٨) .

والذى يقرأ صحف فلسطين في هذه الفترة يلصق الى اى مدى اصبحت نغمة المجلس ، ماله ، وما عليه ، هي السائدة في الادب السياسي الفلسطيني بل أننا نجد صحفا بحالها تخصصت في الهجوم على المجلس (٢٤٩) . كما يذكر المندوب السامي ان المفتي لاحق قضائيا صاحب " مرآة الشرق " جريدة الحزب الوطني ، على مقال كتبها ضده . (٢٥٠)

أما من حيث مجالات الهجوم فقد ركزت المعارضة على التشكيك في ادارة المفتي لاموال الاوقاف ، وانصرافه الى أعمال غير شؤءون المجلس الاسلامي مثل التعاون مع اللجنة التنفيذية (٢٥١) وتسلفه وايتاراه لابناء قرابته وهكذا . ولقد تداخل الهجوم على المجلس الاسلامي أو الدفاع عنه مع ممارسات اطراف الحركة السياسية بعضها مع بعض . لجدت تنفيذية وجمعيات اسلامية مسيحية (بالاضافة طبعا لكوادر المجلس الاسلامي) من جهة ، ضد فئات المعارضة (رواسب الجمعية الوطنية ، والحزب الزراعي والحزب الوطني) من الجهة الاخرى . ولقد شارك الجميع في هذه المعركة من صياصي ومسارير مختلفة . فمن جراء تحريض اللجنة التنفيذية وتآليبها السعب على الحزب الوطني تمكنت من ايسارة النغمة عليه فقد استنكر المسلمون في الحرم الشريف هذا الحزب وهتفوا ويتأثير اللجنة التنفيذية كتبت الكرمل - التي كانت آنذاك تنطق باسم الحركة الوطنية - تهاجم حزب الزراع وتتهم انصاره بانهم يفتقدون " السمعة الوطنية والعلم والتجربة " (٢٥٣) ، كما اتسعت صفحات الكرمل لهجوم كبير قام به جمال الحسيني على زعماء المعارضة واحزابها " وهي (اى الامد) معدورة في الفاشية الشبهية في نيات حزب الزراع اذ ترى ان الكولونيل كيش هو الذى يذهب مع رهط من رجال هرنسل لتأسيس فرع له في بيسان ، وان موسى هديب وهو ذنب المصيو كلفرسكي وبطل الجمعيات الكلفرسكية يؤسس حزبا زراعييا في الخليل . كذلك يجب أن لا نعتب على الامة في اشتباهاها في الحزب الوطني عندما ترى اعظم ركن فيه ذلك الشيخ الذى ادمى قلب الامد واسال دموع عذارها اذ كان جائئا بحانب السفاح جمال باشاوهو يعلق اجسام اخلص شان هذه الامة في بيروت ودمشق (٢٥٤) ويبدو ان هذه الحملات الصحفية وبالذات هجوم جمال الحسيني على خصومه

كان من التأثير بحيث استثار اهتمام المندوب وسجله في أحد تقاريره الى وزارة المستعمرات : " ان شراسة الحملات التي يشنها جمال الحسيني ضد الشيخ أسعد الشقيري أحد زعماء المعارضة ، تجعل أى مشروع في إعادة الوحدة (بين المعارضة والمجلسيين) أمرا بعيد المنال " (٢٥٥) .

ومن ناحية أخرى فان الكرمل وغيرها من الصحف لم تتوان أن تفتح صدرها - بل أن تتحول كليا الى خط المعارضة وهو دليل على ضعف الحركة الوطنية - لحملات المعارضة على المجلسيين ورجال اللجنة التنفيذية والجمعيات الاسلامية المسيحية . فقد كان صاحب الكرمل هو الذى ألقى باللائمة على موسى كاظم الحسيني في أنه سبب النزاع والفرقة في الحركة الوطنية سواء من حيث قيام احزاب المعارضة أو " الشقاق فيما بين رجال الجمعية الاسلامية المسيحية انفسهم في يافا " وهكذا (٢٥٦) .

ولقد وصف الكاتب الحر في الكرمل ما وصلت اليه حالة النزاع بين الاطراف المتنازعة (ووضح في المقال تحميل المسوءولية بدرجة أكبر لمعسكر الحسينيين واللجنة التنفيذية اكثر من المعارضة) ودعا الى وحدة الصف :

" في فلسطين حركة دعاية متناقضة هي الشغل الشاغل للبلاد ودعائية اللجنة التنفيذية والمجلس الاسلامي (المشرفين) من جهة ودعاية الحزب الوطني (الناقم) واحزاب الزراع (الاصطناعية) من جهة أخرى . . . لا يختلف اثنان ان لا بركة في هاتين الدعائيتين فهما مظهران لمصالح شخصية محضة ترمي قبل كل شيء الى هدم بعضها بعضا عوضا عن هدم عدو البلاد . ولو أنصف المتطرفون من هذين الحزبين أو العائلتين وانسحبوا من الطريق لنفيت العداوة ولصفا الجو لهذه الامة وانقشعت غيوم الشك والاضطراب من فضاءها واتفق الحزب على ما فيه نفع الامة والوطن .

هذا وقد حان الوقت المناسب لدفن هذين الحزبين المتناقضين واخراج حزب حقيقي يرتكز على قوة الامة جميعها (٢٥٧) لا فرق بين قرويها ومدنيها وصرف هاتين العائلتين الى الاشتغال بشؤونهما " (الاقواس في الاصل)

على أن هذه الدعوة وامثالها الى وحدة الصف فشلت ولم تنجح جميع المحاولات التي بذلت للتوفيق بين الطرفين . فقد رفض الحزب الوطني المحاولة التي قامت بها اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس لعقد المؤتمر السابع في ١٩

مايو (١٩٢٤) وقرر " عدم اشتراك الحزب في ذلك المؤتمر لأنه مؤتمر حزبي (يقصد آل الحسيني يسيطرون عليه) ولذلك فقد ارتأى أن يعقد مؤتمرا خاصا ليتداول في شؤون البلاد وجعل أعضاء مؤتمره محدودين بـ " أصحاب الكفاية " وذلك " للبحث في ما أصاب البلاد من الشلل " بـ (٢٥٨) ولم تنس صحف المعارضة ، على أية حال ، أن تحمل اللجنة التنفيذية التي انفردت بالدعوة الى عقد مؤتمر مسوءولية النزاع ، ومبرر ذلك عدم انعقاد المؤتمر كما أنها شملت بهجومها أشخاص اللجنة التنفيذية ، مثل الشيخ المظفر وأمين التميمي بالإضافة الى موسى كاظم الحسيني وقالت أنها " ملأت الدنيا تدمرا منهم (٢٥٩) على أية حال فان جهود التوفيق والتوحيد لم تلبث أن اصطدمت بمشككتين كبيرتين عندما عرفت فلسطين بكاملها - ومشطورة الى شطرين مجلسي ومعارض - بموضوع انتخابات المجلس الاسلامي الاعلي (١٩٢٦) والمجالس البلدية (١٩٢٧) والتي كانت نتائجها دليلا على أن المعارضة وصلت الى قمة قوتها ، وبالمقابل كانت دليلا على مدى انهيار الحركة الوطنية على وجه العموم . وعلى أية حال فقد وصفت الكرمل في مقال كتب قبيل الانتخابات بعنوان " المجلس الاسلامي وما يتولد عن الانتخاب " هذه الانتخابات بأنها " مأساة " وأضافت تقول : " عار والله أن تكون الارض تباع بعشرات الدونمات وأن تكون التجارة تنقل بسرعة من أيدي الوطنيين وأن يكون المهاجرون يدخلون بالالوف وأن تغفل كل هذه الشؤون الخطيرة وتتنازع من أجل عضوية المجلس الاسلامي الاعلى . ان هذا صغير ولا يتفق مع تقاليد العرب (٢٦٠) ولقد عقب المقدم على الانتخابات بأن الاشغال فيها ربما كان بتدبير من السلطات ، كما أنها قدمت صورة نادرة صادقة عن مدى الانهماك من قبل الاطراف المختلفة فيها (٢٦١) كما أن عزة دروزة يقول بأنه " لم يظفر في هذه المعركة غيرها " (٢٦٢) يعني الحكومة .

وعلى أية حال فقد أسفرت الانتخابات عن فوز المعارضة (٢٦٣) الذي نم عن أن المجلسيين هوجموا في عقر دارهم .

ولقد كان انتصار المعارضة هذا ، مدخلا ممتازا لهم لخوض معركة انتخابية أخرى هي معركة انتخاب أعضاء البلديات ، بينما حاول انصار المجلس من الناحية الاخرى يبرهنوا أن انتصار المعارضة كان عرضيا وعابرا . ومن هنا فقد

اكتست هذه المعركة طابعا تميز بشدة الوقع والعنف . ولقد ركز المجلسيون على منع راغب النشاشيبي - قطب البلديات - من الفوز في معقل قوته ، مهما كلف ذلك من ثمن . ومن هنا فقد لجأ جمال الحسيني الى اتباع أساليب براجماتية لا تتفق مع خطه الوطني ، فيحسب ما يروى بوراث ، فقد اتصل (جمال الحسيني) بكميش وطلب اليه أن يمتنع اليهود عن اعطاء أصواتهم للمرشحين النشاشيبيين بينما يمتنع المجلسيون عن اعطاء أصواتهم لمعارضى الصهيونية من جماعة " أجودات اسرائيل " (٢٦٤) ولكن الصهيونيين - على أية حال - لم يستجيبوا لجمال واستجابوا كما يذهب بوراث أيضا . " لما تمليه عليهم مصطلتهم من تأييد ادارة راغب النعيسة وليس أعداءهم القوميين (٢٦٥) وعلى هذا فقد كتب بن آتي في جريدة دوارهايوم مقالا بعنوان " أنا راغب " (٢٦٦) ، كما أن اليهود ناصروا حسن شكرى في حيفا وعاصم السعيد في يافا وكلاهما من أقطاب المعارضة (٢٦٧) وكانت نتيجة هذه الانتخابات انتصارا آخر وأكثر أهمية ووقعا من الانتخابات السابقة (٢٦٨) .

تركت هاتان المعركتان بصماتهما على التنظيمات السياسية من ناحية وعلى ممارساتها من الناحية الاخرى . فمن الناحية الاولى . كان لما أحرزه المعارضون من استقطاب ، أن عكس ظللا من الشك يجدارة اللجنة التنفيذية في الانفراد بتمثيل الفلسطينيين .

ففي الوفد الذى قابل مساعد السكرتير العام لفلسطين في ٢٦ يوليو ١٩٢٦ من أجل المفاوضة بهدف " اشتراك أهل فلسطين في شؤون الحكومة التشريعية التنفيذية (٢٦٩) ، في هذا الوفد تساوى الفريقان من حيث تركيبه (٢٧٠) ومن الناحية الثانية قدم الوفد مذكرة طالب فيها بتعديلات دستورية يفهم منها أنهم لا يعارضون في الانتداب بل يقبلون بحكومة برلمانية تحت اشرافه . ولم يزد رد الحكومة ، على أية حال ، عن أنه " سرفخامته " (أى المندوب السامي) ان يرى هذه المذكرة تكشف القناع عن ميل العرب لان يعدلوا عن السياسة السلبية المحضة بشأن مصطلتهم الخاصة وأن يتبعوا بدلا منها خطة يتمكنون بوساطتها من وضع اقتراحات قيمة لتشكيل حكومة دستورية (٢٧١) ، ومع هذا فقد رفضت الحكومة هذا التنازل و " العدول عن السلبية ، واعتبرت الوفد رغم تركيبه غير ممثل للفلسطينيين وأنه " لا بد أن تقدم الاقتراحات من قبيل هيئة

تمثيلية (٢٧٢) ، وعلى أية حال فقد عزز هذا الرفض موقف المعارضة التي وجدت فيه وسيلة للمساومة مع خصومها للحصول على مقاعد أكثر في هيئة تمثيلية وعلى هذا فقد رضخت اللجنة التنفيذية - بسبب خسائرها السابقة ونظرا لضغط الحكومة - لمطالب المعارضة وقبلت ان تتساوى معها في اللجنة التنفيذية (٢٧٣) ولم تزد النتيجة في هذا الوضع الجديد أن اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن المؤتمر السابع الذي اشترك فيه " مخلصون ومجاهدون ، كما دخله منافقون بل سماسرة وباعة أراض وجواسيس ، كانت شبيهه بالعناصر التي اشتركت فيه وانتخب لها ثلاثة سكرتيرين واحد مجلسي وآخر معارض وثالث مسيحي (٢٧٤) . من هذا الترتيب والتركيب الجديدين استأنفت اللجنة التنفيذية ، ممثلة هذه المرة براغب النشاشيبي وموسى كاظم الحسيني ، مداولاتها مع الحكومة ، والمطالبة " بحكومة تمثيلية في البلاد " . ولقد صرح المندوب السامي لوزير المستعمرات بأن العرب لم يعودوا يطالبون بالغاء وعد بلفور ، والاننداب ، وأن خوفهم من الصهيونيين قد انحسر كثيرا . ومن هنا فقد اقترح اقامة مجلس تشريعي ، سيد بالمجلس التشريعي لعام ١٩٢٢ (٢٧٥) ويظهر أن كلا من موسى كاظم الحسيني وراغب النشاشيبي وافقا على هذا المجلس (٢٧٦) وهكذا نلاحظ أن الحركة الوطنية في مجملها - مجلسية ومعارضة - دارت على نفسها دورة كاملة ، فقبلت عام ١٩٢٩ ما رفضته في عام ١٩٢٢ ، وكان هذا القبول الجديد حصيلة أو محصلة المرحلة الثانية . بل أن تركيب اللجنة التنفيذية الجديد خلق تحالفاً أو شبه تحالف بين موسى كاظم الحسيني وراغب النشاشيبي ، كما جعل المفتي يرغب بنفسه عنها ، ويميل الى ربط جهوده بالجيل الصاعد من الشباب الراديكاليين (٢٧٧) ، مما سيظهر واضحا في ما سيأتي .

ومهما يكن من أمر فان موجة الانحدار توقفت بطروء عامل جديد طغى على التنافس المحلي ، وأعاد الى الحكومة الوطنية شيئا كثيرا من سابق قوتها . وكان هذا الحدث ، أو العامل الجديد ، هو انتفاضة العراق في أغسطس ١٩٢٩ التي أعادت ترتيب صورة المعسكر السياسي ، وممارساته بصورة جديدة .

المرحلة الثالثة

١٩٢٩ - ١٩٣٤

نستطيع أن نلخص هذه المرحلة الثالثة في حقيقتين كبيرتين أو أساسيتين
الحقيقة الأولى : أن هذه المرحلة من حيث التنظيم كانت مرحلة الحركة الشعبية
التي تمثلت بمشاركة قطاعات كبيرة من الشعب في العمل السياسي : شبانا وطلابا ،
عمالا وفلاحين ، مثقفين وطبقة وسطى (٢٧٨) وقيام أحزاب سياسية منظمة .
والحقيقة الثانية : أن هذه المرحلة من حيث الممارسة كانت مرحلة الثورة
والصدام المباشر مع بريطانيا والذي بلغ أقصى وأعنف مراحل في ثورة ١٩٣٦ .
ارتبطت هذه المرحلة بظروف معينة أملت لها وحددت مسارها . فقد توفرت
للحركة الوطنية ظروف متعددة أحسن فيها الشعب الفلسطيني بعمق التحدي من
الناحية الواقعية أو الفعلية والذي انعكس على تنظيماته وممارساته .
ويمكننا أن نجمل نواحي التحدي كما برزت أو كما انعكست على
الفلسطينيين العرب على النحو التالي :-

أولا : التحدي البريطاني : وقد تمثل هذا التحدي بما يلي :-
أ - الاسلوب القمعي الذي اتبعته السلطات البريطانية في اخماد هبة
البراق (١٩٢٩) (٢٧٩) وانتفاضة ١٩٣٣ . فبالنسبة لهبة البراق
التي يصفها اميل توما بأنها " لم تكن مجرد اصطدامات بين عرب
ويهود بل كانت جوهرية هبة جماهيرية في وجه الادارة البريطانية
الامبريالية (٢٨٠) هذه الهبة تعرضت لقمع عنيف على مدى أيام
متعددة وسقط فيها عدد ليس بقليل من الضحايا العرب (٢٨١) ،
ولجأت فيها بريطانيا الى استخدام الطائرات (٢٨٢) .
ولقد نجم عن هذا العنف البريطاني في التعامل مع الثوار ان شعر العرب
بأن الصهيونية محمية بالحرب البريطانية ، كما أنهم استيقظوا على
الاستيقان من مفهوم أساسي الا وهو ان الخطر البريطاني اولى
بالمقاومة وان بريطانيا هي عدو العرب الاول " أصل البلاء " وأساس
الدهاء " كما سيصبح شعار المرحلة . وعلى هذا فقد أصبح لسان حال

الحركة الوطنية ما ذكرته " الجامعة العربية " : أركلوا الصهيونية باقدامكم وقفوا وجها لوجه أمام بريطانيا العظمى . فالصهيونية ليست سوى مشروع اجرامي تشجعه بريطانيا وتحميه بحراب جنودها . وهي تهدف الى قمع العرب واخضاعهم لارادتها (٢٨٣) .

ب - التحدى السياسي : وقد تمثل هذا في اهمال توصيات لجنتي شوو سبسون في انصاف العرب وايقاف الهجرة وتحديد بيع الاراضي (٢٨٤) وقد بدا هذا واضحا في تخليها عن الكتاب الابيض (١٩٣٠) واصدارها بدلا من ذلك ما وصفه العرب بـ " الكتاب الاسود " - رسالة ماكدونالد. رئيس الوزارة البريطانية لوايزمن - والذي جاء فيه : " انه ليس في نية بريطانيا ايقاف الهجرة الى فلسطين وان هجرة العمال سوف لا تتأثر بزيادة العاطلين عن العمل من العرب (٢٨٥) ، وتتضافر كثير من المراجع على وصف الشعور بخيبة الامل التي أحس بها الفلسطينيون في مختلف قطاعاتهم من جراء موقف بريطانيا هذا . وكان هذا الشعور سبيلا الى ازدياد النزعة الى العنف وبروز دور المتطرفين . (٢٨٦)

ثانيا : برز التحدى الصهيوني بروزا كبيرا في هذه الفترة . ففيها شبت الحركة الصهيونية عن الطوق . فقد سارت في اواخر العشرينات وبداية الثلاثينات مسارا يختلف عن مسارها في اواسط العشرينات . ولقد كان هذا التزايد في قوة الصهيونية مضافا الى الدعم البريطاني لها ، مما زاد في شعور العرب بعمق التحالف بين الصهيونية والانتداب ، ولعله ليس بلا مغزى ان تتردد كلمة الانتداب مقرونة بالصهيونية . ونجد مؤلفا يظهر في هذه الفترة (١٩٣٧) لمؤرخ فلسطيني هو عيسى السفري تدور اطروحته كما تظهر في صفحات كتابه حول الحالة الفريدة التي تواجهها " فلسطين بين الانتداب والصهيونية " كما جاء عنوان الكتاب . ولقد تمثل التحدى الصهيوني بما يلي :-

١ - التحدى الديني والذي برز واضحا في احداث البراق وكان مظهرا للتحدى السياسي والعسكري فضلا عن كونه مظهرا من مظاهر التعصب . فقد نشرت الاهرام برقية تعلن فيها " ان الادلة تتوافر كل يوم على ان اليهود مسلحون وان العرب يعتبرون عزلا من السلاح " (٢٨٧) كما ذكرت اللجنة

التنفيذية في ردها على المندوب السامي ، ان اكثر اليهود كانوا مسلحين وان الحكومة هي التي سلحتهم ، وقد قتلوا بالاشتراك مع الجنود النظاميين ، النساء والاطفال والرجال العرب ، وكانوا البادئين في بعض الحالات (٢٨٨) .

٢ - التحدي السياسي ومقاطعة العرب : لقد كانت تجربة الفلسطينيين السياسية مع الصهيونية كافية لاثبات تخوفاتهم منها في انها حركة توسعية استيطانية شوفينية انعزالية ، ليست على استعداد للتعايش مع العرب كما هي روح الكتاب الابيض ١٩٢٢ . وقد بدا ذلك واضحا في تطبيق شعار " العمل العبرى " و " احتلال العمل " . لدرجة ان الهستدروت شكلت " حاميات يهودية " منذ ايلول ١٩٣٤ لوضع هذين الشعارين موضع التطبيق التام وبالقوة (٢٨٩) ، ولم يوءثر في القضاء على هذه السياسة الانعزالية ادانه لجنة سمسون لها عندما قالت " ان مبدأ الاصرار على المقاطعة المستمرة للعمل العربى في المستعمرات ليس مناقضا للانتداب بل انه علاوة على ذلك مصدر خطر دائم ومتزايد على البلاد (٢٩٠) ولم يكن تركيز تقرير سمسون على احتلال العمل باقل من تركيزه على احتلال الارض : هذين المبدأين اللذين حفرا خنادق التباعد والفرقة بين العرب واليهود منذ البداية . (٢٩١) .

٣ . تزايد الهجرة : لم يحس العرب بشيء كما احسوا بخطر الهجرة الصهيونية الى فلسطين : لقد كانت الهجرة بما قذفته من اعداد كبيرة على شواطئ فلسطين تجسيدا كاملا للخطر الصهيوني من الناحية البشرية ولقد زاد من هذه الهجرة في الثلاثينات - مقارنة بما كانت عليه في العشرينات - ظهور الخطر النازى حتى ان سيايكس يقول : " لقد كانت فلسطين ردا على هتلر (٢٩٢) ولم تأخذ الهجرة طابعا فرديا او محدودا بل اصبحت هجرة جماعية . ولكن انعكس الخوف من الهجرة في الادب السياسي الفلسطيني . فبينما قالت الجامعة العربية " هجرة الالوف بعد المئات اما لهذا الليل من آخر (٢٩٣) دون السكاكيني في مذكراته بتاريخ ٢٧/٤/١٩٣٣ . : " حالة البلاد تسير من سيء الى اسوأ كل يوم تقذف

البلاد بمئات المهاجرين اليهود . كل يوم تباع الارض قطعة كبيرة بعد
قطعة كبيرة (٢٩٤) .

ولعل هذه الهجرة كانت اكثر من اي عامل آخر سببا في نزعة التصدي
للتحدى الخارجي لدى الحركة الوطنية . وكانت الاجابة على هذا التحدي في
ثورة ١٩٣٦ - كما سنرى - بل ان بعض المؤرخين بذهب الى ان الحركة الوطنية
تناغمت في قوتها مع عدد المهاجرين الى فلسطين . وانها بدلا من هبات متفرقة
(رافقت الهجرة المتفرقة) بدأت بالتفكير بمنطق الصراع المستمر او الدائم
(٢٩٥) ، بل ان احد المصادر سمي المرحلة الزمنية ١٩٣٣ - ١٩٣٦ فترة "
تضخم الهجرة اليهودية وتبلور القومية العربية في فلسطين " (٢٩٦) ، بينما ذكر
تقرير بيل ان المخاوف جعلت العرب يرون في المهاجر اليهودي ، ليس خطرا على
مصادر معيشتهم بل سيدا قد يسيطر عليهم في المستقبل (٢٩٧) .

عملت هذه التحديات المختلفة بريطانية وصهيونية ، عملها في التأثير
على العمل السياسي في فلسطين تنظيما وممارسات :

أولا - التنظيمات : اخذت التنظيمات التي اشرفنا الى انها اتسمت بالسمة
الشعبية وشملت قطاعات عريضة شكلا جديدا وقد مارست نشاطها من خلال اقنية
مختلفة : نقابات ، جمعيات للشباب ، حركات عسكرية ، واحزاب . وقد انتهت
المرحلة الثالثة بطلاق كامل بين الجبهة الوطنية وحركة المعارضة ، وبدلا من
خليط اللجنة التنفيذية قامت الاحزاب " المتمازجة والمتحانسة (٢٩٨) .

وعلى اية حال فقد كان من بين التنظيمات ذات البرامج والطموحات
السياسية التي ارادت ان تتجاوز برامج الزعامة التقليدية او القديمة تنظيمات
العمال التي عقدت مؤتمرها الاول في حيفا (١١ كانون الثاني ١٩٣٠) وحضره
١٦٠ مندوبا ممثلين ل ٣٠٢٠ عضوا من مختلف البلاد (٢٩٩) وقد كانت نقابة
السكك الحديدية ، محور نقابات الجمعيات العمالية لان هذا المرفق كان محور
صراع مع النقابة الصهيونية الهادفة الى استخدام العمال اليهود في الادارة
والاعمال الفنية دون العمال العرب (٣٠٠) وعلى اية حال فقد انتقدت
التنظيمات العمالية انها لم تستقطب جميع العمال وخاصة العمال الزراعيين (٣٠١)
ولم تتأثر بما فعله الهستدروت التنظيم العمالي الصهيوني والذي بلغ حدا من
التنظيم والفاعلية تفوق فيه على جميع التنظيمات الاخرى في اليشوف (٣٠٢) .

كما برز في هذه الفترة دور الحزب الشيوعي بعد ان قطع علاقتة بالسياسة
اليسارية الصهيونية (بوعالي تصيون) بسبب دعوته الى ما يسمى البرولتاريا
الصهيونية ، ومن ثم فقد توجه هذا الحزب الى الجماهير العربية وجماهير اليهود
الشرقيين . كما اصدرت اللجنة التنفيذية للكونغرس ، بعد اضطرابات ١٩٢٩ ،
تعليمات تفيد بان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني يجب ان تحتوى
على اغلبيه عربية . وقد اعلن المندوبون الفلسطينيون العرب في المؤتمر السابع
للكونغرس ان التعريب ينبغي ان يستمر " بينما ينبغي الاحتفاظ بالاعضاء الثقات
والمخلصين من الرفاق اليهود " (٣٠٣) .

ولعل من ابرز الظواهر التنظيمية في هذه المرحلة ايضا هو بروز دور الشباب
الفلسطيني ، والشباب المنقف بوجه خاص ، والذي عرف بحركة الشباب التي يثنى
عليها السفري ، ويعتبرها " اول عمل منظم يقوم به الشباب العربي ليس في
فلسطين وحدها بل في الاقطار العربية الشقيقة (٣٠٤) .

والظاهر ان هذه الحركة كانت تجاوزا للتنظيمات القديمة ، وعلى هذا فانها
كما تصفها المصادر لم تجد مكانا لها في الجماعة المجلسية ، ولا المعارضة ، ولم
تلتزم باحد منها : وكانت دليلا على اتساع قاعدة الحركة القومية لتشمل هذا
القطاع من الشباب الذي ولد في عهد الانتداب (٣٠٥) .

ولقد جسد الشقيرى فكرة قيام هذه الحركة وبأنها كانت نتيجة التناقض بين
القديم والحديث فهذه الكلمات القليلة كانت عنوانا لمقال كتبه في مرآة الشرق :
" تقدم ايها الشباب انت ابوك من الميدان " (٣٠٦) وساد هذا الشعور لدى شاب
آخر عاش في تلك الفترة . وهو اميل الغورى ، الذي يقول في مذكراته " شعرت ، ان
من واجبا نحن الشباب " الجدد " ان نبادر الى العمل بطرقنا ووسائلنا
المستطاعة (٣٠٧) .

ولقد اتخذت هذه الحركة اشكالا تنظيمية متعددة . فقد قام في عام ١٩٢٨
اول تنظيم لجمعيات الشباب المسلمين ردا على عقد مؤتمر تبشيري ، دعا اليه
المجلس الدولي التبشيري ، وانهقد في القدس على جبل الزيتون . وقد حضره
مندوبو ٥١ دولة دون أن يكون بينهم مندوب واحد يمثل المسيحيين العرب (٣٠٨)
وعلى الاثر عقدت النوادي الاسلامية في البلاذور ببط هذه النوادي في المستقبل
بجمعية الشبان المسلمين بمصر (٣٠٩) ومن هنا ولدت جمعيات الشبان المسلمين

واستمرت حركة الشباب في تقديمها فعقد الشباب العربي أول مؤتمر لهم بهذا الاسم في يافا في كانون الاول ١٩٣٢ برئاسة راسم الخالدي ، وقد ضم هذا المؤتمر " شباب البلاد على اختلاف مبادئهم ونزعاتهم ، وبحث في مشاكل عامة كالتعليم القومي وتشجيع المصنوعات الوطنية . . . وبنوع خاص الحركات الكشفية والرياضية (٣١٧) . وقد انفض المؤتمر بعد ان انتخب لجنة تنفيذية من ٣٨ عضواً من أجل أن تعمل على تنفيذ قراراته كما انتخبت هذه اللجنة قيادة دائمة على شكل مكتب دائم يتولى ادارة شؤنها (٣١٨) .

وقد أسس مؤتمر الشباب - أو ما عرف فيما بعد بحزب الشباب - عمله التنظيمي على أساس اتخاذ الفرع وحدة تنظيمية له ، من أجل أن تكون الفروع " صلة الوصل بين الشباب " وشملت هذه الفروع عدداً كبيراً من مدن فلسطين وقراها " (٣١٩) .

وقد تشكلت في هذه الفترة أيضاً مجموعة من التنظيمات السرية و"الحلقات الجهادية" منها التنظيم القسام نسبة الى الشيخ عز الدين القسام . ولد الشيخ عز الدين القسام في جبلة من أعمال جبل العلويين من سوريا ، واشترك في الثورة ضد السلطات الفرنسية في تلك المنطقة من سوريا في سنتي ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، وعلى اثر انتهاء هذه الثورة لجأ عز الدين الى فلسطين ، واستقر في حيفا . وهنا استطاع أن ينضم الى صفوف الحركة الوطنية . ولقد تركت جهوده بادئ ذي بدء على التجوال في قرى شمال فلسطين ، والقاء الخطب اللاهبة . الا أنه سرعان ما ادرك أن هذا النهج في مقاومة الانتداب والصهيونية ليس هو الاسلوب الوحيد أو الاسلوب الامثل والناجح . وعلى هذا فقد انتقد أساليب العنف المتفرقة لانتفاضة ١٩٢٩ ، وارتأى ان التأثير السياسي الاعظم - وهنا تكمن اصلته - ينبغي أن يتم من خلال بناء كوادر متخصصة والضرب على أهداف مختارة (٣٢٠) . من هنا سعى الى تنظيم الطبقات الشعبية ، التي تكونت من الفلاحين وسكان المدن والقبائل في شمال فلسطين ، في خلايا ثورية ذات طابع سرى (٣٢١) .

قام تنظيم القسام هذا على نظام الوحدات (جمع وحدة) وقسم المهمات المتعلقة بنشاط هذه الوحدات الى خمس :-
الوحدة الاولى : وحدة شراء الاسلحة ، ومهمتها شراء وايصال الاسلحة .

الوحدة الثانية : وهي وحدة التدريب .
الوحدة الثالثة : وهي وحدة الامن ويتكون اعضاءها من العمال وصغار الموظفين
ومهمتها مراقبة تحركات العدو البريطاني والصهيوني وجمع المعلومات
الوحدة الرابعة : وهي وحدة الاتصالات ، مهمتها تأمين الاتصال بالهيئات لضمان
شراء احتياجات التنظيم .

الوحدة الخامسة : وهي وحدة الدعوة للثورة والاهتمام بأسر الشهداء والمعتقلين .
وتنتشر في المدن والارياف . (٣٢٢)

وقد وضع القسام شروطا للعضوية في هذه الحلقات الجهادية السرية قامت
على ما يلي :-

١ - الاقتناع باهداف الحركة السياسية وهي طرد الانتداب البريطاني ، ومنع
اقامة دولة يهودية في فلسطين والنضال من أجل استقلال وبناء دولة
فلسطينية تعمل على تحقيق الوحدة العربية .

٢ - الالتحاق بواحدة من الخلايا الخماسية التي تتكون منها الوحدات الاساسية

٣ - دفع عشرة قروش في الشهر . (٣٢٣)

٤ - ان يكون سلاح العضو على حسابه .

ولقد كانت الاولوية في برنامج هذا التنظيم مركزة على حرمان اليهود في
فلسطين من الشعور بالاستقرار والهدوء . فبناء على تقرير للبوليس كتب مؤخرا ،
ولم يخل من روح التحامل ، فان اهداف التنظيم كانت " الهجوم على اليهود ،
وترويع المجتمع اليهودي ، حتى لا يظن اليهود أن باستطاعتهم البقاء في
البلاد (٣٢٤) .

كما افاد احد تقارير ادارة التحقيقات الجنائية انه بديء بتشكيل نواة
مسلحة عربية منذ ١٩٢٩ (٣٢٥) . كما ورد في تقرير للمندوب السامي الى وزارة
المستعمرات انه " تم تشكيل عصابات لمهاجمة الموظفين اليهود والبريطانيين ،
وستعمل هذه العصابات في منطقة حيفا ونابلس . (٣٢٦)

كما تشكلت في هذه الفترة ايضا لجنة سرية اولها مجلس الوزراء البريطاني
كناية كبيرة ، وقد قامت لاغراض الارهاب واغتيال الاشخاص الذين يعتقد أنهم
يعملون ضد المصالح الوطنية " وقد قيل انها قامت بعلم المجلس الاسلامي الاعلى
واللجنة التنفيذية واللذين ساهما في نفقاتها . (٣٢٧)

وفي شهر تشرين الاول من عام ١٩٢٩ ، تألفت عصاة الكف الاخضر .
والتي يزودنا تقرير مفصل للسلطات البريطانية - عما تسميه أوراق تيجارت " تاريخ
الحركة الارهابية " - بصورة واضحة عنها . فقد اتخذت العصاة " الثورة المسلحة
ولكن بصورة محدودة " (٣٢٨) هدفا لها . وقد تكونت قيادة هذه العصاة من
أحمد طافش ، وهو فلسطيني من صفد ، شارك في احداث هبة البراق ، وفؤاد
العلمي والذي يلقب باللبناني ، وهو سوري الجنسية ، درزي المذهب ، وسبق له
أن شارك بصورة فعالة بالثورة السورية (١٩٢٥) (٣٢٩) وقد تكونت عناصر هذه
العصاة من مزيج من الفلسطينيين والدروز ، وقد أطلق هؤلاء على أنفسهم اسم
" المجاهدين " (٣٣٠)

والظاهر أن هنالك رابطة بين هذه العصاة وجمعيات الشبان المسلمين ،
التي كونت القاعدة التنظيمية لعدد من التنظيمات العسكرية أو ما يطلق عليها
أحيانا " الحلقات الجهادية " مثل هذه الحركة وحركة القسام . تلك الجمعيات
التي على ما يبدو أيضا قد وقعت تحت تأثير المفتي (٣٣١) ، كما أن بعضها
وقع أيضا تحت تأثير حزب الاستقلال (٣٣٢) الذي سنتحدث عنه بعد صفحات قليلة .

وفي عام ١٩٣٣ ولد التنظيم العسكري السري المرتبط بالحسينيين والذي
عرف باسم الجهاد المقدس . وعلى ما يظهر كان هذا التنظيم من احسنها تنظيما .
وتعود بدايات هذا التنظيم الى عام ١٩٣١ ، وقد اسسه عبد القادرين موسى كاظم
الحسيني الذي ولد عام ١٩٠٧ في القدس وتخرج من الجامعة الاميركية بالقاهرة ،
ثم عمل موظفا ذا درجة عالية في دائرة تسوية الاراضي بفلسطين (٣٣٣) ، وقد كان
الهدف الرئيسي لهذا التنظيم " تهيئة الشباب وتسليحهم واعدادهم للقتال (٣٣٤)
وقد استطاع هذا التنظيم أن ينشيء له في فترة قصيرة ١٧ فرعا في مدن فلسطين
وقراها . ويقول الغوري الذي انضم مع رفاق له الى هذا التنظيم انه مع رفاقه
جعلوا في طليعة مهام التنظيم " توعية الشعب ونشر روح التمرد ضد الحكم
البريطاني " . (٣٣٥)

وقد عقد هذا التنظيم أول مؤتم عام سري له في القدس في ٢٥ مارس
١٩٣٤ . ويبدو أنه رسخ في هذا المؤتم أموراً تنظيمية في طليعتها اتخاذ الخلية
أساس التنظيم كما أنه اختار القيادة العليا للتنظيم من حسن سلامة ونافذ الحسيني
وجميل الفارس وصالح الريماوي وأميل الغوري (٣٣٦) . ولقد طور هذا التنظيم

جهاز استخبارات فعال بدأ اثره واضحا اثناء صدام هذا التنظيم مع الانجليز عام ١٩٣٦ . (٣٣٧)

وبحسب ما يظهر من رواية الغوري كان لهذا التنظيم طرقه الجيدة في التمويل وانه اعتمد بالدرجة الاولى على جيوب اعضائه . (٣٣٨)

كما أن هذا التنظيم اهتم اهتماما خاصا بالتدريب العسكري وقد اقيمت مراكز خاصة لتدريب اعضائه في كل من نابلس واللد والناصره ورام الله والناصره . (٣٣٩)

وفي عام ١٩٣٢ تكون لأول مرة في فلسطين حزب ذو طابع راديكالي . وقد بدت راديكاليته في ايدلوجيته ذات الطابع القومي الاصيل . وقد قام على تأسيس الحزب شخصيتان هامتان كان لهما دورهما البارز في الحركة الاستقلالية العربية التي ازدهرت في العقد الثاني من القرن العشرين (٣٤٠) وهما عوني عبد الهادي وهو محام من نابلس واحمد حلمي عبد الباقي من عكا . (٣٤١) كما ساهم بدور كبير في تأسيسه عناصر ذات جذور وطيدة في الحركة القومية العربية مثل عزة دروزة وصبحي الخضرا وعجاج نويهض واسعد داغر واكرم زعيتر (٣٤٢) . وقد دعا هذا الحزب الى :-

- ١ - " قيام حكم وطني مستقل في فلسطين .
- ٢ - اعتبار فلسطين جزءا لا يتجزأ من سورية وانضمامها اليها في نطاق الاستقلال التام .
- ٣ - اتحاد سورية الطبيعية ومنها فلسطين مع الاقطار العربية في نطاق الاستقلال التام " . (٣٤٣)

وقد ظل الملك فيصل بالنسبة لهذا الحزب تجسيدا لحلم الوحدة العربية (٣٤٤) وعلى أية حال فان الدارس لبيان هذا الحزب يدرك مدى تركيزه على هذه الوحدة فهو يريد وحدة كاملة قلبا وقالبا . شكلا ومضمونا فمطنادى به : " توحيد الاحزاب الاستقلالية في الاقطار العربية " كما نادى ب " توحيد اسماء الحكومات العربية وتوحيد شكل الطوابع البريدية وتوحيد العملة وجوازات السفر " و " جعل التابعة العربية حقا لكل عربي في الاقطار العربية الاخرى " و " السعي لرفع الحواجز الجمركية " حتى " توحيد شكل لباس الراس " . (٣٤٥)

ولقد ركز الحزب في برامجه على قضيتين اساسيتين : القضية الاولى تجديد شباب الحركة الوطنية وانقاذها من كثير من امراضها مثل النزعات الشخصية والاهواء العائلية والقوى الاقليمية (٣٤٦) ولقد كان الحزب بارعا في نقد الحركة الوطنية الى درجة تعريتها تماما بل انه شكل مرآة صادقة او ضميرا للامة . ولقد طرح الحزب شعار التجانس بدلا من الخلط والتحشيد بدون فرز او تمييز . ومع التجانس دعا الحزب الى " الاخلاص الشريف وحب العمل النزيه " (٣٤٧) .

والقضية الثانية هي التركيز على العدو الرئيسي للحركة الوطنية وهو الانكليز فقد جاء في بيان الحزب الصادر عن اجتماع نابلس : " ان المجتمعين يعتبرون الاستعمار الانكليزي اساس البلايا وسبب الرزايا " (٣٤٨) .

وعلى الرغم من هذه البرامح او المبادئ المتوهجة اخلاصا وحماسا ، فان الحزب لم يستطع ان ينفذ الحركة الوطنية من آفاتها الكثيرة . فقد عانى الحزب من مشكلات اساسية انعكست ايضا على ممارساته . فقيادة الحزب ، على الرغم من انها ضمت مثقفين وابطاء وجهاء متنورين وبورجوازيين لم تتخلص نهائيا من عناصر الوجاهات (٣٤٩) . كما ان الحزب لم يرتفع من الناحية العملية الى مستوى الشعار الذي رفعه في اعتبار الانكليز التناقض الرئيسي . فالحزب قد أهمل قضية اساسية هي عقدة الامر كله : القتال . وبدلا من ان يلجأ الى الصراع المباشر مع بريطانيا ، عمد الى ممارسة اللعبة السياسية على ارض الحركة الوطنية - مجلسية ومعارضة - بشروطه هو والتي حملت الادانة لهما ، مما ادى الى مجابهة هاتين الجبهتين له مجابهة صارمة . ويقول احد التقارير السرية البريطانية ان المفتي " نجح في تفكيك الحزب (٣٥٠) ، لا سيما وهو قد اعتبر الحزب بمثابة انشقاق عليه ، لانه اكثر الاعضاء كان متوثقا ومتعاوننا مع المفتي " (٣٥١) كما انه لم يسلم من المعارضة " الذين لمسوا فيه اتجاها محرجا لهم لما بين بعضهم (اي المعارضة) وبين السلطات وبين بعضهم وبين اليهود من صلات " (٣٥٢) .

ومهما يكن من امر فان الحزب لم يصل الى مرحلة الحزب الشعبي او الحزب ذي القاعدة الجماهيرية . ولعل عدد اعضاء الحزب بمن فيهم المؤسسون كان يبلغ نحو ستين شخصا (٣٥٣) واذا كان الحزب لم ينجح شعبيا فانه نجح فكريا ، اذا صح القول ، بدليل تبني الاحزاب التي تلتها (والتي سنتحدث عنها عند حديثنا عن قيام الحزبين العربي والدفاع) خطه السياسي . اما فشله التنظيمي فقد اتضح حين

في فلسطين ، بات واجبا علينا ان نخطرهم بالحالة الخطيرة التي تهدد كيان بلادهم المقدسة واخوانهم الساكنين فيها (٣٥٩) .

وعلى الاثر فقد انعقد في سبتمبر ١٩٣٠ اجتماع في نابلس من انصار المفتي وكان " هدفه الرئيسي ابقاء البلاد في حالة من الهيجان ووضع البلاد في حالة من الهيجان شبيهة بالحالة التي كانت عليها في عام ١٩٢٢ عندما رفضت خلق مجلس تشريعي او وكالة عربية " (٣٦٠) .

وعلى اية حال فقد دارت مداولات هذا الاجتماع حول الموضوعات التالية :

١ - طالما ان الحكومة البريطانية تحكم البلاد بصورة مباشرة فان اي جهد عربي للتعاون معها محكوم عليه بالفشل .

٢ - ينبغي على العرب ان يوجهوا دعايتهم في المستقبل نحو الشرق والعالم العربي . وكحماة للديار المقدسة فان العرب لا يجدون

افضل من تأييد العالم الاسلامي . (٣٦١) .

كان المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١ ترجمة لهذا التوجه نحو العالم الاسلامي . وبالرغم مما لقيه هذا المؤتمر من معارضة محلية اشعل اوارها المعارضون المحليون للمفتي من جماعة النشاشيبي والذين نفوا عنه ما أحاطه المؤتمر به - وهو الداعي له - من هالة اسلامية عظيمة (٣٦٢) . اقول بالرغم من المعارضة المحلية فقد استطاع هذا المؤتمر وضع القضية الفلسطينية في اطار عالمي (٣٦٣) ، كما بدا في هذا المؤتمر هجوم واضح على بريطانيا . ففي الجلسة العاشرة التي عقدت مساء ١٣ ديسمبر ١٩٣١ انتهت الاحتجاجات على الانتداب البريطاني (٣٦٤) وفي الجلسة الخامسة عشرة التي عقدت في ١٦ ديسمبر تلقى المؤتمر اقتراحا من حمدي الحسيني باستنكار الاستعمار ومقاومته (٣٦٥) ومع ان المؤتمر اتخذ قرارات بمقاطعة المصنوعات اليهودية في الاقطار الاسلامية واقترح ايضا تأسيس شركة زراعية يشترك فيها العالم الاسلامي لانقاذ الاراضي في فلسطين - ضمن قرارات اخرى - (٣٦٦) فان شيئا من هذا لم يتحقق بالفعل . ولعل افضل ما يوصف به هذا المؤتمر انه كان منبرا اعلاميا . ويقول الكيالي ان اللجنة التنفيذية لهذا المؤتمر تحولت مع الزمن الى هيئة فخرية (٣٦٧) .

وسيرا نحو سياسة دفع المقاومة نحو التشدد تمكن الاستقاليون في عام ١٩٣٢ من اقناع اللجنة التنفيذية بالموافقة على قرار يعلن انه يحظر على اي عربي

ان يقبل تعيينه عضوا في هيئة او مجلس حكوميين ، او التعاون باى شكل من الاشكال مع الحكومة . ولكن هذا القرار اصطدم بمعارضة فئتين رئيسيتين هما الحسينيون والنشاشيبيون ، فعلى اثر هذا القرار كتب واكهوب المندوب السامي ، يقول : " ان المفتي وعددا من حزب آل النشاشيبي والذين يؤيدونني سيتخذون على الارجح اجراءات لعرقلة تنفيذ هذا القرار " (٣٦٨) .

وعلى هذا فعندما عقد اجتماع يافا في ٢٦ مارس ١٩٣٣ وحضره حوالي خمسمائة عربي من ممثلي القوى المختلفة واعضاء اللجنة التنفيذية ومفتي القدس وروءساء البلديات ، وقرر المجتمعون مبدأ اللاتعاون مع البدء بتنفيذ اولى كمقاطعة الحفلات ، ولجان الحكومة ، ومقاطعة البضائع الانجليزية ، والبضائع والمصنوعات والمناجر الصهيونية ، مع دعوة الاهالي لشراء اسهم شركة انقاذ الاراضي وان يكون سلاح العرب ضد المهاجرة اليهودية هو المقاطعة التامة (٣٦٩) . اقول عندما عقد هذا المؤتمر لم يكن مصير قراراته افضل من سابقاتها . كما ان المعارضة فشلت في دفع المفتي الى الاستقالة من منصبه . فقد اعتبر المفتي دعوته الى الاستقالة محاولة لتوريطه وان شعار اللاتعاون المطروح مناورة هو المقصود بها شخصا (٣٧٠) .

وعلى اية حال فقد بدا انه بالرغم من سير الحركة الوطنية في مجملها نحو التشرذم او الراديكالية لم ينس الاوان بعد لكي تحل زعامة الحركة الوطنية معادلتها الصعبة مع الانتداب ؛ تعارضه كليا او تحالفه كليا . ومع هذا فقد قام واكهوب بتسهيلات كبيرة للمفتي في الاوقاف وعقد معه اتفاقا وصفه بان مهرعلاقاته الشخصية الممتازة مع المفتي وغيره من اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى . (٣٧١) كما ان المعارضة حظيت بنعم السلطة وتعين " ابناء الذوات في المناصب حتى ان بعضهم اعلن انه يفضل التعاون مع الحكومة على البقاء في اللجنة التنفيذية " (٣٧٢) . كما ان كثيرا من الزعماء ظلوا منضمين الى اللجان الحكومية (٣٧٣) .

ولقد عبر ابو رزق في مقال في " النفير " تحت عنوان " اخفاق الامة باخفاق الزعامة المزيفة " عن شعور الفلسطيني العادي ومقته للزعامات المتخاذلة قال المقال : " والى القدر الاعمى زعامة فلسطين الى رجال او " عائلات " فقيرى الانفس من الهمة وضعيفي الاخلاق الفاضلة الا من الانانية . فذهب هؤلاء المتزعمون الى احتكار الزعامة الوطنية والتلبس بالاخلاص المنكشف ، ومن ثم كان تلوينها كما

يتلون الليل والنهار ، فهم بالليل سود المساعي سود المقاصد . وهم في النهار بيض المساعي بيض المقاصد . وهم ما بين الليل والنهار يضربون بسهمين سهم التدليس على الحكومة واليهود لكسب الوظائف وتعيين الاقارب واخلاس الثقة الحكومية واخيرا ندعوكم ونستحثكم ايها المترعمون . . . ان تتخلوا عن زعامتكم الفاشلة الهرمة وتتركوها للشعب لكي يتولى قضيته بنفسه " (٣٧٤) .

ومهما يكن من أمر فان هذه المؤتمرات التي وصفها السكاكيني وصفا مريرا بانها انما تعقد لمآرب شخصية يريدون قضاءها (٣٧٥) هذه المؤتمرات لم تكن كل ممارسات او نشاط الحركة الوطنية بل ان هذه الممارسات ربما كانت هي الجزء البارز من جبل الجليد ، وما كان يجرى في الاعماق كان أمرا مختلفا وليس من شك في ان أجنحة متعددة من الحركة الوطنية وحتى بعض العناصر المهادنة للحكومة - التي أملى عليها موقفها هذا ممارسات ازدواجية الطابع - قامت بنشاطات أصيلة ، صبت في التيار الوطني . وقد سجلت بعض تقارير السلطة بعض هذه المناحي الجادة ، في الوقت الذي طغت فيه على السطح ، النشاطات السطحية للمؤتمرات والاحتجاجات " يظهر على القادة الوطنيين العرب ، بصورة عامة ، انهم تخلوا - عما يزعمون - من سياسة الاحتجاجات والنداءات غير المثمرة ، وأعلنوا انهم يريدون اتخاذ خطوات أكثر عملية مثل انشاء جامعة اسلامية واناغاد الاراضي ، وجباية الاموال على أسس صحيحة وتنظيم الاحتياجات الاقتصادية بتأسيس بنك عربي ، والدعوة الى استعمال المنتجات المحلية . . وغير ذلك (٣٧٦) .

على ان الأهم من ذلك هو ما سجله بعض أجنحة الحركة الوطنية من صدام مباشر وأحيانا كثيرة دام مع السلطات البريطانية والحركة الصهيونية . فقد تمكنت عصاة الكف الاخضر - التي سبق الحديث عنها تنظيما - من شن هجوم على الحي اليهودي بالتعاون مع أنصارها داخل المدينة وبالتعاون مع الدروز السوري الاصل . وقد بلغ من قوة هذا الهجوم ، ان الحكومة البريطانية اضطرت الى ارسال تعزيزات الى صفد ، وظهر رجال الكف الاخضر في قضاء عكا حيث بدأوا يعدون الكمائن لدوريات البوليس (٣٧٧) .

ويظهر من تقارير البوليس ان عناصر عصاة الكف الاخضر سبحت في جو صديق او موات لاهدافها في النضال . فقد لقيت تأييدا واسعا من القرويين كما ان القرويين امدوا هذه العصابات بالمال والطعام (٣٧٨) .

ومع هذا فإنه على ما يظهر لم تستطع هذه العصاة تثوير القرويين على نطاق واسع (٣٧٩) ولم تلبث ان تضافرت عوامل متعددة ساهمت في ايقاف عمليات هذه العصاة . ومن هذه العوامل ان القيادة السياسية في فلسطين لم تتعاون معها ، كما ان الانجليز والفرنسيين - بسبب من خلفيات هذه العصاة الثورية ضد الطرفين - شنا عليها هجوما خلال الشهرين الاولين من عام ١٩٣٠ (٣٨٠) وتعتبر تقارير تيجارت صيف ١٩٣٠ نهاية لهذه العصاة (٣٨١) ، ففي هذه الفترة القي القبض على قائدها أحمد طافش ويظهر انه باعترافه انتهى نشاطها (٣٨٢) .

كما ان " جمعية المقاطعة " قامت ببعض الاغتيالات السياسية بصورة فعالة (٣٨٣) ، وكانت حملات عصاة القسام على بعض المستوطنات الصهيونية في شمال فلسطين في سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣٢ من أبرز معالم التصدي الفعلي للخطر الصهيوني . وكانت أكثر هذه الحملات وقعا واستثارا باهتمام الرأي العام هي تلك التي وقعت على مستعمرة نحلال في ديسمبر ١٩٣٢ ، واستخدمت فيها القنابل اليدوية . ولقد اعتقل في هذه الحملات رجلا من رجال القسام ، وهما مصطفى علي أحمد والغلاييني ، وقام الانجليز باعدام الاول والحكم بالسجن مدى الحياة مع الاشغال الشاقة على الثاني (٣٨٤) .

على ان هذه الصدمات العسكرية المحدودة الطابع والتي قامت بها العصابات في أماكن متفرقة من فلسطين وفي اوقات متفرقة لم تكن الا حرائق هبت وكانت بمثابة بوادر لصدام اكبر بدا على مستوى عام تقريبا في عام ١٩٣٣ واستمر مع مطلع عام ١٩٣٤ واخذ شكل ثورة مكتملة في عام ١٩٣٦ .

وتستوقفنا هنا انتفاضة اكتوبر ١٩٣٣ التي ادت اليها المقدمات التي اشرنا اليها . ففي ٨ اكتوبر ١٩٣٣ دعت اللجنة التنفيذية الى الاضراب العام ، والتظاهر يوم ١٣ اكتوبر بمدينة القدس ، ثم التظاهر دوريا بعد ذلك في المدن الفلسطينية الكبرى ، وقد جاء في ديباجة هذا القرار : " اعلان سخط الامة العربية في فلسطين على عبث الحكومة البريطانية بحقوق البلاد . . . كما انها لأول مرة قررت ، ان لا تخاطب الحكومة بشأن الترخيص بالمظاهرة او أية مظاهرة اخرى وان يعدلوا عن سياسة الاحتجاجات والخطب غير المجدية (٣٨٥) وعلى اية حال فقد تميزت هذه الانتفاضة التي بلغت قممها في مظاهرة يافا ٢٨ اكتوبر ١٩٣٣ بما يلي :

١ - أخذت طابعا شموليا ، شمل نواحي كثيرة في فلسطين ، وساهم بها الشباب بصفة خاصة وساهمت فيها معظم القيادات الوطنية وبعض القيادات العربية من خارج فلسطين . (٣٨٦)

٢ - تميزت هذه الانتفاضة بزخم ثوري كبير فالى جانب كونها أخذت طابع الاضراب العام فانها استمرت ستة أسابيع واصطدمت الجماهير في القدس بقوات السلطة البريطانية " والقت القنابل على البوليس كما فتح البوليس النار على الجماهير فوقع بها اصابات فادحة وزاد التوتر بزيادة عدد الوفيات بين المصابين واستؤنف خلال الليل اطلاق النار على القوات البريطانية . (٣٨٧)

ويصف عزة دروزة أحد المشاركين في هذه المظاهرات انتفاضة يافا بقوله : " كانت ساحة السراي كأنها ساحة حرب " لكثرة ما استجلبت السلطات من أفراد البوليس الذين يلبسون الخوذات ومن ورائهم صفوف الخيالة . (٣٨٨) ويعمم السكاكيني هذه الصورة السابقة على جهات فلسطين جميعها فقد سجل في مذكراته بتاريخ ١٩٣٣/١٠/٢٨ " لقد كانت فلسطين أمس واليوم ساحة حرب . مظاهرات في كل مكان ، هجوم على مراكز البوليس ، ومحطات السكك الحديدية . قتلى وجرحى بالآلاف . المستشفيات غاصة . والنفوس تضطرم غضبا وأما ماذا يحيى به الغد فعلمه عند الله . (٣٨٩)

٣ - كانت هذه الانتفاضة أول مواجهة حقيقية دامية ومباشرة وعامة بين العرب والانكليز . ومن هنا فقد اعتبرها المؤرخون منعطفا في تاريخ العلاقات العربية الفلسطينية مع بريطانيا بل أن هايمسون اعتبرها هي الفارقة أو الفاصلة بين عهدين . فقد قسم عهد الانتداب الى قسمين الاول قبل عام ١٩٣٣ والثاني ما بعد ١٩٣٣ . ويضيف الى ذلك " لقد كانت الطلقات التي انطلقت في اكتوبر ١٩٣٣ الاولى - من حيث اثرها - في الثورة العربية التي توجت في ثورة على مستوى الوطن جميعه ضد البريطانيين " . (٣٩٠)

ومهما يكن من أمر فان الدارس لممارسات هذه الفترة التي بلغت قمتها في انتفاضة اكتوبر ، لا ينبغي أن يغفل عن التسجيل لامر هام الا وهو ممارسة شباب فلسطين والذي امتد طوال عام ١٩٣٤ . فقد كان ازدياد خطر الهجرة حافزا للعرب لكي يقوموا بأنفسهم بحراسة سواحل البلاد . وقد قررت اللجنة التنفيذية لمؤتمر

الشباب الفلسطيني : " أن يقوم هؤلاء الشباب بحراسة السواحل والحدود لمنع تهريب المهاجرين اليهود . ومن أجل ذلك تكونت لجنة دعيت بلجنة حراسة السواحل والحدود " . وظلّ الشباب العربي يقوم بهذه المهمة قرابة الشهر . وقد تمكنت فرقهم خلاله من القاء القبض على اليهود المهجرين بطريقة غير قانونية في مناطق الحولة وحيفا وعكا والمجدل . (٣٩١)

وشبه بهذا الجهد العربي العملي ما قامت به جمعية العمال العرب بقيادة ميشيل متری من " تشكيل حاميات عربية " بهدف الحيلولة دون تشغيل العمال اليهود في المشاريع التي تنفذها أو تديرها سلطات الانتداب في المناطق العربية من فلسطين . ويظهر أن هذه الحاميات اتخذت العنف أسلوباً لتحقيق غايتها (٣٩٢) . كما أنها شملت بنشاطها كلا من القدس وحيفا ويافا مراكز الاحتكاك بين العمال العرب ونظرائهم اليهود . وقد عزا تقرير للقائم بأعمال المندوب السامي نشاط هذه الحاميات إلى أنه كان ردّ فعل لمواجهة أعمال الإرهاب التي يشنها العمال اليهود ، وأن الأمر تطور فظهر على المسرح السياسي لجان عمال عربية لأول مرة في نوفمبر ١٩٣٤ ، بمناسبة حلول ذكرى وعد بلفور ، حيث أضرب عمال النقل والمواصلات إضراباً شاملاً على صعيد فلسطين جميعها . (٣٩٣) .

حواشي الفصل الاول

- (1) من أجل الخلفيات الاجتماعية للمجتمع العربي في فلسطين انظر المصادر التالية :
- ١ - دروزة ، محمد عزة : العرب والعروبة في حوض التعلب التركي (دمشق ١٩٦٠) .
- ٢ - النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء - احوال عهد الاقطاع ج ٢ (نابلس ١٩٦١)
- ٣ - Mrs. Finn: M.R.A.S: Palestine Peasantry (Marsnall brothers, Ltd, 1923).
- ٤ - السكاكيني ، خليل : كذا انا يا دسا ، يوميات خليل السكاكيني ، اعدتها للنشر ، هالة السكاكيني (القدس ١٩٥٥)
- ٥ - ندران ، سبل : التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني (بيروت : مركز الابحاث ١٩٦١)
- (٢) المصدر : المصدر ذاته (نابلس ١٩٦١) ج ٢ ص ١٥٨ .
- (٣) Porath, Y: The emergence of the Palestinian National Movement. - Frank Cass: London, 1974. p.12.
- Ibid. (٤)
- Ibid. (٥)
- Ibid. (٦)
- Hurewitz, J.C: The Struggle for Palestine (New York (٧) 1968) p. 58
- Porath: op.cit. Vol.I, p.13 (٨)
- (٩) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠٥ .
- Porath: op.cit. Vol:I, p. 14. (١٠)
- (١١) المرغوثي : عمر صالح : " الاقطاع في فلسطين " مجلد العرب - ٢٣/٢/١١ - قارن دروزة : " العرب والعروبة ص ١٣٨ وما بعدها عن العائلات الفلسطينية .

(١٢) الكوكب ١٨/٦/١٩١٨ .

Al-Nashef, Taysir: Political Elite in Palestine, (١٣)
unpublished thesis (Ph.D) University of New York
(1974) pp. 86, 88

Surewitz: op.cit.: p. 35 (١٤)

(١٥) بدران نبيل : المصدر السابق ص ٥٠ .

Mrs. Finn: op.cit.: pp. 19-44. (١٦)

(١٧) جريسي ، صبرى : تاريخ الصهيونية (مركز الابحاث - بيروت ١٩٧٧) ج ١
ص ١١٣ .

(١٨) غنيم : عادل حس : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ - ١٩٣٦
(القاهرة ١٩٣٦ ص ٢٨١) .

(١٩) السكاكيني : المصدر السابق ص ١٦٦ .

Quandt: " Political & Military Dimensions of (٢٠)
Contemporary Palestinian Nationalism" in
Quandt B William, Jaber Fuad, Lesh, Ann Mosley,
The Politics of Palestinian Nationalism(
Berkely, Los. Ang. London, 1973).

(٢١) دروزة : العرب والعروبة ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢٢) عن القومية العربية وتطورها : انظر المصادر التالية :-

أ - Antonius, George : The Arab Awakening (London -
1961)

ب - توفيق برو : العرب والترك في عهد الدستور العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤
القاهرة ١٩٦٠ .

ج - دروزة ، محمد عزة : حول الحركة العربية الحديثة (صدا ١٩٥٩) .

د - Z.NZeine: The Struggle for Arab Independence (-
Beirut 1960).

(٢٣) زعيتر ، أكرم : القضية الفلسطينية (القاهرة ١٩٥٥) ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢٤) دروزة : حول الحركة " ج ١ ص ٢٧ .

(٢٥) قارن برو : المصدر السابق ص ٣١٩ .

Antonius, op.cit., p. 189 (٢٦)

(٢٧) وهم علي عمر النشاشيبي من القدس ، واحمد عارف الحسيني وولده ، مصطفى من غزة ، وسليم عبد الهادي من نابلس ، وسيف الدين الخطيب من حيفا ومحمد الشطي من يافا .

Antonius: op.cit. pp. 157-159 (٢٨)

Kimche, Jon: Palestine or Israel, The Untold Story Why We Failed (London, 1973) p. 169. (٢٩)

فان ايضا جانا : محمد توفيق : الشهادات الساسة امام اللحد الملك في فلسطين (دمشق ١٩٢٧) ص ١٧٥ ، ١٩١ .

(٣٠) الحسيني ، محمدا مين : حقائق عن قضية فلسطين (القاها ١٩٥٤) ص ١٢٧ .

(٣١) السنقرى : عيسى : فلسطين العربية بين الاعداء واليهود (يافا ١٩٢٧) ص ٢٧ .

Government of Palestine: A Survey of : انظر مثلا : (٣٢)
Palestine Prepared in Dec., 1945 & Jan.,
1946 ... for the Anglo-American Commission
of Inquiry (hence Survey) Vol: I p.945.

الذي يذكر ان "لم يكن حزب سياسي في فلسطين الى ما بعد الاحتمالات الاحليزي وانظر ايضا Hurewitz: op.cit. p.54 الذي يذكر ان المعارضة العامة للصهيونية وضعت القاعده الرئيسة للمقاوم المسحين الاسلامي في الحركة القومية وانظر ايضا نغبريا لكلاسون : " لا ارال المسلمون متوترى الاعصاب بسب تقدم الحركة الصهيونية وهالك دلائل تشير الى ان المسلمين يفكرون بان السلطات البريطانية تعزم اقامة حكومة يهودية ولكنهم يعتقدون ان فرنسا ستتدخل وتعارض اقامة دولة صهيونية . ويشارك المسيحيون المسلمين محاولتهم . ففي يافا يوجد حركة في صفوف المسلمين والمسيحيين ترمي لتعيين لحد رسمه للشهر على صاحب المسيحيين والمسلمين - انظر الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث (سروك ١٩٧٠) ص ١٠٨ .

Porath: op.cit., Vol: I, P. 35. (٣٣)

Clayton to Sykes 15.6.18 Fo 800/221. (٣٤)

(٣٥) انظر دروزة : (الذى كان أحد كبار العاملين في هذه العترة في دمشق ، من منطلق قومي عربي أصيل) " حول الحركة " ج ٣ ص ٧٠ وما بعدها .
قارن أيضا الغورى ، اميل : فلسطين عمر ستس عاما ج ١ (بيروت - ١٩٧١)
ص ٢١ - ٢٤ .

(٣٦) دروزة : المصدر ذاته ج ١ ص ٧٠ .

(٣٧) انظر السعيد ، امين : الثورة العربية الكبرى (القاهرة ١٩٣٤) ج ٢ ص ٣٦
٣٧ ومن بين هؤلاء الذين احتلوا مراكز رفيعة : عيسى العيسى ، رشيد
ديوان الامارة ، وعوني عبد الهادي ، امين السراسي ، واحمد فدرى
طبيب الامير الخاص ، وصحي الخضرا ومحمد علي الصمعي (الام العام)
والشيخ سعد الكرمي عضو المجمع العلمي .

(٣٨) انظر عن هذا المؤتمر ، السكاكيني : المصدر السابق ص ١٦٤ - ١٦٥ .

وقارن أيضا : Porath: op.cit: Vol:1,pp. 80-81.

(٣٩) انظر عن تغلب الاتجاه القومي على الاتجاه العنطسي ، احد مذكرات
السكاكيني التي تصور الصراع بين انصار النادى العربي من جهة والجمعيات
الاسلامية المسيحية ، الاول مع الاتجاه الاول ، والثانية مع الاتجاه الثاني :
" ونحن ندعو الى الجامعة العربية (الوحدة العربية) واعمار فلسطين
جزءا منها واعتماد صاحب السمو الامير فيصل كمثل للجامعة العربية في
مؤتمر الصلح مما هو راي الجمعية ؟ الرأى العالب من الجمعية الاسلاميه
المسيحية (بالقدس) ان تطلب الجمعية الفلسطينية (اى المؤتمر) من
مؤتمر الصلح حق اختيار الحكومة التي تريدها اسورة سوريا . وهالسنك
فريق آخر يرى ان تطلب ان تكون فلسطين للعنطسيين . وكلا الرأىين
فاسد لانهما يعنيان فصلنا عن الجامعة العربية " المصدر السابق ص ١٦٤ -
١٦٥ .

(٤٠) انظر السفري : المصدر السابق ص ٣٥ - ٣٧ قارن ايضا Antonius

op. cit:p.312 الذى اطلق على هذا العام عام النكه ثم اطر كذلك
دروزة : حول الحركة

(٤١) الغورى ، اميل : المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين ومحو العرب (ط ١
القاهرة ١٩٥٥) ص ٥٦ .

(٤٢) Newton, Francis: Fifty Years in Palestine (London, 1948) p. 127.

- Porath, op.cit.: Vol:I,p.32 (٤٣)
- (٤٤) الكوكب ١٩١٨/٦/٤ انظر : حله . كامل : فلسطين والاسداب البريطاني
(مركز الابحاث - بيروت ١٩٧٤) ص ١٢١ .
- Porath: op.cit.: Vol: I,p.32 (٤٥)
- Clayton to Foreign Secretary, 25-8-1918, Fo (٤٦)
382/3391.
- Porath: op.cit.: Vol: I,p.32 (٤٧)
- (٤٨) انظر اوراق اكرم زعبي في مركز الدراسات الفلسطينية - بيروت - وثيقة
رقم ١ من الدفعة الثانية .
- (٤٩) اوراق اكرم زعبي : وثيقة رقم ١ من الدفعة الثالثة .
- (٥٠) المصدر ذاته .
- (٥١) فلسطين ١٩١٩/٢/١٣ .
- (٥٢) اوراق اكرم زعبي : وثيقة رقم ١ من الدفعة الثالثة .
- Porath: op.cit., Vol:I pp. 274-275. (٥٣)
- (٥٤) عيم : المصدر السابق ص ١٥٩ .
- High Commissioner (hence H.C.) to Colonial (٥٥)
Office(hence Co.),4 Aug.,1922,Co 733/24
The Political Report of July 1922.
- Porath: op.cit., Vol:I,p.284 (٥٦)
- Porath: op.cit., Vol: Ip.108 (٥٧)
- (٥٨) الجزيرة ١٠ تموز ١٩٢٤ - انظر عيم : المصدر السابق ص ١٥٧ .
- (٥٩) الخالدي : الدكتور حسين محري : اوراق حاصه غير منشوره / موجوده لدى
اسمه ليلى الخالدي الحسيني في بيروت) ص ١٥٩ .
- (٦٠) المصدر ذاته : ص ١٥٩ .
- Porath:op.cit., Vol: I p. 275. (٦١)
- Setton Williams,M.V.: Britain and the Arab
States: A Survey of Anglo-Arab Relations,
1920-1948(London: Lusac: 1948)p.126.

- (٦٢) انظر رسالة هريوت صموئيل الى موسى كاظم بأن اعطاء المؤتمر السادس
 " ليسوا بأية صفة ممثلين للسكان في H.C. to Musa Kazim Al
 Husayni 21/12/1920.
 انظر أيضا تقرير الاحقا يذكر ان الحكومة تلقت عددا من البرقيات من
 جهات مختلفة من فلسطين تؤكد الصفة التمثيلية للمؤتمر .
 Sir H. Samuel to Fo 1/2/1921 Fo 371/6374.
- انظر أيضا دفاع الجامعة العربية عن الصفة التمثيلية للحد السعدي
 بتاريخ ١٩٢٤/١/٣١ .
- (٦٣) انظر الملحق ١٤ من الجمعية الاسلامية المسيحية وقانونها العام في حله :
 المصدر السابق ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .
- (٦٤) الملحق نفسه ص ٥٢٦ .
- (٦٥) السكاكيني : المصدر السابق ص ١٦٤ - ١٦٥ . فارس الكالي : المصدر
 السابق ص ١٢٥ .
- (٦٦) كان هذا على الرغم من قانون الجمعية الاسلامية المسيحية الذي نص على
 أن " تلتئم الجمعية الادارية مرة كل شهر التثاماً تاماً " انظر الملحق السابق
 ص ٥٢٦ .
- (٦٧) الجزيرة ٢٤ - ١٥ أيار ١٩٢٤ ، ٢٦ حزيران ١٩٢٤ انظر عم : المصدر
 السابق ص ١٥٨ .
- (٦٨) ياسين ، عبد القادر : كفاح شعب فلسطين قبل العام ١٩٤٨ (مركز
 الابحاث - بيروت ١٩٧٥) ص ٢٨ .
- (٦٩) الخالدي : المصدر السابق ص ١٦٠ .
- (٧٠) السكاكيني : المصدر السابق ص ١٣٨ .
- (٧١) الخالدي : المصدر السابق ص ١٦٠ - ١٦١ .
- قارن بما يقوله الحافظ ، ياسين " من وعد بلغور الى قيام الدولة " نور
 التاخر العربي في تاسيس اسرائيل - شؤون فلسطينية العدد ٨١/٨٢
 (اغسطس) ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ص ١١ - ١٢ .
- (٧٢) Porath: op.cit, Vol: I, p.74.
- (٧٣) من هؤلاء محمد العفيفي والشيخ يوسف ياسين ، الشيخ حس أبو السعود
 وابراهيم سعيد الحسيني . " الكوكب ١٩١٨/١٠/١٠ انظر حله : المصدر
 السابق ص ١٢٠ .

- (٧٤) الكوكب: ١٩١٨/٨/٢٧ - ١٩١٨/١١/٢٦ انظر خله: المصدر السابق ص ١٢١ .
- (٧٥) Porath: op.cit., Vol:I, p.75
- (٧٦) السفري: المصدر السابق ص ٣٥ يذكر شكتان Schectman في كتابه عن المفتي أن هذه الحريضة كانت وسيلة جيدة لوضع المفتي تحت الاضواء .
- (٧٧) Schemctman: The Mufti & the Führer. - New York:1964) p. 18
Kimche: op.cit., p.74
- (٧٨) السفري: المصدر السابق ص ٣٥ .
- (٧٩) Porath: op.cit., Vol: Ip.74
- (٨٠) الكيالي: المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣ .
- (٨١) Porath: op.cit., Vol: I, p.142
- (٨٢) Porath: op.cit., Vol: I, p.79.
- (٨٣) الكيالي: المصدر السابق ص ١٤١ .
- (٨٤) Porath: op.cit., Vol: I, p.90.
- (٨٥) Ibid., p.129
- (٨٦) Kimche: op.cit., p.189.
- (٨٧) السعيد . امين: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣ . يذكر أن هذه الجمعية (الفدائية) تآثرت كثيرا بشخصية الحاج امين وان اعضاؤها كانوا يسمون ان يفدوه بحياتهم . انظر: Porath: op.cit., Vol:I, p.129.
- (٨٨) دروزة: " حول الحركة " ج ٣ ص ٩١ قارن بما هو مكتوب عن هذا النادي في بورات الذي يذكر " بان النادي العربي اصبح اهم جمعه سانه بالنظر لصفته التنظيمية ونشاطه السياسي " Porath: op.cit., Vol:I p.87.
- (٨٩) المصدر ذاته ص ٤٣ قارن ايضا بما هو موجود في السفري . المصدر السابق ص ٣٤ .
- (٩٠) Kimche: op.cit., p.201
- (٩١) السكاكيني: المصدر السابق ص ٨١ الذي يقول فيه: " بل ما ادكره بالسزور العظيم اني مع اعترالي اكاد اصبح زعيم الحركة العربية . كعسى اني داع لفكرة الجامعة العربية التي تكاد تتغلب على كل مذهب آخر . وقد عرف الجميع انها فكرتسي " .

(٩٢) المصدر ذاته ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٩٣) فلسطين ١٩١٨/٤/٢٥ .

(٩٤) Cohen, Aharon: Israel & the Arab World (London 1970) p. 147.

(٩٥) Kimche: op.cit, p.175.

(٩٦) انظر خطاب الشيخ راغب ابو السعود الدجاني في :-

Ingrams, Doreen(ed): Palestine Papers 1917-1922: Seeds of Conflict (London, 1972) p.25.

(٩٧) يقول جورج انتونيوس عن هذه المراسلات ما نصه : انها يمكن اعتبارها

اكثر وثيقة دولية في تاريخ الحكومة القومية العربية . فهي تحسوى على التعهدات التي اذنت العرب بالدخول في الحرب بحوره علىه التي حاب الحلفاء . والى يومنا هذا تعتبر الشاهد الاساسى الذى به سبهم العرب

البريطانيين بالنكث في عهودهم Antonius: op.cit, p.

قارن أيضا بقول فريديمان الذى يذكر " ان العرب كسوا المحاكمارا

الخاصة بهم Friedman, Iasiah: The Question of Palestine 1914-1918(London) 1974 p. 72.

(٩٨) Porath: op.cit, Vol: I, p.53

(٩٩) السكاكيني : المصدر السابق ص ١٨٦ .

(١٠٠) انظر ما جمعه منها عبد الهادى الكيالسي . في : وثائق المقاومة الفلسطينية

العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (مؤسسه الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٥٨) .

(١٠١) انظر هذا الاحتجاج في السفري : المرجع السابق ص ٣٧ والذى جاء فيه " لا

تتخلى عن مطالبنا المنحصرة في استقلال سوريا المتحدة من طوروس الى رفح ونرفض الهجرة الصهيونية رفضا باتا وعدم فصل فلسطين عن سوريا " .

انظر بيان المؤتمر العربى الفلسطينى الاول بتاريخ ١٩١٩/٢/٣ من على محمد علي ملف وثائق واوراق القضية هيئة الاستعلامات (القاهرة) .

ج ١ ص ٢٤٩ . كذلك انظر تقرير موسى كاظم الحسينى الى المدون السامى

في ١٩٢٠/١٢/١٨ .

(١٠٢) 'السفري : المصدر السابق ص ٢٨ .

Marlowe, John: Seat of Pilate (London, 1959), (١٠٣)
p.80.

Bentwitch, Norman and Helen: Mandatory Memories (١٠٤)
1918-1948(Great Britain) p.61.

قارن بما هو مكتوب عن هذه المظاهرة في كفاي . عمان . " ثورة

١٩٢٦ - ١٩٢٩ في فلسطين . خلفيات وبفاصيل وحاليل في سواور

فلسطينية عدد ٦ - يناير ١٩٥٧ ص ٥٧ .

Ingrams, op.cit., p.120 (١٠٥)

Palin report p. 93, Fo. 371/5121 (١٠٦)

تشكل انتفاضة ابريل ١٩٢٠ معلما بارزا من معالم تطور النضال الفلسطيني

من اجل مزيد من الاطلاع على دوافعها ووقائعها انظر دروره " حول الحركة

ج ٣ ص ٢٧ .

کرد علي محمد : حطط الشام (دمشق ١٩٢٥) ج ٣ ص ٢٢٠ . ومقال لامل

Mrs. Newton:

Op.c.it. p. وكذلك . ١٩٢٩/٨/٢١ . وكذلك . ١٣٣-١٣٥ .

Porath: Op.cit. Vol: I, p.96 (١٠٧)

انظر العوري : " فلسطين " ج ١ ص ٥١ - ٥٢ .

السفري : المصدر السابق ص ٤٧ .

Porath: op.cit. p. 130 (١٠٩)

Kimche: op.cit. p.175 (١١٠)

دروزة : " حول الحركة " ج ٣ ص ٦٩ - ٧٠ .

انظر يعقوب محمد حافظ : نظرة جديدة الى العصاة الفلسطينيين

(بيروت ١٩٧٢) ص ٧٠ .

فاسمية ، خيرية " تطور الحكومة العربية في دمشق " في سواور

فلسطينية " (بيروت مارس ١٩٧١) ص ١٦٨ .

انظر اوراق اكرم زعيترو وثيقة ، دعدة ثانياه . (١١٤)

Sykes, Christopher : Cross Roads to Israel, (١١٥)
(London 1965) p. 50.

SIS Intelligence Summary Fo 371/8998. (١١٦)

Ibid., (١١٧)

اوراق اكرم زعيتر : وثيقة رقم ٢ دفعة ٢ . (١١٨)

لسان العرب : ٢٦ آب ١٩٢٢ . (١١٩)

Miss Newton: op.cit. p. 178 (١٢٠)

السفرى : المصدر السابق ص ٨٨ . (١٢١)

Cmd. 1700, June 1922, p.2 (١٢٢)

Sykes: op.cit. p.51 (١٢٣)

Ingrams: op.cit., انظر عنهم : (١٢٤)

الاهرام ١٠/٢/١٩٢٢ . (١٢٥)

Porath: op.cit., Vol:I, p.131. (١٢٦)

Marlowe: op.cit. p.121. (١٢٧)

Ibid., (١٢٨)

Ingrams: op.cit. p. 149 (١٢٩)

انظر رواية شبلي الجمل في المقطم ٧ فبراير ١٩٢٩ والتي قال فيها (١٣٠)

وايزمن بهلجة عدوانية متعالية " وجود اليهود في فلسطين حق لا محذور ..

والويل كل الويل لمن تحدته نفسه بمعارضتنا في حفا او الوهوف في وحها "

Furlonge, G: Palesstine... is my Country, the (١٣١)
Story of Musa Alami, (London, 1969) p.80.

Sykes: op.cit. p.74 (١٣٢)

الكرمل : ٩ مارس ١٩٢١ . (١٣٣)

Cmd, 1700 June 1922. (١٣٤)

الكرمل : ١٤ ديسمبر ١٩٢١ . (١٣٥)

الكرمل : ١٤ ديسمبر ١٩٢١ . (١٣٦)

انظر عن قرارات هذه المؤتمرات وبشكل خاص المؤتمر الثالث (١٣٧)

" الاهرام " ١٨/٢/١٩٢٠ وكذلك الكرمل ٨ نيسان ١٩٢١ التي اوردت

مذكرات موسى كاظم الحسيني واشتملت على توصيات هذا المؤتمر ومنها :

١ - الغاء قاعدة الوطن القومي اليهودي .

٢ - تاليف حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس سايي ستحمه اهالي

فلسطين الذين كانوا فيها قبل الحسرب " .

Kinche: op.cit, p. 88.

(١٣٨)

انظر هذا القسم في امين السعيد : المرجع السابق ج ٣ ص ٥٦ . (١٣٩)

من أجل فهم وجهة نظر الوطنيين في رفضهم للمجلس النسريري . (١٤٠)

انظر رد الوفد الاول على اقتراح البريطانيين يقول في

Cmd 1700 June 1922. p. 2.

وانظر ايضا الحسيني : المصدر السابق ص ٤٠

Porath: op.cit, Vol: I, p. 152 (١٤١)

Porath: Op.cit, Vol: I, p. 153 (١٤٢)

انظر المقال في الكرمل ٢٤ فبراير ١٩٢٣ وانظر ايضا في الكرمل (١٤٣)

في اعداد مختلفة اخبار مقاطعة الانتحارات . والتي يدل على أن

الانتحارات كانت ظاهرة رائعة من التضامن والرفض للمبروريات

الانكليزية .

انظر نص المضطحة في " الكرمل " ١٠ فبراير ١٩٢٣ . (١٤٤)

Porath: op.cit, Vol I, p. 156 (١٤٥)

الكرمل : ٧ مارس ١٩٢٣ . (١٤٦)

فلسطين : ١٩٢٣/٦/٢٩ . (١٤٧)

درورة : حول الحركة ج ٣ ص ٣٩٠ . (١٤٨)

انظر : السعيد : المصدر السابق ج ٣ ص ٥٦ - ٥٧ فارن السعري (١٤٩)

بالمصدر السابق من ٥٦ . وانظر الكرمل من أجل ترفيه الموتر

السادس والمعبرة عن هذا الرفض - الى الحكومة البريطانية .

انظر تقرير المندوب السامي الى وزير المستعمرات والذي تحدث (١٥٠)

عن اثر اللجنة التنفيذية في انسحاب أعضاء المجلس الاسارى

H.C. to Co Political Report for June, 1923.

قارن ايضا بدرورة " حول الحركة " ج ٣ ص ٤٠

Marlowe: op.cit, p. 94. (١٥١)

يعتبر كاتب سيرة موسى العلمي اقتراح تكوين الوكالة العربية " تسي "

قريب من الاهانة لان فلسطين كانت بلادا عربية وكان اليهود

انظر : Forlonge: op.cit. p.84

Marlowe: op.cit. p.95 (152)

Sykes: op.cit. pp. 54,83,124. (153)

Harkabi, Yehoshavat: Time Bomb in the (154)
Middle East. (Friendship Press, N.Y.,
1959) p. 19.

Quandt: op.cit. p. 28 (155)

من هؤلاء المؤرخين المعاصرين للاحدات نفسها ومن المؤرخين (156)

الشباب عند الوهاب الكيالي واجبي علوي وكامل جلد .

Hirst, David: The Gun & the Olive Branch (157)

the Roots of Violence in the Middle East,

(London Faber & Faber 1977), P. 59 (158)

Porath: op.cit. Vol: I, p. 135

Machover, J.M: Governing Palestine, (159)

The Case against a Parliament (London (160)
1936) p.37.

Kimche: op.cit. p. 203

Porath: op.cit., Vol: I, p.32 (161)

الكيالي : المصدر السابق ، ص 210 (162)

اظر رسالة وايزمن الى وزير المستعمرات البريطاني نشر في عام (163)

1921 والتي يقول فيها " هالك حلف طسعي بل عائل من

المصالح قام تقريبا بين الصهيونية وبريطانيا "

توما ، اميل : حدود القضية الفلسطينية (مركز الابحاث - بيروت

1974) 9 124

Conen: op.cit. p.211 (164)

ليس افضل من Ingrams كمرجع يحاول ان يرصد المواقف (165)

المتقابلة والطرح وضده من اجل الصيرورة التي آلت اليها امور

فلسطين في الايام الاولى للغزوين الصهيوني والبريطاني .

Ingrams: op.cit. ,: pp. 44,83,85.

- Marlowe: op.cit., p.103 (177)
- Hirst: op.cit., p. 61 (178)
- Porath: op.cit., Vol:Ip.102. (178)
- Ibid. (179)
- الكورنيل ١١ أبريل ١٩٢٥ (170)
- Hurewitz: op.cit., p.51. (171)
- قارن الحافظ : المصدر السابق ص ٩
- H.C. to CO 13 April 1923, The Political Report for March 1923. CO 733/44. (172)
- H.C. to CO Political Report for June 1922, Co 733/23 (173)
- Ibid. (174)
- Hirst: op.cit., p. 61 (175)
- Marlowe: op.cit., p. 102 (176)
- H.C. to CO 13 Aug., 1924 CO 733/389 Political Report for July 1924. (177)
- H.C to CO 25 Feb., 1925 CO 733/389 Political Report for Jan. 1925. (178)
- Weizman, C: Trial & Error, the Autobiography of Chaim Weizmann, (London, 1950)p. 366. (179)
- Sykes: op.cit., p. 95 (180)
- Peel Report Cmd. 5479, London-July 1937, p.85. (181)
- Porath: op.cit., Vol: I, p.215 (182)
- (183)
- قارن العارف ، عارف : تاريخ القدس (القاهرة ١٩٥١) ص ١٤٧
- انظر دروزة : " القضية " ج ١ ص ٥١ - ٥٢ (184)
- قارن الشقيري : " المصدر السابق " ص ١٣١
- دروزة : المصدر ذاته ، ج ١ ص ٥٦ (185)
- الشورق : ١٢ يونيو ١٩٢٩ (186)

- (١٨٧) علي، محمد علي : ملف وأوراق القضية الفلسطينية (هذه الاسفلامات القاهرة
- (١٨٨) دروزة : القضية ج ١ ص ٥٤
- (١٨٩) SIS Intelligence Summary 31 Jan, 1923
FO 371/8998
- (١٩٠) ملف وثائق فلسطين ج ١ ص ٤٨٤
- (١٩١) مجلة الزهرة " العدد ٧ - ٨ السنة الحامد ، انظر علوم باحث
المقاومة العربية في فلسطين (مركز الاحاب - بيروت - ١٩٦٧)
ص ٥٤ - ٥٣
- (١٩٢) الجزيرة ١٩٢٤/٥/٢٩ ، انظر حلة : المصدر السابق ص ٢٤٤
H.C. to CO, June 1924, CO 733/69 Political (192)
Report for May 1924.
- (١٩٤) Kisch: P.H. Palestine Diary, (London,
1983) p. 146.
- (١٩٥) Hurewitz op. cit, p. 52-53.
قارن بدران : المصدر السابق : ص ٨٣
- (١٩٦) Kimche: op.cit, p. 203
- (١٩٧) عن بروز نجم الحاج امين الحسيني انظر :
أ - خدوري ، محيد : عرب معاصرون ، ادوار القادة في الساسه
(بيروت - الدار المتحدة للنشر ١٩٧٣) ص ١٣١
ب - Pearlman, Maurice: Mufti of
Jerusalem, The Story of Haj Amin el Husse-
ini (London; Victor Collanez 1947) p. 10.
- ج - Norman Bentwitch: op.cit, p. 162.
- د - Hurewitz: op.cit, p. 53
- هـ - Porath: op.cit, Vol: I pp. 184-
207.
العارف المصدر السابق ص ٢٧٦ (١٩٨)
- (١٩٩) Hurewitz: op.cit, p. 53
- (٢٠٠) Peel Report: op.cit., p181
- (٢٠١) Hurewitz: Ibid., p. 54.
- من اجل ان ندرك اهمية مناسبة النبي موسى براجع تقارير المندوب

السامي ودائرة التحقيقات الجنائية في دائرة السجلات البريطانية
توما : المصدر السابق ١٥٠

Hurewitz: op.cit., p. 53 (٢٠٢)

Hurewitz: op.cit., p. 102 (٢٠٣)

Sykes: op.cit., p. 123 (٢٠٤)

Ibid., (٢٠٥)

السفري : المصدر السابق : ص ٥٣ (٢٠٦)

الكرمل : ١٩٢٢/١/٤ (٢٠٧)

الغسوري : فلسطين ج ١ ص ٨١ (٢٠٨)

Sykes: op.cit., p.123 (٢٠٩)

قارن بالذي يقول بوراث انه ليس كل ابناء العاطل من عطفه واحدة

Porath: op.cit., Vol: I p.155.
Marlowe: op.cit., p. 103. (٢١٠)

دروزة : القضية ج ١ ص ٥٣ (٢١١)

H.C. to CO 10 May 1922- Political Report (٢١٢)

for April 1922 CO 733/21; compare to (٢١٣)

Porath: op.cit., Vol: I pp. 215-216.

SIS Intelligence Summary 31 January 1923,
FO 371/8998.

Porath: op.cit., pp.216. (٢١٤)

الغسوري : المواقرة الكبرى ، ص ٦٢ (٢١٥)

دروزة : القضية ج ١ ص ٤٦ (٢١٦)

الغسوري : المواقرة الكبرى ص ٦٢ (٢١٧)

Kisch: op.cit., pp. 88-150. انظر مثلا (٢١٨)

Porath: op.cit., Vol: I p. 230. قارن

توما : المصدر السابق ص ١٥٨ (٢١٩)

Porath: op.cit., Vol:I,p.211 (٢٢٠)

انظر الكرمل ٢٦٠ يناير ١٩٢٤ (٢٢١)

الغسوري : المواقرة الكبرى ص ٦٤ (٢٢٢)

- (٢٢٣) انظر بيان جمال الحسيني حول الاحزاب والحركة الوطنية عام ١٩٢٤ في الملحق رقم ٢٥ - خلة : المصدر السابق ص ٥٤٤
- (٢٢٤) Porath: op.cit, Vol:Ip.216
- (٢٢٥) Ibid., p. 229
- (٢٢٦) Kbid., pp. 226-228
- (٢٢٧) SIS Intelligence, 31 Jan, 1923, FO 371/8998.
- (٢٢٨) Kisch: op.cit, p. 134
- (٢٢٩) Porath: op.cit, Vol. I, p. 229
- قارن الغوري : المواءمة الكبرى ص ٦٢
- (٢٣٠) دروزة : القضية ج ١ ص ٤٨
- (٢٣١) Kisch: op.cit, pp.50,53,73.
- (٢٣٢) H.C. to CO 21 Nov., 1924 Political Report of Oct., 1924 CO 733/75.
- (٢٣٣) H.C to CO 25/1/1924 CO 733/63
- (٢٣٤) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣
- (٢٣٥) انظر بيان تاسيس الجمعية الاسلامي في القدس (١٩٢٢) ص الملحق رقم ٣٠ ، الموحد في خلة : المصدر السابق
- ص ٥٣٩ - ٥٤٠
 Palestine a Study of Jewish, Arab, and British Policies . Published for ESCO Foundation for Palestine (London, 1947) hence ESCO Vol: II, p. 968.
- (٢٣٦) H.C to CO Political Report for Oct., 1921 CO 733/77
- (٢٣٧) الكرميل ١١ / ٦ / ١٩٢٤
- (٢٣٨) H.C to CO 14 Dec., 1923, CO 733/52 Political Report for Nov., 1923.
- (٢٣٩) Porath: op.cit., Vol: Ip. 223.
- (٢٤٠) النظام ١١/٩/١٩٢٣ . انظر خلة : المصدر السابق ص ٢٣٩ .
- (٢٤١) الكرميل : ١٩٢٤/٤/٤
 H.C to CO 19 Oct., 1923 CO 733/50 Political Report for September.
- (٢٤٢) قارن بتقرير آخر للمندوب السامي
 H.C. to CO 12 Dec., CO 733/76 Political Report For Nov., 1923.

- (٢٤٣) فلسطين : ١١/٨/١٩٢٥
- (٢٤٤) جانا : المصدر السابق ص ١٧٠
- (٢٤٥) الصراط المستقيم ٩٧ / ٩ / ١٩٢٥ أنظر عسم : المصدر السابق
ص ١٧٥
- (٢٤٦) Porath: op.cit, Vol: I, p. 190,219.
- (٢٤٧) دروزة : القضية ج ١ ص ٥٢
- (٢٤٨) المصدر ذاته ج ١ ص ٥٣
- (٢٤٩) الغوري : فلسطين ج ١ ص ٩٤ . من هذه الصحف التي يذكرها
الغوري مرآة الشرق والصراط المستقيم والنفير ويشه الغوري حملاتها
بانها ، كانت مماثلة لتلك التي قام بها الاحليز واليهود .
- (٢٥٠) H.C. to CO 14 Dec., 1923 CO 733/52 Political
Report for Nov., 1923.
- (٢٥١) الكرمل في اعداد متفرقة
- (٢٥٢) المقطم ١٨/١١/١٩٢٣
- (٢٥٣) الكرمل ٢١ يونيه ١٩٢٤
- (٢٥٤) الكرمل ٢٢ اكتوبر ١٩٢٤
- (٢٥٥) H.C to CO 21 Nov., 1924 CO 733/75 Political
Report for Oct., 1924.
- (٢٥٦) الكرمل ١٩ يوليه ١٩٢٤ .
- (٢٥٧) الكرمل ، ١٣ اغسطس ١٩٢٤ .
- (٢٥٨) الاهرام ، ٣١ / ٥ / ١٩٢٤
- (٢٥٩) الكرمل ، ٣١ مايو ١٩٢٣ .
- (٢٦٠) الكرمل ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ .
- (٢٦١) المقطم ١٢ / ١١ / ١٩٢٦

- (٢٦٢) دروزة : الفصية ج ١ ص ٥٤ .
- Porath: op.cit., Vol : I, p. 236 (٢٦٣)
- Porath: op.cit, Vol: I, p.239. (٢٦٤)
- نفس جمال الحسيني هذه التهمة انظر فلسطين ١٩٢٧/٢/٤ .
- Ibid., p. 239 (٢٦٥)
- الشنوري ١٩٢٦/١٢/٢ . (٢٦٦)
- خلة : المصدر السابق ص ٢٧٦ . (٢٦٧)
- Porath: op.cit, Vol: I, p.240. (٢٦٨)
- فلسطين ١٩٢٦/٧/٣٠ . (٢٦٩)
- دروزة : القضية ج ١ ص ٥٨ (٢٧٠)
- انظر نص المذكرة كاملا في ملاحق دروزة : العصد ص ٢٨٧ . (٢٧١)
- المصدر ذاته ص ٥٨ (٢٧٢)
- علوش : المصدر السابق ص ٦٠ (٢٧٣)
- دروزة : القضية ج ١ ص ٥٩ (٢٧٤)
- H.C to CO 12/6/1929 CO 733/167 (٢٧٥)
- H.C to CO 14/6/29 CO 733/126 (٢٧٦)
- Porath: op.cit., Vol: I, p.257. (٢٧٧)
- ()
- توما : المصدر السابق : ص ١٩٠ (٢٧٨)
- عن احداث هذه الهبة انظر : (٢٧٩)
- أ . السعيد : المصدر السابق ص ١٠٢ ، ١٠٣
- ب . العوزي : المؤامرة الكبرى ص ٦٨
- ج . الكيالي : المصدر السابق ص ٢٤٠ - ٢٤٢
- د . السفري : المصدر السابق ص ١٦٠
- هـ . صدقة : المصدر السابق ص ١٦٠
- توما : " جذور القضية " (ط ، الناصرة) ص ١٦٣ . ١٦٤ (٢٨٠)
- السفري : المصدر السابق ص ١٦٠ (٢٨١)
- الاهرام ٥ سبتمبر ١٩٢٩ . (٢٨٢)

- (٢٨٣) الجامعة العربية : ١٣ آب ١٩٣٠ .
- A. Report of the Commission of Palestine Disturbances of Aug., 1929, London 1930. (٢٨٤)
Cmd 3530 p. 124
- B. Hope Simpson Report, Cmd 3686, pp. 131-6. (٢٨٥)
انظر نص الكتاب في :
- Hansard Parliamentary Debates, Commons, 5th Series Feb., 13, 1931, Vol. 244, cols. 749-755. (٢٨٦)
انظر مثلاً رسالة الوفد الفلسطيني الذي زار بريطانيا عام ١٩٣٠ المدون السامي في دروزة القضية ج ١ ص ٧٠ - ٧١ . وانظر أيضاً رسالة المدون السامي التي تصف شعور الطبقات الاولى وكان الارباب هي :
- H.C to CO 9/10/1929, CO 733/163.
- (٢٨٧) الاهرام : ٢٨ اغسطس ١٩٢٩ .
- (٢٨٨) السفري : المصدر السابق ص ١٣٠ .
- (٢٨٩) ياسين ، عبد القادر : " الطبقة العاملة والحركة السامية في فلسطين " في " شؤون فلسطينية " نيسان ١٩٧٦ ص ١٢١ .
- Hope Simpson Report: Cmd 3686 pp. 131-6 (٢٩٠)
- توما : المصدر السابق ص ١٨٢ (٢٩١)
- Sykes: op.cit., p. 135 : ٨٤/١٠/٩ الجامعة العربية (٢٩٢)
- الجامعة العربية ٨٤/١٠/٩ : (٢٩٣)
- السكاكيني : المصدر السابق ص ٢٥٠ (٢٩٤)
- Marlowe: op.cit., pp. 131-132. (٢٩٥)
- Survey I: op.cit, p. 30 (٢٩٦)
- Peel Report: op.cit., pp. 68-69. (٢٩٧)
- دروزة : القضية ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ . (٢٩٨)
- يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٧ . (٢٩٩)
- الطالبين عمار : الطبقة العاملة الفلسطينية وتنظيماتها ١٩١٨ - ١٩٣٩ . (٣٠٠)
" في شؤون فلسطينية العدد ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٢ ص ١٧٢ .

- (٣٠١) يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٧ .
- (٣٠٢) Lucas, Noah: Modern History of Israel (Weiden
Fold & Nicolson, 1974) pp. 123-124.
- (٣٠٣) عن هذا التطور في الحرب الشيوعي انظر :
١٠١ ياسين ، عبد القادر : " الحرب الشيوعي الفلسطيني والعصبة
الوطنية " في مجلة الكاتب (ابريل ١٩٧١) ص - ١٠٠ - ١١٨ .
والعدد ١٢٣ ص ١٤٣ - ١٥٥ (يونيه ١٩٧١) .
ب٠ يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٧ - ١٠٨ .
ج٠ Esco, op. cit, Vol: II, p. 780.
د٠ Lacqueur, W: Communism & Nationalism in the
Middle East. - New York; 1955. - PP. 73-85.
- (٣٠٤) السفري : المصدر السابق ص ١٦٤ -
Hurewitz: op.cit, p.60.
- (٣٠٥) Esco, op.cit, Vol:II, p.766.
- (٣٠٦) الشفيري : اربعون عاما من الحياة العربية والدولة الحروب
(١٩٦٩) ص - ١٧٠ .
- (٣٠٧) الفنوري : فلسطين ج ١ ص ١٥٥ .
- (٣٠٨) السفري : المصدر السابق ص ١١٧ .
- (٣٠٩) السياسة الاسوعية ١٩٢٨/٤/٢٨ انظر حده المصدر السابق
ص ٢٨٠
- (٣١٠) انظر دستور جمعية الشباب المسلمين في وثائق السنوومد ص ١٠١ -
١١١
- (٣١١) يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٨
- (٣١٢) بدران : المصدر السابق ص ٢٦٦
- (٣١٣) المصدر ذاته ص ٢٨٤
- (٣١٤) الجامعة العربية ٦ حزيران ١٩٢٧ .
- (٣١٥) الجامعة العربية ٦ حزيران ١٩٢٧
- (٣١٦) انظر يعقوب المصدر السابق ص ١٠٨
- (٣١٧) السفري : المصدر السابق ١٩٥

- عن هذه القيادة. انظر المصدقاته ص ١٩٥. (٣١٨)
- انظر أسماء هذه المدن والقرى في المصدر ذاته ص ١٩٦. (٣١٩)
- قارن ياسين ، صبحي ، الثورة العربية الكبرى
في فلسطين (١٩٣٦-١٩٣٩) (٣٢٠)
- Quandt; op.cit, p. 33
ص ٣١
- " Tegrat Papers" in St. Antony's College,
Middle East Centre, Box I File 3(hence
Tegart). (٣٢١)
- صبحي ياسين : المصدر السابق ص ٢٣ (٣٢٢)
- قارن : خلف علي حسين : " تجربة الشيخ عز الدين العمام
معلم معني في تاريخ فلسطين " مجلة الحرية " (١١ كانون الاول
١٩٧٨) ص ٢٥
- خلف : المصدر ذاته ص ٢٥ (٣٢٣)
- Tegart: op.cit, Box I File (c)DS.126.2 Date, 1983. (٣٢٤)
- الكياي : المصدر السابق : ص ٢٤٧. (٣٢٥)
- H.C to CO, 9/10/1929, CO 733/163. (٣٢٦)
- Bowden, Tom: " The Politics of the Arab Rebellion
in Palestine" in Middle Eastern Studies,
Vol:II, '75, p.147. (٣٢٧)
- Tegart, op.cit., Box I File 3 (٣٢٨)
- قارن خلة المصدر السابق ٢٠٦ - ٢٠٧ (٣٢٩)
- Ibid., (٣٣٠)
- Ibid., (hence P.A.S.) op. (٣٣١)
- قارن الفوري : فلسطين ج ١ ص ٢٣٠. (٣٣٢)
- الفوري : المصدر ذاته ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ص ١٥٧ (٣٣٣)
- المصدر ذاته : ص ١٥٧ (٣٣٤)
- المصدر ذاته ص ٢٣٣ (٣٣٥)
- Daring, Kennet: " Arab Rebel Documentants" an Article
which was sent to the " Times" for Publication
However the article is available in Tegart
op.cit, Box II. (٣٣٦)

- (٢٢٧) الغوري : المصدر ذاته ص ٢٢٣ - ٢٢٤
- (٢٢٨) الغوري : المصدر ذاته ص ٢٢٤ .
- (٢٢٩) الغوري : المصدر ذاته : ص ٢٢٤ .
- (٢٤٠) Antonius: op.cit., p.292
- (٢٤١) Surewitz: op.cit. p.62
- (٢٤٢) أوراق بنية العظمة وثيقة رقم ١٨ ملف ٣ : ١٩٣١ (مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت .
- (٢٤٣) المصدر ذاته : وثيقة رقم ٣ الملف ٥ : ١٩٣٢ .
- (٢٤٤) Esco: op.cit., Vol:II, p.765
- (٢٤٥) المصدر ذاته الملف ٥ : ١٩٣٢ .
- (٢٤٦) انظر بيان الحرب في دروزة القضية ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٨ وانظر كذلك قانون الحرب في المصدر ذاته ص ٣٠٩ - ٣١٠
- (٢٤٧) المصدر ذاته : مقتطف من بيان تشكيل الحرب ص ١٠٥
- (٢٤٨) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ٩٨ - ١٠٦ .
- (٢٤٩) علوش : المصدر السابق ص ٥٨ .
- (٢٥٠) Tegart, op.cit., Box I File 3(a)
- (٢٥١) دروزة : القضية ج ١ ص ١٠٩ .
- (٢٥٢) المصدر ذاته .
- (٢٥٣) غنيم : المصدر السابق ص ٢٥٠ نقلا عن رسالة من محمد عبد دروزة للمؤلف نفسه مؤرخه ١٥/٤/١٩٦٤ .
- (٢٥٤) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١٠٣ - ١٠٤ .
- (٢٥٥) وثائق المقاومة ص ١٨٤ .
- (٢٥٦) المصدر ذاته ص ١٩٥ .
- (٢٥٧) المصدر ذاته ص ٢٤٨ .

- H.C. to FO, 14 May, 1930 FO 371/14495 (٢٥٨)
- Hyamson, A: Palestine Under the Mandate . - London, 1950. p-124
 فارن أيضا .
- الذى يذكر " لقد كان الراى البريطانى بوجه عام لا يرال مؤيدا
 للصهيونية، وكلا مجلس البرلمان كالا بصورة طاعة مؤنران ماعــــــده
 الصهيونية الى أقصى حد ممكن " .
- الشورى ٢١ مايو ١٩٣٠ . (٢٥٩)
- H.C to CO, 26 Sept., 1931 FO 371/15333. (٢٦٠)
- Ibid. (٢٦١)
- غنيم : المصدر السابق ص ٢٢٢ . (٢٦٢)
- Porath, Y: The Palestinian Arab National Movement 1929-1939 from Riots to Rebellion(Frank Cass, 1977) Vol:II, p. 58. (٢٦٣)
- غنيم : المصدر السابق ص ٢٢٨ . (٢٦٤)
- الاهرام : ١٦ ديسمبر ١٩٣١ . (٢٦٥)
- انظر هذه القرارات في غنيم : المصدر السابق ص ٢٢٩ . (٢٦٦)
- H.Z.R.Gibu: " The Islamic Congress at Jerusalem in Dec., 1931" in Arnold Toynbee(ed.): Survey of International Affairs 1934, p. 102.
- الكالى : المصدر السابق ص ٢٦٩ فارن أيضا درورد . حول الحركة
 ص ٢ ص ٢٦٨ - ٢٩٩ عن فشل جهود المفتى في جمع الشروعات المقترحة
 التي وضعت من قبل المؤتمر والذي يعزوه دروزة الى النفوذ البريطانى
 لدى اغنياء المسلمين .
- المصدر ذاته ص ٢٧٣ . (٢٦٨)
- غنيم : المصدر السابق ص ٢٥٨ . (٢٦٩)
- P.Z.S. 10 March 1933 FO 371/16926 (٢٧٠)
- CABINET, on the Situation in Palestine, 18 Dec., 1933 CO 733/257. (٢٧١)
- دروزة : القضية ج ١ ص ٩٢ : (٢٧٢)

الباب الثاني

قيام الحزبين وسيرهما على طريق التنظيم

جاء قيام الحزبين ، كاحدى محصلات ممارسات المرحلة الثالثة . وبالذات ما يتعلق من هذه الممارسات ، بدور جناحين من أجنحة الحركة الوطنية هما المجلسيون والمعارضة . ولما كانت المرحلة الثالثة قد اتخذت في مجملها طابعا راديكالياً ، فقد تركت هذه المرحلة طابعها على ممارسات كل من هذين الجناحين فعلى الرغم من ان ممارساتهما اتخذت طابعا عائليا او شخصيا احيانا الا انها ظلت في اعماقها جزءا لا يتجزأ من الممارسات الوطنية ، واعطت في النهاية مردودا وطنيا تمثل في فرز الحركة الوطنية لعناصرها وحرصها على انتقاء هذه العناصر على اساس اكثر تبلورا ووضوحا . ومن هنا فقد ظهر استحالة العمل تحت خيمة اللجنة التنفيذية بتركيبها المعروف ، والذي شمل حشدا لعناصر كثيرة بدون تمييز ، بحيث التقى فيها التطرف الوطني المتمثل في بعض عناصرها مع التخاذل الوطني المتمثل في عناصر اخرى ، كما تمثل ايضا في سيطرة المجلسيين على قطاع عريض من الحركة الوطنية وهم الاكثر تماثلا في مواقفهم الوطنية مع الاتجاه المتصاعد للحركة الوطنية ، اكثر من المعارضة التي حافظت على كثير من اتجاهها نحو الاعتدال .

ومهما يكن فقد سبق قيام الحزبين عدة جولات من الصراع بين هذين الجناحين - المجلسي والمعارض - ستحدث عنها في ماسياتي ، وكيف ادت الى ظهور هذين الحزبين .

سجلت انتفاضة ١٩٢٩ لصالح المفتي وانصاره فعلى الرغم من عدم اشتراكه المباشر في هذه الانتفاضة كما شهدت بذلك لجنة شو (١) والتي اعتبرت الانتفاضة عملا عفويا الا ان ما القى به المفتي من ثقل - قبل الانتفاضة وبعدها - في تيارها وما قام به من جهود كبيرة قانونية واعلامية برز فيها دور جريدة الجامعة العربية (مقابل جهود مرآة الشرق المعارضة) (٢) جعلت اسم المفتي هو الاكثر توهجا

وأعطته صفة المدافع الاول عن المقدسات الاسلامية في فلسطين . وبالتالي ،
وبالنظر لذكاء المفتي في تحويل القضايا الدينية الى قضايا وطنية سياسية الطابع
تحول هو ايضا الى زعيم سياسي راسخ معاني الزعامة . ولما كان كل انتصار او كسب
سياسي للمفتي كان يسجل لدى المعارضين بانه هزيمة او خسارة لهم ، فانهم
سرعان ما تنادوا الى تجميع صفوفهم وظهرت قيادات جديدة لهم شكلت ما سمي
بحزب الاحرار في يناير ١٩٣٠ (٣) ولكن ومع هذا فان المعارضة لم تستطع ان تصل
الى درجة كبيرة من القوة . كما فشلت محاولات المعارضة في تأسيس احزاب اخرى
غير حزب الاحرار الذي لم يعش سوى اشهر فقط ويعزو بورا اخفاق المعارضة
الى النزعة الانتهازية لاصحابها : " لم تعزز محاولات المعارضة في تكوين احزاب
مواقفها . بل لقد اجهضت هذه الاحزاب من جراء الدوافع الشخصية التي كانت
تكنم ، وراء مبادرات مؤسسيها " (٤) .

ومع هذا فقد رافقت جهود المعارضة في تكوين احزاب لها محاولات اخرى
في احياء الهجوم على المجلس الاسلامي الاعلى . فقد تميزت فترة اوائل الثلاثينات
بالعودة الى المطالبة بتقليص صلاحيات الحاج امين في تعيين القضاة الشرعيين
وسيطرته على الاوقاف (٥) .

ولقد كان انعقاد المؤتمر الاسلامي في القدس - والذي سبق الاشارة اليه
باعتباره مظهرا من مظاهر النشاط الوطني - في عام ١٩٣١ ، مشهدا لتجدد
حملات الهجوم المتبادل بين المجلسيين والمعارضة ، ابتدأتها المعارضة بان
فتحت رشاشاتها على هذا المؤتمر واعتبر انعقاده مناسبة لتسديد سهامهم على
المفتي بصورة خاصة . فقد " نشروا منشور متعددة حملوا فيها على الحاج امين
وجماعته واستنثارهم في امر المؤتمر واستغلاله استغلالا شخصيا وحزبيا (٦) .

وبلغ الامر بهم اشده عندما عقدوا مؤتمرا مضادا في فندق الملك داود ،
سموه مؤتمر الامة الاسلامية ، وحشدوا له عددا كبيرا من الاشخاص من مختلف انحاء
فلسطين ، شمل جميع المعارضين والمناوئين في المدن وقرروا فيه قرارات في انتقاد
المجلس الاسلامي والحاج امين واصدروا في ذلك بيانا وقعه اركانهم (٧) .

ومع ان هذا المؤتمر في محصلته النهائية سجل لحساب المفتي ، لدرجة
انه - كما يذهب البعض - حقق مجدا شخصيا لنفسه ، ودعم مركزه ونفوذته في
انحاء العالم الاسلامي ، بحيث تخطت شخصيته الحدود بعد هذا المؤتمر ، وأصبح

وبخاصة بعد وفاة فيصل الاول عام ١٩٣٣ ، وموسى كاظم الحسيني عام ١٩٣٤ ، من أبرز الشخصيات في العالم العربي (٨) الا أنه من الناحية الاخرى ، تمكنت المعارضة أيضا من تسجيل موقف لها . فقد وقع في روع الكثيرين من المؤتمرين أن الشعب الفلسطيني منقسم على نفسه ، وأن الحاج أمين - على الرغم من قداسة القضية التي ينادى بها - ليس هو الوحيد في الصورة . يقول الاستاذ عزة دروزة : " كان عملهم هذا بشعا جدا ، اذ اظهروا فيه انقسام المسلمين في فلسطين ، وتنازعهم على مسائل شخصية ومحلية ، في وقت يأتي فيه وفود ورجالات العالم الاسلامي الى فلسطين استجابة لدعوتها واظهارا للتضامن في قضيتها (٩)

ويؤيد بوراث هذا القول بطريقة اخرى عندما يذكر " حقا لقد اعتبر المؤتمرون نجاحا لامين الحسيني بالمفهوم الدولي . ولكن المعارضة في فلسطين نفسها كانت ذات قوة معتبرة . والهجوم المضاد الذي قام به معسكر المفتي والذي شن بصورة خاصة على صفحات الجامعة العربية لم يستطع محوه (١٠) .

أعطى موقف المعارضة هذا دفعة قوية لها وكان وسيلة لتقريب صفوفها ، بعد أن كانت قد ابتليت بكثير من مظاهر التمزق والانحلال ، التي أشرنا الى محاولات ترقيعها . فقد انبثق عن مؤتمر الامة في فندق الملك داود حزب للمعارضة التي كان هذا المؤتمر مناسبة لاعادة التئام صفوفها . ولكن هذا الحزب لم يكن سوى تكرار لاحزاب المعارضة السالفة من حيث أنه نادى بسياستها المعتدلة " خذ وطالب والتي أثبتت عدم جدواها ، كما سبق للحزب الوطني أن طالب عام ١٩٢٣ . ولم يزد هذا الحزب من الناحية التنظيمية عن كونه مهادنة أو مصالحة بين عائلات فلسطين الكبرى مثل عائلة النشاشيبي والدجاني والخالدي وعناصر المعارضة في نابلس من آل طوقان (١١) .

انعكس هذا الصراع المجلسي المعارض في هذه الاونة على اللجنة التنفيذية التي اعتبرت دائما مظهرا ورمزا لوحدة الامة عامة والحركة الوطنية معها بالرغم من توجهها النسبي نحو الحسينية . يقول عزة دروزة : " لقد كان عدم الانسجام في اللجنة التنفيذية العربية وما زاده التهاثر والتشاد اللذان وقعا في ظروف انعقاد المؤتمر الاسلامي ، من توتر وتفكك فيها ، ومن فتور بالحركة

الوطنية بالتبعية ميثا للكثير من أعضائها في امكان فائدة هذه التشكيلة المؤلفة من مختلف الاهواء والاحزاب والصفات ، للحركة الوطنية " ومن هنا فقد جرى التفكير في انشاء احزاب متمازحة حيث تكون املك للحرية وأقوى على تكيف الجهود في نجوة من التشاد المنفض المعطل (١٢) .

وقد بدا هذا واضحا عندما ذهبت جهود المصالحة بين الطرفين ، والتي قام بها موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية ، أدراج الرياح ، واستمر نزاعهما الذي بدا اثره واضحا على صفحات الصحف والذي على ما يظهر اصاب فيه المعارضون النجاح الاكيد (١٣) ولعله ليس بلا مغزى أن المعارضين امعانا منهم في الخصومة فكروا في هذه المرحلة في انشاء جريدة الامة على اسم حزبهم كما أنهم تمكنوا من أن يكسبوا تأييد سامي السراج (الاستقلالي السابق) الذي بدأ في تحرير جريدة الجامعة الاسلامية ، بعد أن استقال من سكرتيرية المؤتمرات الاسلامي العام ، واعتبرت استقالته نصرا شخصيا لفخرى النشاشيبي ، الذي استطاع بجهوده ضمه (أى السراج) الى صفوف المعارضة . كما أن النشاشيبيين كسبوا الى صفهم أيضا خير الدين الزركلي (الاستقلالي المتشدد أيضا) . ومن الناحية المقابلة فان الحسينيين أصدروا جريدة الجامعة بثوب جديد وبشكل واسع (١٤) وقد كان للصراع الصحفي بين جريدتي الامة والجامعة العربية أثره حتى أن أحد تقارير البوليس عقب على هذا الصراع الصحفي بأنه ربما كان بداية لتكوين حزب جديد من قبل المفتي من أجل غايتين رئيسيتين : الاولى تفويت الفرصة على حزب الاستقلال في الاستئثار بالقيادة الوطنية ، مستفيدا من الخصومة بين الطرفين الحسيني والنشاشيبي ، والثانية استبقاء تأييد الطبقات الدنيا من المسلمين (١٥) .

وعلى أية حال فلم يلبث ميزان القوى أن مال لصالح المجلسيين ولقد ظهر ذلك خلال عام ١٩٣٣ عندما مالت الحركة الوطنية في مجملها نحو الراديكالية ، وقد بدت مظاهر التفوق المجلسي في أكثر من موقف . ففي مؤتمر يافا الذي انعقد بتاريخ ٢٨ مارس وحضرته عناصر وطنية من جميع أنحاء البلاد تحت شعار " عدم التعاون " مع الحكومة . وافق المفتي على مبدأ عدم التعاون (١٦) ولكنه رفض الاستقالة من منصب رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى . وكان مما قاله ردا على الذين أرادوا احراجه بالاستقالة ، فيخسر رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، والا فانه سيتعرض لسخط الشعب : " أنا لست في هذه الحركة

الوطنية دخيلا ، ولم ألق بها الصاقا ، ولم تات الى الرئاسة الا على الحاشية
ولقد خضت غمار الحركة الوطنية قبل الحرب العامة . وعملت قبل الان الى الان
.. ولو كنت موظفا كما يظن البعض لما كنت بينكم الان ، ولو كنت موظفا لما قمت
باعباء الحركة الوطنية من اولها الى آخرها ، ولما حوكت ولما صدرت على من
اجل القضية الوطنية عدة احكام ... ان الوظيفة ليست لها قيمة ، والحياة
ليست لها قيمة فلا تضيعوا اوقاتكم الثمينة في ذكر الوظائف والاشخاص . لقد
كنت في طليعة الحركة الوطنية ، وسأظل في طليعتها غدا والى ما شاء الله . ولن
أتخلف عن مواقع الخطر في المستقبل كما أنني لم أتخلف في الماضي فسجلوا
علي هذا (١٧) .

ولعل الاهم والذي يعنيننا هنا ، ان نعلم ان فخرى النشاشيبي كان ،
بالدرجة الاولى ، وراء هذه المناورة ، وقد اتخذها وسيلة من أجل توحيد جهوده
مع عناصر حزب الاستقلال ، مؤملا بذلك ان يبعد الاستقلال - وهم الذين كانوا
من اوائل دعاة سياسة اللاتعاون - عن الحاج أمين * وذلك لادراك فخرى انه
يرغب في اقامة علاقات جيدة مع الحكومة ومن غير المحتمل ان يوافق على
اللاتعاون . وهكذا ينكشف للجماهير كمؤيد للحكومة وغير صالح كفائد او
زعيم (١٨) . ولعله ليس بلا مغزى ان يذكر أحد التقارير مانصه " لقد كان
أمرا يدعو للاستغراب ان يؤيد فخرى النشاشيبي ، اللاتعاون مع الحكومة ، ولعل
هذا كان مناورة حزبية من أجل تحدى الحسينيين (١٩) -

ومهما يكن من أمر ، فان المفتي تمكن من احباط هذه المناورة بل انه تمكن
من السيطرة على المؤتمر ، وكان استقطابه لأكثر الموجودين فرصة جيدة لتقوية
مركزه ودفاعه " لكي يتقدم في برنامجه من أجل احكام سيطرته على
الحركة الوطنية (٢٠) ، ومن هذه فنحن لا نستغرب استقالة الراغب من رئاسة مؤتمرها
الامة في شهر يولييه ١٩٣٣ ، بل لقد كان هذا المؤتمرا آخر مرة يذكر فيها اسم
هذا الحزب (٢١) .

وفي أحداث هبة اكتوبر ، وبالرغم من عدم مشاركة المفتي شخصا ،
ومشاركة اللجنة التنفيذية بموسى كاظم الحسيني وجمال الحسيني ، فقد سجلت
هذه الهبة لصالح الحسينيين اذا قيسوا بالمعارضة . فقد اعتبرت السلطات هذه

الاحداث مسيرة من قبل الحسينيين (٢٢) . كما أنها اعتقلت جمال الحسيني على اثر مظاهرة يافا الدامية والتي أودى فيها أيضا ، من قبل رجال السلطة ، موسى كاظم الحسيني ، وكان قد بلغ الرابعة والثمانين من عمره . ومن الناحية الأخرى ، فقد تميز موقف النشاشيبي بالسلبية ، فبالإضافة الى كون راعب النشاشيبي لم يشارك في هذه الانتفاضة ، فإنه أخبر المندوب السامي " بمعارضته للمظاهرات ووعده باستخدام نفوذه ضد المشاركة فيها (٢٣) .

ومهما يكن من أمر فإن ما تلاه هبة أكتوبر ١٩٣٣ لم يزد في حدة الخلاف والابتعاد التدريجي لكل من معسكرى المجلسية والمعارضة عن بعضهما البعض . فقد توفي في مطلع ١٩٣٤ موسى كاظم الحسيني ، الذي كانت وفاته بمثابة غياب صمام الأمان للقاء المجلسية والمعارضة في ظل خيمة اللجنة التنفيذية . فقد عرف عن موسى كاظم الحسيني مقدرته الكبيرة على بث روح المصالحة بين الأطراف المختلفة كما أنه هو شخصيا كان مثالا للارتفاع عن الحساسيات العائلية والروح الحزبية . ووصفه التقرير السوي للحكومة البريطانية لعام ١٩٣٤ بأنه قاد الحركة الوطنية منذ الاحتلال حتى وفاته واستحق احترام كل قطاعات الشعب العربي في فلسطين بفضل نزاهته وترفعه عن المصالح الشخصية (٢٤) ولهذا ما أن اختفى موسى كاظم الحسيني نهائيا عن المسرح السياسي ، حتى كان غيابه ، والفراغ الذي تركه ، ايدانا ببداية أو على الاصح باستئناف التنافس من جديد بين المعسكرين المتخاصمين . وقد أخذ الخلاف شكلين (أو مظهرين) رئيسيين : الشكل الاول هو الخلاف على من سيخلف موسى كاظم الراحل . والشكل الثاني هو أن وجود اللجنة التنفيذية ذاتها أصبح محل تساؤل .

أما من حيث الموضوع الاول ، موضوع الخلافة ، فقد حاول الحسينيون انتهاز الفرصة وترشيح جمال الحسيني لرئاسة اللجنة ، لا سيما وأن المفتي كان قد عينه سكرتيرا للمجلس الاسلامي الاعلى من أجل أن يعوضه عن الخسارة التي ستلحقه ، من جراء انخراطه انخراطا كليا في العمل السياسي ، تحت راية اللجنة التنفيذية (٢٥) . وهنا لم توافق المعارضة على هذا الترشيح . وعندما حاول الحسينيون أن يقوموا ببعض التنازلات بالعدول عن ترشيح جمال الحسيني والقبول بأسناد الرئاسة الى عوني عبد الهادي أو معين الماضي (٢٦) ، رفضت المعارضة هذين باعتبارهما أكثر قربا الى الحسينيين وكحصل بديل طرح

المعارضون أسماء راغب النشاشيبي أو الشيخ سلمان التاجي الفاروقي أو عمر صالح المرغوثي أو الشيخ أسعد الشقيري (٢٧) .

وعندما وافقت الاطراف المختلفة على أن تبقى رئاسة هذه اللجنة بالوكالة ليعقوب فراج (٢٨) نائب موسى كاظم ، كان هذا نوعا من الترضية أو الحل الوسط بالرغم من كون يعقوب فراج من معسكر المعارضة . وقد كان عدم الحسم في موضوع الرئاسة عاملا معوقا لعقد المؤتمر الثامن ، لاختيار لجنة تنفيذية جديدة . ففي اجتماع اغسطس ١٩٣٤ تقرر أن يؤجل موعد انعقاد المؤتمر الثامن الى سنة أشهر أخرى . ولقد كان لتأثير النشاشيبيين أثره الواضح في ذلك (٢٩) .

وأما من حيث الموضوع الثاني ، فاننا نلاحظ أن اللجنة التنفيذية أصبحت في حالة انعدام الوزن تقريبا باختفاء موسى كاظم الحسيني . ففي تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية كتب بعد أيام معدودة من وفاة موسى كاظم باشا ، سببا في كثير من الخيبة . وقد اتهمت اللجنة التنفيذية في اخفاؤها بتبني سياسة عملية من أجل المستقبل ، كما اتهمت بتأخيرها انعقاد المؤتمر الثامن (٣٠) ، بل الاكثر من ذلك أن وجود اللجنة التنفيذية ، كوجود ، أصبح مستهدفا ، وبوجه خاص في المعارضة ، التي يصف الغوري موقفها بقوله : " كانوا يتجهون الى التعصية على آثار اللجنة التنفيذية والتخلص منها . وبذلك تترك البلاد بسدون قيادة جماعية ، ويخلو الجو لذوى الاغراض والاهواء لعمل ما يريدون وتنفيذ ما يؤمرون به (٣١) .

ومن هنا نشاهد أن الهجوم على اللجنة التنفيذية أصبح جزءا من استراتيجية المعارضة ، ولقد نشرت جريدة الجامعة الاسلامية سلسلة من الحملات على عدم كفاءة القادة والحاجة الى التنظيم وتغيير القيادة (٣٢) .

والامر الذي يدعو الى الغرابة أن اللجنة التنفيذية لم تسلم من هجوم الحسينيين فيها أيضا . ولعل موقفهم هذا كان نوعا من المزايدة على المعارضة التي ركزت على اغراض اللجنة التنفيذية ، كما أنهم أرادوا أن يظهروا للناس أن العيب الاساسي في اللجنة هو وجود عناصر المعارضة فيها . تلك العناصر التي اعتادت المصادر الحسينية وصفها بأنها " مشبوّهة ومطعون في وطنيتها ، ومتهمّة بالتعاون والتعامل مع اليهود وبيع الاراضي والسمررة للاعداء (٣٣) ، ومن هنا أيضا فقد دعت الجامعة العربية الى تطهير اللجنة والعدول عن سياسة الترقيع

الى سياسة التجانس والاندماج و " خدمة المبادئ الوطنية المجردة " وتكوين
النخبة الصالحة (٣٤) .

بل لقد برر جمال الحسيني تأسيس الحزب العربي بحديث له لصحيفة
دمشقية ، نقلته عنها الجامعة العربية على الوجه التالي : " ظهر بالسنتين
الاخيرتين عقم اللجنة التنفيذية السابقة لانها ضمت شتيتا من ذوى الغايات
المختلفة الذين لا يمت البعض منهم للبعض الاخر ، بل ظهر للمخلصين انها
ضمت معها عددا من الجواسيس والسماسة للاراضي واذئاب الحكومة ، مما جعل
العمل معها مشينا ، ولذلك فكر المخلصون ان يضعوا انفسهم في حزب "
وعلى اية حال ، وعلى ما يظهر ، فان هذا الموقف من جمال لم يتقرر
الا بعد ان يؤس من اصلاح اللجنة من الداخل . ففي احد اجتماعات مارس
١٩٣٤ على سبيل المثال حاول جمال ان " يعرى اعضاء اللجنة من المعارضة مثل
عمر البيطار وشكري التاجي ، من كان لهم علائق مع اليهود ، ومن اجل ان يضمن
- في النهاية - قرارا بعقد المؤتمر الثامن (٣٦) .

ومهما يكن من امر فقد انتهى هذا الهجوم والمناورات من داخل اللجنة
وخارجها على تقرير مصيرها ، بضعفها الكامل ، او سيرها التدريجي نحو الموت .
وقد تحولت في آخر ايامها الى مؤسسة صغيرة تعتمد في نفقاتها على صدقات
الحسينيين (٣٧) وباختفاء اللجنة التنفيذية الذى يصفه اميل الغورى بـ " اساب
الحركة الوطنية بالشلل " كان لا بد من التفكير بالبديل . وعلى هذا
اخذت فكرة تكوين الاحزاب صورة اكثر الحاحا من اى وقت سابق . فجميع الاطراف
اتجهت بالتفكير جديا نحو تأسيس احزاب او عمل تنظيمات معينة ، تحت
لافتات جديدة غير اللجنة التنفيذية . بل ان احد اجتماعات اللجنة التنفيذية
اقر ان ينعقد المؤتمر الثامن بواسطة ممثلين عن الاحزاب (٣٨) . ويعقب عزة
دروزة على هذا المنطلق الجديد بقوله " لقد اشتد اليقين بعدم امكانية استمرار
العمل الوطني في نطاق اللجنة وانبثق عن هذا اليقين خطوات في سبيل تشكيل
الاحزاب المتمازجة ونفض اليدين من اللجنة (٣٩) . ويصفه بوراث من الناحية
الاخرى بأنه اختفاء للرابطة الوحيدة بين الناشئيين والحسينيين وأن الارض
اصبحت مهعدة لصراع كامل (٤٠) .

ولقد اعتبر الكثيرون من العاملين في الحركة السياسية الفلسطينية تأجيل انعقاد المؤتمر ، وأن عناصره المقبلة ستكون من الاحزاب ، بمثابة فرصة لهم لاعادة تنظيم صفوفهم . فالنشاشيبيون الذين كانوا وراء فكرة التأجيل كما لاحظنا اعلاه ، بادروا الى اغتنام هذه الفرصة . ففي هذه الفترة عمد فخرى النشاشيبي الى اقامة نقابة للعمال بفروع عبر البلاد ، وعلى ما يظهر حاول أن ينظمها على أساس صلب شبيه بالتنظيمات الفاشية ، واتصل بالدوائر الايطالية لارشاده في هذا السبيل . ويذهب أحد التقارير الى أن فخرى حصل على نسخة من القوانين التنظيمية للاتحاد الاشتراكي الوطني من اجل هذه الغايات (٤١) .

ولقد اعتبرت هذه النقابة عنصرا جديدا في المنافسة بين أنصار المفتي والنشاشيبيين ولعلها زادت في مكانة الاخيرين (٤٢) .

ومن ناحية اخرى فان التأجيل كان ملائما أيضا للمجلسيين من أعضاء اللجنة التنفيذية . وهنا نجد أنهم عادوا الى التفكير في انشاء حزب لهم ، يضم القادة البارزين في الحركة الوطنية ، لا سيما الاستقلاليون منهم ، اولئك الاستقلاليون الذين كثيرا ما حاول فخرى النشاشيبي أن يضمهم الى صفه ، ولكن هذا امر قد بدا في حكم الاستحالة (٤٣) ويؤرخ أميل الغوري لقيام أول لجنة تحضيرية للحزب بأنه أول رد فعل للخلافات التي تمت داخل اللجنة التنفيذية لاختيار خليفة موسى كاظم الحسيني وتمشيا مع شعار التطهير " (٤٤) .

كما كانت أسرة الخالدي ، انطلاقا من الواقع الجديد للجنة التنفيذية قد فكرت بانشاء حزب جديد ، وأرتأت الاسرة أن يكون الحزب تحت اسم جديد ، وأن يعلن القادة انسحابهم من حزب الامة الذي كانت قد التقت تحته جميع فئات المعارضة تحت زعامة النشاشيبية (٤٥) .

كان ضعف اللجنة التنفيذية التي أصيبت في آخر أمرها بالشيخوخة والعجز عاملا أساسيا في التفكير بانشاء الاحزاب ، ولكن المنعطف الحقيقي الذي سبب الفراق الكامل (الطلاق البائن بين المجلسيين والمعارضة ، كان الانتخابات البلدية التي سبقت قيام الحزبين بصورة رسمية ، وكانت آخر جولات الصراع قبل هذا القيام .

ولدت فكرة الانتخابات البلدية من جراء اقتراح من المندوب السامي لتنمية

الحكم الذاتي ، ولما لم يعتبر المجلسيون أن هذا الاجراء كاف لتحقيق نوع من الحكم الذاتي ، فانهم جندوا أنصارهم لمقاطعتها باعتبارها بديلا غير كامل عن الحكومة الوطنية المستقلة . ولذا فانهم حملوا على رؤساء البلديات ليحملوهم على الاستقالة احتجاجا على قانون البلديات الجديد . وعلى ما يظهر لم يجد رؤساء البلديات (الذين كانوا في أغلبهم من المعارضة) في أول الامر ، مانعا من الاستقالة ، الا أنهم لم يلبثوا أن عادوا عن ذلك ، واعتبروا الضغط الحسيني مناورة سياسية المقصود منها حرمان هؤلاء الرؤساء من مراكزهم (٤٦) .

ولقد عبر احد التقارير عن هذا الخلاف في وجهات النظر : " ان الخلاف بين أنصار المفتي وخصومه يتركز على التالي : الاولون (أنصار المفتي) يوافقون على مقاطعة الانتخابات ، اذا وافق رؤساء البلديات الحاليون على الاستقالة ، بينما رؤساء البلديات الذين يمثلون الفريق المعارض للمفتي ، يقولون بأنهم سيؤديون المقاطعة بشرط أن لا يطلب اليهم الاستقالة . وهذا يدل دلالة واضحة على أن معارضي المفتي حريصون على التمسك بمراكزهم وأن خصومهم يريدون الاستيلاء على هذه المراكز ، اذا شاركوهم في الانتخابات . وبسبب هذا الخلاف في الرأي فان موضوع المقاطعة سيفشل في النهاية (٤٧) .

وعلى الاثر أدرك راغب - على وجه التحديد - من بين رؤساء البلديات ، أن محاولة حفزه على اخلاء منصبه كانت مناورة من الحسينية للحلول محله ، الامر الذي أعاد الخرق بين حزبي المفتي والنشاشيبي ، على الرغم من محاولات المصالحة النسبية بينهما (٤٨) ويعقب حسين فخرى الخالدي بدوره على هذه الناحية بقوله : " ولم يقع هؤلاء في الفخ الذي نصبه لهم أعداؤهم في المعسكر المقابل وحدث بينهم مهاترات صحفية قرر بعدها رؤساء البلديات البقاء في مراكزهم وخوض معركة الانتخابات (٤٩) .

وهكذا فان فشل فكرة مقاطعة الانتخابات - التي سقطت ضحية الصراع المحلي - كان مدخلا لاشتراك كل من الحسينيين والنشاشيبيين في الانتخابات بكل ما أوتوا من قوة .

فالمعسكر الحسيني الذي يصفه دروزة بقوله : " اعترزم المجلسيون (الكتلة الحسينية) زحزحة راغب النشاشيبي من البلدية مهما كلف الامر (٥٠) فلجأوا الى أول اجراء في معركتهم مع خصومهم ، الا وهو شق جبهة المعارضة بالتفاهم

مع حسين فخرى الخالدي (٥١) كمرشح لهم ، ومرشح قوى يمكن أن يصمد لمنافسة راغب ، وقد ساعدهم في ذلك أن ولاء الخالدي للمعارضة كان قد بدأ يخبو لدرجة أنه فكر في انشاء حزب خاص به وبأسرته كما ذكرنا أعلاه . وقد أضيف الى ذلك جهود موسى العلمي واحسان الجابري في عقد المصالحة بين الطرفين الخالدي والحسيني وانهاء الخلاف العائلي بينهما (٥٢) .

وكان الاجراء التالي أن بذل المفتي - وهو المشهود له بالبراعة في ادارة مثل هذه الانتخابات - جهدا هائلا في اقناع الناخبين من أجل أن يقبلوا بانتخاب الخالدي . وهنا ركز المفتي في دعايته على أن راغب عنصر غير وطني ، وأنه دأب طول حياته على معارضة مشروع اسلامي ، او وطني ، اراده المفتي ، فان راغب كان قطعا يعارضه " (٥٣) ، وانما كان بذلك يخدم أهداف الانتداب والصهيونية . وبلغ الامر بالمفتي الى أن يأخذ العهد على الناخبين يجعلهم يقسمون على القرآن الكريم ، على أنهم سينتخبون الخالدي ولا ينتخبون النشاشيبي (٥٤) كما ذهب المفتي الى التدليل على مواقفه المؤيدة للحكومة والصهيونية والمعارضة للاسلام بعقده مؤتمرا في فندق يهودى لمعارضة المؤتمر الاسلامي في عام ١٩٣١ (٥٥) .

كما أن جريدة الجامعة العربية انطلقت تشن حملة مقدسة وحربا لا هوادة فيها على النشاشيبي . فقد جعلت هي أيضا معركة بلدية القدس معركة بين الوطنية والخيانة والحق والباطل (٥٦) . وفي مقالة افتتاحية بخط كبير وتحت عنوان " الكلمة الفاصلة هي لكم غدا فقولوا كلمة الحق أيها الناخبون " قالت " أيها الناخبون الكرام لا تنتخبوا السماسرة باعة البلد ولا تنتخبوا الخونة ولا الذين يوالونهم ولا الملاحدة ولا من يساعدونهم ، ولا يوالي الخائن الاثان ، ولا يساعد الملحد " ومن يتولهم منكم فهو منهم " (٥٧) وفي عدد آخر بلغ عنفها درجة قالت معها " حطموا الاصنام الجوفاء " (٥٨)

وقد وصف تقرير مؤرخ في ١٥ أكتوبر ١٩٣٤ حملة المفتي بالفاعلية والنجاح " ان الحملة التي شنها المفتي شخصا أثبتت مقدرته وحده " والتأثير الكبير الذي يمارسه الدين على عقول المسلمين - فكونه يستطيع أن يوظف عدم رضا آل الخالدي (باستثناء مصطفى الخالدي وأن يستخدمهم كوسيلة لانسقاط راغب ، عدوه اللدود ، وصفه

الكثيرون من العرب بأنه ضربة معلم . وهذا هو السبب نفسه الذي تسبب في شعور راغب بالخيبة من نتيجة الانتخابات (٥٩) .

ومن الناحية الأخرى فقد بذل النشاشيبيون جهودهم في مجابهة حملة المفتي الانتخابية . وبذلوا في تجميع الأصوات أقصى ما يستطيعون بما في ذلك بذل الأموال بسخاء ، ولقد ركز النشاشيبيون على كسب أصوات اليهود وقرية لفتا التي كان في يدها عدد كبير من الأصوات (٦٠) وقد بدأ حرص راغب على كسب الأصوات اليهودية من أنه مهذل كسبها منذ ما قبل سنة من انتخابات البلدية . فيعزو تقرير للسلطة استقالة راغب من حزب الأمة الذي سبب في حينه كثيرا من التخمينات ، إلى كونه يريد أن يكسب ود اليهود من أجل الانتخابات البلدية المقبلة (٦١) .

ولقد بلغت هذه المعركة من الحدة على الجبهتين ، بحيث وصفت بان نتائجها ، ستحدد بصورة كبيرة ، اتجاه الحركة السياسية في البلاد ، والاتجاهات السياسية المستقبلية لكل من الحسينيين والنشاشيبيين (٦٢) . لقد كانت هذه الانتخابات في حقيقة الأمر بمثابة آلام المخاض التي ولدت منها الأحزاب بصفة عامة . يقول دروزة : وجرت الانتخابات في اليوم المعين ولم تشهد المدينة المقدسة يوما كذلك اليوم " (٦٣) .

ومهما يكن من أمر فقد لعبت عوامل متعددة دورها في تقرير نتيجة الانتخابات بالإضافة إلى ما ذكرنا . فقد استنكف اليهود عن راغب ، كما اعتادوا أن يفعلوا في الانتخابات السابقة ، وبخاصة الانتخابات التي جرت عام ١٩٢٧ . لقد كان هؤلاء قد سئموا إدارة راغب ، التي اتسمت بكثير من الفساد ، وتحكيم المحسوبية ، واخذ الرشوة من أجل اختيار معاونين أو الموظفين فيها ، الأمر الذي جعلهم يخذلونه لحساب أعدائهم القومييين (أي الحسينيين) كما يذهب بوراث . (٦٤) .

وعلى أية حال فإنه عندما ظهرت نتيجة الانتخابات كان وقعها وقع الصاعقة على راغب ، فقد كانت هزيمته منكرة . وجاءت شدة وقعها من كونها لا راغب ولا الرأي العام ولا حتى الحكومة كانت تتوقعها .

وجاءت فداحة خسارة راغب من أن البلدية كانت معقله ومركز قوته بل أن كيان المعارضة في مجمله ، إنما كان مرتكزا على البلديات ، تماما كما كان

المجلسيون يستندون على المجلس الاسلامي الاعلى - يقول الخالدي : " أما رئاسة القدس وكانت صلاحيتها لا تتعدى مدينة القدس وضواحيها فقط ولكنها على ضيق حدود صلاحيتها هذه فقد كانت من الوظائف الرئيسية المرموقة لما لمدينة القدس من حرمة دينية وأهمية خاصة لا بين الوظائف الثلاث فحسب بل الجاليات الاجنبية فيها أيضا كما أن رئيس بلدية العاصمة كان بمثابة كبير رؤساء البلديات في مدن فلسطين الاخرى ، ودوائرها أكثر اتساعا ، وأكثر عددا من الموظفين وميزانيتها تزيد كثيرا حتى عن ميزانية الاوقاف فميزانية الاوقاف لم تتعد المئة ألف جنيه سنويا الى حين نشوب ثورة (٣٦ - ٣٩) ، بينما تجاوزت ميزانية بلدية القدس نصف مليون جنيه (٦٥) .

وقد اشتكى راغب بعد ذلك من خذلان الحكومة له بعد خدمة خمس عشرة سنة طوال (٦٦) ، كان ذلك من جراء شعوره بحسامة الخسارة التي عادت عليه من حرمانه من موقع حساس ، يعتمد عليه نفوذه في جزء كبير منه . ويهمننا هنا أن نتتبع أبعاد هذه المعركة (الانتخابية) السياسية ، وبوجه خاص على ظهور الحزبين موضوع هذه الدراسة . فنحن نجد أن التوتر الذي سبقها ورافقها لم ينته بانتهائها ، بل استمرت ذيولها حتى ولادة الحزبين وما بعد ذلك لفترة غير قصيرة

علقت الجامعة العربية على فشل راغب بتشف واضح ووصفته وأنصاره بأنهم " خرجوا من عقولهم وأصابهم الخبال حتى صاروا لا يفقهون ما يقولون خسر رجال البلدية الحاضرة المعركة ، وكان خير ما يصنعون أن يتقدموا الى خصومهم الفائزين بالتهنئة . ولكنهم لم يصنعوا وكيف يصنعون والبلدية مورد سائح ظلوا يكرعون من حياضة أربع عشرة سنة وقطع الارزاق يقطع الاعناق كما يقال (٦٧) .

ولقد كتبت الجامعة العربية هذه المقالات ردا على مقالات كانت قد نشرتها فلسطين تحت عنوان " الصباح على قدر الوجع " (٦٨) . ولعل الأهم في نتيجة الانتخابات عموما أنها حطمت التوازن السياسي القائم بين معسكري الحسينيين والنشاشيبيين . ومن هنا فقد بدأ راغب - وسيبقى على ذلك الى نهاية عهد الانتداب - يعمل على استعادة هذا التوازن بين الطرفين . وفي هذا السبيل صمم راغب على خلق تكتل سياسي أو منظمة سياسية

يجمع بها أشدّات المعارضة التي تعرضت الى ضعف كبير ظهر في انفصال آل الخالدي ، والفشل في استقطاب الاستقلاليين ، هذا فضلا عن خسارة الانتخابات البلدية، وكان راغب قد صرح قبيل الانتخابات تحسبا للمستقبل ، " أنه اذا هزم في نهاية الامر ، فانه سيكرس بقية أيام عمره ، وما له من أجل تنظيم حزبه ومعارضة الحاج أمين (٦٩) ويعقب تقرير سري للسلطات على هذا التصريح بأنه " اذا فشل راغب في استعادة منزلته برئاسة البلدية أو بتعيينه لمنصب آخر يلائم مكانته ، فانه لن يكون له أي خيار سوى أن يدير وجهه للجمهور ، ومن أجل أن يكون مقبولا أكثر لدى الجماهير وينافس المفتي ، فانه سيتبنى سياسة وطنية (٧٠) .

وكان من شأن نتيجة الانتخابات البلدية ، واختفاء البلدية كنقطة استقطاب رئيسية للمعارضة ، من خلال رئيسها راغب النشاشيبي ، وما ترتب عن ذلك من اخلال بالتوازن السياسي التقليدي بين المجلسيين والمعارضة ، من ناحية ، واختفاء دور اللجنة التنفيذية بعد وفاة رئيسها من الناحية الاخرى ، ان خلفا فراغا سياسيا على المستوى التنظيمي للحركة الوطنية ، وكان لا بد من ملئة ، ومن هنا ولدت الاحزاب ، واتخذت فترة منتصف الثلاثينات صفة فترة الاحزاب في تاريخ فلسطين الحديث . فبالاضافة الى الحزبين موضوع هذه الدراسة ولد حزبان جديدان هما حزب الاصلاح ، الذي تأسس في رام الله يونه ١٩٣٥ ، وكان أهم شخصية فيه الدكتور حسين فخري الخالدي . كما عقد مؤتمر الشباب ، كما تأسس في نابلس في ٤ أكتوبر حزب الكتلة الوطنية برئاسة عبد اللطيف صلاح (٧٢)

وهكذا أصبح في أواخر عام ١٩٣٥ سنة احزاب هي : حزب الاستقلال ، وحزب مؤتمر الشباب ، وحزب الدفاع ، والحزب العربي ، وحزب الاصلاح وحزب الكتلة الوطنية مرتبة بحسب ظهورها من الناحية الزمنية . وقد اتفقت هذه الاحزاب في نواح كثيرة : أهدافا وغايات ونوازع خاصة ، بالاستقلال لفلسطين اسقلالاً يكفل لها السيادة العربية وعدم الاعتراف بأي تعهد دولي والسعي لتأليف حكومة وطنية في البلاد . كما أن هذه الاحزاب لم تخل أحيانا كثيرة من النزعة الشخصية أو المصلحية وراء تأليفها . وعلى الرغم من أن هذه الاحزاب لم تكن احزابا بالمعنى المفهوم للكلمة ، أو احزابا بالمفهوم

الحديث أو الغربي ... فهي لم تشارك في الانتخابات ، كما أنها افتقرت الى أهداف مبرمجة ، حتى أنها لم تصل الى مستوى الاحزاب في البلاد العربية حيث كانت تجرى الانتخابات وبشكل اتباعها الحكومات . فانه من الناحية الاخرى أصبحت الحركة الوطنية هي الحقل الرئيسي للسياسيين العرب في فلسطين . ولعل من مميزاتنا أنها حاولت أن تملأ الفراغ الذي خلفه عدم انشاء حكومة عربية أو انشاء مؤسسات للحكم الذاتي . ومن هنا فقد تركز دور الاحزاب العربية في محاولة السيطرة على الحركة الوطنية مع غياب الحكومة العربية (٧٣) .

ومهما يكن من أمر فانه يجب أن نذكر أنه قد ولد حزب الدفاع بصورة رسمية في ٢ ديسمبر ١٩٣٤ . وقد كان هذا الحزب تجسيدا أو امتدادا للمعارضة التي برزت في أوائل العشرينات وتمثلت في الجمعيات الوطنية الاسلامية والحزب الوطني وحزب الزراع ، والاحزاب التي تلتها في أوائل الثلاثينات مثل حزب الاحرار وحزب الامة ، والتي كان النشاشيبيون - وبخاصة راغب - بصورة ظاهرة أو باطنة ، مباشرة أو غير مباشرة ، هم عمودها الفقري والقاسم المشترك الاعظم فيها .

كما ولد الحزب العربي الفلسطيني بصورة رسمية في ٢٧ مارس ١٩٣٥ أي بعد حوالي أربعة أشهر من ولادة حزب الدفاع الوطني . وقد كان هذا الحزب أيضا بمثابة امتداد لجماعة المجلسيين التي ولدت أيضا في أوائل العشرينات . ولم يزد الحزب العربي عن كونه التطور التنظيمي لهذه الجماعة الامر الذي سنوضحه عند حديثنا عن سير الحزبين في طريق التنظيم في الصفحات التالية .

هذا القانون الداخلي ، وعلى الاخص القسم المختص بانشاء الفروع " حتى لا يأتي موعد اجتماع اللجنة (التنفيذية) التالي الا والفروع منشأة في كل قضاء (٨١) ، واعتبر ذلك جزءا أساسيا من "الجهاد والتنظيم" (٨٢) .

ومن الناحية الاخرى اعتبر القانون الاساسي العضوية مرتبطة جغرافيا بالفرع الذي يقيم فيه العضو وليس في مكان آخر . فقد ورد في المادة الاولى ما نصه " ان الدخول الى الحزب يقتضي الطالب ان يقدم طلبا خطيا الى الفرع الذي يقيم فيه كما ان العضو يحلف اليمين امام مجلس ادارة الفرع ويدفع رسم الدخول ويسجل بذلك عضوا للحزب " كما ورد أيضا في هذه المادة " ، اذا غير العضو مكان اقامته أصبح تابعا لفرع المنطقة التي انتقل اليها (٨٣) .

٢ . جعل القانون الاساسي الفرع مفتوحا امام الجميع بلا تمييز كما أنه سمح بالتوسع في عدد أعضائه ويبدو أنه لم يكن هنالك شروط تحدد العضوية الا موافقة اللجنة التنفيذية للحزب . فقد ورد مثلا في القانون : " ان اللجنة التأسيسية للفرع تعد قوائم بأسماء الاشخاص الذين ترشحهم لعضوية الحزب في منطقتها وترسلها الى اللجنة التنفيذية ، فان وافقت اللجنة التنفيذية عليه أمكن قبوله في الحزب (٨٤) . كما ورد في نفس القانون أنه في حالة وجود أعضاء جدد يريدون الانساب الى الحزب ، فان الحزب يفتح فروعاً لهم بعد تأسيس "لجنة تأسيسية للفرع" .

٣ . تظهر للفرع بحسب نص القانون الاساسي ذاتية واستقلالية في حدود معينة . كما انه يمارس قسما كبيرا من الديمقراطية في علاقة الاعضاء برئاسة الفرع وذلك من النواحي التالية :-

أ . يتولى الفرع اختيار مجلس ادارته والذي يتكون من : سنة أفراد . فحسب نص القانون ينتخبه (مجلس الادارة) الاعضاء من بينهم ومدته ثلاث سنوات كما ان هذا المجلس ينتخب من بين أعضائه رئيسا ونائبا للرئيس وسكرتيرا وأميناً للصندوق " (٨٥) . ب . كما أن الجمعية العامة لكل فرع تجتمع مرة في السنة على الاقل بدعوة من مجلس ادارة الفرع ويدعى الى اجتماعها جميع الاعضاء المنتسبين الى الفرع ويقدم فيها بيان عن حالة فرع الحزب " (٨٦) .

ج . كما تظهر ذاتية الفرع ويبرز ككيان مستقل يستطيع العيش على موارده الخاصة في تنظيمه لشؤونه العالية فلكل فرع صندوق خاص . ومجالس الادارة التي ترسل الى المركز العام لنفقات الحزب العامة " يظل الباقي فسي صندوقه وتحت كامل تصرفه (٨٧) .

حرص القانون الاساسي على توضيح صلة الفرع - باعتباره الوحدة الاساسية من الناحية التنظيمية - بالفروع الاخرى واللجان الفرعية المنبثقة عنها من ناحية ، وصلته بالمركز العام للحزب ، بالهيئات الاعلى منه في سلم القيادة ، أو هيكلها ، من الناحية الاخرى ، كما انه يوضح كيف ارتبطت الهيئات المختلفة للجسم الحزبي لتشكل الحزب كحزب أو كمؤسسة سياسية وهنا نلاحظ التالي :

٠١ تبني القانون التقسيمات الادارية لفلسطين بحسب الهرم التدريجي الذي وضعته الحكومة في فلسطين (الوية ، اقصية ، نواح) . فقد اتخذ القانون نظام اللجان الفرعية على مستوى القرى ، والفروع على المدن (عواصم الاقصية) والمدن الاكبر منها (مراكز الالوية) ، وجميع هذه ترتبط بالمركز العام بالقدس فقد نصت المادة الرابعة في القانون الاساسي على ما يلي . " المركز العام للحزب في القدس وتؤسس له فروع في مدن فلسطين " وعن اللجان الفرعية نص القانون على أنه " يعتبر كل فرع مركز اللجان الفرعية الموجودة في منطقتة ومرجعاً لها (٨٨) .

٠٢ يأخذ البناء السياسي في مجمله شكلاً ديمقراطياً بالتنظيم الهرمي (الذي يعبر عنه الشكل التوضيحي على هذه الصفحة) يحاول الموازنة بين السلطات الممنوحة لكل من العناصر الاساسية للتنظيم الهرمي .

مكتب الحزب

يشكلان المركز

(تنتخب مكتب الحزب)	اللجنة التنفيذية	العام
(ينتخب اللجنة التنفيذية)	المؤتمر	
(الاعضاء في الفروع ينتخبون المؤتمر)	الفرع	
	اللجنة الفرعية	

فالمؤتمر يمثل القوة التشريعية واللجنة التنفيذية والمكتب يمثلان القوة التنفيذية ومع هذا فهناك سلطة محلية بيد القادة المحليين للحزب في الفروع فهم يبرزون من القاعدة في الفرع نفسه كما مر معنا عن طريق الانتخاب (أنظر ما سبق ص ١٢٨) .

٠٣ اتخذت العلاقة بين اللجان الفرعية في الحزب العربي (وهي الفروع الصغيرة في القرى) مع الفروع في المدن الشكل العمودي أو المركزي . فقد نص القانون الداخلي للحزب (المادة ١٧) على أنه " يعتبر كل فرع مركزا للجان الفرعية في منطقته (٩٠) " فلا يحق للجان الفرعية على هذا الاساس أن تقيم علاقات أفقية فيما بينها علس مستوى القرى ، وإنما يتم لقاء المندوبين عن هذه الفروع في المركز الاقليمي (القضاء) لهذه القرى . كما أن مندوبي الاقضية لا يلتقون مع بعضهم الا في المؤتمر العام للحزب اذ لا يتم بينهم لقاءات أفقية على المستوى المحلي وارتباط العضو على هذا الاساس - وكما مر معنا - بمنطقته فقط . ويؤكد هذه الرابطة العمودية أيضا ما نصت عليها المادة التاسعة تحت عنوان " تنظيم الحزب " : " تنظيم دوائر الحزب على أساس المركزية " .

كما أن اللجان الفرعية وهي الحلقة الدنيا في التنظيم يجب الموافقة عليها من قبل الفرع واللجنة التنفيذية " تولى اللجان الفرعية في القرى ويختار أعضاؤها بناء على تنسيب الفروع وترشيحها وقرار اللجنة التنفيذية (٩٢) وهكذا نجد أن التنظيم العمودي يسير في الممارسات اليومية على هذا الشكل : اللجنة الفرعية - الفرع - المركز العام وبالعكس . ولعل ما قصد اليه قانون الحزب العربي في اعتماد النظام العمودي هو حصر الاعضاء بعضهم ببعض في مستويات محدودة أو مقيدة : اللجنة الفرعية والفرع والمركز العام ولهذا النمط من التنظيم فوائد عديدة : فهو من ناحية يساعد في سيطرة المركز على الفروع واللجان الفرعية ، كما أنه من ناحية أخرى يساعد على ضمان الوحدة والتجانس في الحزب . وهو أمر كان يسعى اليه الحزب طوال الوقت . وكان هدفا أساسيا من أهداف تكوينه (أنظر فيما سبق ص ١١٤) منعا للتشردم والانشقاق . ورغبة في اختيار العناصر العضوية ذات الميول الوطنية الحقيقية . فالارتباط العمودي بالمركز على أساس من المركزية الصحيحة أو القوية يجعل التوجيه من قبل المركز . . . كما أن كل الردود تصل الى المركز عبر الخط الهرمي وبهذا تتسق دائرة الحزب صعودا ونزولا ، قاعدة وقمة . وتتم الدورة الحزبية كاملة وتصبح الصلة بالقيادة من قبل القاعدة صلة دقيقة وفعالة . . . والعكس صحيح .

٠٤ وازن الدستور في الحزب العربي بين الديمقراطية والمركزية . فهناك مستويات من المركزية الواحد أو توقيراطي بمعنى أن تتخذ القرارات

النهائية على مستوى القمة ، والاخر ديمقراطي ، بمعنى أن تأخذ القمة رأى القواعد وتبقى على صلة بها أو معها ، لا سيما وأنها هي - أى القواعد - التي ستتولى التطبيق أو التنفيذ وتتم هذه الناحية عن طريق المؤتمرات الدورية . وعلى هذا نجد أن القادة المحليين قادة الفروع بالرغم من انتخابهم من القاعدة الا أن سوء وليتهم في الامور العامة للحزب ، أمام المستويات القيادية الاعلى منهم وليس أمام منتدبيهم أو منتخبينهم ، وتقتصر مهمتهم بالنسبة للقواعد على أن ينقلوا بدقة الى المستويات العليا آراءهم وردود أفعالهم ، ومن ناحية أخرى أن يوضحوا للقواعد الاسباب التي أدت الى اتخاذ قرارات المركز . فقد جاء في المادة الرابعة عشرة عن مسؤولية الفرع ما نصه " الفروع مسؤولة أمام اللجنة التنفيذية ، وهي تسير وفقا للقرارات والتعليمات الصادرة اليها من اللجنة التنفيذية للحزب ومكتب الحزب " (٩٣) .

كما جاء في المادة الثانية عشرة من القانون الداخلي ما نصه " اذا صدر من أحد الفروع أو من احدى اللجان الفرعية خروج على مبادئ الحزب أو خطئه المقررة أو أى عمل من شأنه الاضرار بالحزب فان للجنة التنفيذية الحق في انذاره أو توقيفه أو الغائه وحل مجلس ادارته بحسب ما ترى لمعالجة الموقف وفي حالة حل الادارة بحق للجنة التنفيذية أن تعتمد لجنة مؤقتة لادارة الفرع الى أن يجرى انتخاب المجلس الجديد " (٩٤) .

كما ورد في المادة التاسعة عشرة ما نصه " للجنة التنفيذية عند الحاجة أن تفرض على الفروع مبالغ اضافية تقدمها لنفقات الحزب العام " (٩٥) .

القيادة

طرق اختيارها وصلاحياتها : يوضح القانون الاساسي طرق اختيار القيادة على أساس هرمي يبدأ من القاعدة وبطريقة تدرجية أو تدرجية صعودا حتى اختيار الرئيس العام للحزب على أن تجرى هذه الانتخابات بطريقة ديمقراطية . فأعضاء الحزب في الفروع ينتخبون المؤتمر " وهو اجتماع تمثيلي واسع يشمل أعضاء الحزب وفروعه ، ومهمة هذا المؤتمر النظر في الشؤون الرئيسية ويعقد كل ثلاث سنوات مرة " (٩٦) .

والمؤتمر بدوره ينتخب الهيئة الاعلى منه في سلم القيادة وهي اللجنة التنفيذية . فقد ذكرت المادة الثالثة في القانون الداخلي ما نصه وهي (أى اللجنة التنفيذية) هيئة مركزية ينتخبها مؤتمر الحزب ويراعى فيها تمثيل

الفروع . وهي كما يظهر من القانون تمارس السلطة الاساسية في تسيير شؤون
الحزب . تمثله وتتولى قيادته وادارة شؤونه في ما يطرأ من شؤون رئيسية لم
يفصل فيها المؤتمر " (٩٧) .

واللجنة التنفيذية ، تتولى أيضا بدورها ، انتخاب الهيئة الاعلى منها أي
مكتب الحزب الذي هو " ادارة مركزية مسؤولة تقوم بأعمال الحزب اليومية
وتخلف اللجنة التنفيذية في قيادة الحزب أثناء عطلها " . ولكنه مع ذلك لا
يقرر في الامور الرئيسية ، فاذا طرأ أمر هام تركه للجنة التنفيذية ننظر فيه عند
انعقادها فاذا كان الامر يقضي الاسراع دعاها الى اجتماع اضافي . وعلى أية حال
فقد حددت المادة التاسعة في القانون الداخلي مهمات المكتب بأنه " هو الذي
يحفظ وينظم أوراق الحزب وملفاته ووثائقه وعليه أن يعد مشروع الميزانية السنوية
للمركز العام ويقدمها للجنة التنفيذية (٩٨) .

ثالثا : العضوية :

شروطها ومفهومها : . يزودنا القانون الاساسي للحزب العربي ونظامه
الداخلي بشروط أساسية للعضوية .

١ أن يكون هنالك طلب خطي ممهور بتوقيع مقدم " يقدم طالب الدخول
طلباً خطياً بتوقيعه (٩٩) .

٢ . يرتبط القبول للعضوية في الحزب بموافقة الفرع أولاً . إذ أن القبول كما
يظهر من القانون حق أو صلاحية من صلاحيات الفرع أولاً واللجنة
التنفيذية بعد ذلك . وللفرع أن يوافق على دخوله أولاً أو لا يوافق
وفي حالة موافقة الفرع يقدم اسمه الى اللجنة التنفيذية ، فان وافقت
أمكن قبوله عضواً في الحزب (١٠٠) وهذا التشدد الظاهر في قانون
الحزب العربي في القبول للعضوية وجعله على مرتبتين أو مرحلتين بدلا
من مرحلة واحدة عائد الى أن الحزب حرص من البداية على اختيار
أعضائه بدقة وما اشترط موافقة اللجنة التنفيذية الا زيادة في الاحتياط .
ونحن نلمس من أدب الحزب في هذه الفترة التأسيسية أن الحزب طرح
فكرة الصفوة أو النخبة الوطنية كما طرح فكرة التجانس والاندماج الوطني
وذلك حرصاً على تطهير صفوفه من الجواسيس ، ووضع حد لسياسة
الترقيع التي كان من جرائمها مداراة الخونة والسمارة والنفعيين

والوصوليين وأعدان المستعمرين والصهيونيين وكل ذي لثة ومعة (١٠١) .
٠٣ أن يحلف العضو اليمين ، وهو إجراء المقصود منه كما يظهر زيادة توكيد
العضوية واعطاء الرابطة معنى أكثر التزاما من الناحية الادبية ، بالاضافة
الى الناحية القانونية . فعلى العضو العامل في الحزب العربي أن يقسم
اليمين التالي : " الحرية حقي والاستقلال غايتي والعربية مبدأى
وفلسطين بلادى وليس لغير العربية فيها مقام . وبهذا آمنت وعلى
الاخلاص لمبادئ الحزب العربي الفلسطيني المنطوية لهذه المبادئ
الشريفة أقسمت . على ذلك عهد الله وميثاقه والله على ما أقول
شاهد " (١٠٢) .

ثالثا : الشروط التعاقدية :

هنالك شروط أخرى بالاضافة الى شروط القبول السابقة اشترطها الحزب
وسماها شروطا تعاقدية . وهذه الشروط هي :-
١ أن يكون العضو عربيا .
٠٢ أن يلتزم العضو بمبادئ الحزب ويعمل لصالحه فلا " يخرج عن مبادئ
الحزب وأن لا يأتي ما من شأنه الاضرار بالحزب وأن لا يقوم بعمل باسم
الحزب من غير تفويض من الدائرة المختصة " (١٠٣) .

رابعا : دفع الرسوم :

وهنا نجد أن القانون يفرض على العضو :-
٠١ دفع رسم دخول على أن لا يقل عن مائة مل (١٠٤) .
٠٢ دفع الرسوم شهريا وليس سنويا على أن لا يقل عن ٢٠ مل (١٠٥) .
٠٣ أهمية دفع الرسوم لان " مالية الحزب تتكون من الرسوم والاشتراكات التي
يدفعها أعضاؤها والتبرعات التي يقدمها أنصاره وما الى ذلك من
الموارد الشريفة (١٠٦) .

قيادة كل من الحزبين

ظهورها وشخصياتها وسلطاتها

عقد المعارضون مؤتمرهم الاول الذى انبثق عنه حزب الدفاع الوطني بصورة رسمية في ٢ ديسمبر ١٩٣٤ . كما عقد المجلسيون مؤتمرهم الاول الذى انبثق عنه الحزب العربي في ٢٧ مارس ١٩٣٥ .

١٠ مؤتمر حزب الدفاع ، ٢ ديسمبر ١٩٣٤ .

ليس لدينا مادة مصدرية كبيرة عن هذا المؤتمر ، اللهم الا انه سبقه اجتماع عام للجنة التحضيرية للمعارضة في ٤ نوفمبر ، في مدينة يافا ، اقر فيه تسمية الحزب باسم " حزب الدفاع الوطني " (١٠٧) . والا انه (أى المؤتمر) انعقد في يافا في سينما أبو لولو ، وأن عدد الحضور فيه كما أوردته جريدة فلسطين الموءيدة للحزب ، بلغ ستمائة شخص . وقد كان راغب النشاشيبي والحاج نمر النابلسي وأسعد الشقيرى خطباء هذا المؤتمر (١٠٨) . وأما عن اختيار قيادة الحزب ، وكيف تم ، فانه ليس لدينا من معلومات تبين طريقة الاختيار وقد اكتفى تقرير السلطة بذكر أنه تم اختيار الرئيس : راغب النشاشيبي ، ونائبه : يعقوب فراج . ولم يورد أى شيء عن اختيار القادة الاخرين (١٠٩) . وهذا ما يجعلنا نميل الى ترجيح أن اختيار هذين الزعيمين لم يتم بطريق الانتخاب وانما عن طريق التزكية والمبايعة المطلعة .

وأما بالنسبة للقيادات الاخرى فعلى ما يظهر أن حزب الدفاع تبنى السلم الهرمي في توزيع جهازه القيادى بما يشابه ما جاء في القانون الاساسي للحزب العربي . فكما أن في قاعدة الهرم في الحزب العربي تقع الفروع ، فانه لدينا قاعدة مماثلة في حزب الدفاع . وكما يتلو الفرع في سلم السلطة الحزبية المؤتمر فان لدينا في حزب الدفاع ما يسمى " الهيئة العامة للحزب " . كما أن اللجنة التنفيذية في الحزب العربي يقابلها الهيئة المركزية في حزب الدفاع . كما أن مكتب الحزب في تنظيم الحزب العربي يأخذ أيضا نفس التسمية في سلم المسؤولية الحزبية الهرمية في حزب الدفاع . وهكذا يطرد الحال بالنسبة لقمة الهرم القيادى : الرئيس ونائبه في الحزبين .

ومهما يكن من أمر فلم يكن راغب النشاشيبي ولا نائبه يعقوب فراج همما القائدان الوحيدان الفعليان ان صح القول . كما أن الهرمية الحزبية بمؤسساتها التي أشرنا إليها آنفا لم تمارس شوون القيادة بصورة منتظمة أو على أساس المؤسسة الحزبية ، فراغب النشاشيبي الذي كان قد كبر في السن وأصبح نمطا قديما كما وصفه المندوب السامي ماكمايكل ، لم يكن يملك الطاقة على القيادة (١١٠) ، ولا الديناميكية الواجبة لمثل هذه المهمة . ومع هذا فقد احتفظ بما له من تأثير ونفوذ ووجاهة بالقيادة الرسمية أو الواجهة العلنية للحزب ومهما يكن من أمر ، فإن ما لدينا من مادة مصدرية من تقارير وشواهد ، تصف راغب النشاشيبي بأنه " لا يوثق به كما أنه ليس من السهل تجاوزه (١١١) . كما تصفه بعض المراجع بأنه يفسد الإدارة ويتناول الرشوة " فقد استبقى بعض التقاليد الوظيفية مثل الرشوة والمحسوبية ولكن ضمن حدود " (١١٢) - كما تعكس بعض المراجع الأخرى بعضا من صفات راغب الشخصية " فهو رجل دنيا ، مرح ، وكلمي النزعة ، كما أنه لا يخلو من التعصب " (١١٣) . وعلى ما يظهر فإن راغب لم يكن يخلو من روح الانتهازية وحب الوصول من أقرب السبل . يقول الدكتور الخالدي " راغب مشهور باغتنام الفرص وتوريط أخصامه . ولم تكن اليافطة الجميلة والموضوعة في مكان بارز من أركان مكتبه تقول إلا " إذا هبت رياحك فاغتنمها (١١٤) .

وأما يعقوب فراج وهو مسيحي من أصل أرثوذكسي عمل سنوات طويلة نائبا لرئيس بلدية القدس وكان وكيلًا لأملاك الكنيسة الأرثوذكسية فتصفه التقارير بأنه " رجل يظفر باحترام كبير من أجل نزاهته ولكنه ليس قائدا (١١٥) . وممن شارك أيضا في قيادة الحزب مغنم مغنم ، الذي عمل سكرتيرا للحزب وتصفه المصادر بأنه محام مسيحي موهوب من أصل سوري وكان منظما قديرا " (١١٦) . السكرتير الآخر للحزب فقد كان حسن صدقي الدجاني ، وهو محام من القدس ، قدير وذو عقلية سياسية ، تتهمه المصادر الانجليزية بأنه ذو ميول فرنسية ، كما أنه ارتبط بصداقة مع الأمير عبد الله (١١٧) .

ويبدو أن الشخصية الأولى التي مارست نفوذا حقيقيا في الحزب أكثر من أي شخص آخر - وبصورة خاصة من الناحية التنظيمية - كانت فخرى النشاشيبي الذي عمل أيضا سكرتيرا للحزب من الناحية الرسمية ولكن يصفه نجيب صدقة

بأنه " قائد حقيقي (١١٨) . كما وصفه المندوب السامي " بأنه أكثر أعضائه (أي الحزب) طاقة وهو شاب ويكرس طاقاته جميعها لمصالحه الخاصة (١١٩) .
وتستوقفنا شخصية فخرى النشاشيبي كقائد فعلي لهذا الحزب من نواح عديدة : أنها شخصية متقلبة وقلقة . فبينما هو متطرف وموغل في المواقف الوطنية تصفه جريدة فلسطين فتقول " يرتدى رداء الوطنية المتطرفة " (١٢٠) ، ويشهد على ذلك موقفه من ثورة ١٩٣٦ ومشاركته فيها بعنف حتى دخل من أجل ذلك المعتقل ، ونجده من ناحية أخرى يميل إلى الاعتدال إلى درجة الاستخفاف ، وليس ذلك فقط وإنما يقف من الثورة - في مرحلتها الثانية - موقف المعارض لها لدرجة أنه يصبح زعيم الثورة المضادة وقائد فرق السلام التي تحارب الثورة والثوار - ولعل هذا التناقض في شخصية فخرى يجد تفسيره في أنه تميز بين جميع أركان حزب الدفاع بتحزبه العنيف الذي وصل إلى درجة الحقد الشخصي على المفتي بصورة خاصة ، والحسينيين بصورة عامة . ومن هنا فإنه لم يتوان عن استخدام أي أسلوب - مهما كان تقيمه من النواحي الوطنية - من أجل محاربة الخصوم ، ففي حين أنه كان بين أوائل الشباب الفلسطينيين مشاركة بالعمل السياسي (١٢١) ولعب دورا رئيسيا في تنظيم الحزب الوطني (أول أحزاب المعارضة ظهورا وسلف حزب الدفاع (١٢٢) لدرجة أنه لجأ إلى كالفركسي (١٢٣) للحصول على العون المادي لترسيخ أقدام هذا الحزب . كان هو نفسه أيضا الذي اتفقت جميع المصادر على أنه أثناء خصومته مع الحسينيين خلال المرحلة الثانية من الثورة ، كان يتلقى العون المادي من اليهود فقد قال أحد تقارير المندوب السامي - ضمن تقارير أخرى توكّد هذه الناحية ما نصه - ليس هنالك أدنى شك في أن فخرى يرتشي من قبل اليهود (١٢٤) .

وهناك أدلة من مصادر رسمية على أن فخرى كان بالإضافة إلى كونه يتمتع بديناميكية وطاقة كبرى ، الذي عرض به عن ضعف إمكاناته القيادية (تصفه التقارير بأنه متوسط الذكاء) (١٢٥) كان يمتاز بطموح لا حدود له . طموح لا يجعله يحلل أو يحرم أي شيء في سبيل مصلحته الخاصة . فهو لا يتوانى عن التآمر على عمه والتفكير في شق الحزب وتكوين حزب تحت قيادته هو بالاتفاق مع الأمير عبد الله (١٢٦) من أجل إشباع رغبة الوجاهة والزعامة . وتظهر الشواهد أيضا أن فخرى تمكن من ضم عدد ليس بقليل من مراكز الثقل الأساسية للحزب

لصفه . ونجد من بين أنصاره في الحزب بعض أفراد عائلة الشوا ، ومن بين هؤلاء زعيمهم عادل الشوا الذي يصفه عارف العارف في مذكراته بأنه " من أخلص أصدقاء فخري المنشق على الأمة (١٢٢٧) وآل البيطار ومن بين هؤلاء بالذات عبد الرؤوف البيطار الذي تصفه المصادر الانجليزية بأنه يد فخري اليمنى (١٢٨) . وتبدو في ممارسات فخري لسلطنة القيادة في حزب الدفاع مقدرته على توظيف صلاته الاجتماعية ، وبخاصة في الاعضاء البارزين في الحزب وفي الحكومة ؛ " فخري ذكي وواسع الاطلاع في الحياة الاجتماعية . وقد أصبح ذا شخصية عالية وكثير المعجبون به كما كثر كارهوه ، وفخري هو المستشار الوحيد للحكومة بين العرب في هذه الايام (١٢٩) .

٢٠ مؤتمـر الحزب العربي ٢٧ مارس ١٩٣٥ .

تفيدنا المادة المصدرية عن مؤتمـر الحزب العربي الاول أن قيادة الحزب أو لجنته التحضيرية لم تلتزم تماما بنص القانون الاساسي من حيث اختيار القيادة بطريقة تدريجية من القاعدة الى القمة عن طريق الانتخابات المباشرة . فهذا المؤتمـر كان المؤتمـر الوحيد الذي انعقد ولم يعقد بعده - باعتباره المؤتمـر الاول - مؤتمرا آخر يستدرك ما فاتته من عدم الاخذ بأسلوب الانتخاب المباشر . ليس هذا فقط بل أن وقائع المؤتمـر ، تظهر أن الامور أخرجت أو خرجت بطريقة يظهر معها التدبير المسبق ، وأنه خلافا لمبادئ قانون الحزب ان عملية الاختيار قد تمت من قبل الاركان الفعليين للجماعة المجلسية من خلال المقابلات والاجتماعات التحضيرية ، وان المؤتمـر كان تنويجا لامور سبق الاتفاق عليها . وقد تجلت هذه النواحي في ما يلي :-

١٠ لم يتم انتخاب المؤتمـر - كما تكشف المصادر - من قبل القواعد . فالقواعد لم تكن وجدت بعد ، لان تأسيس الفروع بدأ بعد المؤتمـر وليس قبله . والظاهر أن عناصر هذا المؤتمـر جمعت جميعا من الانصار والمؤيديين . حقا لقد كان لهم بعض الصفة التمثيلية ، فأغلبهم من الوجهاء أو رؤساء الاسر والطوائف ولكن ليس التمثيل القائم على أساس انتخابي . وتعدد الجامعة العربية خلفيات المؤتمـرين على النحو التالي : " زاد عدد الحضور عن ألف وخمسمائة شخص من زعماء البلاد ورجالها المخلصين وأصحاب الفضيلة العلماء والطبقات المستنيرة

من أطباء ومحامين وأساتذة وروءساء العشائر ومشايخ القبائل بسيوفهم الطويلة وشيوخ القرى والوجوه وكبار التجار وروءساء البحارة وكان الكل ممن لم يتدنسوا بأعمال الخيانة ومن المتجانسين في البعد والعقيدة الذين يرحى منهم الخير للبلاد " (١٢٩) ويؤيد الفورى هذا القول ويضيف الى الخلفيات الاجتماعية : عنصر الشباب الجدد " (١٣٠) .

٢ - عقد المؤتمر في القدس القاعدة الاساسية لتنفيذ الحسينيين، وحيث يسهل تجميع الانصار كما أشرف على تسيير وتنظيم المؤتمر لجنة من انصار الزعامة الحسينية والمجلسية " وكان حضرات الاساتذة والوطنيين الافاضل اسحق درويش وصفوت أفندى الحسيني وعبدالله أفندى سمارة وعارف أفندى الجاعوني وغيرهم من الفضلاء يستقبلون المدعوين " (١٣٢) ولعله ليس بلا مغزى ان هذا الترتيب لم يغب عن جريدة فلسطين مما جعلها تكتب " وليس صحيحا أن اجتماع الفندق (أى المؤتمر) اُضاف الى تحقيق رغبة الامة بدعة استبدال نظام سياسي قديم آخر جديد يكفل لها الجدة في العمل ، والصحيح في ذلك أن الاجتماع حقق بقاء القديم على قدمه ، كما عرفت منذ سنين وفي الصورة التي بغضتها كل البغض ونفرت منها أشد النفور ، وكل ما جرى في اجتماع الفندق هو سوق الانصار والاعوان ومأمورى الاوقاف ليقيموا للحسينيين رئيسا جديدا مكان الراحل الجليل وليرسلوا جمال مرة أخرى الى لندن حاملا لقبه الجديد " (١٣٣) .

٣ - كما أن عملية اختيار الرئيس - بحسب ما تصفها الجامعة العربية - والتي تمت في مؤتمر الحزب تكشف الكثير من التجاوز لاصول الديمقراطية وحرية الاختيار . فلم يتم الانتخاب عن طريق أوراق سرية مختومة - على سبيل المثال ولم يأخذ التصويت حتى شكلا أقل ديمقراطية من رفع الايدي بل أن المؤتمرين وضعوا امام هذا السؤال من أجل اختيار رئيس الحزب " اذا كان أحسد يعارض " (١٣٤) مما جعل عملية الاختيار لا تأخذ الشكل القانوني وكما يفترض قانون الحزب (أنظر فيما سبق ص ١٣٣ - ١٣٤) بل أننا نستطيع الاستنتاج من وصف الجامعة العربية لوقائع الاجتماع مدى الديماغوجية التي سيطرت على المؤتمرين في اختيار الرئيس فقد ذكرت التالي : " وهنا أعلن الاستاذ أميل الفورى اقتراح الرئيس المؤقت بانتخاب الاستاذ جمال الحسيني الى رئاسة المؤتمر . واذا كان أحد يعارض في ذلك فارتفعت الاصوات تقول موافق موافق .

وبين عاصفة من التصفيق انتخب الاستاذ جمال الحسيني لرئاسة المؤتمرات فاعتلى
حضرت المنصة وجلس في كرسي الرئاسة . ثم وقف السيد يوسف بك ضيا واقترح
• أنه ينتخب الوطني الكبير الفرد روك نائبا للرئيس فوافق الآخرون بالاجماع .
وأعلن حضرتته نائبا للرئيس وسط عاصفة من التصفيق واعتلى حضرتته المنصة
وجلس الى جانب الرئيس (١٣٥) .

٤ - كما أنه ليس لدينا ما يدل على أن اختيار بقية الهيئات القيادية تم
بطريقة أفضل . بل أن هنالك معارضة صريحة (نص القانون الاساسي النظام
الداخلي في طريقة اختيار المكتب للرئيس ، الذي من المفروض أن تنتخبه
اللجنة التنفيذية كما مر معنا ، ولكن الذي جرى أنه اختير من قبل أفراد المؤتمرات
جميعهم اختار المؤتمرات بالاجماع الفرد روك (يافا) نائبا للرئيس وأميل الغوري
(القدس) سكرتيرا عاما و خالد الفرخ وكامل الدجاني (يافا) ووجيه البشتاوى
(نابلس) أعضاء في هيئة المكتب (١٣٩) بل أن أميل الغوري ليذكر ما يفيد بأن
اللجنة التنفيذية - وهي من الناحية النظرية وحسب النظام الداخلي للحزب
أقوى سلطة هرمية للحزب - كانت هي نفسها اللجنة التحضيرية (١٣٧) وأنها لم
تنتخب من المؤتمرات ، كما هو الامر البديهي . بل أكثر من ذلك يذكر الغوري أن
اللجنة التحضيرية هي التي اختارت جمالا رئيسا للحزب قبل انعقاد
المؤتمر (١٣٨) .

ونحن اذا علمنا أن هذا المؤتمر أقر في جلسته التاريخية هذه دستور
الحزب وكون كوادره التنفيذية وسكرتيرته (١٣٩) على هذا الوجه الذي لا يخلو
من كثير من التلفيق والاصطناع وسياسة تمشية الحال ، ندرك أن عملية الاختيار
للقادة أو الموافقة على أساسيات تكوين الحزب كالدستور انما تمت بدون تمثيل .
وأن مبادئ الحزب كانت ضربا من الامنيات ولم تزد أحيانا كثيرة عن كونها
حبرا على ورق .

بل ان المتعمق في دراسة القيادات الفعلية للحزبين العربي والدفاع ،
يدرك أن وراء المظاهر الانتخابية تختفي حقائق أساسية قوامها أن القيادة في
أغلب الاحيان كانت فردية أو توتوقراطية أو أنها تشمل فقط أقلية من النخبة
(أوليجاركية) وأنها مارست درجات متفاوتة من السلطة الفردية والسبب في هذه
الظاهرة يعود الى ناحيتين :-

١ . طبيعة الاشياء في أن القوة أو النفوذ تمارسه في الغالب فئة محدودة أو أقلية. يقول دوفرجية " السلطة دائما للأقلية " (١٤٩) .

٢ . تفوقت في الحزبين الروابط الشخصية والعائلية والاقليمية . ولعل أقرب تعريف ينطبق عليها كاحزاب هو تعريف رجينز للاحزاب في العالم الثالث ، أو ما يسميه حزب الشلة " clique " الذي يعرفه على الوجه التالي :-

" أن الافراد القياديين (الزعماء) يكون لديهم أو حولهم شلل يتبعون زعماء شخصيين بسبب الروابط العائلية والامل الاقليمي المشترك ، والمشاركة في التجارب السياسية الحزبية ، وبعض القرابة أو الصلة العميقة والاحزاب ليست أكثر بكثير من تجمعات من الاتباع الشخصيين يجمعهم بصورة مؤقتة هدف سياسي : المطالبة بالاستقلال " (١٤١) .

وعلى هذا لا يستغرب الدارس للقيادة في الحزب العربي أن يجد نوعا من الازدواج بين القيادة المنتخبة (ظاهرا) والتي برزت في المؤتمرات وبين القيادة الحقيقية . ولعلنا لا نستطيع أن نوفي القيادة حقها اذا وصفناها بالازدواجية . فنحن في حقيقة الامر امام فئات من القيادات الرسمية (أو الاسمية) والقيادات الفعلية ، والقيادات الظاهرة المعروفة والقيادات الباطنة المستترة ، وورا هذه التعميمات تختفي أنماط من الحلقات الداخلية أو مراكز القوى والقوى الضاغطة التي مارست ألوانا شتى من السلطة والمناورة بحسب مواقعها وقربها أو بعدها من الزعيم أو القائد ولكننا سنكتفي بمثل واضح عليها - توضحها أمثلة أخرى - سترد في سياق هذه الدراسة عن القيادة . فالقيادة الاسمية والقيادة الفعلية تتمثل في نموذجين : النموذج الاول هو جمال الحسيني ، الذي على الرغم من تمرسه الكبير في قيادة الحركة الوطنية اذ عمل سكرتيرا للجنة التنفيذية منذ اوائل الانتداب ، بل ظل احدي الشخصيات المؤثرة فيها والمدير الحقيقي لاعمالها اليومية (١٤٢) وبالرغم أيضا من اعتداده بنفسه وما تكشفه الوثائق من قوة شخصيته ومواقفه التي كانت تتسم في الغالب بالصلابة والعنف (انظر الباب الثالث عن مواقف جمال الحسيني وبخاصة في لقاءاته مع المندوب السامي) وما اشتهر به من كونه " المجاهد الكبير " لم يستطع أن يحتل منصب المتصرف في قيادة الحزب ، رغم أنه كان كذلك من الناحية الرسمية ، وانما تولى الهيمنة الفعلية والسيطرة الحقيقية على مقدرات الحزب ، وفقا لسياسته ،

ومن موقعه كزعيم ، الحاج أمين الحسيني ، ولم يزد جمال الحسيني عن كونه القائد الاسمي للحزب (١٤٣) فالحاج أمين لم يشأ أن يفقد امتيازته ومكانته باعتباره رئيس المسلمين جميعا - بصفته رئيس المجلس الاسلامي الاعلى - وزعيم عرب فلسطين عموما (انظر في ما سبق ص ٥٧) ليصبح رئيسا لفئة من عرب فلسطين ، ممثلة في حزب مهما كان هذا الحزب . كما أن سياسة المفتي - ومنذ وقت مبكر - كانت تتكمن في عدم البروز على المسرح السياسي وايتار العمل المستتر . يقول الخالدي : " لم يكن سماحة الحاج أمين الحسيني يظهر على المسرح السياسي في بادئ الامر لمقامه ، الديني ، ومع ذلك لا ينكر ما كان له من النفوذ المستتر في ذلك الحين وهو لا يزال في سن الشباب المبكر (١٤٤) ويعزو عزة دروزة عدم رغبة المفتي في البروز على المسرح السياسي بأنه لم يكن يريد الصدام مع الانكليز (١٤٥) ، وبالرغم من هذين العاملين عامل الترفع وعامل ايتار الاستتار فان الحاج أمين كان القائد الفعلي للحزب كما تدل جميع الاحداث والقرائن وكما سيظهر معنا واضحا عند ممارسات كل من الحزبين البابين الثالث والرابع . بل أكثر من ذلك فقد تسب الحزب العربي بمجمله الى المفتي فقيل عنه " حزب المفتي " يقول الغوري " كان الحزب العربي يعرف عند الجميع بحزب المفتي " ويؤيده في ذلك كثير من المؤرخين (١٤٩) .

من هذا الموقع في قيادة الحزب مارس المفتي سلطة كبيرة لا حدود لها . بحيث أصبحت شخصيته مؤسسه بذاتها فوق المؤسسه الحزبية . وهذا ما جعلنا ندخل في الجانب الشخصي للسلطة الحزبية . ونحن هنا ازاء مثل فريد من نوعه في تاريخ فلسطين ، وقليلة هي الشخصيات الشبيهة به في تاريخ الشرق الاوسط أو العالم الثالث . وقد لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا العالم أجمع . هذا المثل يتضح في شخصية نالت من السلطة والنفوذ أكثر مما يناله رئيس الحزب ، ووصل تأثيرها الى الجماهير العريضة ، حزبية وغير حزبية ، وتفتت بحبها فترة غير قصيرة .

وفي حقيقة الحال لقد تجاوزت شخصية الحاج أمين المعروف والمتألف عليه من الشخصيات لندخل حيز الشخصيات الكبرى ذات الرسالة الشخصية التي ترمز الى آمال جيل ، الشخصية التي تتربس حولها طموحات أمة ، والتي تحلم بها كوسيلة انقاذ ، شبيهة بذلك النمط الذي يتحدث عنه ريجنز ويسميه " المنقذ والمخلص " . والذي كما يقول عنه تتطلبه " الطبيعة البشرية " . التي تحتاج

السي بطل من أجل أن تمجده أو تعبدته من أجل أن تنجح " ويستشهد على هذه الشخصية المنقذة ، بالمسيح المنتظر ، يقول أحدهم عن الدكتور باندا أحد زعماء أفريقيا : " أن شهرة الدكتور باندا ينبغي أن تبني ... وينبغي أن لا يصيبه الذعر اذا أطلق عليه المسيح السياسي ... فان الشهرة التي تأتي عن هذا الطريق ينبغي أن تستغل كشيء مفيد " (١٤٧) ، ومع هذا فانه تستوقفنا شخصية المفتي كقائد حزب أو بالاحرى كقائد لامة وتتيح لنا المادة المصدرية المتوفرة عنه دراسة خصائص " cult " قائد تستحق الدراسة .

أول ما يطالعنا في هذه الشخصية أنها شخصية ينطبق عليها تعريف الكاريسما كما يراها ماكس وير والتي تقول إن الشخصية ذات الكاريسما : تمارس جاذبية طاغية ، وتجمع حولها عددا كبيرا من الاتباع " كما أنه يصف الكاريسما بأنها " ليست عقلانية وليست تقليدية كما أنها ليست بروقراطية أيضا . أنها صفة معينة عن صفات شخصية معينة ، والتي بعضها لايعامل صاحبها باعترافه انسانا عاديا ، بل يعامل على أنه يمتلك صفات غير عادية وهذه الصفات ليس بمقدور الانسان العادي أن يتوصل اليها ، ولكنها تعتبر من أصل مقدس ، أو مثالي . وعلى أساس منها يعامل الانسان المعنى كزعيم . والكاريسما بمعناها البحث تستحيل على الاعتبارات الاقتصادية . وعند ظهور هذه الكاريسما فانها تشكل " نداء " باجلى مظاهر الكلمة وأعمق معانيها ، أو أنها " رسالة " (١٤٨) والدارس لهذه الشخصية الكاريسمية للمفتي يستوقفه منها التالي :-

١٠ مجموعة من الصفات الشخصية تؤهلها للقيادة أو الزعامة . فهو مند صغره يتسم بالذكاء والبراعة في القيادة وحسن التصرف (١٤٩) . كما أن الحاج أمين الحسيني كما تشهد بذلك مصادر كثيرة ، كان يتميز بجاذبية وسحر شخصية كبيرين . يصفه سايكس فيقول : " أنه ذو شخصية ذات تأثير كبير عندما تلتقي معها . ولديه سحر يعدي ، وهو وسيم جدا رغم ضآلة قامته ، شرقي الشرقيين ، لم يلبس الملابس الاوروبية ، ولكنه ارتدى الرداء الوجيه لعالم مسلم ولم يعرف عنه أنه يوميء أو يرفع صوته . لقد كان يجعل الآخرين يحسون حياله بأنهم عوام اذا قيسوا به (١٥٠) كما ثنى على ذلك تقرير سري بقوله "إن لديه قسما كبيرا من سحر الشخصية (١٥١) ويصف عزة دروزة لبسه العمامة بأنها " تاج العرب " (١٥٢) ، بل أن أكثر من ذلك فانه يبدو أنه كان يتمتع بجاذبية روحية

تحدث الرجل العادي ولا ينجو من تأثيرها المثقف أيضا ، (كان جورج أنطونيوس يعتقد أن المفتي قديس (١٥٣)) ، وكما يهيم بها أيضا الفلاح في كوخه وورا محراته ولقد تضخمت أسطورة الحاج أمين الحسيني وتأثيره على محدثيه وجماهيره ؛ فنظرته (السحرية) تحول الأعداء إلى أصدقاء ، والانصار إلى مجاهدين ومناضلين ، يفتدون الحاج أمين . لم يكن يركن المفتي إلى المكونات الطبيعية أو الفطرية في شخصيته بل عمل جاهدا على تطوير قدراته وواصل الجهود المكثفة لتحقيق أغراضه فهو من النوع الهادف في تصرفاته ، الذي يببب الليل ساهرا ، ويصل الليل بالنهار ، في سبيل تحقيق هذه الأهداف ، وبمجرد أن يتضح له الهدف المنشود يتحول كيانه كله إلى آلة مسخرة لتحقيق هذا الهدف ، ينام ويقوم عليه حتى يحققه مهما كانت التكاليف (١٥٤) . ثم أنه كتوم عامل بصمت يخفي تصرفاته ، يمتاز بالغموض الذي يخفي فاعلية كبيرة . ولعل من هنا رسمت له المصادر بالانجليزية صورة سوداء مرات كثيرة فاعتبرته ذرائعيا مكيا فيليبيا من الطراز الاول .

ويستحل الاغتيال السياسي في سبيل الوصول إلى أهدافه . فقد وصفه المندوب السامي ماكمايكل بأنه : " سيد من سادة الخداع والمكر والمناورة ، وهو المحرك لاكثر من اضطراب وثورة " (١٥٥) واعتبره اورميسي غور " أكثر انسان قلبه أسود في الشرق الاوسط " (١٥٦) ، ولكن كثيرا من العناصر العربية مع ذلك اعتبرته انسانا معصوما عن الخطأ ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويبلغ الامر ايمانا بمعصوميته أن تشكل جماعة " تدين بالولاء إلى زعيم معصوم لا يخطئ يطاع طاعة عمياء " (١٥٧) .

ومع كل هذا فقد شهد له حتى أعداؤه بأنه سياسي ومخطط من طراز ممتاز (١٥٨) .

٢ . العامل الروحي أو الديني : أضاف العامل الروحي أو الديني بعدا آخر لشخصية الحاج أمين . فانتسابه إلى فاطمة بنت الرسول (ص) ، وكونه مفتي الاسلام ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى جعل تأييده في قطاع عريض من الشعب الفلسطيني (وبخاصة القرويين) ضربا من الواجب الديني . ولقد تنامت هذه الناحية الروحية أو البعد الروحي في شخصية المفتي بتنامي تصديه لمقاومة

الانكليز والصهاينة أثناء الثورة وما بعدها . لقد جاء وقت أطلق عليه فيه لقب

النبى " : " أن المفتي ليعتبر من جمهرة المسلمين في فلسطين ليس فقط زعيما
وانما أيضا نبيا " (١٥٩٠) .

وعلى مستوى العالم الاسلامي أصبح المفتي في الثلاثينات الشخصية
الاسلامية الاولى من الناحية الروحية لدرجة أن ابن سعود بات يخشى حضورها في
مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٣٩) خوفا من أن يكون ذلك ، وما سيحرزه المفتي
من مكانة بحضوره ، عبورا الى الخلافة وبالتالي تهديدا لكيان الانظمة الاسلامية
القائمة (١٦٠) وفي هذا الوقت كتب المندوب السامي يوكد طموحات الحاج أمين
الحسيني الى الخلافة انطلاقا من موقعه أو مكانته الروحية في عالم الاسلام . وهو
الى ذلك ينفي عنه كونه فوهرر الشرق ويصفه بأنه خليفة الاسلام : " ليس هنالك
حدود لمطامح المفتي . وأنه ليبعد عجبيا مدهشا ، ولكن هنالك أشخاصا مختلفين
مثل السيد أوتري القنصل الفرنسي العام (وهو دبلوماسي صغير وحكيم)
والسيد ليفي مراسل النيويورك تايمز (وهو مخادع بالوراثة ونشيط جدا) قد
أكدوا لي أن المفتي ينظر الى نفسه بمنظار " فوهرر الشرق " ولكنني أنا أقر
بطريقة أخرى ، وأقول أن موضوع الخلافة يسود كل المفاوضات الحاضرة بين مصر
والسعودية والمفتي (١٦١) .

وعندما أراد أميل الفوري في اجتماع بعصبة الامم في ليك سكس أن يجد
شبيها للمفتي " الضحية " ضحية المؤامرات اليهودية ، ومحاولات التسويه
المتعمدة ، اختار أن يشبهه بالمسيح المصلوب (١٦٢) ، بل أننا لنجد أن
احترام المفتي وشعبيته في كثير من القطاعات المسيحية لا تقل كثيرا عن تلك التي
في القطاعات الاسلامية ، كما أنه بلغ حدا من القداسة وجد صدى في نفوس
المسيحيين والمسلمين على السواء . بل أنه لا يوجد الا القليل من الزعماء
الوطنيين الذين تمكنوا أن يكسروا حاجز الطائفية كما كسره المفتي ليقفز من فوقه
الى مستوى الزعامة القومية (راجع في ما سبق ص ١٥٠) وأصبحت روحية شخصيته
رصيда قوميا للطرفين . فقد كان الحاج أمين بمقدار ما هو " سيف الدين الحاج
أمين " بالنسبة للمسلمين " ، هو كذلك " حاج أمين يا مفتينا " التي ينشدها
شباب المسيحيين في كنيسة القيامة (١٦٣) .

٠٣ ولعل هذا يدخلنا في البعد الثالث من أبعاد شخصية الحاج أمين . وهو

البعد الوطني القومي في هذه الشخصية ، لقد سبق لنا أن تحدثنا عن دور المفتي في الحركة الوطنية منذ أن فر من الجيش التركي يجمع الحشود لقوات فيصل (راجع في ما سبق ص ٨) . واستمر على ذلك بصورة أو بأخرى طوال العشرينات . ولكن الحاج أمين لم يتمكن من تحقيق عملية الاختراق الكبرى في تاريخه السياسي - تلك العملية التي يمكن تشبيهها بمسيرة الملح بالنسبة لغاندى أو كرفض المجتمع الفرنسي بالنسبة لسيكوتورى في غينيا (١٦٤) الا خلال ثورة ١٩٣٦ عندما كتب واكهوب الى باركسيون يخبره أن مفتي اليوم غير ما عهدناه قبل سنة أو سنتين (١٦٥) وهنا نجد أنه بينما اعتبره وزير المستعمرات " العبقريّة الشريفة " (١٦٦) اعتبره آخرون "روح الثورة" (١٦٧) .

وكما تنامت شخصية الحاج أمين الروحية لدرجة أنها أصبحت تنافس على الخلافة أو يطرح اسمها على بساط التنافس عليها ، تمت شخصيته القومية الى درجة الوله القومي ، ومنحه لقب الشهيد أو الرمز . ولقد تنامى رصيد الحاج أمين القومي لدرجة أنه غلب بمراحل ما لخصومه ، بل لقد جاء الوقت الذى التحم معه الشعب في مجمله بمن فيهم خصومه الشخصيون من حزب المعارضة . فعندما قررت الحكومة البريطانية حرمان المفتي من حضور مؤتمر المائدة المستديرة كتبت جريدة فلسطين " أن حكومة جلالته قررت أن تحرم حضرة صاحب السماحة المفتي من العودة الى فلسطين ، وسماحة المفتي الذى يتفضل الوزير باذاعة ذلك الحديث عنه هو الفرد الذى تمثلت فيه أمة والامم التي تجمعت ارادتها في فرد " (١٦٨) .

وعندما زعم فخرى النشاشيبي أن الحاج أمين سبب المصائب التي حصلت بفلسطين أثناء الثورة في رسالته الشهيرة الى المندوب السامي ونشرتها بالبلاستين بوست ، وجد من حزب الدفاع من يبرقون الى راغب النشاشيبي أنه لم يعد هناك حزب دفاع " نحن أعضاء حزب الدفاع في نابلس أطلعنا على بيانك (بيان راغب النشاشيبي) ومع تقديرنا لاستنكارك فعلة فخرى النشاشيبي النكراء نلغت انتباهك الى أن حزب الدفاع لم يعد موجودا وأن ثقتك التامة تحمل الاحزاب العربية الاضطلاع بمعهام المفاوضات كان يجب أن تكون حيث استقرت مشيئة الامة الصريحة اذ لم يبق في فلسطين احزاب فقد دمجتها قدسية الاهداف ووحدتها فواجه المآسي . عرب فلسطين ككتلة واحدة تحت لواء الزعيم الامين وهو الذى يملك حق المفاوضات باسمهم " (١٦٩) .

لقد حقق البعد القومي غايته في شخصية الحاج أمين عندما لم تعد مكانته مستمدة من كونه ابن العائلة العريقة فقط . وإنما بكونه المناضل الذي يعمل من أجل مصلحة الوطن . يقول الشقيري " ولقد كان الحاج أمين هو ذلك القائد معبود الشعب . فلا مكان للتغيير ولا امكان . وهو فوق ذلك شجاع جسور مخلص ، صلب ، وفيه كثير من مؤهلات الزعامة " (١٧٠) .

ويقول عارف العارف في مذكراته " كما انني لا أنكر أني أحب الحاج أمين . لا لانه حسيني ولا لانه ابن فلان من الناس بل اخلص من انجيبته فلسطين للقضية العربية والوحدة العربية " (١٧١) . ويرى مالرو أيضا أنه اكتملت له سيطرته مع تغلب التناقض الوطني على التناقض العائلي " (١٧٢) .

بل أن الشخصية الوطنية للحاج أمين تجاوزت التقدير أو الحب الوطني من الجماهير الى حد أنها أضفت عليه أبعادا أسطورية ، اختلطت بمقومات زعامته الوطنية والقومية . ويظهر أن مرحلة الزعامة القومية أفضت تلقائيا أو أنها تطورت الى مرحلة الزعيم الرمزي . وبخاصة بعد فشل الثورة وهجرة الحاج أمين من لبنان الى العراق . يقول عارف العارف بعد هذه الهجرة : " الحاج أمين وان نفوذه قد تضعف قليلا بسبب الاحداث الحاضرة لا يزال يتمتع بنقطة الاكثريّة الساحقة من العرب الذين يعتبرونه رمز الوطنية " (١٧٣) .

واستمر معنى الرمز هذا يلف شخصية الحاج أمين مع تنامي غربته عن الوطن (بعد هجرته الى ألمانيا) ففي أواخر الحرب العالمية الثانية كتب المندوب السامي يعبر عن شعور الفلسطينيين :-

" هنالك اهتمام واضح لمعرفة مكان الحسيني . فان غالبية السكان العرب من القرويين يرغبون رغبة واضحة في عودته السريعة الى فلسطين . فهو في رأيهم رمز الوطنية والقومية في هذه البلاد . وان ما كشفته الاذاعة البريطانية عن حقيقة كون المفتي الحاج أمين في أيدي الفرنسيين سبب انفجار مظاهر الاستحسان والتقدير لدى قروييرام الله " (١٧٤) .

ليس هذا فقط ، بل لقد جاء الوقت ، وكان هذا أيضا خلال ضعف قوة المفتي من الناحية السياسية ، وأثناء ابتعاده عن الوطن أن ارتدت شخصيته ليس بطابع البطل القومي لفلسطين - ولعل هذا مما يثير الكثير من الاستغراب - بل ارتدت شخصية البطل القومي للامة العربية ولقد بلغت هذه الناحية قممها في

بغداد فهناك نمت شهرته من شهيد عربي فلسطيني الى بطل القومية العربية . ولقد بلغ الامر حدا انجرف فيه السياسيون المؤيدون لبريطانيا في هذه الناحية وقبل نهاية ١٩٤٠ أصبح المفتي شخصية كبرى او عملاقة في السياسة الاهلية للعرب وبخاصة في العراق ، حيث أصبح في امكانه ان يعين او يرقى أو يطرد من يشاء من موظفي الحكومة . . . الى درجة انه كان وراء تعيين طه الهاشمي رئيسا للوزراء (١٢٥) .

ويؤكد الخالدي الذي عاصر وجود المفتي في بغداد الاحترام الشديد الذي كان يلقاه المفتي هنالك ، لدرجة أن الناس أصبحوا ينتظرون رؤيته للتبرك به وأن أركان الجيش كانوا يبادئون بالزيارة قبل زيارتهم لسمو الوصي على العرش (١٢٦) .

ومن جراء هذه النواحي المختلفة ، مارس المفتي سلطات لا تحد تجاوز فيها الهرمبة الحزبية لقب " الخاصة " (١٢٧) أو " رجال الحاشية " (١٢٨) أو حلقة المستشارين (١٢٩) أو الحاشية نجد البعض يطلق عليهم لقب " الشلة " أو " المرديد " (١٣٠) . وقد ارتدى اعتماد المفتي على هؤلاء عدة صفات او مظاهر .

- ١ . طابع حب الظهور والجاه : فالحاشية هنا تلعب دور حاشية الملك أو الخليفة أو السلطان أو الامير . تسير بين يدي الزعيم فنكسبه شيئا من السلطان والعظمى ، وتزيد من شعوره بأهميته ويزداد بها زهوا وكبريا .

وعد حرص الحاج أمين على اصطحاب فئة من هؤلاء الافراد في كل رحلاته وكان بعضهم لازمة من لوازم مرافقي المفتي ومن بين هؤلاء ، جمال وصفوت الحسيني وأميل الغوري " (١٣١) .

- ٢ . أو أنها تكتسي طابع استقطاب فئة من العاملين الكفاء الذين يستطيع المفتي أن يتعاون معهم . ولا سيما عندما كان في ظروف الخطر وكثرة التحديات (أثناء الثورة وما بعدها) . فوسط الاجهزة المسلحة عليه من الانتداب والصهيونية لم يكن الحاج أمين يلقي بسره أو يشرك في أمره الا من وثق به كل الوثوق . ومن هنا فقد اصطفى لنفسه بعض من ربطته بهم الوشائج العميقة على مستوى عائلي أو مستوى شخصي . ليس هذا فقط وإنما نجد أن الحاج أمين في مرحلة الثورة وما تلاها أصبح زعيم فلسطين جميعها ، وبلا منازع ، وليس زعيم حزب أو طائفة ، وعلى هذا فقد تجمعت لديه أو بين يديه جوانب ليست قليلة من السلطة

والفاعليات القيادية . ولذا فاننا نجد انه يوسع دائرة الاعوان ، بحيث تتشكل لديه فئة من الفنيين ذوى الكفاءات الممتازة في أكثر من حقل واحد نستطيع أن نطلق عليهم لقب الاستراتيجيين (١٨٢) . ومن بين هؤلاء الذين تعاون معهم الحاج أمين نجد :-

١ . السياسيين من مثل جمال الحسيني ، وموسى العلمي ، وجورج انطونيوس واسحق درويش . ولكل من هؤلاء منزلته لدى القائد ومهمته التي يكلفه بها . كما سنوضح عند الحديث عن الممارسات .

ب . كما نجد أيضا العسكريين ، فبالإضافة الى قادة الثورة الذين ارتبطوا بصورة أو باخرى بالحاج أمين ، نجد فئة ممن عايشوا الحاج أمين والتصقوا به التصاقا وطيدا . ووظفهم الحاج أمين لنواح عسكرية مثل عبد القادر الحسيني وصفوت الحسيني .

ج . كما وجد بين هذه الدائرة الفنية الاعلاميون مثل منيف الحسيني رئيس تحرير جريدة الجامعة العربية ، وأميل الغورى الذى يراس أكثر من جريدة ناطقة بالعربية أو الانجليزية (١٨٣) .

ولعل النص التالي ، مع ما يشوبه من شائبة التحامل ، يوضح لنا بعضا من أدوار هذه الفئات الفنية التي اعتمد عليها الحاج أمين من أجل تسيير دفعة نشاطه السياسي والدعائي والعسكري الخ أثناء وجوده في بغداد :-

" سرعان ما أسس المفتي مركز قيادته ، وعدل فيه بحيث يناسب الظروف الجديدة التي أصبح في ظلها . فقد كان جمال الحسيني رئيس أركانه . وكان الشيخ حسن أبو السعود المستشار للشؤون الدين الاسلامي ، كما قام موسى العلمي بدور المستشار القانوني والناقد للشؤون الغربية . وبسبب من خلفيته فقد تحدث بصورة مقنعة الى المنصتين اليه من مسؤولين وراغبين في السماع عن نواحي "الظلم البريطاني" . وكان فوزى القاوقجي العضو المناضل ، وقد قام بالاتصال بالجيش العراقي وكان يحصل من هذا المصدر على الاسلحة والذخائر والتسهيلات اللازمة لتدريب الرجال على حرب العصابات . كما أن سليم عبد الرحمن عمل ضابطا صحفيا ورجل دعاية . وكون منيف وموسى وتوفيق صالح الحسيني

وأميل الغورى وعزة دروزة وابراهيم درويش وعز الدين الشوا وآخرون ، كونوا ، لجان اتصال ، وكانوا مسؤولين عن الدعاية وأعمال الحيلة والخداع (كذا)

والنشاطات الهامة داخل العراق وخارجه (١٨٤) .
بل انه ليظهر ان الحاج أمين كون من هوءلاء الاخصائيين وزارة سورية .
يقول الخالدي : " واراد سماحته وحلقة مستشاريه الخاصة تدريب الشباب
الفلسطيني على الحكم الذاتي فشكل لهم وزارة سورية ومجلس نواب تتولى
اجتماعاتها وتناقش المواضيع والامواضع (١٨٥) .

تكوين الفروع وعملها

شهد عام ١٩٣٥ فترة ذهبية في تأسيس الفروع للحزب العربي وحاول حزب
الدفاع ان يحدو حدوه . ولقد تميز الحزب العربي بكثرة فروعه التي بلغت ١٧
فرعا (١٨٦) ويفسر عزة دروزة كثرتها بأن " اكثرية فلسطين مجلسية ووطنية معا "
ففي فترة قليلة لا تتجاوز الايام او الاسبوع نجد جمال الحسيني رئيس الحزب
العربي يفتح فروعاً في عدة مدن وقرى في فلسطين ومنها يافا وغزة وخان يونس
والمجدل وبئر السبع وحيفا وعكا والناصرة والصفورية (١٨٨) ولقد بلغت كثافة
الفروع أشدها في منطقتي القدس وصفورية (١٨٩) .

كما أن حزب الدفاع أنشأ أيضا فروعاً في مدن متفرقة من فلسطين هي غزة
ويافا ونابلس والرملة (١٩٠) .

ويتضح من النظر في فروع كل من الحزبين من الناحية العددية أن الحزب
العربي استأثر بالكثرة كما أن حزب الدفاع بالمقابل استأثر في فروعه بالأشخاص
ذوي النفوذ الذين عوضوا عن غياب الكثرة . يقول عزة دروزة عن فروع حزب
الدفاع بانها كانت " قوية بأشخاصها دون اعدادها " وان هذا الحزب لم يكن له
شعبية ذات شأن (١٩١) .

ولعل تبني هذه الناحية الجغرافية من قبل الحزبين بحيث تشمل جميع
أرجاء فلسطين . كان احدي حسنات التنظيم على أساس اتخاذ الفرع وحدة
أساسية (راجع في ما سبق عن قانون الحزب العربي ص ١٢٧) فقد وصل تأثير كل
من الحزبين (وبخاصة الحزب العربي) الى ركن من أركان فلسطين . وكانت
الفروع الاطار الذي حاول من خلاله كل من الحزبين ربط جميع نواحي فلسطين
بالتوجيه السياسي الصادر من المركز القدس .

واقع الامر أن هناك فجوة كبيرة بين المبادئ التنظيمية للحزب العربي

وبين ما أمكن تطبيقه من هذه المبادئ . فنحن لانستطيع ان نتبين مما لدينا من شواهد ما يدل على ان اجتماعات هذه الفروع كانت منتظمة (١٩٢) على مستوى محلي ، وحتى ما انعقد منها نادرا . (١٩٣) وعندما كانت تتم هذه الاجتماعات - في صورتها المحدودة - فانها كانت مفرغة من المحتوى . اذ يبدو من صحف هذه الفترة وتقارير السلطة ان اجتماعات الفروع لم تتعد ان تكون مناسبات للاستعراضات والهناءات والوداع والاستقبال او لتناول الوجبات الدسمة على مائدة احد الوجهاء من اعضاء الحزب (انظر ممارسات الاحزاب في الباب الثالث فهناك امثلة على هذه المناسبات) . بل اننا لا نبالغ انا قلنا ان المظهر الاساسي للنشاط الحزبي في هذه الفترة كان الاجتماعات الصورية . فقد تنافس الحزبان على عقد الاجتماعات للحشد للدعاية الحزبية وكسب المزيد من الانصار . وفي اكثر الحالات لا نجد اثرا يذكر للتثقيف السياسي الذي يعتبر المبرر الاساسي للحزب ، اللهم الا بعض محاضرات او قل خطابات ، غالباً ما كانت تقف عند حد تدشين افتتاح الفرع او الاحتفال بمناسبة اجتماعية وقد تتطرق الى الموضوعات السياسية وتبقى خطابة رنانة لا اكثر ولا اقل (١٩٤) .

ونحن لانجد في ما بين ايدينا من شواهد ما يدل او يفيد بأنه كان لدى الفروع الجباية المالية الكافية او المنظمة ، كما هو المفروض بالنسبة لقانون الحزب العربي ، وكما هو المفروض ان يكون الامر بالنسبة للفرع كفرع والذي هو الوسيلة الوحيدة لتغطية نفقاته ونفقات الحزب عامة ، فليس في الاحزاب القائمة على الفروع كوحدة تنظيمية اساسية - وكما يذهب دوفرجه - اى مصدر للتمويل غير جيوب الاعضاء (١٩٥) .

واختفاء دور الاعضاء هو - لا في الحزبين العربي الدفاع من حيث الجباية سيدخلنا في بحث العضوية في فروعها بصورة عامة .

للاسف ليس لدينا في مادتنا المصدرية عن الحزبين أية سجلات للعضوية نستطيع ان ندرس على ضوئها العضوية ومدى التزامات الاعضاء الحزبية . ولعل هذا عائد كما أسلفنا (انظر حاشية، ص ١٥٩) ، الى ان فترة عمل الحزبين على مستوى الفروع كانت محدودة من الناحية الزمنية ، الامر الذي يجعل دراسة قائمة على الاحصائيات عبر فترة زمنية قصيرة امرا بالغ الصعوبة . والاغلب انه لم يكن هناك نظام تسجيل للاعضاء كما انه لم يكن هنالك جمع منظم للاشتراكات بل

اعتمد الحزب في تمويله على زعمائه أو على مؤسسات ذات علاقة بصورة أو بأخرى بالحزب. يقول نجيب صدقة عن الحزب العربي ما نصه " وليس فيه أعضاء مسجلون تنظم اتصالاتهم بالمركز ويدفعون الاشتراكات ويجمعون في مؤتمرات دورية وينتخبون الهيئات الادارية (١٩٦) ومع غياب هذين الشرطين الاساسيين للعضوية اللذين لا يكون الحزب بدونهما ، كما يرى بعض العلماء السياسيين ، حزبا ، ويكون حال الحزب بدونهما كما يقول دوفرجيه ، كمدرس بلا تلاميذ (١٩٧) ينبغي أن نبحث عن طبيعة العضوية أو ما يطلق عليه عادة عضوية في كل من حزبينا بحثا نستمد من الشواهد التاريخية والمحاكمة العقلية وقياسا على الاحزاب الاخرى في العالم . وهنا يطالعنا وجود صنفين من الناس ، لا ننطلق في تصنيفهما مما هو معروف من شروط العضوية في الاحزاب الغربية ولا حتى من الشروط التي وضعها قانون الحزب العربي للعضوية بل من شروط أخرى نبعت من ظروف الحزبين ، هذان الصنفان هما المناضلون والانصار :-

١. دائرة المناضلين : وهي دائرة صغيرة . وتحتوى على الاعضاء النشيطين ،

ونستعير هنا . من أجل وصفهم ، تعبير قانون الحزب العربي ، عما يسميهم "الاعضاء العاملين" (١٩٨) لكن في أضيق الحدود . فالمناضلون هؤلاء لا يدفعون اشتراكات ولا يحضرون اجتماعات منتظمة ، كما أنهم غير مسجلين . وتتفق المصادر التاريخية ومصادر كل من الحزبين على وصف هؤلاء بأنهم من المشاركين في الحزبين وأنهم النواة أو الركيزة الاساسية التي قام عليها كل منهما . وقد نمت هذه الفئة وتبلورت من خلال تجربة كل من الحزبين ومعاناته الطويلة قبل التكوين الرسمي وبعده . وتعود في أصولها الاولى الى الجمعيات الاسلامية المسيحية والتي قامت عليها نشاطاتها ، ومع انشقاق الحركة الوطنية ازدادت هذه الفئة تمرسا في نشاطها ضد بعضها . وعندما قام كل من الحزبين ورث عناصره العاملة قبل أن يتكون رسميا ، مجلسية كانت أو معارضة . وعلى أية حال فان مصادر الشرطة تطلق على هذه الفئة من النشيطين حزبيا " العاملين السياسيين " (١٩٩) (**Political workers**) كما يطلق

عليهم بعض المؤرخين اسم " النشيطين سياسيا (**Political activists**)

٢. دائرة الانصار : وهذه هي الدائرة الاوسع والتي لا حدود لتساعها . وطبيعة المناصرة في هذه الدائرة سطحية بعيدة كل البعد عما يشترطه الحزب العربي مثلا

في الاعضا المؤازرين (الذين يؤازرون الحزب ماديا ومعنويا) (٢٠١) ولا ما يشترطه العلماء السياسيون فيما يطلقون اسم الاعضاء المناصرين أو المؤيدين (Supporters) في أحزاب الفروع (٢٠٢). فمما نعلم ومما يتوافر بين أيدينا من شواهد لا نجد من بين هؤلاء الانصار والمناصرين من يحضرون بانتظام أو التحشيدات الدعائية للحزبين ، كما أنهم ليسوا قابلين للتطور الى أعضاء كاملي العضوية . وعلى هذا فليس لدينا مقياس ثابت نقيسهم عليه . ولكن الظاهر أن هؤلاء قطاع عريض من المجتمع يتفق مع أحد الحزبين على شعاراته الكبرى ، أو أنه بالأحرى يناصر الزعيم الذي يلتقي معه على عاطفة وطنية أو شخصية أو أنه يناصر الحزب أو الزعيم من أجل مصلحة ذاتية أو عائلية أو اقليمية وهكذا وأما عن نشاطات هؤلاء الانصار فيظهر أنها كانت هبات مؤقتة أو اجتماعات عارضة في مظاهرة تحشد وهم في الغالب أدوات يستتيرها ، ويجمعها ، ويفرقها العاملون السياسيون الذين سبق لنا الحديث عنهم وستعرض لامثلة من نشاطات هؤلاء الانصار وتحشداتهم عند الحديث عن الممارسات .

وعلى أية حال فمن الملاحظ من المناصرة الحزبية أن كلا الحزبين بل والاحزاب الاخرى كان يسعى الى الفوز بالقطاع الاكبر من الشعب العربي في فلسطين أو كما سبق لنا القول أنه لما لم تكن لهؤلاء فرصة في الفوز في انتخابات عامة أو الوصول الى الممارسة في الحكم ، أصبح همهم السيطرة على الحركة الوطنية وكسب العدد الاكبر من الشعب أو الرأي العام . ولعل هذا كان عائدا الى غياب التنظيم الفعال الذي يؤثر القلة الفعالة على الكثرة التي لا فائدة ترجى من ورائها . وقد وفق الحزبان الى استقطاب العدد الاكبر من الشعب الفلسطيني ، وجاء وقت كان الناس فيه يحملون في كل قرية ومدينة في فلسطين ، لافتة مجلسية أو معارضة . كان هذا في العشرينات واستمر الحال عليه الى حد كبير في الثلاثينات .

ومع هذا فقد كان هنالك تفاوت في عدد أنصار كل منها . ولعل دراستنا لطبيعة المناصرة وعلى أي شيء قامت ، ستلقى ضوءا عليها – أي المناصرة – وبالذات من حيث قوة كل من الحزبين من حيث عدد مناصريهما .

١ . الاساس السياسي أو الوطني : كان توجه كل من الحزبين كحزبين سياسيين توجهها وطنيا بالدرجة الاولى . وبعض أصالتهما ينبع من كونهما جناحين من أجنحة الحركة الوطنية أكثر من كونهما على سبيل المثال حزبين ذوي نهج

انقلابي ذي برامج اجتماعية واقتصادية كالأحزاب الشيوعية أو الفاشية أو حتى الأحزاب الغربية ذات المناهج الإصلاحية . وعلى هذا فمقدار ما كان كل منهما يبدي إخلاصاً للمبادئ الوطنية قولاً وعملاً ، مبادئاً وتطبيقاً ، كان يلقي صدى شعبياً ويكسب العدد الأكبر من المناصرين . ولعلنا لا نجد تفسيراً لكثرة المناصرين التي حظي بها الحزب العربي المواقف الوطنية . فمن المؤرخين العرب إلى مصادر السلطة نجدتها تتفق على أن " شعبية " الحزب العربي إنما كانت بسبب وطنيته ، فبينما عزا عزة دروزة كثرة فروعه لكونه يمثل أكثر فلسطين التي هي مجلسية ووطنية معاً (٢٠٣) تذكر الوثائق البريطانية " هذا حزب وطني متطرف وأنه يتمتع بالعدد الأكبر من الاتباع (٢٠٤) وحتى عندما كانت بعض المصادر تعزو قوة هذا الحزب للمفتي (٢٠٥) كانت صفة المفتي الوطنية ، وليست فقط العائلية أو الدينية - كما سيأتي معنا - هي المقصودة . وتعطينا دراسة مناصرة كل من الحزبين على المستوى الشعبي قبل الثورة ١٩٣٦ وما بعدها ، صورة عن ارتباط شعبية كل منهما بموقفها الوطني .

أ . مرحلة ما قبل الثورة : فبينما نجد أن هذين الحزبين يتمتعان بقوة متقاربة تقريباً . فالحزب العربي الذي فاز بالأغلبية بين الأحزاب العربية الستة ، جاء بعده مباشرة من حيث القوة العددية والنفوذ حزب الدفاع . فالغوري يتحدث عن الأحزاب الأخرى - غير الحزب العربي - فيقول : " كان حزب الدفاع الوطني في الواقع أكبر هذه الأحزاب من حيث عدد أعضائه المنتمين إليه وبنفوذهم في البلاد في حين كان حزب الاستقلال يليه من حيث قوته الشعبية في البلاد (٢٠٦) ويعتبر الخالدي الحزبين العربي والدفاع - الحزبين الكبارين في البلاد ، فهو عندما يتحدث عن تكوين اللجنة العربية العليا وفوزهما بنصيب الأسد فيها يقول " فيكون الحزبان الكبيران قد حازا على مقاعد نصف اللجنة " (٢٠٧) كما أن المندوب السامي يشير في تقرير له في عام ١٩٣٩ إلى القوة التي كانت لحزب الدفاع قبل قيام الثورة : " منذ ثلاث سنوات ، كان حزب الدفاع قوة في البلاد . وكان له جريدة فلسطين ، وكان كثير من رؤساء البلديات من أتباعه ، ولقد مثل طبقة الموسرين في المجتمع " (٢٠٨) .

ب - مرحلة ما بعد الثورة : كانت الثورة بمرحلتها الأولى والثانية امتحاناً

قاسيا لكل من الحزبين فبينما راهن الحزب العربي ، أو بالأصح جماعة الحاج أمين على الخط الثوري ، واندفعوا به ومعهم الى النهاية مما وضعهم في بؤرة الوطنية ، وأكسبهم شعبية طاعية ، كان لموقف حزب الدفاع المتذبذب ، الوطني المتطرف أحيانا ، كما بدأ في الشهور الاربعة الاولى من ثورة ١٩٣٦ ، والمعتدل أحيانا أخرى كما بدأ في الشهرين الاخيرين من هذه الثورة ، والمتخاذل ، أو المناهض للثورة بعد ذلك ، ان أفقدهم الجزء الأكبر من قوتهم وبخاصة على المستوى الشعبي . بل لقد أطردت القاعدة أنه بمقدار ما شارك الحزب العربي بالثورة بمقدار ما اكتسب قوة وأنصارا ، وكان العكس صحيحا بالنسبة لحزب الدفاع أنه بمقدار ما ابتعد عن الثورة أو تصدى لها بمقدار ما حسر من أنصاره ونفوذه .

فليس بلا مغزى أن التقارير البريطانية تذكر أن المفتي خرج من الثورة وهو رجل فلسطين القوي " (٢٠٩) وبالمقابل " فقد خسر راغب الكثير من نفوذه ولا تستطيع مقارنة نفوذه (الحالي) بقوته التي كانت له في الامس القريب (٢١٠) . كما أن تقريرا للمندوب السامي علل فقدان حزب الدفاع لنفوذه بموقف راغب النشاشيبي السلبي من حل اللجنة العربية العليا ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى (٢١١) .

وفي أثناء المرحلة الثانية من الثورة (١٩٣٧ - ١٩٣٩) بلغ المفتي

وأنصاره أقصى قوتهم : " لقد عزز المفتي وأنصاره موقعهم ، وبفعل استخدام

جميع أشكال الدعاية نجحوا في كسب التأييد والتشجيع من العالم الاسلامي

بوجه عام (٢١٢) ويذهب هيرووتر الى أن الثورة المسلحة أصبحت الذراع

الضارب للحسيبيين (٢١٣) .

وبالمقابل فقد كان لموقف النشاشيبيين المتخاذل من التقسيم

وانسحابهم قبل ذلك من اللجنة العربية العليا ، وموقفهم من الثورة أن بلغت

جماعة النشاشيبيين وبقايا حزب الدفاع المرحلة الدنيا ضعفا وقلّة شأن . وقد ذكر

أحد تقارير دائرة التحقيقات الجنائية عن حالة الحزب في هذه الفترة بعد أن

غادر زعماءه فلسطين فارين بجلدهم : " ان مفادرة راغب النشاشيبي وسليمان

بك طوقان وأحمد الشكعة وأعضاء آخرون من المعارضة (فلسطين) الى أوروبا قد

نتج عنه الانحلال الكامل لحزب الدفاع الوطني الامر الذي يترك البلاد بدون أي

كيان سياسي معترف به (٢١٤) .

٢ . العامل الشخصي ، أ - بالنسبة للمفتي : اتخذت المناصرة طابع الولاء

لشخصية الزعيم . ففي الحزب العربي نجد أن شخصية الحاج أمين بما لها من كاريisma بلغت درجة التقديس ، كانت وراء كثير من قوة الانتصار ، التي أحرزها الحزب العربي . وليس بلا مغزى أن الغورى ينسب التأييد الكبير الذى حظى الحزب العربي الى المفتي : " والتفت أكثرية الفلسطينيين حول الحزب على هذا الاعتبار " (أى اعتبار الحزب حزبا للمفتي) . (٢١٥) وبالنسبة للخالدى أيضا فان الذى عدل كفة الحزب العربي على حزب الدفاع كانت شخصية المفتي . ولو اردنا تحليل قوى كل من الحزبين الرئيسيين لوجدنا ان الحزب العربي كان أضعف برجالاته البارزين الظاهرين من رجال حزب الدفاع وقس على ذلك اتباع الطرفين من مؤيدين ولكن وراء الحزب العربي القوة المستترة وهي شخصية الحاج أمين " (٢١٦) .

وقد شمل الانتصار الذين جاءوا الى الحزب العربي عن طريق المفتي

التالىين :-

١ . جماعة المجلس الاسلامي الاعلى ، وقد ذكرنا سابقا (راجع فيما سبق ص ٥٦ - ٥٧) كيف تكونت هذه الجماعة وكيف كان المفتي يختار رجالها . وما يهمنا هنا أن نذكر أن ولاء هؤلاء ترسب بالدرجة الاولى حول المفتي . حتى أنهم ارتبطوا به برابطة يشبهها أحد التقارير بأنهم كانوا يريدون لشيخ هو الحاج أمين (٢٠٧) . كما أنه ليس بلا مغزى أن نجد في أدبيات الحزبين هذه اللازمة ، والتي تكررها بصورة خاصة الصحف المعادية للمفتي ، لتبين أين تكمن القوة :

" ما مورى الاوقاف وما دوني الانكحة (٢٠٨) وبيالغ غسان كنفاني في وصف هؤلاء فيعتبرهم نوعا من الاقطاعية الكليركية (٢١٩) .

ب . لعب الحاج أمين دورا خاصا في استقطاب فئات معينة عن طريق توظيف الرابطة الشخصية بين بعض الوجوه أو الزعماء بمناصريهم ، باعتبارهم مفاتيح للوصول الى هؤلاء المناصرين ، وشدهم نحوه . فعلى سبيل المثال ، تمكن المفتي عن طريق الفرد روك وجيه الكاثوليك ، والذى عمل نائبا لرئيس الحزب كما ذكرنا ، وكانت تربطه بالمفتي والعائلة الحسينية رابطة الولاء والصداقة ، من استقطاب تأييد الطائفة الكاثوليكية الى حد كبير (٢٢٠) .

وبوساطة الدكتور حسين فخرى الخالدى ، الذى تصفه التقارير - وبخاصة أثناء الثورة - بأنه مؤيد عنيد للمفتي (٢٢١) ، تمكن المفتي من السيطرة على

حزب الاصلاح ، وتسييره في تياره بالرغم من أن هذا الحزب احتفظ باستقلاله
الظاهر : " أن هذا الحزب مستقل من الناحية الاسمية في حقيقة الحال فان
المفتي يسيطر عليه بواسطة الدكتور الخالدي الذي هو مؤيد عنيد للمفتي (٢٢٣)
وبوساطة أشخاص مثل عزة دروزة (٢٢٣) وصبحي الخضرا اللذين كانا
من أركان موظفي المجلس الاسلامي الاعلى ، والثاني منهما تصفه التقارير بأنه
" مؤيد عنيد للمفتي وعامل نشيط في دعم سياسته " (٢٢٤) تمكن المفتي من
الوصول الى حزب الاستقلال ، الذي تعاون زعماءه وعدد كبير من أفرادهم ، مع
المفتي الى درجة التحالف الحقيقي ، ولدرجة أن تقارير البوليس تصنف
عشرات منهم بأنهم مجلسيون ، وتعتبرهم بعض المصادر نظراً لتشددهم الوطني
بأنهم يسار المفتي (٢٢٥) .

ولقد بلغ الامر حداً أنه مع ازدياد حدة الثورة وخاصة في المرحلة الثانية
أن تلاشت الى حد كبير الشخصية المستقلة للأحزاب وأصبحت جميعها تأتمر بأمر
المفتي : " أن ما يطلق عليها أحزاب لا تعدوا أن تكون أطلاقاً بين ذراعي المفتي
كما وصفها تقرير آخر " أن الاحزاب ليست مستقلة إلا اسماً وهي تنكسر في حقيقة
الامر حزبا واحدا تحت امرة المفتي " .

كما أن المفتي استطاع أن يستقطب عدداً ليس بالقليل من زعماء
القساميين وبخاصة أثناء الثورة مثل فرحان السعدى وهاشم الخطيب . (٢٢٦) .
ولقد تمكن المفتي من النفاذ الى الحركة العمالية من خلال بعض قادتها
فمن خلال عارف الجاعوني وهو من أقرب المقربين للحاج أمين (٢٢٧) تمكن
المفتي من النفاذ الى جمعية عمال القدس التي يصفها أحد التقارير على الوجه
التالي :

" جمعية عمال القدس :

" الرئيس عارف الجاعوني "

هذه من الناحية الاسمية نقابة للعمال في القدس ، ولكنها تحت تأثير
المفتي " (٢٢٨) كما أن من خلال رجاله مثل الشيخ حسن أبو السعود وصبرى
عابدين حول جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى جمعية ناطقة باسمه
وتدار بوساطته ويوظفها لاغراضه السياسية . (٢٢٩) .

كما أنه كسب الى جانبه بحارة يافا عن طريق زعيمهم حسن أبو

شياح . (٢٣٠) .

ب . العامل الشخصي لراغب النشاشيبي وشخصيات حزب الدفاع الاخرى :
أطرد عامل الرابطة الشخصية بين الزعيم والمناصرين في حزب الدفاع كما كان
الامر بالنسبة للحزب العربي . وقد كان لشخصية راغب النشاشيبي بالذات فضل
كبير في كسب المنصرين للحزب . فقد انضم عدد كبير من رؤساء البلديات عن
طريق ولائهم لراغب النشاشيبي بصفته عميدهم : " ان اعضاء الحزب فيهم دائما
عدد من الوجهاً بمن فيهم عدد كبير من رؤساء البلديات ورؤساء المجالس
المحلية " (٢٣١) .

كما أن راغب النشاشيبي استطاع أن يستقطب عددا كبيرا من المخاتير
الذين شكلوا بدورهم نقاط ارتكاز له في قراهم . وكان ذلك على امتداد جغرافية
فلسطين . وكثيرا ما رأينا أعمدة الصحف تتحدث بالتأييد لراغب عن طريق
البرقيات التي يرسلها هؤلاء المخاتير . فمن منطقة غزة مرورا بالقدس ورام الله
الى نابلس والناصرة كان هنالك عدد من المخاتير الذين اعتبروا أنفسهم
" الجنود المخلصين لراغب " وينطبق نفس الشيء على عدد كبير من الوجهاً
والاعيان في جهات فلسطين المختلفة (٢٣٢) .

كما لعب العامل الشخصي دوره في توظيف بعض المفاتيح من الانصار لصالح
النشاشيبيين . فصالح عبده الذي هو صاحب كراج في القدس وعضو الجمعية
الوطنية فيها يلعب دور القبضاي " Tough " وينظم العناصر " الخشنة "
للنشاشيبيين . (٢٣٣) .

كما أن العامل الشخصي لعب دوره بالنسبة ليعقوب فراج ، الذي من جراء
انضمامه لحزب الدفاع جلب معه عددا كبيرا من أبناء طائفته . (٢٣٤) .

٣ . العامل العائلي : ترتبط بالعامل أو الرابطة الشخصية ، الرابطة العائلية
وقد سبق لنا أن تحدثنا عن العائلية وأهميتها في تنظيم المجتمع الفلسطيني .
ولقد عملت العائلية في فلسطين بالاضافة الى العوامل السابقة - الخط الوطني
والناحية الشخصية - على استقطاب فئات كثيرة من المنصرين لكل من الحزبين
على أساس عائلي بل لقد شكلت هذه العائلية هرمية خاصة بها كما سبق أن ذكرنا
وأمتدت صعودا ونزولا من أقصى القرية الى المدينة الصغيرة الى المدينة الكبيرة
الى العاصمة . ففي قمة الهرم كانت ، بالنسبة لكل من الحزبين ، العائلتان
الرئيسيتان واللذان كثر ما أطلق اسمهما على الحزب
الذي رأساه أو تزعمته : العائلة الحسينية والعائلة

النشاشيبي (٢٣٥) (وقد سبق لنا أن أشرنا إليها في صفحات متعددة من هذا البحث) اللتين استقطبتا عددا كبيرا من العائلات على مستوى الوطن جميعه ، وجبرت هذه العائلات ولاءها لحزب كل منهما .

ومع هذا فقد تميز حزب الدفاع عن الحزب العربي بأنه استقطب عددا من العائلات التي شكلت الارستقراطية العائلية - ان صح القول - في فلسطين ويظهر النص التالي من جريدة فلسطين تنوعها وأصولها : " تلقينا من سكرتيريه الدفاع ما يلي :

في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر السبت الماضي وصل الى عمان وفد من حزب الدفاع لتعزية سمو الامير وهو مؤلف من السادة :

راغب النشاشيبي رئيس الحزب ، عبد الرحمن التاجي ، سليمان بك طوقان ، الحاج نمر أفندي النابلسي ، عفيف أفندي عاشور ، الشيخ شاكرا أبو كشك ، عمر أفندي البيطار ، الشيخ مصطفى أفندي الخيري ، عيسى أفندي العيسى ، بشير أفندي الشرايبي ، عبد الرؤوف أفندي البيطار ، مصطفى أفندي الصوراني ، شاكرا أفندي الغلاييني ، الشيخ توفيق طهبوب ، راشد أفندي عرفه ، اسماعيل أفندي العبيد ، الحاج عبد المعطي أفندي بدر ، عبد الله بشير عمرو ، مصطفى أفندي ناصر الدين ، حسن أفندي سرحان ، الشيخ عبد الرحمن العزة ، الشيخ حسن العزة ، الشيخ ملحم عبد الرحمن ملحم ، الشيخ عثمان العبادل ، اسماعيل أفندي الحار الله ، حسن صدقي الدجاني (سكرتير الحزب) أفندي مغنم ، فخرى النشاشيبي (٢٣٦) .

ومن ناحية أخرى نجد أنه بينما تميزت العائلات التي تؤيد حزب الدفاع بالقوة والنفوذ والارستقراطية فان العائلات التي أيدت الحزب العربي لم تكن بنفس القوة . ومع هذا فقد وجد بين العائلات الفلسطينية عائلات تميزت بالقوة ومنحت ولاءها للحزب العربي مثل عائلة الدجاني في يافا (٢٣٨) ونجد أيضا عائلة الزعبي في الناصرة التي تصدت منذ وقت مبكر في العشرينات لعائلة الفاهوم المعارضة (٢٣٩) وفي طولكرم نجد عائلة سمارة وعائلة الحاج ابراهيم اللتين تصدتا لعائلات المعارضة من آل الجيوسي وحنون . (٢٣٩) .

وفي القدس نجد بعض العائلات العريقة تؤيد الحسينيين وبخاصة بعد انتخابات بلدية القدس . فقد ذكر أحد التقارير للمندوب السامي " أنه ينبغي

علينا أن نتذكر أن عائلة رئيس البلدية الخالدي تؤيد المفتي " (٢٤٠) .
كما أن هنالك عائلات كثيرة من الدرجة الثانية في القوة أيدت الحزب

العربي ، وعلى مستوى جميع مدن فلسطين وقراها . (٢٤١) .
ولا تكتمل دراستنا عن الفروع والعضوية في كلا الحزبين حتى تحدد الصلة
للفرع ، كبنية تنظيمية ، بالفروع الأخرى واللجان الفرعية من ناحية ، وصلته
بالمركز العام من الناحية الأخرى ، وكيف ارتبطت الهيئات المختلفة للجسم
الحزبي لتشكل الحزب كحزب أو كمؤسسة سياسية ، أو ما يطلق عليه عادة البناء
العام للحزب .

وهنا نلاحظ أنه لم يحصل التزام بالهرمية كما وردت في قانون الحزب
العربي ، وكما ينبغي للأحزاب القائمة على الفروع كقاعدة الهرم الحزبي ،
والمركز كقمة لهذا الهرم . وعلى أية حال فإنه يتضح التالي بالنسبة للبناء العام
لكل من الحزبين .

الحزب العربي : كان الحزب العربي حزبا شعبيا . . أي لديه تأييد من
أكثر الشعب . وقد نبع هذا من توجهه للجماهير العريضة من أجل تحقيق غايات
وطنية أو قضايا أساسية تهم جميع المواطنين مثل الاستقلال والحكومة الوطنية
وتحقيق الوحدة العربي . وعلى هذا فقد حرص هذا الحزب على تجميع عناصر
كثيرة تحت لواء الوطنية ذكرنا أنماطا منها عند حديثنا عن أنصاره . ولما كان -
شأنه في ذلك شأن الأحزاب الفلسطينية الأخرى - ممنوعا من ممارسة حق
الانتخاب وتكوين حكومة ، فإنه مع غياب هاتين الناحيتين ، ومع كونه ليس حزبا
شموليا كالأحزاب الشيوعية أو الاشتراكية أو الفاشية فقد انصرف - ضمن أشياء
أخرى - لتحقيق الغايات الوطنية ، وجرى تسابقه مع غيره من الأحزاب للسيطرة
على الحركة الوطنية . ومن هنا فإنه لم يجد مانعا من ضم أي فئة اجتماعية أو
دينية أو سياسية أو أي فئة أخرى (مجلسيين ، طوائف ، أحزاب ، شبان ، شيوخ
يسار ، يمين) . تجاوب فيها الولاء للزعامات مع الولاء للوطن أو المبادئ ، ومن
هنا فإن طابع اللقاء أو التجمع بين هذه الفئات لم يكن على أساس هرمي ، كما
نادى بذلك قانون الحزب ، بمقدار ما كان تحالفا أفقيا آنيا ليس فيه الانضباط
والنظام . يقول عسان كنفاني " كانت الأحزاب اطرار عامة دون مبادئ محددة
تحكمها شلل من الوجهاء تعتمد على ولاءات منحدره اليها من نفوذها الاقطاعي

والديني والوفاهي ، كما أنها لم تكن احزابا لها قواعد منظمة . وفيما عدا القسام (الشيوعيين طبعاً) فان احدا من زعماء الحركة الفلسطينية لم يكن مسلحا بعقل تنظيمي " (٢٤٢) .

ويعرف أحد الباحثين الحزب العربي بأنه الائتلاف التنظيمي لجماعة المجلسيين (٢٤٣) كما اختفت لحساب القيادة والسلطوية القيادية ، الديمقراطية المركزية التي نص عليها الدستور وظلت السيطرة للمركز ممثلة بالقيادة الحسينية بالدرجة الاولى .

ونظرا لهذه الخصائص المختلفة من سيادة طابع المجتمع والحشد وغياب الهرمية والديمقراطية المركزية التي أدت الى اختفاء المؤسسة الحزبية ، وسيادة مؤسسة ، أو على الاصح ظاهرة ، لا تنطبق عليها شروط الحزبية الصحيحة ، أثر بعض المؤرخين اطلاق اسم " الحركة " على الحزب العربي اكثر من كونه حزبا " الحزب العربي حركة شعبية أكثر منه حزبا بما للفظ من معنى مألوف " (٢٤٤) .

٢ - حزب الدفاع : كان حزب الدفاع هو حزب الارستقراطية الفلسطينية كما وصفناه سابقا ، ولعل أصح ما يصدق عليه هو وصف جريدة فلسطين : فريقا متجانسا من اغنى الشخصيات في البلاد " ونظرا لكون نسبة كبيره من اتباعه كانوا من العائلات النافذة والوجهاء والاعيان ورؤساء البلديات والشخصيات البارزة ، كثر بين اتباع هذا الحزب ذوو المصالح (٢٤٥) . ونميز موقفهم عموما بالاعتدال من السلطات . وعلى هذا وكما غابت الهرمية والديمقراطية المركزية (تركيب حزب الدفاع من الناحية الشكلية " يوحى بها) والبناء المتناسك لحساب الجماعات العريضة والائتلافات الافقية في الحزب العربي نجد أنها غابت بصورة اوسع ايضا في حزب الدفاع ، بسبب النزاع على النفوذ والمصالح . وقد برزت نواحي التفكك والضعف والنزاعات الداخلية في حزب الدفاع طوال تاريخ الحزب ، قبل قيامه رسميا ، وبعد ذلك . وفي حقيقة الحال كان الحزب احزابا وليس حزبا واحدا . فقد كان هنالك في داخل الحزب دائرة خاصة لفخري النشاشيبي كما ان راغب النشاشيبي كان له دائرة الخاصة وقوامها انصاره من رؤساء البلديات .

كما ان حسن صدقي الدجاني مارس دورا شبه مستقل عن الحزب واعتمد من الناحية الشعبية على نقابة السواقين التي عمل رئيسا فخريا لها (٢٤٦) كما انه طمح الى التعاون مع الامير عبد الله لدرجة أنه فكر في انشاء حزب خاص به ملكي النزعة (٢٤٧) .

وقد شكل سليمان طوقان في نابلس ما يشبه الاميرالمستقل حزبيا ، واستغنى
كليا عن الحزب ، وحدد علاقته فقط براغب النشاشيبي من بين القيادات
الاخرى (٢٤٨) .
ونحن اذا اردنا اختيار النقيض التام لحزب متمسك يقوم على الهرمية ،
وتتزوج فيه الديمقراطية مع المركزية ، وتتلاقى فيه اراء القواعد مع توجيهات
المركز في نسق منظم ، نختار له مثلا ما يمكن ان نطلق عليه " حزب الاعيان "
الذي مثله خير تمثيل حزب الدفاع .

المليشيا

مليشيا الحزب العربي : فرق الفتوة

عمد الحزب العربي الى انشاء فرق شبه عسكرية قامت بدور الفرق
المساعدة للحركة الوطنية او اليد الضاربة لهذه الحركة (٢٤٩) .
وقد قامت هذه الفرق شبه العسكرية على الشباب (٢٨٠) . ويظهر ان
قيامها كان مسيرة لتطور الحركة الوطنية الراديكالية بفعل الحاح الظروف السياسية
الحرجة وتفاقم الخطر السياسي . فقد دأبت الصحف في هذه الفترة (الثلاثينات
على دعوة الاحزاب الى وضع برامج لتدريب الاطفال والشبان على الحياة الخشنة
وتحمل المشاق . كتبت جريدة الجامعة العربية " والذي نامله ان يسرع الحزب في
تأليف هذه الفرق وبذلك يكون قد خطا خطوة عملية في سبيل تخشين الشباب
وحملهم على هجرة التخنت والترهل " (٢٥١) كما ان جمال الحسيني اعتبرها
البديل الوحيد لفشل المفاوضات مع الحكومة وذلك من اجل توظيفها في اعمال
العصيان المدني والتظاهر العنيف . (٢٥٢)
ومن ناحية اخرى ، فان انشاء هذه الفرق ربما جاء نتيجة او انعكاسا
لسيطرة الروح العسكرية على المؤسسات الصهيونية وتوجهها نحو العنف (٢٥٣)
ولعل ما اوردته جريدة الجامعة العربية ، وبالاستشهاد بشباب الهاجانا
والترمبلدور والمكابي والهاشموناي ودعوتها لانشاء " فرق من الشباب العرب تقطع
الطريق عليهم وتخفف من عتوهم واستكبارهم (٢٥٤) كان لسان حال الكثيرين

من الفلسطينيين في هذه المرحلة .

ومن ناحية ثالثة فإن تدريب الشباب عسكريا كان قد أصبح ظاهرة العصر . فالاحزاب الفاشية والنازية التي اتخذت المليشيا العسكرية أساسا لتنظيماتها وجدت انعكاسا لها في غير الدول الاوروبية، ووجدت لها صدى في البلاد العربية مثل مصر وسوريا والعراق . وقد اختلفت المصادر حول من اقتدت به الفتوة في تنظيمها بين تنظيمات الشباب التي سبقتها في البلاد العربية . فبينما نسبها هيرووتز الى اصول عراقية سورية (٢٥٥) وبينما نسبتها مصادر اخرى الى تأثيرات مصرية ، فان أمين ابو الشعر - مؤرخ حياة كامل عريقات الذي قدر له قيادة فرق الفتوة في أواسط الاربعينيات يرى أن " الحزب اقتبس الفكرة عن سوريا " (٢٥٦) .

ومهما يكن من أمر فقد ولدت فرق الفتوة بعد اجتماع تمهيدى انعقد في مدرسة الروضة في القدس في فبراير من عام ١٩٣٦ (٢٥٧) . وقد حرص الحزب العربي على ما يظهر على اختيار عناصرها من الشبان ذوي الابدان القوية والايمان الوطني الراسخ . فقد كان مما قاله جمال الحسيني في الاجتماع التأسيسي لهذه الفرق : " على كل فرد أن يسأل نفسه هذا السؤال هل جسمي مكون من الطين أو من الصخر (٢٥٨) وقد اقسام كل عضو يمين العضوية في الحزب العربي .

وقد ارتدى افراد هذه الفرق زيا عسكريا موحدا كما كان لهم شارات عسكرية تدل على الرتبة (٢٥٩) ، وشعارا موحدا هو فارس يصنطي صهوة جواد (٢٦٠) ويظهر أن هذه الفرق خضعت لمستوى جيد من التدريب العسكري وتمكنت قيادة الحزب العربي مع أواخر أيام الحرب العالمية الثانية من تدريب مئات الشبان في مدن فلسطين المختلفة : القدس ورام الله والخليل ونابلس وجنين وطولكرم ويافا وطبرية وغزة (٢٦١) كما انها تمتعت بمستوى من التثقيف السياسي والتعبئة النفسية - ربما بسبب كونها قائمة على الشباب المختارين بعناية ويتدربون على الاعمال العسكرية والحياة الخشنة - أكثر مما كان عليه الحال في الفروع . ويظهر في أدبيات التوجيه السياسي لهذه الفرق اللهجة الهادئة والافكار الهادفة والتركيز المدروس على اختيار القوة كاسلوب للحل . وهنا نجد أن التاريخ السياسي لبعض الدول - وبخاصة تلك التي هزمت خلال الحرب العالمية الاولى ثم عادت الى النهوض على قدميها - استخدم وسيلة للتثقيف واختيرت تلك الدول كمثل يحتذى

مدني أكبر منه بكثير . ولعل مطمح الحزب العربي في البداية كان ايجاد تنظيم عسكري ، أو شبه عسكري ، يخدم الهدف السياسي ، كما لمسنا من مبررات قيام تنظيم الفتوة وخطابات قاداته في الاجتماع الاول ، ولكن غياب المقدرة التنظيمية لدى القادة ، لم تستطع أن تخلق منه الكيان العسكري الفاعل أو القادر . فانه حتى في عنفوان قوته لم يقم بدور يذكر ، اللهم دور العسكرتاريا ، التي تحافظ على الانضباط وحماية الاجتماعات . ولعل هذا ما جعل الخالدي يصفهم (وليس بدون كثير من التقليل من شأنهم) بانهم بلطجية الحزب العربي (٢٦٩) كما أن صبحي ياسين يقصر دورهم على المشاركة في مهرجانات الحزب " وجمد النشاط نهائيا اللهم من اطلاق الرصاص في الهواء من جماعة الفتوة في مؤتمر سينما الحمراء بمدينة يافا عندما خطب جمال الحسيني " (٢٧٠) .

حواشي الجلبانثاسي
=====

- Shaw Commission Report: pp. 70-78. (١)
- Porath: op.cit, Vol:II,p.49. (٢)
- Porath: op.cit, Vol:II,p.51. (٣)
- Ibid.,. (٤)
- Porath: op.cit, Vol:II,pp.56-57. (٥)
- عنيم ، عادل : "الموت تمرا لاسلامسي العام ١٩٣١" شؤون فلسطينية " العدد ٢٥ (سبتمبر ١٩٧٣) ص ١٢٤ - ١٢٥ . (٦)
- المصدر ذاته . (٧)
- المصدر ذاته : ص ١٢٤ . (٨)
- دوررة : القضية ج ١ ص ٨١ . (٩)
- Porath:op.cit,Vol:IIp.58. (١٠)
- Ibid.,. (١١)
- دوررة : القضية ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ . (١٢)
- P.Z.S. - 18 February 1933,FO 371/16926. (١٣)
- Ibid.,. (١٤)
- Ibid.,. (١٥)
- ونائى المقاومة ص ٣٢٠ - ٣٢٣ . (١٦)
- ونائى المقاومة ص ٣٢٤ - ٣٢٦ . (١٧)
- P.A.S. 10 March 1933 FO 371/16926. (١٨)
- Ibid.,. (١٩)
- P.A.S. 1 April 1933 FO 371/16926 (٢٠)
- Porath: op. cit, Vol:II,p.61. (٢١)
- الكبالي : المصدر السابق ص ٢٨١ . (٢٢)
- Porath:op.cit, Vol:II,p.26. (٢٣)

- Report on Palestine & Transjordan, 1934, p. 34. (٢٤)
- قارن الخالدي : المصدر السابق ص ١٥٩
- P.A.S. 25 March 1933 FO 371/16926. (٢٥)
- الغوري : فلسطين ج ١ ص ١٨٩ (٢٦)
- المصدر ذاته ص ١٩٠ (٢٧)
- المصدر ذاته ص ١٩٠ (٢٨)
- P.A.S. 28 Aug., 1934 FO 371/17878 (٢٩)
- P.A.S. 26 April 1934 FO 371/17878. (٣٠)
- الغوري : فلسطين ج ١ ص ١٩١ (٣١)
- المصدر ذاته ص ١٩١ (٣٢)
- الغوري : فلسطين ج ١ ص ١٩١ (٣٣)
- الجامعة العربية : ٢٩ مارس ١٩٣٥ (٣٤)
- الجامعة العربية : ٣ كانون الثاني ١٩٣٥ (٣٥)
- P.A.S. 10 March 1933, F.O 371/16926. (٣٦)
- Hurewitz: op.cit, p.60 (٣٧)
- المقطم : ابريل ١٩٣٥ (٣٨)
- P.A.S. 28 August, 1939 FO 371/17878. قارن (٣٩)
- دورزة : القضية ج ١ ص ١٢١ (٣٩)
- Porath: op.cit, Vol:IIp.62. (٤٠)
- P.A.S. 28 August 1934, FO 371/7878. (٤١)
- Ibid., (٤٢)
- Ibid., (٤٣)
- (٤٤) الغوري : فلسطين ج ١ ص ١٩١ - ١٩٢ (٤٣)
- P.A.S. 26 April 1934, FO 371/17878. (٤٥)
- خليه : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ (٤٦)
- P.A.S. ,12 February FO 371/17878. (٤٧)
- P.A.S. ,8 March 1934, FO 371/17878. (٤٨)

- (٤٩) الخالدي : المصدر السابق ص ١٨٥ .
- (٥٠) دروزة : القضية ج ١ ص ١١٧ .
- (٥١) المصدر ذاته .
- (٥٢) عن الترشيح للخالدي انظر : -
- أ - الخالدي : المصدر السابق ص ١٨٦ - ١٨٧ .
- ب - الغوري : فلسطين ج ١ ص ٩٩ - ١٠٤ .
- P.A.S. 15 October 1934 FO 371/17878. (٥٣)
- Ibid., (٥٤)
- Ibid., (٥٥)
- (٥٦) علوش : المصدر السابق ص ٩٠ ، انظر : الجامعة العربية ، ٢٧ ابريل ١٩٣٥ .
- (٥٧) الجامعة العربية : ٢٥ ايلول ١٩٣٤ .
- (٥٨) الجامعة العربية : ٢٧ ايلول ١٩٣٤ .
- P.A.S. 15 October 1934, FO 371/17878. (٥٩)
- Ibid., (٦٠)
- P.A.S. 10 August 1933, FO 371/17878. (٦١)
- P.A.S. 20 September 1934, FO 371/17878. (٦٢)
- (٦٣) دروزة : القضية ج ١ ص ١٨٩ .
- (٦٤) Morath: op.cit, Vol:II,p.63. (٦٤)
- (٦٥) الخالدي : المصدر السابق، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
- P.A.S. 21 January 1935, FO 371/17878. (٦٦)
- (٦٧) الجامعة العربية : ٣ كانون الثاني ١٩٣٥ .
- (٦٨) العدد ذاته .
- P.A.S. 15 October 1934, FO 371/17878. (٦٩)
- Ibid., (٧٠)
- (٧١) السفري : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٧٢) المصدر ذاته ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

قارن الخالدي : المصدر السابق ص ١٩٣ الذي يقول أن الاحزاب جميعها كانت تطالب " الاستقلال التام ... والجلالة قبل المفاوضات وتأسيس حكومة عربية ديمقراطية تنتخب انتخاباً حراً " .

(٧٣) من أجل اخذ فكرة واضحة عن هذه الاحزاب تاسيساً واشخاصاً وأهدافاً ، انظر المراجع التالية :-

ا - غنيم : المصدر السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٦ .

ب - السفري : المصدر السابق ص ٢٤٦ - ٢٧٤ .

ج - Porath: op. cit, Vol:II, p.75-79.

د - دروزة : القضية ج ١ ص ١١٧ - ١١٩ .

هـ - Hurewitz:op.cit, p. 60-63.

(٧٤) ليس لحزب الدفاع قانون مطبوع مثل قانون الحزب العربي .

(٧٥) P.A.S. 22 Feb., 1935 FO 371/18957.

(٧٦) وثائق المقاومة ص ٣٥٩ .

(٧٧) المصدر ذاته ص ٣٦٠ .

(٧٨) من أجل الاطلاع على النماذج التنظيمية المعروفة للاحزاب انظر :-

Duverger, Maurice: Political Parties (London, 1964)

Sartory, J.: Parties & Party System (Cambridge 1967).

Lawsen, K.: A Comparative Study of Political Parties (New York, 1976).

Duverger: op.cit., p. 23-40. (٧٩)

يقسم دوفرجييه الوحدات التنظيمية الاساسية للاحزاب وهي الخلية

(للاحزاب الشيوعية) و المليشيا (للاحزاب الفاضية والنارية) والفرع

للاحزاب الاشتراكية وغيرهـا .

(٨٠) وثائق المقاومة ص ٣٦١ .

(٨١) وثائق المقاومة ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٨٢) المصدر ذاته ص ٣٦١ .

- (٨٣) المصدر ذاته ص ٣٦٥ .
- (٨٤) المصدر ذاته ص ٣٦٥ .
- (٨٥) المصدر ذاته ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (٨٦) المصدر ذاته ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (٨٧) المصدر ذاته ، ص ٣٦٧ .
- (٨٨) المصدر ذاته ، ص ٣٦٦ .
- (٨٩) راجع صلاحيات ودور كل من هذه الهيئات في القانون الاساسي في المصدر ذاته ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .
- (٩٠) المصدر ذاته ، ص ٣٦٦ .
- (٩١) المصدر ذاته ، ص ٣٦٤ .
- (٩٢) المصدر ذاته ، ص ٣٦٥ .
- (٩٣) المصدر ذاته ، ص ٣٦٦ .
- (٩٤) المصدر ذاته ، ص ٣٦٦ .
- (٩٥) المصدر ذاته ، ص ٣٦٤ .
- (٩٦) اظر المادة الرابعة في القانون الاساسي في المصدر ذاته ص ٣٦٤ .
- (٩٧) المصدر ذاته ، ص ٣٦٤ .
- (٩٨) المصدر ذاته ، ص ٣٦٣ .
- (٩٩) المصدر ذاته ، ص ٣٦٣ .
- (١٠٠) المصدر ذاته ، ص ٣٦٣ .
- (١٠١) الجامعة العربية :
- (١٠٢) وثائق المقاومة ، ص ٣٦١ .
- (١٠٣) المصدر السابق ، ص ٣٦١ .
- (١٠٤) المصدر ذاته ، ص ٣٦٧ .
- (١٠٥) المصدر ذاته ، ص ٣٦٢ .
- (١٠٦) المصدر ذاته ، ص ٣٦٢ .
- (١٠٧) فلسطين ٦ نوفمبر ١٩٣٤ .
- (١٠٨) فلسطين ٣ ديسمبر ١٩٣٤ .

- P.A.S. 19 December 1934 FO 371/18957. (١٠٩)
- H.C. to CS, 27 Feb., 1938 CO 733/398. (١١٠)
- H.C to CS, 13 Nov., 1938 FO 371/21865. (١١١)
- Bentwitch: op.cit, p. 195. (١١٢)
- Ibid. (١١٣)
- الخالدي : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ . (١١٤)
- Appendix "B" Short list of Principal Arab Personalities in Palestine FO 371/20824. (١١٥)
- ESCO II, op. cit, p. 777. (١١٦)
- Appendix "B" Short list of Prin. Arab Person. in Palestine FO 371/20824. (١١٧)
- صدقة : المصدر السابق ص ٢٧٢ . (١١٨)
- H.C to CS 27 June 1940 FO 371/24563. (١١٩)
- فلسطين ١٨ تشرين الثاني . (١٢٠)
- الخالدي : المصدر السابق ، ص ٦٨ . (١٢١)
- صدفه : المصدر السابق ، ص ٢٧٢ . (١٢٢)
- Porath-:op.cit, Vol: I, p.224. (١٢٣)
- H.C to CO 27 June 1940 FO 371/24563. (١٢٤)
- H.C to CS 29 December, 1938 CO 733/398. (١٢٥)
- H.C to CS 6 April, 1940 FO 371/24563. (١٢٦)
- عارف العارف : المصدر السابق بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩ . (١٢٧)
- H.C to CS 27 February CO 733/398/75156. (١٢٨)
- العارف : المصدر السابق ، ١٥ شاط ١٩٤٠ . (١٢٩)
- الجامعة العربية ، ٢٩ مارس ١٩٣٥ . (١٣٠)
- الغوري : فلسطين ، ج ١ ص ١٩٦ . (١٣١)
- الجامعة العربية : ٢٩ مارس ١٩٣٥ . (١٣٢)
- فلسطين ، أبريل ١٩٣٥ . (١٣٣)
- الجامعة العربية ، ٢٩ مارس ١٩٣٥ . (١٣٤)
- الجامعة العربية ، ٢٩ مارس ١٩٣٥ . (١٣٥)
- المصدر نفسه . (١٣٦)

- العورى : فلسطين ج ١ ص ١٩٦ . (١٣٧)
- المصدر ذاته ج ٢ ص ١٣٥ . (١٣٨)
- P.A.S. 20 April, 1935 FO 371/18957. (١٣٩)
- Duverger: op.cit, p.160. (١٤٠)
- Wriggins, W. Howard: The Ruler's Imperative ((١٤١)
New York: Columbia University Press 1969).
pp 73-74.
قارن ايضا دور حبه الذى يقول عن الاحزاب فى الشرق الأوسط بانها :
اساع بتجمعون حول حماة متنفذين وحمائل يتجمعون حول عائلة قوية
أورفاق يتجمعون حول قائد عسكري : Duverger: op.cit, p.3
- Porath: op. cit, Vol: I, p.275. (١٤٢)
- ESCO II: op.cit, p.776. (١٤٣)
- الحالدى : المصدر السابق ، ص ١٥٩ . (١٤٤)
- دوره : حول الحركة ج ٣ ص ١١٨ . (١٤٥)
- العورى : فلسطين ج ١ ص ٣٦ ، ج ١ ص ١٩٨ "المؤامرة الكبرى"
ص ٥٧ . قارن أيضا الخالدى الذى يقول "المعروف المتداول فى
ذلك الحين ان الحزب العربى كان ولا يزال حزب المفتى الاكبر"
المصدر السابق ص ٩٤ . (١٤٦)
- Wriggins: op. cit, p. 101. (١٤٧)
- Gerth, H.H & Wright Mills, C (tr&ed) From (١٤٨)
Max Weber: Essays in Sociology: (New York 1946)
pp.245-252.
انظر خدورى : المصدر السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ . (١٤٩)
- Sykes: op.cit, p. 230-231. (١٥٠)
- Tegart: op.cit, File 3(A). (١٥١)
- دروزة : حول الحركة ج ٣ ، ص ١٦٠ . (١٥٢)
- Sykes: op.cit, p. 231. (١٥٣)
- مقالة المؤلف للاستاذ اكرم زعيتر فى سنة عام ١٩٧٧ . (١٥٤)

- MacMichael Papers in St. Antony's College, Middle East Centre DS. 12 E 1959. (155)
- Ibid., (156)
- الخالدي : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ . (157)
- Schectzan: op.cit, p. 40. (158)
- Ibid., (159)
- Cabinet Committee on Palestine, 24 Oct., 1938 FO 371/21865. (160)
- H.C to CO 2 January 1939 CO 733/393. (161)
- الخالدي : المصدر السابق ، ص ٥٤٣ . (162)
- المورى : فلسطين ج ١ ص ٨٤ ، يقول المورى : " وقد بلغ من حب شباب النصارى للمفتي وتعلقهم به انهم كانوا يهتفون باسمه في جميع الاجتماعات والمظاهرات التي يقومون بها في العبدان الارثوذكسي العربي . كما كانوا ينادون بحياته حتى في الاحتفالات التي كانت لها صفة دينية ، كموسم سبت النور
- Griggins: op.cit., p. 101. (164)
- H.C to Parkinson 12 September 1936 CO 733/711. (165)
- MS to Sir Clark, 1936 (Baghdad) 7th Oct., 1936 CO 733/3127528. (166)
- Giffries, J.M.N.: Palestine: the Reality (London) 1939. 674. (167)
- فلسطين ، ٢٩ اكتوبر ١٩٣٨ . (168)
- العدد ذاته . (169)
- الشفيرى : المصدر السابق ص ١٨٤ . (170)
- العارف : المصدر السابق ٢٣ تموز ١٩٣٩ . (171)
- Marlowe: op. cit, pp. 142-143. (172)
- العارف : المصدر السابق ، ٢١ تشرين الاول ١٩٣٩ . (173)
- Jerusalem District Report for Period 16th to 31st May 1945. CO 733/456. (174)
- Hurewitz: op.cit. p. 149-150. (175)
- الخالدي : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ . (176)
- الخالدي : المصدر ذاته ص ٣٦٥ ، ٥٢١ . (177)
- المصدر ذاته . (178)

- المصدر ذاته . (١٧٩)
- Hurewitz: op. cit, p. 150. (١٨٠)
- فلسطين : ١٦ نيسان ١٩٣٥ . (١٨١)
- انظر : = ١٥٦ من أجل معرفة أيضا هذا التعاون انظر المراجع
التالية في أكثر من صفحة - (١٨٢)
- ١ - الغورى : فلسطين ج ١ ، ج ٢ .
- ٢ - Furlonge: op.cit.
- ٣ - الخالدى : المصدر السابق في صفحات متعددة .
- Appendix "B" Short list of Arab Personalities.
هذا فضلا عن الوثائق البريطانية مما سنستشهد به عند
حديثنا عن الممارسات .
- يقول هيروودتر : ان الغورى كان المسيحي العربي الوحيد الذى
لحق بالمفتي الى العراق بعد نشوب الحرب العالمية الثانية انظر : (١٨٣)
- Schectman: op.cit. pp. 97-99. (١٨٤)
- الخالدى : المصدر السابق ص ٣٥٠ . (١٨٥)
- الغورى : فلسطين ج ١ ص ١٩٨ . (١٨٦)
- دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١١٤ . (١٨٧)
- P.A.S. 5 August 1935, FO 371/18957. (١٨٨)
- الجامعة العربية ، يوليو واغسطس ١٩٣٥ . (١٨٩)
- قارن أيضا الغورى : فلسطين ج ١ ص ١٩٨ .
- دروزة : القسيمة ص ١١٨ . (١٩٠)
- دروزة : حول الحركة ، ج ٣ ص ١١٤ . (١٩١)

(١٩٢) في مقابلة المؤلف مع الاستاذ كامل الدجاني احد اعضاء المكتب السياسي للحزب العربي ذكر ان اجتماعات الفرع في غالبها لم تكن تزيد عن لقاءات غير منتظمة تتم في بيت احد الاعضاء وتجمع فئة صغيرة من مناضلي الحزب - تمت المقابلة في شباط ١٩٧٧ .

(١٩٣) لعل من اسباب هذه الظاهرة ان هذه الفروع لم تمارس نشاطها الا في فترات زمنية محدودة ، فقد توقف نشاط الاحزاب كفروع ، مع انشاء اللجنة العربية في ابريل ١٩٣٦ . وبينما مارس حزب الدفاع نشاطه بصورة غير منتظمة بعد ذلك ، نجد ان الحزب العربي لم يستأنف نشاطه الا حوالي عام ١٩٤٣ ، واستمر على ذلك حتى عام ١٩٤٥ حيث اوقف نشاطه التنظيمي مرة اخرى . فالحزب العربي اذن كان قائما من حيث التكوين التنظيمي في فترتين ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ - ١٩٤٥ .

(١٩٤) يطالع القارىء في صحافة هذه الفترة العناوين الكبيرة التالية : " المهرجان الوطني الكبير في بيسان بمناسبة افتتاح الحزب العربي فيها - طعام الغدا " لـ ٣٥٠ شخصا في بيت فريد فخر الدين - حفلة افتتاح الحزب العربي في الناصرة - وصول الرئيس وموكبه - انظر مثلا الجامعة العربية اعداد شهر تشرين ا ، ١٩٣٥ .

(١٩٥) يتبين من التقارير البريطانية ان التبرع لمشاريع الحزبين او نشاطهما كان من الهبات القيادية . كما تظهر مصادر اخرى ان الحزب العربي كان يلقى دعما ماليا من بعض المؤسسات الوطنية مثل البنك العربي .

انظر مثلا P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957

P.A.S. 31 May 1935 FO 371/18957.

قارن : Hurewitz: op.cit. p. 185.

صدقته : المصدر السابق ص ٢٣٢ . (١٩٦)

- Duverger: op.cit., p. 63. (١٩٧)
- وثائق المقاومة ص ٢٦١ (١٩٨)
- P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957. (١٩٩)
- Porath: op.cit., Vol:I, p. 289. (٢٠٠)
- وثائق المقاومة ، ص ٢٦١ . (٢٠١)
- Duverger: op.cit., p. 90. (٢٠٢)
- دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١١٣ . كما اخبر دروزة كاتب هذه السطور شخصيا ، ان الحزب العربي كان هو الوحيد الذي له قاعدة جماهيرية - المعارضة تمت في صيف ١٩٧٨ . (٢٠٣)
- Appendix Arab Political Parties FO 371/20824. (٢٠٤)
- الخالدي : المصدر السابق . (٢٠٥)
- الغوري : المواءمة الكبرى ص ٧٥ . (٢٠٦)
- الغوري : فلسطين ج ١ ص ١٩٨ .
- الخالدي : المصدر السابق ص ٢٢٢ . (٢٠٧)
- H.C to CS 27 February 1938 CO 733/398. (٢٠٨)
- P.A.S. 7 Nov., 1936 FO 371/20018. (٢٠٩)
- Ibid., (٢١٠)
- H.C to CS 13 Nov., 1937, CO 733/333. (٢١١)
- P.A.S. 1 Nov., 1938 CO 733/359. (٢١٢)
- Hurewitz: op. cit., p. 83. (٢١٣)
- P.A.S. 1 Nov., 1938 CO 733/359. (٢١٤)
- الغوري : المواءمة الكبرى ص ٧٥ . (٢١٥)
- Hurewitz: op.cit., p. 61. وقارن
- P.A.S. 5 Aug., 1935 FO 371/18957. (٢١٦)
- الخالدي : المصدر السابق ص ٢٠٢ .
- Tegart: op.cit., Box1 File 3. (٢١٧)
- انظر فلسطين في اكثر من عدد ، مثلا ٣ نيسان ١٩٣٥ . (٢١٨)
- كنفاني : المصدر السابق ص ٥٩ . (٢١٩)
- Hurewitz: op.cit., p.61. (٢٢٠)

Appendix Arab Political Parties FO 371/20824. (٢٢١)

Appendix A Arab Political Parties FO 371/20824. (٢٢٢)

Al-Nashef: op. cit, p. 80. (٢٢٣)

Tegart: op.cit, Box I File 3 Ds. p26.2 (٢٢٤)

Porath: op. cit., Vol:II, p. 137. قارن :

Tegart: op.cit, Box I file 3 Ds. 126.2 (٢٢٥)

Al-Nashef: op. cit., p. 78. (٢٢٦)

Tegart: op.cit, Box I file 3 Ds. 126.2. (٢٢٧)

ibid., (٢٢٨)

Ibid. (٢٢٩)

Ibid. مقابلة المؤلف مع الاستاذ كامل الدحاني في شتاء ١٩٧٧. (٢٣٠)

قارن الجامعة العربية ٢٩ مارس ١٩٣٥ .

قارن الخالدي : المصدر السابق ص ١٥٩ . (٢٣١)

انظر امثلة على هذا في اعداد فلسطين لعام ١٩٣٥ : ٢٩ كانون (٢٣٢)

الثاني ١٩٣٥ . ٢٦ آذار ١٩٣٥ : حيث نجد محائير فرى متعددة

كدير غسانة ، ودير نظام ، والنبي صالح ، وبرهام ، وحبيبا ،

وعارورة ونعلين وبدروس وفوله وست نالا وسبع وشين الح .

يرفون بالتأييد .

Appendix "B" Short list of Principal Arab (٢٣٣)
Personalities in Palestine FO 371/20824.

Hurewitz: op.cit. p. 62. (٢٣٤)

بقسم تقرير للمدوب السامي العائلات الرئيسية في فلسطين التي (٢٣٥)

سنت وهي :-

١ - الحسيني ب - النشاشيبي ج - عبد الهادي

د - الخالدي ه - طوقان و - بانطسي

في الاصل - عائلة يهوديسية .

انظر :-

#.C to CS 13 Nov., 1938 FO 371/21865.

- فلسطين ١٥ آذار ١٩٣٥ . (٢٣٦)
- Porath: op.cit, Vol:I p. 276. (٢٣٧)
- Porath: Ibid., p.217. ١٩٧ ص ١ قارن الغوري فلسطين ج ١ (٢٣٨)
- Porath: Ibid., p.217. ١٩٧ ص ١ قارن الغوري فلسطين ج ١ (٢٣٩)
- H.C. to CS 28 November 1938 FO 371/21867. (٢٤٠)
- انظر الغوري : فلسطين ج ١ ، في صفحات متعددة وبالذات ص ١٩٧ (٢٤١)
- كفاني : المصدر السابق ص ٦٣ . (٢٤٢)
- غنم : المصدر السابق ص ٢٨١ . (٢٤٣)
- صدفة : المصدر السابق ص ٢٣٢ . (٢٤٤)
- لعل اصدق ما يصور اصحاب المصالح ، هي مذكرات عارف العارف الذي سعى لتزعة انتصار الحزب مثل فحري النشاشيبي وبعض ال
النوا والخيري والبيطار والفاهوم وغيرهم الى النفعية والتقرب من
السلطات . (٢٤٥)
- الخالدي : المصدر السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ . (٢٤٦)
- P.A.S. 28 Feb., 1937 FO 371/20824. (٢٤٧)
- H.C to CS 13 Nov., 1938 FO 371/21865. (٢٤٨)
- P.A.S. 5 August 1935, FO 371/18957. (٢٤٩)
- انظر ابو الشعر ، امين ، مجاهد من ابو دس (عمان ١٩٧٧) ، ص ١٠٢ الذي يقول "كانت فرقة الفتوة اكبر منظمة للشباب فسي
فلسطين وكان ذات طابع عسكري جاد " . (٢٥٠)
- الجامعة العربية ١٧ كانون الثاني ١٩٣٥ . قارن ايضا بما ابداه
رشاد الخطيب في اول اجتماع لفرق الفتوة من تشجيع لهذه الروح
واستشهاده بقول بسمارك " ان مشاكلنا لن تحل بالصمت والصراخ
ولكن بالحديد والنسار . (٢٥١)
- انظر : P.A.S. 10 March 1936 FO 371/20018. (٢٥٢)
- P.A.S. 10 March 1935 FO 371/20018. (٢٥٣)

- Lucas: *op.cit*, p.149. (٢٥٣)
- وهو يعزو الى بن غوريون " وسائل العنف " والتي بدأ في توجيه
الحركة الصهيونية نحوها بعد صعوده الى قيادتها عام ١٩٣٥ على
الرغم من ان اقاربه كانوا يؤمنون بالحل السلمي للنزاع مع العرب
الجامعة العربية ١٧ كانون الثاني ١٩٣٥ . (٢٥٤)
- Hurewitz: *op.cit*, p.61. (٢٥٥)
- ابو الشعر : المصدر السابق ص ١٠٣ . (٢٥٦)
- P.A.S. 10 March FO 371/20018. (٢٥٧)
- Ibid., (٢٥٨)
- P.A.S. 5 August 1935 FO 371/18957. (٢٥٩)
- ابو الشعر : المصدر السابق ص ١٠٤ . (٢٦٠)
- المصدر ذاته . (٢٦١)
- P.A.S. 10 March 1936 FO 371/20018. (٢٦٢)
- Ibid., (٢٦٣)
- Ibid., (٢٦٤)
- Ibid., (٢٦٥)
- Ibid., (٢٦٦)
- المعظم ١٩٣٥/٩/٢٦ . (٢٦٧)
- على أية حال لم تشهد هذه العرق عهدها الذهبي الا مع آواخر
ايام الحرب العالمية الثانية عندما بلغ عددها الالوف وانتشرت
في اغلب مدن فلسطين وقراها وأصبح لديها ٢٠٠٠ قطعة من
البنادق والمدسات والرشاشات للتدريب عليها .
- انظر الخالدي : المصدر السابق ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .
- قارن أبو الشعر : المصدر السابق ص ١٠٢ - ١٠٤ .
- الفوري : فلسطين ج ١ ، ص ٣٦ . (٢٦٨)
- الخالدي : المصدر السابق ص ٥٣٥ . (٢٦٩)
- ياسين : المصدر السابق ص ٢١١ . (٢٧٠)

الباب الثالث

الممارسات السياسية للحزبين خلال عام ١٩٣٥ حتى قيام الثورة في ابريل

١٩٣٥

ولد الحزبان الدفاع والعربي في ظروف عصيبة . فقد كانت السنة التي شهدت ولادتهما من الناحية الرسمية ١٩٣٥ ، نقطة تحول كبيرة في نضال الفلسطينيين ومصيرهم بوجه عام . ففي هذه السنة أحس العرب بما لم يحسوا به في أي يوم من الايام السابقة ، بأن كيانهم أصبح مهددا بصورة خطيرة . فقد أيقنوا أن سياسة الانتداب " ستنتهي ان آجلا وان عاجلا بالاستئصال الكامل للعرب من أرضهم وتشريدهم وتدمير كيانهم القومي لكي يقام على انقاضه وطن قومي لليهود " (١) ففي هذه السنة أحس العرب بأن كابوس الوطن القومي قد أصبح ماثلا للعيان و " أن الوطن القومي الموعود قد تحقق وأنه لم يعد هنالك متسع لليهود ليدخلوا البلاد " (٢) .

وقد زادت الهجرة اليهودية المتصاعدة في قلق العرب ومخاوفهم . فبفضل سياسة واكهب المندوب السامي شهد عام ١٩٣٥ هجرة لم يسبق لها مثيل . (٣) ففي حين أنه كان يسمح في الماضي بهجرة (٥٠٠٠) مهاجر كل عام وفي الحالات الاستثنائية ب (٨٠٠٠) ، فإنه في هذا العام سمح بهجرة (٦٠٠٠٠٠) (٤) هذا بالإضافة الى الهجرة غير الشرعية التي لم تكن بأي حال اقل من الهجرة المسموح بها أو الشرعية . (٥) .

وكانت ثلثة الاتافي بالنسبة للفلسطينيين ، مما بدا اثره واضحا في هذا العام أيضا ، هو غياب أي نوع من الحكم الذاتي وان جهودهم في هذا المجال لم تلق أي نجاح يذكر . وأنه ليس بلا مغزى أن نجد أن واكهب استشرع المشاكل التي عانى منها العرب وصورها في أحد تقاريره : " ان لدى العرب أو أنهم يتصورون أن لديهم ، ثلاث ظلمات منفصلة ، أساسية ، ضد الحكومة : الاولى منها أن العرب يعتقدون أن وعدا قد صدر اليهم بأنه ستقام لهم دولة مستقلة ، بعد الحرب الاخيرة . وأن هذه الدولة ستشمل فلسطين ، والثانية والتي

سببت الضيق للعرب ، تعود الى وعد بلفور وما ترتب عليه . أما الثالثة هذه
الظلمات فانها تكمن في اهمال الحكومة لتشجيع الحكم الذاتي " (٦) .
وبادراك كامل لتاثير هذه الظلمات في نفسية العربي استأنف واكهبوب
قوله : آنا قد ننظر الى هذه الظلمات على انها خيالية أو وهمية ، ولكنها
بالنسبة للعربي حقيقة ، وهي - الى ذلك - سبب في انتشار الاعتقاد لديهم أنهم
عوملوا بصورة غير عادلة . والى هذا الاعتقاد بالظلم واللاعادلة ينبغي أن يضاف
الآن شعور العرب بالخوف من أن اليهود سينجحون في توطيد اقدامهم باعداد
كبيرة لدرجة أنهم قد يتمكنون من الهيمنة الاقتصادية والسياسية على
البلاد " . (٧) .

وفي اطار هذه الخلفية للاوضاع التي عاناها الفلسطينيون ، عانى العرب
أيضا من أزمة اقتصادية زاد في استفحالها حرب الحبشة والاجراءات التي اتخذتها
بريطانيا ضد ايطاليا في هذه الحرب ، والتي وضحت آثارها في سحب المواطنين
لنقودهم من البنوك ، كذلك انهار عدد من المصانع الصغيرة وزاد عدد
العاطلين عن العمل كما خيم الكساد على البلاد (٨) . كما أنه جرى حدثان
هامان في فلسطين خلال خريف عام ١٩٣٥ وكان لهما تأثيرات واضحة على
المواطنين العرب والحركات السياسية عموما : الحدث الاول هو اكتشاف الاسلحة
اليهودية المهربة الى يافا . والامر الثاني هو استشهاد الشيخ عز الدين القسام .
ازاء هذه الظروف والتحديات المختلفة ، والمتفاقمة ، لم تتخذ السلطات
البريطانية اى خطوة حقيقية لمواجهة المظالم العربية وروح النعمة المتصاعدة الا
مشروع المجلس التشريعي الذي قصد منه تحذير العرب أكثر من حل مشاكلهم
الحقيقية .

وازاء هذا كله وجه الحزبان العربي والدفاع نشاطهما ضمن اطارين : الاطار
الاول : محاولة التصدي للتحديات المختلفة ، والاطار الثاني هو عدم النخلي
عن الخصومات التقليدية .

الصراع بين الحزبين

سنستهل دراستنا لنشاطات الحزبين بالتركيز على حزب الدفاع الذي ظهر رسميا في ٢ ديسمبر ١٩٣٤ . سابقا بذلك الحزب العربي بحوالي أربعة شهور . وهنا نجد أن هذا الحزب قد فشل في اظهار أى نشاط يذكر في الاسابيع التي تلت تأسيسه . (٩) .

ولعل هذا يعزى الى العوامل التالية :-

٠١ لم يكن الحزب مؤهلا لكي يقوم بأى نشاط منتظم أو ذى قيمة بسبب من بنيته المفككة . وكذلك بسبب ضعف قيادته ، فكما سبق لنا الاشارة فان بناء الحزب لم يكن على أساس هيكلية من القاعدة الى القمة حتى يساعد على تقنية أى نشاط منتظم .

٠٢ ان أهداف الحزب الكبرى لم تكن مبلورة أو مبرمجة بحيث يمكن تطبيقها بصورة تدريجية وعلى مراحل . وحقيقة الامر لم يكن لدى الحزب أى تخطيط جدى من أجل تسيير التجربة الحزبية . فالذى كان لدى الحزب لم يزد عن شعارات كبيرة . فعلى سبيل المثال اقترح فخرى النشاشيبي ، في الايام الاولى لتأسيس الحزب ، سياسة قومية متطرفة ، كما أشار الحزب في مبادئه الى الاستقلال الكامل (١٠) ومع ذلك فان هذه الشعارات لم تجد طريقها الى التنفيذ من خلال ممارسات مستمرة تتحول الى تراكمات متكاملة النسق وتؤدي في النهاية الى تحقيق الاهداف التي تضمنتها الشعارات والاهداف الكبرى .

٠٣ كما أن قيادة الحزب لم تكن في الايام الاولى لولادة الحزب متأكدة مما ينبغي عمله . فراغب النشاشيبي الذي وقع فريسة للاحباط الذي نجم عن فشله في الانتخابات البلدية في القدس عام ١٩٣٤ والذي تسبب فيه خصومه من الحسينيين ، توقف بصورة مؤقتة عن أى نشاط يذكر . فقد اشار أحد التقارير الى أن "راغب يحس بهزيمته بصورة حادة ، كما أنه اتهم الحكومة بالفشل في دعمه بالرغم من أنه خدم الحكومة جيدا طوال خمسة عشر عاما" (١١) بل أن راغب وغيره من العرب الحزبيين لم " ينصرفوا الى التركيز على الشؤون القومية" الا

وبمقارنة نشاط الحزب العربي الفلسطيني بحزب الدفاع الوطني آخذين بعين الاعتبار تأخره في التأسيس عن حزب الدفاع ، نجد أن الحزب العربي لم يحقق أى نشاط ذى بال . فقد غلب الاهتمام في الحزب بالتخطيط على تنفيذه . ولم يزد نشاطه في هذه الفترة عن التفكير في ارسال وفدين من المبعوثين لاغراض دعائية الاول منهما الى الغرب والثاني الى الشرق . وبالرغم مما تذكره تقارير البوليس لهذه الفترة ان الحزب العربي " سيقتسم الفرصة الاولى لاجتماع لجنته التنفيذية لكي يبدأ أعمال تهيج واثارة لا زالت طبيعتها تحت البحث (١٩) فانه من الناحية الواقعية لم يحصل شيء من هذا القبيل .

وبينما قلص كلا الحزبين نشاطه على المستوى القومي أو الوطني ، فقد كان عليهما أن ينتظرا حتى عودة صراعهما الحزبي ليبدأ بنشاطهما الفعلي غير المجدى .

ارتبط الصراع الحزبي بين الطرفين بعدد من الاسباب الهامة قد يكون أهمها دور السلطات الحاكمة التي ركزت جهودها على المستوى المحلي ، في استراتيجية بدأت منذ وقت مبكر ، وهي سياسة " فرق تسد " (٢٠) كما أن الصراع ارتبط بطبيعة التكوين التنظيمي للأحزاب التي بسبب من العوامل الاجتماعية كانت محكومة بـ " الشخصية " و " العائلية " .

وفضلا عن ذلك فان الحزب العربي الذي عرف بتوجهه القومي كما بدا في دستوره ودعايته ، لم يكن على استعداد - كما يظهر - لتبني استراتيجية قومية يضم فيها صفوفه الى الاطراف المختلفة في الحركة الوطنية . بل حافظ على نزعتة نحو التفرد أو الاستفراد بالعمل . ولعل هذا يعود الى أنه من ناحية أخرى أحس بمدى قوته وشعبيته ولم يجد حاجة الى تنسيق العمل مع الاحزاب الاخرى (٢١) .

حقا لقد ولد الحزبان في مرحلة راديكالية الحركة الوطنية واشتداد مجابهتها للسلطات البريطانية . ولكن لا بد من مرور فترة أطول حتى يتمكن الحزبان من تغليب التناقض القومي على التناقض الحزبي .

أخذت المعارك الحزبية شكل الحملات الصحفية المتبادلة . ولقد ركزت معظم هذه الحملات على الامراض الداخلية للحركة الوطنية ولكن المعنى الأهم ، الذى انطوت عليه ، كان الخلاف الحزبي أو العائلي .

وعلى سبيل المثال لا الحصر فان الحزب العربي اتهم أعضاء حزب الدفاع بالعمالة لبريطانيا ، كما اتهمهم بأنهم سمسرة للأراضي (٢٢) ومتعاونين مع اليهود على أكثر من صعيد . ففي هذه الفترة اتهمت جريدة الجامعة العربية - في معرض ردها على التهم التي كانت توجهها جريدة فلسطين - صاحب جريدة فلسطين بأنه "شخص طفيلي جاء مع الاحتلال الانجليزي خادما جيش المستعمرين" (٢٣) . كما وصفت جريدة فلسطين أيضا بأنها "منبوذة" تتقاضى النقود من اليهود بالآلاف الجنيهات (٢٤) كما اتهمت عائلات حزب الدفاع بأنهم "قد باعوا وسمروا لليهود" (٢٥) ، كما أنها كتبت تقول : " كانت السمسرة في السابق ترتكب في ظلمات الليل البهيم فأصبحت ترتكب في وضح النهار . وكان السمسرة يصطادون الضحايا في المقاهي فأصبحت لهم مكاتب رسمية . فهم يحصلون على رخصة رسمية من الحكومة مقابل أجر معلوم ، وتنتشر أسماءهم في الوقائع الفلسطينية التي هي جريدة الحكومة" (٢٦) .

وبالمقابل فان اتهامات حزب الدفاع لخصومه لم تكن أقل حجما ولا أخف ضراوة . ولقد سخر الحزب لهذه الغاية جهازه الصحفي الأوسع انتشارا . وشن حملة شرسة ضد الحزب العربي بوجه عام ، وضد رجله الأول المفتي بوجه خاص . ولقد كان الهجوم متمشيا مع غاية الحزب أو سياسته التي تركزت بالدرجة الأولى على تشويه سمعته وجعله يفتقد ثقة الحكومة من ناحية وكسب العمال العرب والشباب إلى صف النشاشيبيين من الناحية الأخرى " (٢٧) .

ولقد تركز النقد الأول للحزب العربي على وقوفه موقف المهادنة من الانجليز - فبدلا من تصنيف الانجليز على أنهم العدو الأول وتوجيه جهودهم نحو هذا العدو ، فانهم على العكس من ذلك تجاوزوا ذلك ولكن بطريقة سلبية إلى تركيز جهودهم على الصهيونيين الذين كانوا في نظر الدفاعيين خطرا صغيرا ومحدودا إذا قورنوا بالانجليز " أساس الداء ورأس البلاء" .

ولقد كان لهذا النقد وجاهته الظاهرة ، فقد اتخذ حزب الدفاع من المكان الرسمي للمفتي كرئيس للمجلس الإسلامي الأعلى ، الأمر الذي لم يمنحه المقدرة على مجاهرة الانجليز بالعداء ، اتخذ حزب الدفاع من ذلك ذريعة للحكم عليه وحزبه بأنهم موالون لبريطانيا .

وفي جريدة فلسطين أكثر من شاهد على هذا الاتجاه في دعوية حزب الدفاع .

فهي تقول : " وقد مضى حتى الان نحو ١٧ سنة والامة كلها تهيب بالحاج أمين ، ان يطلق وظائف الانكليز ، ويسير بقوة الشعب لا بقوة الانكليز. فيا بى الا ان تسير الامة في وادوهو في واحد آخر (٢٨) كما ان جريدة فلسطين لم تتردد في تفسير تاريخ فلسطين الحديث في مجمله. بانه سلسلة من المواقف الانهزامية او المتخاذلة التي قام بها المجلسيون والتي عادت في النهاية بتمزق فلسطين وضياعها : " وبحسب مؤرخ الحركة الوطنية ان يسجل على الحسينية مساومتهم مع السر هربرت صموئيل على ثورة الامة ١٩٢١ ، وفتنة انتخابات المجلس ١٩٢٥ ، وموقفهم من ثورة ١٩٢٩ التي جعلوها بفضل استخذائهم وتطلعهم الى وظائفهم ثورة عنصرية لا تشرف بها سمعة تاريخ امة تجاهد في سبيل قضية وطنية لا قضية دينية وتعمد الحاج أمين قتل روح العصيان المدني الذي تبنت به وفود الامة في مؤتمرات ٢٦ آذار ١٩٣٣ . . . (٢٩) "

وعلى أية حال فقد كانت جريدة فلسطين رائدة هذه الحملات وسرعان ما حذت الصحف الاخرى للحزب حذوها . فقد ذكر تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية " ان الصحف الثلاث " فلسطين " و " الدفاع " و " الجامعة الاسلامية " (وبصورة خاصة الاولى من بينها) جعلت من سياستها التشهير بالمفتي والتشكيك بزعامة العائلة الحسينية : الحاج أمين وجمال الحسيني والآخرين " (٣٠) كما ان هذا التقرير لم يغفل ذكر الاثر السلبي على الحسينيين والذي تسبب في شل جزء كبير من نشاطهم : " ان ما فعله الزعماء المذكورون في الاونة الاخيرة قليل . فقد تركز اهتمامهم وانتباههم على حملة صحفية لاستعادة مكانة الحاج امين الحسيني " (٣١) . وبالفعل فقد تضافرت جهود صحف الحزب العربي " الشهاب " و " الوحدة العربية " فضلا عن " الجامعة العربية " للدفاع عن المفتي (٣٢) . والظاهر ان صحف حزب الدفاع كانت صاحبة السبق في هذه المعارك الصحفية . بل ان هذه الصحف كانت سببا في حرج غير قليل للمفتي . فقد اقام المفتي دعاوى على صحيفتي الدفاع وفلسطين واتهمهما بالتشهير به (٣٣) . وعلى الاثر اقام بعض أعضاء حزب الدفاع دعاوى مماثلة على جرائد الحزب العربي فعاصم السعيد رئيس بلدية يافا ، وعضو في حزب الدفاع اقام دعوى على " الاوقات العربية " وكذلك فان عيسى العيسى صاحب " فلسطين " اقام دعوى على منيف الحسيني رئيس تحرير الجامعة العربية (٣٤) .

وصلت هذه الحرب الصحفية أوجها عندما نشرت "فلسطين" والجامعة الإسلامية بتاريخ ١٩ ابريل صورة (فوستات) لرسالة موجهة من شكيب أرسلان - رئيس "الوفد السوري الفلسطيني" في جنيف، والذي كان يعيش في المنفى - الى المفتي يطلب اليه فيها أن يستغل حرج موقف بريطانيا في الصراع على الحبشة ويبدأ بالدعاية لايطاليا، وأنه قد اتفق على ذلك مع موسوليني: "تم الاتفاق على المبادرة في بث الدعاية لايطاليا في البلاد العربية بأسرع ما يمكن" (٣٥) كما أنه ينصح بأن لا يستمر في الاعتماد على بريطانيا ويحذره من التماهى في ذلك "لهذا فاننا نعتقد أن تمسككم بصداقة القوم سيضيع نفوذكم ليس عند أبناء وطنكم في فلسطين فحسب بل عند اقوام آخرين" (٣٦) .

أثارت هذه الرسالة جدلاً حاراً في الصحافة العربية بشكل لم يسبق له مثيل وكان هذا الجدل كما هو العادة مصحوباً بالانتهاكات والانتهاكات المضادة . وكتبت الجامعة الإسلامية فوق الرسالة بخط عريض: "جادلوا عن انفسكم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون" وكتبت على الجانب اليميني: "من غشنا ليس منا" وعلى الجانب الايسر: "الرائد لا يكذب أهله" (٣٧) ولقد تطور هذا الجدل لدرجة أنه بات هنالك "خشية من أن يلجأ الاطراف المتنازعون الى استعمال القوة أو العنف" (٣٨) .

ولقد كانت جريدة "فلسطين" وبدءاً من تاريخ ١٦ ابريل ١٩٣٥ قد كتبت تتهم المفتي ورفاقه في الوفد السوري الفلسطيني بالتآمر مع موسوليني ووصفتهم بأنهم "كتلة ماجورة تدعو لايطاليا - الوفد السوري وحلفاؤه في القدس وخدمة الاستعمار في الشرق" (٣٩) كما أن "فلسطين" اتهمت الجامعة العربية لسان حال المفتي بأنها صدى لـ "صوت باري" وأنها لا تتصل مباشرة باذاعة باري ولكن من خلال وزارة الدعاية الايطالية " (٤٠) كما شارك ابراهيم الشنطي من خلال جريدة "الدفاع" في الهجوم على شكيب أرسلان (٤١) .

وقد ردت الجرائد الحسينية وبوجه خاص "الجامعة العربية" بسلسلة من المقالات فاتحة النار - كما يقال - على الناشطين حتى النهاية . وقد عكست هذه المقالات حدة وعنف كاتبها . وكان عنوان احدي المقالات "وثيقة مزورة ومؤامرة حقيرة على الامير شكيب أرسلان يراد بها الكيد للعرب والهدس للاسلام" وازافت الجريدة قائلة "ايتها الامة احذري الداسين وافترافات المفترين" كما

نشرت مقالا آخر بقلم شكيب ارسلان - الذي بادر بالابراق بتكذيب الوثيقة - بعنوان " الغريق الذي يريد أن ينقذ من هم على البر " وقد حاول ارسلان في هذا المقال ان يبرر موقفه تجاه الطليان بدون أن يعترف - بطبيعة الحال - بأنه كاتب الرسالة . فقد زعم في مقاله بأنه انما كان يعمل لصالح البلاد العربية : " نحن نكلمنا معكم بالعربي الفصيح لا بالسرياني فقلنا لكم اسبابا تدعونا الى مجاملة ايطاليا من باب السياسة . وهذه الاسباب عائدة الى فلسطين قبل كل شيء والى سوريا والعراق الذي ما زال محتاجا الى الدول العظام (٤٢) ، وفي مقالة ثالثة بعنوان " القنبلة الفارغة والسلاح المفلول " اتهم الكاتب جرائد خصمه بانها " اشتركت في ترويج تلك المؤامرة الوضيعة والمفتريات الباطلة . (٤٣) " وفضلا عن ذلك وفي خلال حمى هذه المعركة ، فان الجامعة العربية ، في محاولة منها للبرهنة على أن هذه الرسالة غير صحيحة نشرت صورة زكوغرافية تظهر خط شكيب ارسلان نفسه في شكل رسالة معنونة الى " ساحة المفتي الاكبر الحاج أمين افندي الحسيني " وقد استخدم في هذه المرة آية من القرآن الكريم عنوانا لها " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون " (٤٤) وكان شكيب ارسلان قد كتب مقالة اخرى بعنوان آخر من القرآن الكريم : " ولقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ؟ " (٤٥) وفي هذه الرسالة حاول شكيب ارسلان ان ينفي التهمة عن نفسه بالتوكيد على أنه لو أراد التحالف مع الدول الاجنبية لكان اختار الدولة التي تحتل سوريا : " لو كنت ممن يدعون الى دولة اجنبية لاتفقت مع الدولة التي تحتل سوريا " (٤٦) ومن أجل أن نجلو الحقيقة وراء غبار هذه الحملات والحملات المضادة سنحاول أن نحقق في أمر هذه الرسالة من أجل هدفين : الاول : أن نكتشف الى أي مدى كانت هذه الرسالة موثقة أو صحيحة ، الامر الذي قد يعني ابعادا سياسية معينة غير الخلاف الحزبي . والثاني: هو معرفة هذه الابعاد السياسية - على أية حال - وذلك بالنظر لتحديد موقف الحزب العربي من الناحية السياسي هذه المرحلة . وهنا نجد أن هنالك مصادر كثيرة معاصرة غير مصادر الحزب العربي تتضافر على التشكيك في صحة هذه الرسالة ونفي ما ورد فيها : " فعزة دروزة الذي هو مؤرخ معاصر وشارك في الاحداث يقول ان هذه الرسالة مزيفة ويعزوا الضجة التي اثيرت حولها الى فخرى النشاشيبي : " وقد اثيرت ضجة كبيرة حول صحة هذه الرسالة تولى كبرها فخرى النشاشيبي .

وثبت فيما بعد أن الكتاب مزور بقلم شخص مقدسي . ولم يستبعد الناس أن تزوير الكتاب والضجة التي أثيرت حوله من تشجيع الانكليز أو اليهود أو الفريقين معا بشكل ما بقصد اتهام الحركة الوطنية الجديدة التي بدأت بعظاها عام ١٩٣٣ وبقصد تسوية سمعة الحاج أمين والعناصر الوطنية بل أن هذا كان في نظر المخلصين كاليقين " (٤٧) .

كما سجل أكرم زعيتر في يومياته عن هذه الفترة ما يأتي : " لقد اطلعت على هذه الوثيقة فقررت أنها مزورة وأنا أعرف خطأ الأمير شكيب ، فالتقليد في الوثيقة ظاهر . وفي الوثيقة أخطاء لغوية وأملائية لا يمكن أن تصدر عن كاتب بسيط فكيف تصدر عن كاتب عظيم لقب بأمير البيان " (٤٨) .

كما أن المندوب السامي اعتبر الرسالة متناقضة في محتواها : " ان خطي الهجوم (في الرسالة) في الوقت الحاضر متناقضان : الاول أن الحاج أمين يتآمر مع الظليان والثاني هو تمسكه بالانجليز بدلا من أن يقود حملة ضد الحكومة الامر الذي يعتبر خيانة للقضية العربية (٤٩) . كما أنه عزا الحملة على المفتي الي الحسد والتناحر العائلي " ان الحملة الصحفية ضد الحاج أمين تزداد ضجيجا ولججا وعنفا . ان سبها الصحيح هو الحسد لقوته ونفوذه والكرهه العائليية والعداوات الشخصية " (٥٠) .

وبالاضافة الى ما تقوله هذه المصادر عن شكل الرسالة ومحتواها مما يجعل امر صحتها بعيد الاحتمال ، فان الظروف السياسية التي صاحبت نشر هذه الرسالة لا تبرر ما ورد فيها من نسبة الحسينيين الى التعاون مع الايطاليين . فالمندوب السامي واكهوب يؤيد بوضوح وبأسلوب لا يقبل الشك أن موقف الحاج أمين من الحكومة " ودي بصورة قطعية (definitely friendly) فقد أورد في الرسالة التي أرسلها الى وزير المستعمرات واثرتنا اليها اعلاه ما نصه : " لقد تابعت موقف الحاج أمين تجاه الحكومة - موقفه خلال السننتين الاخيرتين والان . وان موقفه بصورة قطعية موقف ودي ، وبصورة خاصة نحوي أنا ، كما سبق أن أشعرتك بذلك " (٥١) .

ومن ناحية أخرى نجد أنه بينما تنهم دائرة التحقيقات كثيرين من قادة حزب الاستقلال بتلقي المساعدات المالية من الايطاليين ، فاننا لا نجد هذه المصادر لا في هذه المرحلة ولا في مرحلة متأخرة عنها . تعزو أي شيء من هذا القبيل لزعماء الحزب العربي (٥٢) بل أنه على العكس من ذلك تصف دائرة التحقيقات قادة الحزب العربي ، الحاج أمين وجمال الحسيني بصورة خاصة ، بأنهم ذوو اتجاه عربي (Pro Arab) متطرف " (٥٣) .

وبفحص المصادر الاخرى نجد أنها تتطابق الى درجة كبيرة مع المصادر البريطانية . وفي هذا المجال فان وقائع المحادثات التي جرت بين موسى العلمي - وهو معاصر ومن ذوى الدراية (in the know) كما يصف نفسه - مع موسى شاريت رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية مثل جيد يمكن أن يلقي ضوءاً على الموقف الحقيقي للمفتي . فموسى العلمي يذكر بوضوح كامل أن التوجه العربي خلال الحرب الحبشية - السبب الرئيسي في كل هذه السجلات المتعارضة حول الرسالة - كان موالياً للانجليز . فهو يخاطب شاريت حرفياً بقوله : " في الحقيقة فانك رأيت ان توجهنا الكلي (Entire Orientation) خلال الحرب الحبشية كان موالياً لبريطانيا " (٥٤) وليس هذا كل ما في الامر بل ان موسى العلمي يحاول أن يرفض الزعم المتأخر زمناً عن تاريخ الرسالة - والقائم على دعاوة انتشرت بصورة واسعة وحاولت ان تنسب ثورة ١٩٣٦ لعوامل خارجة عن فلسطين وانها انما كانت بدعم من الفاشست الايطاليين - وهو ينسب كل الضجة المتعلقة بالعموم المادى الايطالي للعرب الى مصادر صهيونية تتحمل المسوءولية في هذا الافتراء : انا لا أعلم ما الهدف من توكيدكم الدائم أن الحركة العربية مدعومة بالنقود الايطالية . أولاً وقبل كل شيء دعوني اخبركم ان هذه اكدوبة . . . وانتم تركزون على هذا طوال الوقت ، كما أنه يلنقظها منكم البرلمان (البريطاني) . (القوس ليس في الاصل) .

ولا تدل روح الحوار الثنائي بين العلمي وشاريت على أن الحاج أمين كان متورطاً مع الايطاليين خلال عام ١٩٣٦ .

كما ان المصادر الاخرى غير الصهيونية وغير البريطانية تؤكد انه لم يكن هناك عون مادى من الايطاليين حتى في وقت متأخر عن تاريخ هذه الرسالة وعندما كان العرب بحاجة الى عون خارجي وبالذات خلال الثورة . فالدكتور حسين فخري الخالدي يطلق على مساعدة الايطاليين والالمان للعرب لفظ " الاسطورة " ويستشهد على ذلك بأن الاسلحة التي حارب بها العرب خلال ثورتهم كانت " مجموعة عجيبة من مختلف الاسلحة القديمة : ويقول أيضاً " نعم لقد كان المال لازماً لاغاثة منكوبي الثورة والعمال العاطلين وأعمال الاسعاف ولكن ما جمع من اموال من مدن فلسطين وما جاورها من اعانات من الاقطار العربية الشقيقة المجاورة كان كافياً لتدارك الامور ولو كان على نطاق ضيق " (٥٥) .

ويمكننا وبالنظر للشواهد التي اوردنا ان نرجح الى درجة مؤكدة اوشبه مؤكدة ان الرسالة لم تكن صحيحة . واغلب الظن انها كانت مظهرا من مظاهر الصراع الحزبي كما انه لا يفوت دارس هذه الرسالة ما تضمنته من محاولة استعداد للحكومة على الحزب العربي وتوريثه . واذا اضفنا الى موقف الناشييين هذا ، موقفهم السابق في محاولة اتهام المفتي بولائه لبريطانيا نجد انهم حاولوا عزل المفتي من الناحيتين الرسمية والشعبية .

- ٣ -

محاولات متعثرة لكل من الحزبين في تنسيق أو توحيد الجهود الوطنية

لقد طرح شعار " وحدة الكلمة " في الثاني من ابريل ١٩٣٥ - أي بعد فترة قليلة من ظهور الحزبين بصفة رسمية - فقد كتبت فلسطين " فكر بعضهم في دعوة الاحزاب العربية في البلاد الى عقد اتفاق بينها لتسير يدا واحدة من أجل سلامة الوطن المهدد " (٥٦) .

بل انه وجدت اصوات متعددة في فلسطين نعتت على الحزبية منذ ولادتها وحتى قبل ذلك - أثناء الاعداد لتأسيسها - واتهمت " كل حزب بأنه يركز على الامور العائلية والشخصية كما أنه لا يعير التفاتا لمصالح الامة (٥٧) " .

بل لقد كانت النعمة السائدة بين الفلسطينيين في هذه الفترة تعزو كل تقصير الى " الزعامة والزعماء " . (٥٨) كتبت الدفاع تقول " ولرب شعب باسل من غير قيادة مترددة مخللة أجدى عليه كثيرا من البقاء مستسلما الى تلك القيادة تسير به الى موارد الخسارة والهوان " (٥٩) كما كتبت فلسطين تدين جميع الزعماء ، " تاريخ الزعماء لا تشرف به قضية اعطوا لبلادكم لا لانفسكم " (٦٠) .

ويظهر أن الحزبين العربي والدفاع اللذين غرقا حتى الاذقان بالمهاترات الحزبية اصما أذانهما عن نداءات الوحدة وصيحات الادانة والتقصير . ويظهر أكثر من دليل انه كان هنالك محاولات للتوحيد بين الاحزاب حتى من قبل الحكومة

من أجل حد أدنى من المجلس التشريعي . الا ان هذه المحاولات فشلت . ففي لقاء للمندوب السامي مع المفتي وجمال الحسيني اقترح عليهما تكوين لجنة عربية من قادة جميع الاحزاب (٦١) وبعد أن وافقا مبدئيا وكتب المندوب السامي : " ان من السهل تكوين لجنة عربية قبل عودتي (المندوب السامي) " لم يظهر فيما بعد أن هذا الامر قد تحقق . فقد كتب تقرير لاحق " لقد اجهضت حتى الوقت الراهن المحاولات التي بذلت من أجل السلام بين النشاشيبي والحسيني " (٦٢) . وعلى أية حال فلم يكن البديل لهذه الجهود التوحيدية سوى " ان يشترك الحزبان في اعداد مذكرة للحكومة تتضمن المطالب الوطنية ، حتى اذا استتبع ذلك عدم الرضا أو القناعة برد الحكومة فان عليهما أن يشتركا في تنفيذ نوع من السياسة المحددة ، كعدم التعاون على سبيل المثال " (٦٣) .

وعندما دعا الوجيهان خليل العزّة ورشدي الشوا - وهما من العائلات المناصرة لحزب الدفاع - الى اجتماع في الخليل حضره ٢٠٠٠ شخص ودعا الى "السعي مع الشخصيات العاملة في البلاد للتفاهم وتوحيد الكلمة للسير في مصلحة البلاد يدا واحدة " (٦٤) لم يكن مصير قرار هذا الاجتماع افضل من غيره . ولم تمض سوى أيام قليلة حتى شن سكرتير حزب الدفاع هجوما على الدعوة التي " وحدة الكلمة " وهو الشعار الذي صدر عن ذلك الاجتماع . بل انه ذهب الى القول : "وليسمح لي القائلون على هذه الفكرة ان أسألهم ما اذا كانوا يقصدون بذلك جعل الامة كلها حزبا واحدا . فهذا خطأ ولا تقرهم عليه مصلحة البلاد . وهذه هي اللجنة التنفيذية التي كانت تمثل الامة بجميع احزابها كانت اول من نادى بلزوم تأسيس احزاب متعددة (٦٥) بل ان نفس الرجل مضى في جهوده لتهديم فكرة الوحدة عندما فسرها بأنها محاولة لتسليم الحسينيين مقاليد السياسة الفلسطينية . (٦٦)

ومهما يكن من أمر فان الدعوة الى الوحدة لم تلبث أن أصبحت مطلبا ملحا لبعض الاحزاب الاخرى . وكان حامل لواء المطالبة بالوحدة في هذه الفترة حزب الكتلة الوطنية ، الذي على الرغم من كونه حزبا اقليميا ، اقيم خصيصا لتوكيد زعامة أو مكانة رئيسه عبد اللطيف صلاح ، لم يكن منه - أمام التقصير الذي وصلت اليه الاحزاب بالنسبة للوحدة والتوحيد - الا أن جدد بحماس الدعوة اليها

ففي مؤتمر الحزب الذي عقد في ٦ أكتوبر ، القى عبد اللطيف صلاح خطابا لم يتردد فيه عن تسمية الاشياء باسمائها . بل انه في واقع الامر عزا الصوءولية في تمزيق الامة الى الحرب بين الحزبين العربي والدفاع (٦٧) كما أن هذا المؤتمر قرر ارسال رسالتين الى كل من راغب النشاشيبي وجمال الحسيني من أجل عقد اجتماع في ١١ أكتوبر لمناقشة الوسائل التي يمكن بها توحيد الامة (٦٨) .

ولقد أيد حزب مؤتمر الشباب بقيادة يعقوب الغصين - والذي كان طوال الوقت من المتحمسين للوحدة - أيد الاقتراح الصادر عن الكتلة الوطنية في توحيد " القوى المتصارعة " بعد يوم من انفضاض مؤتمر نابلس .

والظاهر أنه من جراء هذه الضغوط لقي الاقتراح ترحيبا من حزب الدفاع أيضا . فقد أصدر بيانا قال فيه " أنه على انتم استعداد للتفاهم والتعاون مع سائر الاحزاب الفلسطينية العربية على خدمة قضية البلاد العربية بصورة واضحة " (٦٩) بل ان الحزب حاول المزايدة عندما دعا الى تعريب الوحدة والتعاون مع الاحزاب العربية في سوريا وفي شرق الاردن وعلل ذلك : " لما للظروف الحاضرة التي تكتنف البلاد العربية بوجه عام ، وفلسطين بوجه خاص ، وما يحدث في القريب العاجل من التأثير على القضية العربية الفلسطينية " (٧٠) .

وعلى الرغم من هذا فان المؤتمر لم ينعقد في الموعد المحدد له في ١١ أكتوبر . ولم يكن هذا التأخير بسبب الموقف الذي تميز بالمزايدة ، وربما بالمساومة ، من هذه الاحزاب ولكن بسبب ظهور اشارة لخطر جديد لم يكن من السهل تجاهله أو تجاوزه . فقد كان اكتشاف الاسلحة المهربة لليهود في كل من يافا وتل أبيب ، مصدر احساس بتهديد كبير للعرب . وقد اعتبرت الصحف العربية هذا الحدث برهانا كبيرا على ان اليهود يتسلحون على مستوى كبير . وشتت على الاثر حملة شديدة على الحكومة البريطانية واليهود (٧١) . ولم تملك جريدة " الوحدة العربية " المؤيدة للحزب العربي الفلسطيني ، وكان يحررها اميل الغوري ، سوى أن تخاطب السلطات ، فيما ليس هو اقل من هذه الكلمات : " ارواحنا أيتها السلطة ! " (٧٢) .

جاء هذا الحدث - مضافا الى غيره - بحيث لم يترك لقيادة الاحزاب عذرا في ان يستمروا في ممارسة ضغائنهم وصراعاتهم . واخذت انتقادات الجمهور

للزعامة بأنهم انما يصغون الى صوت مصالحهم الشخصية دون المصلحة الوطنية شكلا جديدا . فقد دعا هذا الجمهور الزعماء الى أن يفرقوا خلافاتهم الشخصية وان يلتقوا على صعيد واحد وان يحتجوا مجتمعين على ما حصل (٧٣) .

ونجد هنا أن حزب مؤتمر الشباب عاد الى المناداة بعقد اجتماع عام لجميع الاحزاب ، في مكاتب مؤتمر الشباب وحدد لذلك تاريخا هو ١٨ اكتوبر ١٩٣٥ . ولكن الحزب العربي - مع ذلك - لاسباب محض حزبية ، تتعلق بكونه صاحب الاغلبية العددية بين الاحزاب ، وانه لا حاجة له لكي يتعاون معها ، لجأ الى المناورة وأرسل احتجاجه الى الحكومة في نفس اليوم المقترح لاجتماع الاحزاب كما ان اللجنة التنفيذية اجتمعت وقررت القيام باضراب يوم ٢٢ اكتوبر . وهكذا فانه لم يحضر الاجتماع المقترح الا ثلاثة احزاب هي الدفاع والاصلاح وحزب الشباب . (٧٤) .

الا ان المؤتمرين ، وقد استشعروا فشلهم في تحقيق وحدة الاحزاب او اتفاقها ، حاولوا اللجوء الى خيار آخر . فانطلاقا من شعار "المصالحة والتعاون " وافقوا على عقد اجتماع آخر . ومع هذا فقد فشلت المفاوضات من أجل عمل مشترك امام عناد جمال الحسيني ورغبته في التفرد بالعمل (٧٥) . ولم ينقذ هذه الجهود من أجل التوحيد الا تدخل المفتي ، الذي وجه عن طريق لجنة مؤتمر الشباب الدعوة الى الاحزاب الفلسطينية لتعمل في سبيل " التآلف والاتحاد ، وأيده الرأي العام في دعوته هذه " (٧٦) وعلى الاثر وافق جمال الحسيني على عقد اجتماع مع الممثلين الاخرين للاحزاب في ٢١ اكتوبر . وعندما انعقد هذا الاجتماع تمخضت الجهود المصنوية للاحزاب عن تكوين جبهة متحدة من الاحزاب اطلق عليها " لجنة الاحزاب الفلسطينية " ساهم فيها جميع الاحزاب ، ما عدا حزب الاستقلال الذي كان يأخذ على الزعامات الحزبية تخاذلها ومهادنتها للحكومة .

وعلى أية حال فقد قررت الاحزاب الفلسطينية تقديم مذكرة للحكومة عن وجهة نظرها ومطالبها بالنسبة لمنع تسليح اليهود . (٧٧) كما أنها دعت للقيام باضراب على مستوى البلاد جميعها في ٢٦ اكتوبر ١٩٣٥ .

رفع مندوبون عن الاحزاب مذكرتهم الى المندوب السامي . اما الاضراب فانه قوبل بالرفض من الحكومة ، ومع ذلك فقد قامت الاحزاب ومعها جماهير الشعب

الفلسطيني بهذا الاضراب الذي كان شاملا . ووصفه السكاكيني بقوله : " كان اليوم موعد الاضراب في فلسطين كلها ، وقد كان الاضراب عاما في طول البلاد وعرضها ، ولم يشذ عن الاجتماع أحد " . (٧٨) ويؤيد تقرير بيل هذا القول عن الاضراب ويصفه أيضا بأنه كان " شاملا وسبب هياجافي يافا ، وكاد يقع صدام في تل أبيب (٧٩) . الا أنه لم يمض طويل وقت حتى تمزق التنسيق الموقت بين الاحزاب والجماهير والذي بدأ أثره في تجاوب هذه الجماهير مع دعوة الاحزاب الى الاضراب الشامل . وقد انعقد في نابلس بتاريخ ٢ نوفمبر مؤتمرا وطنيا بمبادرة من بعض العناصر الوطنية في نابلس . (٨٠) وحضرته أيضا عناصر وطنية أخرى من أنحاء فلسطين . ولقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات كان من بينها الاضراب بمناسبة عودة المندوب السامي - الذي كان آنذاك في لندن - الى البلاد احتجاجا على تسليح اليهود .

وقد جاء في قرار الاضراب أنه سيكون " تعبيرا له (أي المندوب السامي) عن سخط الامة التي لا تؤمن بصدافته المزعومة " (٨١) . ويظهر أن هذا القرار اكتسب زخما جديدا من كثرة الحضور الى المؤتمر ومن الجو العام الذي سيطر على فلسطين في هذه الفترة . فقد وصفه أكرم زعيتري في مذكراته بقوله : " كان هذا اليوم من أيام القضية الزاخر بالحماسة والاندفاع . الوفود تغد الى نابلس من جميع أنحاء فلسطين . البرقيات تتري علينا من الاقطار العربية ومن مدن فلسطين . دوريات البوليس تتجول في الشوارع . " (٨٢) وأكثر من هذا يبدو أن مركز الاستقطاب في الحركة الوطنية تحول من القدس حيث مركز الاحزاب والزعامة الفلسطينية عموما ، الى نابلس .

أبرق المؤتمر الى زعماء الاحزاب يدعوهم الى انفاذ اضرابه وهنا كان رد فعل هؤلاء الزعماء مترددا أو متذبذبا . فبعد أن وافقوا على الاضراب والقيام بمظاهرة بمناسبة عودة المندوب السامي المنتظر ، عاد مندوب حزب الشباب ومعه مندوب حزب الاصلاح فعذلا عن هذه الموافقة . ولم يلبث أن لحق بهما جمال الحسيني وراغب النشاشيبي ومندوب الكتلة الوطنية وكانت حصيلة الاجتماع الذي ضمهم جميعا - عشية عودة المندوب السامي الى البلاد - بتاريخ ١٠/١١/١٩٣٥ بدار حزب الدفاع في القدس ، من أجل الحسم في موضوع طلب مؤتمر نابلس ما يلي : " انه بالنظر لقرب عودة فخامة المندوب السامي من لندن وتقديم مذكرة

الاحزاب الوطنية اليه محتوية على مطالب الامة . . . فان المجتمعين يرون ضرورة ارجاء كلمة الامة الحازمة الى ما بعد تلقي هذا الرد في الوقت المعقول والمناسب . . . " (٨٣)

لقي هذا الموقف السلبي من زعماء الاحزاب رداً فعل عنيف على مستوى الصحافة والجهاهير الفلسطينية عموماً . فقد وصفت جريدة فلسطين موقف كل من جمال الحسيني وراغب النشاشيبي بالتقلب ، واتهمت جمالا بأنه غير موقفه بناءً على رسالة تلقاها من القائم بأعمال المندوب السامي وقالت " أن ذلك الكتاب ومحتوياته جعل الاستاذ جمال ينضم نهائياً الى المعارضة فسارت الاكثية ضد الاضراب وانتهى الاجتماع " (٨٤) ومع أن جمال حاول الرد على هذا الاتهام وتفنيدته في منشور وزعه في نفس اليوم (٨٥) ، فان رده لم يكن مقنعاً ولا صحيحاً وعلى هذا فقد استمر الموقف الغاضب على صعيد فلسطين جميعها في التفاعل لدينا موقف جمال ، وغيره من الزعماء من عدم الاضراب . فقد بدأت نابلس وبالذات لجنة المؤتمرات الوطني ، بتلقي برقيات التأييد من كل مكان في فلسطين تنادى بالقيام بالاضراب مهما كانت النتائج ، وتحمل على تخاذل الزعماء . فقد ابرقت جمعية العمال العرب بيافا تقول : " اذا كان الائتلاف الاحزاب للعمل ضد رغبات الامة ، فلا كانت الاحزاب ولا كان الائتلاف . نؤيد مقررات نابلس ونصر على الاضراب " وقد ابرقت حيفا " نؤيد نابلس تأييداً كلياً في اضرابها ، سنضرب حيفا رغم انوف الزعماء والمتزعمسين " . (٨٦)

وقد انعكست هذه البرقيات التي بدأت تترى على نابلس في برقية أرسلتها لجنة المؤتمرات الوطني في نابلس في ١١/١١/١٩٣٥ الى الزعماء في القدس تقول ان موقفهم " لا يعبر عن ارادة الامة العربية . . . وانما هو دليل على ضعف المتزعمين . . . وهي تعتبر هذا الانهزام الذي منى به الائتلاف آية جديدة على افلاس الزعامة . . . " (٨٧)

وفي اليوم الذي حدد للاضراب - من قبل الجرائد الفلسطينية - وهو ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ اضربت فلسطين ويظهر ان هذا الاضراب حقق نجاحاً كبيراً ولم يشذ عنه أحد - بالرغم من موقف زعامة الاحزاب - وقد حيت جريدة فلسطين موقف الجمهور بالنظر لموقف زعماء الاحزاب وقالت : " ثم اجتمع الجمهور على الاضراب فاضرب وكان في هذا مخلص الضمير ووطنه ، ومهما قلنا عن حيرة الجمهور واضطرابه

فقد كان الاضراب عظيما ، يزيد في شأنه ، انه تم في غير دعوة رسمية اليه ، ومن غير تنظيم له ، وعلى الرغم من دعوات وبيانات الهيئات المسؤولة " ونشرت برقية واردة اليها من عكا تقول : " تمتع الشعب اليوم بحريته ، اضربت مدينة عكا . لتحيا الامة غير مقيدة بزيد أو عمرو " (٨٨) . أما جريدة "الجامعة الاسلامية" فقد عقيبت على الاضراب بمقال افتتاحي عنوانه : " الامة تنتصر " قالت فيه " فماذا يقول الائتلاف في هذا الانتصار ؟ " . (٨٩) وقد امتلأت اعمدة الجرائد الفلسطينية ببرقيات من مختلف مدن فلسطين تعلن نجاح الاضراب : من يافا وقلقيلية والخليل وجنين وصفد وغزة وبئر السبع وحيفا وفريق كبير من القدس (٩٠) وقد كتبت جريدة "الجامعة الاسلامية" تدين اسلوب الاحزاب في الحرب بوساطة المذكرات ومقابلة الحكام مقالا بعنوان " خذها يا فخامة المندوب كلمة صريحة " تقول : " وجاء القرار الهزيل المتداعي المهلهل انه بمناسبة عودة فخامته تقدم له المذكرة " رأسا " من قبل ممثلي الاحزاب وبعد وصول الجواب يقرر مندوبو الاحزاب (الخطة الحازمة) " الى أن تقول " يا فخامة المندوب القادم خذها كلمة صريحة : البلاد ساخطة على السياسة المتبعة في البلاد مجمعة على استنكارها الامة يا فخامة المندوب تصارحك اليوم قائلة : ان أسوأ عهد رآته هذه البلاد الشقية التاعسة هو هذا العهد الذي امتاز بتدفق الهجرة تدفقا جارفا ماحقا " (٩١) ومهما يكن فان زعماء الاحزاب - على ما يظهر - لم يعدلوا عن موقفهم أو موافقهم في تقديم المذكرات واجراء المقابلات مع المندوب السامي ففي ٢٥ نوفمبر تقدموا الى المندوب السامي بمذكرة ، في مقابلة اجروها معه ، وقد حملت هذه المذكرة مطالب الامة الاساسية وهي ايقاف الهجرة فورا ، ومنع انتقال الاراضي العربية الى اليهود ، وتأسيس حكومة ديمقراطية . (٩٢)

ومما يستوقفنا هنا أن هذه المقابلة والمذكرة والمداولات جاءت بعد اسبوع فقط من استشهاد الشيخ عز الدين القسام ، ولم تلمح المذكرة كما لم تذكر الاحزاب استشهاد الشيخ القسام وانتفاضته كما ستوضح بي ما يأتي

النشاطات القائمة على التظاهرات الاجتماعية وكتابة

المذكرات والاحتجاجات

١ - التظاهرات الاجتماعية :

شكلت التظاهرات الاجتماعية أو التجمعات ذات الطابع الاجتماعي التي اكتست طابعا دعائيا ، او مسيسا ، ملمحا رئيسيا من ملامح نشاطات الحزبين . فقد حرص كل منهما على تغطية المناسبات الاجتماعية مثل الاستقبال والوداع ومواكب الجنازات والحج الخ .

ففي اليوم الاول من فبراير ١٩٣٥ دعي راغب النشاشيبي والاعضاء البارزون في حزبه الى الغداء في بيت الوجيه بشير أفندي عمرو من الخليل . وكانت المناسبة من أجل القيام بواجب الوداع لقريب الداعي . ولقد اغتتم راغب هذه المناسبة لكي يلقي خطابا اتسم بطابع المجاملة في بعض منه ، ثم انتهى بعد ذلك لكي يؤكد انه في خدمة الشعب ، لا سيما وانه لم يعد مقيدا بمقتضيات الوظيفة وقال : " لقد كنت بالامس مقيدا بحكم الوظيفة ولم يكن باستطاعتي ان الي مثل هذه الدعوات . أما اليوم فأنني طليق وسأكون رهن اشارة أصغر صغير منكم اذهب حيث تريدون " (٩٣) . كما أن راغب لم ينس في هذا الخطاب أن يتعرض لخصومه معرضا بسلبيتهم " ... أنا اقول ليس بيننا وبين احد من مواطنينا الاخرين أي فرق . فكلنا نعمل لمصلحة البلاد وسنعمل على التعاون معهم . وكلما ابتعدوا عنا سنقترب منهم " (٩٤) .

وفي ٢٣ فبراير اناب حزب الدفاع سكرتيريه حسن صدقي الدجاني وفخرى النشاشيبي من أجل أن يحضرا جنازة الوجيه المحارب لهما في الناصرة توفيق بك الفاهوم . (٩٥)

وبعد ذلك بفترة وجيزة زارت طائفة من ممثلي الحزب الامير عبد الله بمناسبة وفاة أخيه الملك علي . (٩٦)

ولما لم تجد هاتان المناسبتان الإهتمام الكافي من قبل الحزب العربي ، تعرض هذا للنقد الشديد من قبل حزب الدفاع وكتبت فلسطين تعبر عن رأيه

وتنتصر للامير عبد الله تقول : " محاولة غير ادبية . سمو الامير فوق المناورات العائلية والحزبية " . (٩٧)

وفي دعوة أخرى اقيمت على شرف راغب ورفاقه في رام الله في ٢١ يوليه ، القيت خطابات سياسية . ففي هذه المناسبة وقف حسن صدقي الدجاني - وهو من مثقفي الحزب ويتمتع بعقلية سياسية (٩٨) ومقدرة على الخطابة - خطيبا . وتعرض لموضوعات لا تخلو من الاهمية وان كان ينقصها في مجملها الجودة . فبعد أن تعرض لثورة الشريف حسين ، ودور العرب فيها عبر ، ببصيرة قوية ، عن أن العرب لن يستطيعوا بعد ١٥ عاما ، ان يعقدوا اجتماعا كذلك الاجتماع . ثم ذهب الى القول أن التركيز ينبغي أن يكون على الحكومة في المقام الاول بصفتها العدو الاساسي ، وهي التي أحضرت اليهود الى البلاد .

وعلى أية حال ، فان الدجاني لم يختم خطابه ، الا بعد أن أشار الى موقف خصومه الحزبيين . وقال أنه على استعداد للعمل تحت راية الحاج أمين الحسيني (وراغب النشاشيبي) وجمال الحسيني ، أو أي شخص آخر على استعداد لمعارضة الحكومة ، من أجل الدفاع عن البلاد وتحريرها . (٩٩)

وقد مارس الحزب العربي - بدوره - هذه الضروب من النشاطات الاجتماعية المسيئة أيضا . ففي هذه الفترة ، زار المفتي ياقا لافتتاح مدرسة خاصة ، حيث استقبل مع حاشيته بالتظاهرات والتجمعات الحزبية المعروفة . (١٠٠) وقد القيت بهذه المناسبة الخطابات التي تميزت عن خطابات زعماء حزب الدفاع ، بكونها أكثر مسابرة وتمشية للحال ، مما كان يتفق مع سياسة المفتي في عدم استعداد الحكومة . وفي هذه المناسبة لم يتطرق المفتي - كغيره من الخطباء - الى أكثر من موضوع " سياسة الحكومة التعليمية نحو العرب " (١٠١) .

كما شهدت هذه الفترة - ١٩٣٥ - تدشين جمال لافتتاح كثير من فروع الحزب كما سبق الإشارة ، حيث كانت تتحول حفلات التدشين الى تظاهرات ، ومناسبة للقاء الخطابات الوطنية . كتبت الجامعة العربية تصف افتتاح فرع بيسان تقول : " ما كادت سيارة الرئيس وصحبه تصل ، حتى هتفت الجماهير المحتشدة بحياة الرئيس وصحبه ، والحزب العربي الفلسطيني ، واسرع الفرسان على خيولهم المطهمة ، يحيطون بالرئيس وصحبه . . . وكانوا يهزجون الاهازيج الوطنية العربية بينما كان يسير حول وخلف السيارات جماهير غفيرة من الاهلين . ولما دخل

الموكب الى بيسان قابله الشعب بالتصفيق، والهتاف، كما قابلته النساء بالزغاريد والتهليل" . (١٠٢) .

ولقد كانت زيارة الامير سعود فلسطين في صيف ١٩٣٥، مناسبة جيدة للحسينيين ليسجلوا نصرا كبيرا على خصومهم . لقد استأثرت هذه الزيارة باهتمام القادة . كما أن هذه المناسبة تحولت الى "فرصة للتظاهرات وتحشدات الجماهير العربية التي تجمعت لمشاهدة الامير العربي" (١٠٢) .

ولقد تمكن المفتي الذي هيمن على هذه الظاهرات من استغلالها لظهار قوته . بل لقد نجح في أن يولد لدى الامير الزائر انطباعا بأنه - أي الحاج أمين - الزعيم الوحيد، والقدير في فلسطين . ولقد عاد هذا النجاح على المفتي، بحسد خصومه، كما سبب لهم كثيرا من الحرج، لا سيما وأنهم قد وقفوا موقفا سلبيا خلال هذه الزيارة، ولم يكونوا من بين لجنة الاستقبال . (١٠٤) .

ب . المذكرات والاحتجاجات :-

كانت المذكرات التي يوجهها كل من الحزبين الى الحكومة او الجهات الاخرى في العالم هي المظهر الثاني من مظاهر نشاط الاحزاب . وترى بعض المصادر أن كتابة المذكرات والاحتجاجات الى بريطانيا ولجنة الانتدابات الدائمة، كانت المظهر الاساسي لنشاط الحزب العربي . (١٠٥) كما أن المادة المصدرية بين أيدينا تؤكد أن هذه المذكرات كانت مظهرا أساسيا من نشاط حزب الدفاع، لدرجة قد تزيد عن الحزب العربي .

ولعل المأخذ الاساسي على هذه المذكرات أنها لم تكن تستتبع بأية اجراءات عملية تؤيدها وتجعل لها قيمة فعلية . ومع هذا فان هذه المذكرات ذات أهمية معينة باعتبارها من أهم أدبيات كل من الحزبين وتعكس آراؤها صورة عن التفكير السائد في الحزبين حول المشكلات المختلفة . هذا فضلا عن أن هذه المذكرات - في صورتها النظرية - كانت معبرة عن المشاكل الحقيقية التي يعاني منها العرب الفلسطينيون . والذي يدرس هذه المذكرات - دراسة تحليلية - ومستوى تناولها للمشكلات المختلفة يستطيع أن يستنتج ما لم تتمكن الاحزاب أن تفعله .

ومهما يكن من أمر فان هذه المذكرات عالجت ثلاث ظلمات أساسية : بيع الاراضي والهجرة وموضوع الحكم الذاتي (Self government) وستتناول بالبحث هنا الموضوعين الاولين ونرجى بحثنا لموضوع الحكم الذاتي لفصلنا عن المجلس التشريعي .

١ - مشكلة الاراضي : عالج حزب الدفاع الوطني هذه المشكلة في أول مذكرة له بعد تأسيسه رسميا ، وهي مؤرخة في يناير ١٩٣٥ . وقد قام بتسليم هذه المذكرة الى المندوب السامي رئيس الحزب نفسه . (١٠٦)

ولقد جرى معالجة موضوع مشكلة الاراضي وانتقالها لليهود من زاوية اتصالها بـ " الكيان القومي للعرب في فلسطين " كما ركزت هذه على عملية " نزع الاراضي " المستمرة من " العرب " الى "اليهود الاجانب " . وانطلاقا من فكرة ازدياد انتاجية الارض بفضل الرأسمال اليهودي - التي طالما ردها اليهود لتبرير تملكهم الاراضي من غير أن يضار العرب - بينت المذكرة بكثير من المنطق ، ان لم تكن المرارة أنه ، " عندما تنتزع الاراضي العربية من العرب ، فانه من غير الوارد اذا ازدادت انتاجية الارض أم لا ، لان العرب لا يستطيعون ان يجنوا منها أى فائدة بعد ذلك " (١٠٧)

كما جرى معالجة مشكلة الاراضي من زاوية أخرى . فقد ركزت على واجب الانتداب في حماية مزارعي الاراضي أو مستأجريها . فهي تشير الى قانون نقل ملكية الاراضي لعام ١٩٢٣ ، الذي احتوى على مواد لحماية الفلاح نصت على أنه "قبل تسجيل عملية نقل الاراضي أو التخلي عنها ، فانه يجب أن تتخذ خطوات لتأمين تزويد المزارع مع عائلته بمساحة كافية من الارض على نفس الموقع ، أو في أقرب منطقة مجاورة لها " . (١٠٨)

ومن أجل ان تعزز المذكرة حجتها فانها تتعرض الى تقرير سمبسون وتقرير فرنش (١٠٩) وتنتهي الى القول أن قانون ١٩٢٢ " لم يسبق له أن طبق لسبب أو لآخر " (١١٠) . وتنتهي مذكرة حزب الدفاع بالمطالبة باصدار قانون جديد للاراضي وتورد ما نصه : " ان الحزب يطالب الحكومة باصرار بأن تتحرك فتصدر قانونا يمنع بصورة قطعية ومطلقة اي انتزاع لارض أخرى لحساب اليهود (١١١) لم تقتصر المعالجة لموضوع الاراضي من الناحية القانونية على مذكرة واحدة . فمن أجل أن يؤكد الحزب الحقيقة القائلة ان القوانين التي استصدرتها

الحكومة بشأن الاراضي لم تطبق ، وبخاصة من ناحية تعويض بائعي الاراضي بأرض اخرى من أجل استيطانهم ، فانه يقتبس عن شهادة شهدها السيد ستيس مدير الاراضي بـ فلسطين أمام لجنة شو ، وتتعلق بالكيفية التي تنتقل بها الاراضي الى اليهود ، وجاء فيها ما يلي : " كان البائع يأتي ويقوم بكتابة بيع وشراء مع اليهود . ولم تكن تعلم بهذا الا بعد أربعة أو خمسة أو ستة شهور بعد ذلك ، عندما كانت تأتي معاملة نقل الاراضي الى الموظف المختص . عند ذاك كنا نصدر تعليماتنا الى موظف المقاطعة المعنية (التي تم فيها الشراء) من أجل أن يقدم تقريراً عن المستأجرين ، لهذه الاراضي المنقولة لليهود . وعندما كان يذهب الى القرية ، فانه كان يجد في بعض الاحياء ان جميع السكان قد تركوا القرية ، وانهم قد اخذوا بعض النقود من اليهود ، وهكذا فانه لم يعد بإمكاننا ان نقدم لهم أية حماية مهما يكن نوع هذه الحماية " . (١١٢)

ولقد عالجت مذكرات الحزب العربي موضوع الاراضي . ففي شهر مايو ١٩٣٥ تقدم الحزب العربي بمذكرة حول الفلاحين الفلسطينيين وحاجتهم الى الارض (١١٣) وفي مذكرة مشتركة (١١٤) موقعة من جمال الحسيني وراغب النشاشيبي (مع زعماء الاحزاب الاخرى) اتفق الزعيمان على الاشارة الى خطورة حالة العرب فيما يخص مشكلة الاراضي . ولقد استشهدت مذكرتهما برسالة خانكين خبير الاراضي اليهودي ، ووكيل " شركة تطوير اراضي فلسطين " التي وجهها الى المستر فرنش ، والتي اعترف فيها خانكين بأن ما يمكن استملاكه من الاراضي العربية (من قبل اليهود) بدون الحاجة الى اعادة توطين اهلها وبدون أن يلحق ضرر بهؤلاء الاهالي ، هو ١٠٠.٠٠٠ دونم فقط . وتضيف المذكرة - الى ذلك - ان اليهود استملكوا بالفعل منذ شهادة خانكين تلك ٦٠٠/٠٠٠ دونم (١١٥) . وتضيف المذكرة ايضاً ان المزارعين الذين ابعدوا عن هذه الاراضي التي انتقلت الى اليهود لم تتح لهم الفرصة للاستيطان البديل بأي حال من الاحوال (١١٦) .

والى ذلك فان الجزء الاخير من المذكرة لا يخلو من الخطابية التي مارسها كلا الحزبين في مذكراتهما المتعددة ولكن بلا جدوى : " واذا ما استمر انتزاع الاراضي . . . فان ذلك سيعني أن كل فلسطين ستنتزع " . (١١٧)

٢ - الهجرة : كانت الهجرة هي الموضوع الثاني الذي استأثر بالقسط الاكبر من المذكرات المقدمة الى السلطات . فالهجرة بحسب ما تقوله مذكرة حزب الدفاع

في يناير ١٩٣٥ (١١٨) تنقسم الى قسمين : الهجرة المسموح بها والهجرة غير المسموح بها. ففي ما يتعلق بالنصف الاول فان المذكرة تعارض مفهوم المندوب السامي ، في أن الهجرة هي سبب الازدهار في فلسطين ، وذلك بالنظر الى ما يصاحبها من رأس مال يأتي من الاقطار الاوروبية . واعتراض المذكرة نابع من ان رؤوس الاموال المنقولة هذه موءقتة " وانها انما تنتقل الى فلسطين بسبب حالة الفوضى في أوروبا " . ومن هنا فانه " مما لا ريب فيه أن أي تحول أو تغيير يمكن حصوله في الحالة السائدة في أوروبا الوسطى ، سينتهي لا محالة ، بعودة مثل رؤوس الاموال هذه من حيث اتت " . (١١٩)

وتلخص المذكرة موضوع الهجرة المسموح بها ، بهذه الفقرة ، التي تحاول أن تضع مشكلة الهجرة في سياقها التاريخي والقومي : " ان سعادتك ستتحقق من خطر الهجرة اليهودية الوشيك الحصول وأنه سيعود في نهاية الامر على البلاد بسوء الحال ان عاجلا أو في المستقبل القريب " . (١٢٠)

اما في ما يتعلق بالنصف الثاني من الهجرة (غير المسموح بها) فان المذكرة تنحي باللائمة على الحكومة التي تعلم تمام العلم عدد هؤلاء المهاجرين ومحل اقامتهم ولكنها لا تقوم بطردهم من البلاد ، بالاضافة الى أنها لا تجلبهم امام المحاكم . وتمضي المذكرة في عرض حججها فتذكر " ان هذه الحالة ستدفع بالعرب الى الاعتقاد أن الحكومة تنتهج سياسة تستهدف خلق أغلبية يهودية في البلاد مما سيترتب عليه ان يضطر العرب الى الهجرة منها " . (١٢١)

وتعالج مذكرة حزب الدفاع المؤرخة ١٤ مايو موضوع الهجرة من زاوية أخرى وتقوم مقولتها هنا على أساس القدرة الاستيعابية للبلاد . وتستند المذكرة في المناقشة على النتائج التي توصلت اليها لجان التحقيق . وتستشهد المذكرة - بوجه خاص - بالكتاب الابيض (١٩٣٠) وتوصيات لجنة شو والتي نادى بتحديد الهجرة وتختهي المذكرة بالقول أن " عرضنا (حزب الدفاع) يقوم على أن

الحالة في البلاد لا تبرر السماح بهذا العدد الكبير من المهاجرين ، الذين كانوا ولا يزالون يسمح لهم بالدخول الى فلسطين ويأتون من مختلف بقاع العالم (١٢٢) وفي المذكرة المشتركة للحزبين الى المندوب السامي والتي سبق الاشارة اليها ، طالب الطرفان بالغاء الهجرة . وقد اقترحا في هذا السبيل " تكوين لجنة من عناصر ذات كفاءة لتدرس الطاقة الاستيعابية للبلاد تكون مهمتها وضع قاعدة للهجرة ، كما هو الحال في معظم بلاد العالم " . (١٢٣)

وإذا أردنا تقييم المردود الحقيقي لهذه المذكرات فاننا نجد أنه في الغالب لم يكن يعدو في حقيقته القيمة الاكاديمية . فلم يترتب على هذه المذكرات نتائج عملية تستحق الذكر . ولعل هذا عائد الى أن الحزبين ، من جانبيهما لم يتبعا مذكراتهما باجراءات عملية كافية تتناسب مع خطورة وأهمية المشاكل كما عرضها وصورتها مذكراتهما . فنحن اذا أخذنا موضوع بيع الاراضي كمثال ، كان الحزبان مرشحين للاسهام به بصورة جدية ، أكثر بطبيعة الحال من موضوع الهجرة التي كانت سياسة حكومية مقننة ، وليس من السهل تغييرها ، اذا أخذنا موضوع الاراضي هذا فاننا نجد أن كلا الحزبين كان لهما محاولات ولكن هذه المحاولات كانت اقل مما ينبغي . فتذكر التقارير مثلا أن حزب الدفاع قام بمحاولة لتكوين شركة رأسمالها ٢٥٠٠٠٠ جنيه فلسطيني ، ارتفع فيما بعد ليصل ٥٠٠٠٠٠ ، ولتذد وعد بعض الاعضاء بشراء أسهم في هذه الشركة بما تنوف قيمته عن ١١٠٠٠٠ جنيه . (١٢٤) ولكن بالرغم من هذه المبادرة ، فلا تفيد التقارير بان شيئاً ذا بال قد تحقق من الناحية الواقعية .

ولعل دور الحزب العربي ممثلاً بصورة خاصة بجهود المفتي زعيم الحزب ، ورجاله ، كان هو الدور الابرز في مقاومة بيع الاراضي لليهود . فقد ركز المجلس الاسلامي الاعلى منذ وقت مبكر على شراء ما يسمى بالاراضي المشاع وخاصة في الاراضي الساحلية المتاخمة لمنطقة طولكرم (١٢٥) وذلك لقطع الطريق على استهلاكها من قبل اليهود . فقد عقد المجلس الاسلامي الاعلى اتفاقاً مع أهالي القرية الطيبة عام ١٩٣٢ لشراء ٦٠٠٠ دونم من أرضهم المشاع . وفي عام ١٩٣٤ زاد المجلس الاسلامي الاعلى في شرائه للارض في هذه المنطقة فقد اشترى من أراضي عينل المشاع ١٦٠٠ دونم . وفي وقت متأخر عن ذلك تمكن أيضا من شراء اراضي زيتا المشاعية . (١٢٦)

وقد ذكرت الجامعة العربية انه كان للمفتي دور في توقف بيع الاراضي في ستين قرية من قضاء يافا . (١٢٧) كما تمكن رجال المفتي وبالذات صبري عابدين من اقناع أهل بيت جبرين (الخليل) بالعدول عن بيع ١٠٠٠ دونم من أراضيهم لليهود . ورد بأسم بيت جبرين سعيد العزة " معاهدا الله على عدم بيع شبر منها لليهود ولا للسماسرة " (١٢٨) .

وكجزء من حملة اعلامية لمقاومة بيع الاراضي دعا المفتي الى عقد مؤتمرات

" الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٣٥ . وقد حضر هذا المؤتمر ٤٠ مندوبا : أئمة وقضاة ومفتين ووعاظا ومدرسين . وقد افتتح المفتي وقائع هذا المؤتمر بالتركيز على الخطر المائل في بيع العرب لأراضيهم وقدسية هذه الأراضي . كما أصدر المؤتمر فتوى تحرم بيع الأراضي وتعتبر باعة الأراضي كمرتدين ينبغي أن يحرموا من الدفن في مقابر المسلمين . (١٢٩) وكانت هذه الفتوى نفسها قد طبعت ووزعت منها نسخ على مستوى البلاد جميعها (١٣٠) . وكان للعلماء الذين تشكلت منهم جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد هذا المؤتمر دور كبير في ردع الفلاحين البسطاء عن بيع الأراضي في قرى مثل الظاهرية وغاليه وغيرهما . (١٣١)

وليس من السهل الحكم الى أي مدى نجحت هذه الحملة فضلا عن الجهود الأخرى المبذولة من قبل أنصار الحزب العربي . ولكن الظاهر أنها كانت أقل من أن تحيط بمشكلة الأراضي .

ومن الناحية الأخرى فإن هنالك إشارات وأدلة على أنه كان هناك جهود سلبية تمثلت في تسهيل بيع الأراضي وبخاصة من أنصار حزب الدفاع (١٣٢) . ولعل هذا تابع من ناحيتين الأولى أن عددا كبيرا من أعضاء حزب الدفاع كانوا من كبار الملاك . والثانية الطبيعة المفككة لتكوين الحزب من حشد الانصار بدون التزام محدد يتفق على الأقل مع السياسة المعلنة للحزب كما تظهر في المذكرات والخطابات وغيرها من أدبيات الحزب . فقد أشارت صحيفة " العرب " الى أن عددا من المشاركين في المؤتمر السابع (١٩٢٨) كانوا من باعة الأراضي : " لجنة حالاته . . . وتجمع الى صفة الحالالية التناقض القبيح . "

" تنور اللجنة على خروج الأرض من يد العرب ، وفي اللجنة ناس باعوا وبيعوا أراضي عزيرة لليهود . وتنادى اللجنة بالمقاطعة وفيها من هو عاكف على المواصلة " (١٣٣) . ولعله ليس بلا مغزى أنه في اجتماع اللجنة التأسيسية لحزب الدفاع في ٢ ديسمبر ١٩٣٤ . كان القسم الذي طلب من الحضور أن يقسموه : " الامتناع عن السمرة (١٣٤) ، وأضاف الخطيب الذي طلب اليهم القسم قائلا : " وعفى الله عما مضى " وعندما حاولت لجنة بيل كشف الغطاء عن الأبعاد الحقيقية لعملية انتقال الأراضي لليهود فإنها قوبلت بالعناد من قبل الزعامتين العربية واليهودية على السواء . (١٣٥)

وفضلا عن ذلك فاننا نجد حاكم لواء نابلس في تقريره المؤرخ ٢٧ مارس ١٩٤٤ ، يذكر بوضوح انه " قد علم بصورة موثقة أن ثلاثة أعضاء رئيسيين في حزب الدفاع الوطني ممن يعيشون في طولكرم (بمن فيهم رئيس البلدية) يعملون منذ اشهر كسماسرة لبيع الاراضي لليهود لحساب أعضاء آخرين للحزب يقيمون في نابلس " (١٣٦)

وكما سبق لنا القول عند الحديث عن الحملات الصحفية فان صحافة الحزب العربي اعتبرت السمسرة احدى نقاط الضعف الرئيسية في حزب الدفاع ، وركزت عليها في أكثر من مناسبة (انظر فيما سبق ص ١٨٦) وقد ردت جرائد حزب الدفاع - في معرض الدفاع عن الحزب - (١٣٧) بتوجيه نفس التهمة لاجراء الحزب العربي . (١٣٨) ولكن على ما يظهر فان هذه الحملات الصحفية لم تسهم في محاربة بيع الاراضي بمقدار ما كانت وقودا آخر أضيف الى نار الحزبية بين الطرفين بل لعله من المؤكد أن الحرب ضد باعة الاراضي لم تتعد في معظم الاحيان هذا الضرب من الحرب اللفظية يقول ديفد هيرست : " لم يكن هنالك مقاطعة جماعية ناهيك عن وجود عقوبة عادلة أو رادعة . . . وفضلا عن ذلك - وهنا يكمن المقياس للزعامة الفلسطينية - فانه بالرغم من أن باعة الاراضي والسماسرة ربما عانوا من المضايقات اللفظية ، الا انه نادرا ما عوقبوا بأكثر من ذلك " (١٣٩) .

حقا لقد كانت نسبة الاراضي التي بيعت لليهود من بداية الاستيطان اليهودي الى عام ١٩٤٨ لا تزيد عن ٦ ، ٦ / ٠ من مجمل الارض الفلسطينية ولكن لا ينبغي أن ننسى أن عملية البيع نفسها كانت أيضا ذات اثر كسبير في تدمير النفسية الفلسطينية . (١٤٠)

ومهما يكن من أمر فان بحث موضوع المذكرات التي هي مدار دراستنا هنا كجزء من نشاط الحزبيين ، لا يتم ، حتى نعرف رد فعل السلطات المباشر عليها . ولدينا في تقرير للقائم بأعمال المندوب السامي على مذكرة لحزب الدفاع (١٤١) شاهد مناسب يستحق الوقوف عنده لانه يجلو لنا كيف أن السلطات كانت تتصرف حيال المذكرات كاسلوب من أساليب نشاط الحزبيين .

بيد القائم بالاعمال تقريره بالتعقيب على مذكرة حزب الدفاع الوطني المرفوعة اليه بتاريخ ١٩/٦/١٩٣٥ بانها تسير على " الخطوط المعتادة (والتي هي أقرب الى الرتابة) والتي لا يظهر فيها أي اصالة " (القوس في الاصل) . كما

أن القائم بالاعمال يتناول مناقشة هذه المذكرة ويحاول أن ينسف كل الاطروحة التي قامت عليها المذكرة وبخاصة في موضوعي الاراضي والهجرة ومن أجل ذلك فهو لا يتوانى عن التشكيك في صحة الاحصائيات التي أوردها السير جون هوب سمبسون والتي تستشهد بها المذكرة ، لتأكيد وجهة نظرها في أحقية العرب بالنسبة لمشكلة الاراضي . كما أنه يرد على ما احتسبته المذكرة " الكمية المناسبة " من الاراضي لكل مزارع (وهي ١٢٠ دونما) ويعتبر تقديرات الحزب باطلة لانه " لا يأخذ في الاعتبار التغيرات التي حصلت في الظروف المحلية بالنسبة لمستوى الحياة وتغير الضرائب الخ " (١٤٢) كما أنه لا يوافق على العلاج الذى تقترحه المذكرة بالنسبة لضبط عملية انتقال الاراضي لليهود . وزيادة على ذلك فانه يرفض منطلق حزب الدفاع في تكذيب الادعاء بأن انتاجية الارض تزداد بواسطة الراسمال اليهودى . ويعتبر رأى الحزب في هذه الناحية " مدعاة للشك بصورة كبيرة " . (١٤٣)

وفي رده على مقولة حزب الدفاع في موضوع الهجرة ، وبالذات فرضيتهم انه بالنظر للنتفاوت بين الصادر والوارد فان حالة البلاد لا تسمح بمزيد من الهجرة يعتبرها بأنها " لحد ما انغماس أو اقحام النفس في بحر للنظريات الاقتصادية تتقاذفه العواصف " . (١٤٤)

وعلى أية حال فان تشكيك القائم بالاعمال لا يقتصر على موقف حزب الدفاع بل أنه يشمل كذلك وجهات نظر المفتي التي تتردد في مذكرة حزب الدفاع فهو يعتبر قضية التهديد الواقع على الاماكن الاسلامية المقدسة بأنه " لا يقوم على أساس " . (١٤٥)

ومهما يكن من أمر هذا التقرير للقائم باعمال المندوب السامي والتي لا تصمد كثير من آرائه فيه للنقاش الموضوعي القائم على الحقائق والارقام والذي فيه مغالطات كثيرة وتشكيك حتى في التقارير البريطانية نفسها ، فان الفقرة الاخيرة منه ذات دلالة كبيرة وهي تجرى على الوجه التالي : " استقبل المندوب السامي وفدا من الحزب (الدفاع) بعد أن رفعت مذكراتهم . ولا ضرورة لعمل آخر " (١٤٦) وهذه الجملة " لا ضرورة لعمل آخر " تتحدث عن نفسها . وهي كافية في حد ذاتها

للدلالة على التلقي السلبي الذي كانت السلطات تستقبل المذكرات به في أغلب الأحيان .

ولعل هذا الموقف من قبل السلطات مما زهد العرب الفلسطينيين بجدوى حرب المذكرات والبيانات - والتي قلنا في صدر حديثنا عنها أنها كانت أبرز معالم نشاط الحزبين - فقد كتب أكرم زعيتر يطالب بتغيير اساليب الكفاح يقول :
" انذيع البيانات على العالمين - الاسلامي والعربي وقد كثرت بياناتنا حتى ذهبت قيمتها وقل قراؤها ها ؟
ولعل هذا الموقف من قبل السلطات العمل الجدى المستمر هو في تغيير اساليب الكفاح " (١٤٧) .

- ٥ -

موقف الحزبين من القسام

في الايام الاولى من شهر نوفمبر ١٩٣٥ لجأ الشيخ عز الدين القسام مع رفاقه (١٤٨) الى الجبال في منطقة جنين من أجل أن يدعو لثورة الفلاحين ولكنه لم يلبث أن قتل بعد أسبوع من قبل البوليس البريطاني بعد أن رفع شعاره المشهور " موتوا شهداء " (١٤٩) ، وبين عشية وضحاها أصبح القسام رمزا للمقاومة محققا بموته البطولي أكثر مما كان يمكن أن يحققه بامكاناته المتواضعة . بل لقد وصفته الصحافة العربية بأنه شهيد الامة والعقيدة . وقال أحد المعلقين : " ايها الصديق العزيز والشهيد . لقد سمعتك تعظ فوق منصة مستندا الى سيف ، وأما اليوم وأنت في جوار الله ، فقد أصبحت في مماتك أكثر عظمة مما كنت في حياتك " (١٥٠)

ولقد تحقق المندوب السامي ذلك عندما كتب في تقريره الى وزارة المستعمرات : " دعا كثير من العرب (القسام) ورفاقه " في الجريمة " (كذا) شهداء وابطالا يضحون بانفسهم من أجل قضية الامة العربية واستقلالها " (١٥١) ، وعندما دعا البلاغ الرسمي للحكومة العصابة بأنها " عصابة اشقياء " قالت الجامعة الاسلامية " عصابة اشقياء في البلاغ الرسمي وعصابة من الشهداء في سجل القضية " (١٥٢) .

جاءت حركة القسام هذه في وقت انخرط فيه الحزبان في نشاطاتهما مثل الصراع الحزبي والتظاهرات وكتابة المذكرات وعقد المقابلات مع السلطات الخ . ولقد تميزت حركة القسام هذه بأنها كانت ردا ممتازا على التهديد الاجنبي لانها اعتمدت النضال المسلح اسلوبا لها . وكما يقول عجاج نويهض : " دل القسام الجماهير على الطريق رغم ادراكه لقوة بريطانيا . وقاتل السلطة بعدد قليل من الرجال ليحي الثورة (١٥٣) . ولعله الى القسام الذي يطلق عليه ديفد هيرست أول فدائي في تاريخ فلسطين الحديث (١٥٤) . يعود فضل اشعال الثورة التي قامت بعد خمسة شهور من استشهاده . بل أن كاتبنا معنا يذهب الى أن ثورة ١٩٣٦ قد بدأت يوم خرجت حيفا بشيوخها وشبابها ونساءها تضرب في موجة حزن ، حاملة اعلامها وراياتها مودعة الشيخ القسام وصحبه الشهداء (١٥٥) . ويهمننا في هذه الدراسة توضيح دور كل من الحزبين في هذه الحركة . ابتداءً نود القول أن هنالك فرقا واضحا بين كل من الحزبين من القسام . فبينما لا تشرك المصادر الراهنة والمعاصرة للقسام حزب الدفاع ايجابيا (١٥٦) باسطورة القسام ، فان موقف هذه المصادر نفسها من الحزب العربي ، وبالذات المفتي ، موقف مختلف . وعلى أية حال فان هنالك عددا من الروايات والتقارير المختلفة والمتناقضة احيانا مما سنحاول التحقق منه في الصفحات التالية . يرتبط اختلاف الشواهد والروايات بناحية من أساسيتين :-

أولا : هوية القسام السياسية والتنظيمية .

ثانيا : الدوافع التي عملت على تفجير انتفاضته .

وبالنسبة للناحية الاولى فانه يتبين لنا أنه ربما لا توجد شخصية في تاريخ فلسطين الحديث كانت كالقسام مثار خلاف أو اختلاف حول هويتها الحقيقية . فهناك أكثر من حزب أو فريق حاول أن ينسب القسام اليه . فعلى سبيل المثال فان عزة دروزة الذي هو أحد المصادر الاستقلالية (جماعة حزب الاستقلال) الاساسية يزعم ان القسام ، كان ممن انتسبوا الى حزب الاستقلال ، وانه كان على صلة وثيقة ببعض أركانه ، كما يروى أيضا أنه كان لبعض زعماء الحركة الوطنية صلات مع التشكيلات الجهادية قبل الثورة ١٩٣٦ ، وان من هؤلاء الحاج أمين الحسيني وعزة دروزة وصبحي الخضرا ورشيد الحاج ابراهيم . (١٥٧)

كما أن مصادر الحزب العربي ، والمتمثلة باميل الغوري ومجلة " فلسطين " (١٥٨)

التي أصدرتها الهيئة العربية العليا في بيروت في الستينات ، تزعم أن هنالك علاقة وطيدة بين القسام والحزب العربي وقيادته . فالغوري يؤكد أن القسام كان عضوا بارزا في الحزب العربي وعلى هذا فإنه انتخب من قبل أعضاء الجمعية التأسيسية للحزب في ربيع ١٩٣٥ (قبل أشهر قليلة من استشهاده) ليكون ممثلا لمدينة حيفا في اللجنة التنفيذية للحزب ، مع زميلين آخرين هما حكمت النملي وفؤاد عطا الله . (١٥٩)

وليس هذا كل ما يقوله الغوري بل انه يحاول أن يعود بالعلاقة بين القسام والمفتي الى تاريخ مبكر تماما ، الى أيام قدوم القسام الى فلسطين من سوريا ، في أوائل العشرينيات ، حيث عينه الحاج أمين مدرسا وواعظا في جامع الاستقلال من أجل أن يسخر إمكاناته في الحقل الوطني . كما أن الحاج أمين كان الانسان الذي سهل التعاون بين القسام وعناصر الحركة الوطنية في حيفا والقضاء الشمالي . مما يسر على القسام اطراد التقدم وفرض مكانته بين صفوف هذه الحركة حتى أصبح أحد قادتها البارزين . وقد برز هذا بوضوح عندما أصبح القسام عضوا في اللجنة التنفيذية خلال العشرينيات والجزء الأول من الثلاثينات (١٦٠)

وبالنسبة لرواية الغوري أيضا فقد كان المفتي هو الذي أوصى القسام بما أصبح فيما بعد انجازه الاكبر في سجل النضال : تنظيمه السري ، الذي فجر حركته التي تحدثنا عنها . وبحسب هذه الرواية فإن هذا التنظيم انما أخذ شكل جمعية ذات طابع ديني - قومي باقتراح من المفتي الذي طلب من القسام أن يختار عناصره من أولئك الذين لديهم استعداد حقيقي " للتضحية والفداء " . ولا تنسى رواية الغوري - الى ذلك - أيضا ان تفسر الانقطاع الظاهري الذي كان بين المفتي والقسام والذي سبق انتفاضة الاخير بأنه كان مقصودا وذلك من أجل احاطة حركة القسام بالتستر والكتمان ، نأيا لها عن أعين السلطات البريطانية . ولقد آتت هذه الاساليب أكلها عندما اعتقد الكثيرون أن خلافا حقيقيا نشب بين الطرفين . (١٦١)

ورواية الغوري هذه التي تصل بعلاقة المفتي بالقسام - والعكس - الى درجة الالتزام الكامل تقتضينا ان ننظر اليها - وهي التي صدرت عن صاحبها في وقت متأخر وكانت استجابة لنعمة سبقتها وظهرت في الادب السياسي للهيئة العربية العليا في أوائل الستينات ، كما أنه نظرا لصلة الغوري بالحزب العربي والمفتي

شخصيا - بشيء من الحذر ، وان نقيسها على غيرها من الروايات والشواهد ، وهنا ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار رواية القسم الأكبر من القساميين أنفسهم المكتوبة منها والشفاهية .

فصحي ياسين ذو الاتجاه القسامي يكتب في كتابه " الثورة العربية الكبرى " " أما تبعية القسام وارتباطاته بحزب معين فان الذي أعرفه معرفة حقيقية ويعرفه العديد من اخواني الاحياء بان القائد الشهيد لم يكن له ارتباط مع أى حزب من الاحزاب وان ارتباطه الوحيد كان مع العقيدة الاسلامية وحدها " . (١٦٢) ويؤكد هذه الرواية الروايات الشفهية التي طالما ردها زملاء القسام ومريدوه - ومن بينهم بصورة خاصة أبو ابراهيم الكبير أحد القادة الذين كان يعتمد عليهم الشيخ القسام اعتمادا كبيرا - والتي تركز على استقلاله . (١٦٣)

و فضلا عن ذلك فان مصدرا مستقلا هو عجاج نهويض يرى أن القسام لم يكن مؤمنا بأى حزب ولم يكن مرتبطا بجهة على الاطلاق (١٦٤) ، ولكن مع هذه الروايات المتعارضة مع رواية الغورى فاننا لا نستطيع استبعاد هذه الرواية تماما ، ولا سيما عندما ننظر اليها من زاوية روايات اخرى محايدة - وبوجه خاص عندما نقارنها بروايات الفرق والاحزاب المتعارضة - هذه الروايات هي التي تعتمد على المادة المصدرية البريطانية واليهودية .

أما بالنسبة للمادة المصدرية البريطانية فاننا نجد مصادر البوليس - وبالذات أوراق تيجارت - والتي تعتبر الحركة القسامية بداية الحركة " الارهابية " في فلسطين ، تتفق مع رواية الغورى ، في أنه كان هنالك فعلا عناصر ذات طابع ديني قومي وكونت جمعية كانت تابعة للمفتي والقسام . وبينما الغورى لا يطلق عليها اسما معينا فان أوراق تيجارت تسميها بجمعية الشباب المسلمين . وكلا المصدرين (البوليس والغورى) يزعمان أن القسام كان عضوا فعلا في هذه المجموعات . ويقول أحد تقارير تيجارت هذه " كانت الجمعية قد أسست بواسطة الرؤساء الدينيين على امتداد البلاد تحت رعاية مفتي القدس ، الحاج أمين الحسيني " . (١٦٥)

ويطرد التشابه بين هاتين الروايتين في تحديد أهداف هذه الجمعيات النضالية ، مما تطلق عليه التقارير السرية للبوليس : " النشاط الهدام " كما أن تقارير البوليس تعود بالعلاقة بين القسام والمفتي - كما عاد بها الغورى - إلى

تعيين المفتي للقسام كواعظ ، الذي تحول به الى منظم ممتاز للجمعيات في منطقة حيفا : " ان اكثر فروع جمعيات الشبان المسلمين نشاطا كانت تلك التي وجدت حول حيفا والناصرية وجنين وكانت الاجتماعات للجانبها (الفروع) تعقد بصورة منتظمة (١٦٦) . واستطرادا تنتهي الروايات الى أن القسام انما عمل كل ما عمله بصفته واعظا يرعاه ويعزز موقفه المفتي .

أما بالنسبة للمصادر اليهودية فان بوراث يذهب الى أنه كان لجمعيات الشبان المسلمين دور واضح في النضال المسلح : " فهو يذكر أنه " ابتداء من صيف ١٩٣١ (التاريخ الذي يذكره الغوري كنقطة انطلاق للنشاط العملي للمقاومة المسلحة للقسام) ابتداء هوءلاء الشبان في الحديث عن النضال المسلح لتحقيق الاهداف القومية في فلسطين وقد نظم رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا الشيخ عز الدين القسام ، مجموعات مسلحة ابتدأت ضربا من "الارهاب والجرائم " ضد اليهود " . (١٦٧)

ويحل بوراث معضلة انتماء القسام حلا جزئيا عندما يستنتج أن الاستقلاليين (الذي نسب دروزة القسام اليهم) من أصدقاء المفتي وبالذات صبحي الخضرا ورشيد الحاج ابراهيم كانوا صلة الوصل بين القسام وجمعيات الشبان المسلمين في الشمال . بل أنه يصف صبحي الخضرا مدير الاوقاف في الشمال بأنه كان حلقة اتصال مثالية بين القسام والحاج أمين الحسيني " (١٦٨) .

الا أن بوراث - الذي يعتمد على مصادر صهيونية - مثله مثل الغوري وتقارير البوليس لا يعطينا جوابا شافيا عن هوية القسام الحقيقية وبصفة خاصة من الناحية التنظيمية . فكل هذه المصادر لم تحب عن سوءالين أساسيين الا وهما : هل كان القسام منظما عضويا كتابع للمفتي بحسب هيكلية معينة يأخذ القسام بموجبها منه أوامر العمل اليومي بما فيها بطبيعة الحال المقاومة المسلحة ؟ والثاني منهما : هل كانت العلاقة بينهما لا تعدو في مجملها ولاء مشترك للنفس المباديء وان الطرفين وجدا أنفسهما يناضلان تحت نفس الخيمة ويرفعان نفس الراية - كل بأسلوبه - بدون أن يندمجا في تنظيم صارم ؟ هذان السؤالان يبقيان بدون اجابة ولكن الشواهد - باستثناء روايات القساميين - تتواتر لتدل على أن القسام والمفتي كانا مشتركين في جمعيات الشبان المسلمين الاول كعضو ، ولكن مع هذا عضو منفذ والثاني كراعي وحامي على مستوى البلاد جميعها . ويدخل في نطاق دائرته الكبرى القسام كقرع من الكيان الكلي لهذه الجمعيات . وتؤكد هذه

الشواهد أيضا أنه كان هنالك نوع من الصلة الوطيدة - ولو لبعض الوقت - بسين الطرفين ، وان هذه الصلة كانت تترجم الى تخطيط وتنفيذ مشتركين ولكن رغم كل ذلك لم تستطع الاجابة على السؤال الخاص بالهوية الدقيقة للقسام . وعلى ما يظهر فان هنالك حلقة مفقودة وباكتشافها يمكن الكشف عن هوية القسام . ولعل هذه الحلقة المفقودة يكمن وراءها رأى اولئك الذين يزعمون أن هذه الشخصية ستبقى في حيز المجهول . ومن هؤلاء غسان كنفاني الذي يقول : " بالرغم من الكثير الذي كتب عنه الا أنه بوسعنا ان نقول أن هذه الشخصية الفريدة ، ما تزال وربما ستظل شخصية مجهولة في الحقيقة " وبالنسبة لكنفاني الذي يريد تفسير ثورة القسام نفسيا طبقيا : " ان معظم الذي قد كتب قد مسه من الخارج فحسب . وبسبب هذه السطحية في دراسة شخصيته لم يتردد عدد من المؤرخين اليهود في اعتباره " درويشا متعصبا " بينما اهمله الكثيرون من المؤرخين الغربيين " (١٦٩) ولعلنا نكون اقدر على معرفة الشخصية الحقيقية للقسام في اطار علاقته بالحزب العربي ، لو أننا استطعنا ان نحقق في دور الحزب وقائده المفتي في انتفاضة القسام والتي كونت قمة مصيره (القسام) النضالي ، ورسخت مكانته في تاريخ فلسطين الحديث . وهذا سيقودنا الى الجزء الثاني من مناقشتنا والذي هو دراسة حوافز ووقائع حركة القسام ، وهنا نجد أن المصادر التي حاولت أن تفصل القسام عن أى فريق آخر من موقع كونه مستقلا ، قائدا ومنظما ، تصر على موقفها ، وهذه المصادر هي المصادر القسامية " (١٧٠)

كما أننا نجد أن المصادر الانجليزية (المندوب السامي بوجه خاص) التي تتفق معهم (أى القساميين) على هويته المستقلة تميل هنا الى الاتفاق معهم بالنسبة لحوافز حركته ووقائعها . الامر الذي سيزيد في صعوبة تحديد دور الاحزاب وبخاصة الحزب العربي من هذه الحركة .

فبالنسبة للقساميين نجد أن صبحي ياسين يرفض جملة وتفصيلا أى دور للمفتي والحزب العربي في حركة القسام . وفي رأيه أيضا أن موقف المفتي لم يكن سلبيا فقط خلال الانتفاضة ، ولا قبلها بقليل ، وانما قبل ذلك بمدة طويلة .

وخلافا لما أوردناه قبلا فانه يذكر أنه حتى في مجال الوعظ الاسلامي لم يكن هناك تعاون . فقد رفض المفتي - بحسب رواية ياسين - " تعيينه - أى القسام - واعظا عاما متنقلا ليستطيع الاتصال مع سائر طبقات الشعب في المدن والقرى ومضارب

البدو للاعداد للثورة " (١٧١) .

كما أن صبحي ياسين يروى بوضوح انه قبيل حركة القسام ، رفض المفتي التنسيق مع القسام من أجل القيام بالانتفاضة في الشمال والجنوب في نفس الوقت . فقد انتهت مقابلة رسول القسام واسمه المخزومي ، مع أحد أعوان المفتي وهو الشيخ العزراوى بأن أجاب المفتي - عبر العزراوى - " أن الوقت لم يحل بعد لمثل هذا العمل ، وأن الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم . بحسب رواية اخرى لاحد القسامين وهو ابراهيم الشيخ خليل فان الاتصال مع المفتي لم يقتصر على المخزومي ، وإنما تم بواسطة احد أفراد حزب الاستقلال البارزين وهو الشيخ كامل القصاب ، وهو مناضل من أصل سوري ، ولكن هذا الاتصال لم ينجم عنه شيء أيضاً (١٧٣) .

كما أن المصادر البريطانية الرسمية عموماً تصمت عن مساهمة مباشرة للمفتي في انتفاضة القسام (١٧٤) ففي تقرير المندوب السامي وصف الانتفاضة بأنها " نشاطات لعصابة مسلحة في جنين وقائد هذه العصابة اطلق النار بصورة متعمدة ومقصودة على رجل البوليس ... " .

وتعارض هذه الروايات القسامية والبريطانية ، رواية الغورى وبعض القسامين معارضة كلية ، كما تعارضها المصادر اليهودية معارضة جزئية .

فرواية الغورى في مجملها تقوم على أن الحركة كانت بموافقة المفتي الكلية ورعايته . ويعزز هذا الرأي ما نشرته مجلة فلسطين - التي سبق الاشارة اليها - لبعض اخوان القسام (ومن غير اولئك الذين سبق لنا الحديث عنهم والذين يصرون على استقلالية القسام تنظيمياً وانتفاضة) وردوا فيه على ما جاء في كتاب صبحي ياسين واعلنوا ان الشيخ القسام وجميع اخوانه وزملائه وتلاميذه كانوا يعملون بتعاون تام مع مفتي فلسطين وبتفاهم معه ، وبتوجيه وتأيد منه ، وأن الشيخ كامل القصاب كان صلة الوصل بين القسامين والمفتي ، وأنه كان يسافر الى القدس بين فترة وأخرى ويعود حاملاً للمجاهدين التوجيه الوطني والمدد المادي (١٧٥) وتزيد رواية الغورى عن رواية القساميين هؤلاء في أنها أكثر تفصيلاً . فهي مثلاً تحدد العون المادي - في مرحلة معينة - بأنه كان النقود اللازمة لنفقات الحركة والتي كانت تعطى للقسام الذي " كان دائماً ينفقها على الوجه الصحيح " (١٧٦) . كما أن رواية الغورى تذهب الى أن مشاركة المفتي بحركة القسام إنما كانت من القوة بحيث شارك المفتي في تحديد ساعة الصفر لهذه الانتفاضة : " واتصل القسام بالحاج أمين بهذا الشأن للوقوف على رأيه فوافق المفتي على رأى القسام وأقر خطوته وتعهد بدم الثورة العتيدة بالرجال والاموال

والسلاح فعزم القسام وتوكل وفي اليوم الثاني من تشرين الثاني ١٩٣٥ قاد الشيخ عز الدين القسام عدداً من زملائه المؤمنين في حملة ضد القوات البريطانية (١٧٧) . وهناك رأيان للمصادر اليهودية في مساهمة المفتي بانتفاضة القسام . فبينما يؤيد أحد تقارير المخابرات اليهودية مساهمة المفتي ولو على الأقل بطريقة جزئية (١٧٨) فإن أحد المحامين اليهود - من الناحية الأخرى - والذي كان يعيش في يهودا في رسالة له أن المفتي كان يؤيد القسام إلى الحدود التي لا يتحدى فيها الانتداب (١٧٩) تلك كانت التقارير التي تحدثت عن الانتفاضة وما سبقها . وحتى تكتمل لنا المقدرة على محاكمة هذه التقارير ، لا بد أن ننظر إليها في ضوء التقارير التي تلت هذه الانتفاضة وبالنظر بصورة خاصة لموقف الأحزاب من استشهاد القسام . وماذا كان رد الفعل عليهم . وهناك نجد أن التقارير لا تكشف عن أي دور لاحق لحزبنا نحو انتفاضة القسام . فعلى الرغم من دعوة أكرم زعيتر الاستقلالي المتحمس ، إلى مشاركة عامة في الجنازة ، وبالرغم من كثرة المشاركين فيها ، والروح العارمة المتحمسة التي تميزت بها الجماهير الفلسطينية ، والتي تبذرت في عناوين الصحف الفلسطينية مثل " دعوة الأحزاب والهيئات إلى المشاركة في جنازة الشهداء " و " معركة هائلة بين عصبة القائدين والبوليس " و " استشهاد فضيلة الشيخ عز الدين القسام رئيس العصبة ، قتل بعض الثائرين والبوليس والانكليز " و " هياج الأفكار في اللواء الشمالي ، تشييع جنازة الشهداء اليوم " (١٨٠) . بالرغم من كل هذا فإن قادة الحزبين تغيّبوا عن الجنازة كما كانت برقياتهم فاترة اللهجة (١٨١) . بل إنه بعد ستة أيام فقط من استشهاد القسام نرى ممثلي الأحزاب الخمسة - باستثناء حزب الاستقلال - يجتمعون إلى المندوب السامي (١٨٢) للدخول معه في مفاوضات جديدة حول المطالب الأساسية للفلسطينيين وكان لهجة حوارهم معه أن الشعب يتصرف بدون الرجوع إليهم " ولقد أظهر الأهالي العرب إشارات أو علامات عن فقدان الأمل وهم الآن يخرجون عن الطوق " (١٨٣) ولم يشر الزعماء إلى موضوع القسام وإن كانوا أشاروا إلى العنف بوجه عام . وتبدل لهجة النقاش إن الأحزاب جميعاً لم يكونوا قد تجاوزوا في علاقاتهم مع بريطانيا روح المفاوضة ، أو المساومة وسياسة " خذ وطالب " ، التي كانت قد أثبتت فشلها منذ زمن طويل ، والتي كانت حركة القسام رفضاً كاملاً ومطلقاً لها . جرى ذلك وقد كانت جريدة الجامعة الإسلامية كتبت قبل يوم واحد من اجتماع الزعماء بالمندوب السامي مقالاً بعنوان : " هل أنتم أعداء للانكليز أم أصدقاء ؟ إلى رؤساء الأحزاب والزعماء والمحامين " قالت فيه : " ماذا ستقولون

لجناب المندوب السامي عن حادثة استشهاد القسام وصحبه . وهل وكيف تفهمون جنابه السر في اندفاع الامة هذا الاندفاع العجيب الفذ في تشبيعهم الى لحودهم وهل تعلمون ان البيان الرسمي وصفهم بالاشقياء ؟ . أليس من مصلحة بريطانيا والعرب ان تصارحوا جناب المندوب السامي بالتعبير له عما يجيش في صدر كل عربي . . . لقد سمعت صديقا يقول : سينعم روءءاء الاحزاب في مقابلتهم اغفال هذه الحادثة الخطيرة التي هزت البلاد هذا عنيفا " . (١٨٩)

وتتفق التقارير الاخرى للسلطات البريطانية في الفترة التي تلت استشهاد القسام على أن موقف الاحزاب جميعا تميز بالاعتدال ما عدا حزب مؤتم الشباب الذي لم يخل موقفه على أية حال ، من روح المزايدة ، توسلا للشعبية على حساب الاحزاب ، الاخرى ، فقد قال أحد التقارير : " لقد استطاعت مجموعات حزب الشباب المحافظة على روح الانتفاض بل لقد استغل هؤلاء الشعور العام في زحزحة القيادة عن الاحزاب المعترف بها وتوجيه الانتباه الى النشاطات المتطرفة (١٨٥) كما أن هذا الموقف من حزب الشباب تسبب في احراج كبير لقيادة الاحزاب (١٨٦) ، ومن أجل التخلص من هذا الاحراج عمد جمال الحسيني الى التطرف أيضا . وكان موقفه هذا مع حزبه " من أجل استعادة منزلتهم ومنع انتقال الزعامة من أيديهم " ولا يزيد هذا التقرير عن أن نشاطات الحزب لم تكن قد تجاوزت : " الاحتجاجات والتظاهرات والمواكب العامة " . (١٨٧)

ولم يخف هذا الموقف المعتدل للاحزاب على الشباب الفلسطيني المثقف ذي الميول الوطنية . فقد كان الاحتفال في يافا بمناسبة ذكرى احتلال الانكليز للقدس والذي جرى في سينما أبو لولو ، وحضره ٣٠٠٠ مندوب من أنحاء البلاد المختلفة مناسبة لكشف موقف الاحزاب من القضايا الوطنية الرئيسية . فقد وقف حمدي الحسيني خطيبا تحت صورة كبيرة للقسام لينتقد بقسوة الزعماء كما ندد بالطرق الفاشلة للعمل الوطني الفلسطيني وذكر أنها كانت عاملا قويا في ترسيخ اقدام الاستعمار " (١٨٨) كما بين كيف " ان الزعامة سعت لتقوية مراكزها فقط عند المستعمرين بالتظاهر بالوطنية ، واستغلت الدماء الزكية التي سفكت في سني ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ حتى ضاعت هدرا " (١٨٩) . كما اتخذ الحضور القرار التالي : " يعلن المجتمعون الليلة في اجتماع يافا الكبير ان قضية العرب في فلسطين هي قضية كفاح وصراع بين العرب والانكليز . . . وكل مهاودة مع الانكليز تبدو من

الهيئات والاحزاب والافراد تعتبر جناية على الوطن ، والمجتمعون ينتهزون فرصة الاجتماع الكبير ليعلنوا تقديسهم لذكرى البطل الشهيد عز الدين القسام وصحبه ، ويدعون الى تمجيدهم باعتبارهم قد عبروا عن سخط الامة . . . (١٩٠)

والان وقد رأينا أن الروايات المختلفة المتعلقة بهوية القسام السياسية والتنظيمية لا تبرهن على انتماء حزبي أو تنظيمي معين له ، فاننا عندما نضيف اليها التقارير المتعلقة بالانتفاضة نفسها ، ما سبقها وما تلاها ، فانه ليس من السهل علينا أن ننسب هذه الانتفاضة لاحد غير القسام نفسه ، وبالرغم من العلاقة التي كانت للمفتي بالقسام ، والتي تتواتر كثير من الادلة على توكيدها ، فانه لم يكن له مساهمة حقيقية في انتفاضة القسام .

وإذا كان هنالك من مساهمة فقد سبقت هذه الانتفاضة ولم تكن مقصودة أو مخصصة لها . (١٩١) وان كل ادعاء على أنه كان هنالك اتفاق على موعد محدد لها ، لا يعدو كونه تحميل الاشياء أكثر مما تحتمل ورواية الغوري التي تنفرد تقريبا من بين الروايات في فرض دور المفتي في الانتفاضة لا تقف على أرض صلبة من عدة نواح :-

- ١ - لانها متأخرة زمنيا ولم تظهر في كتابات الغوري ، وهو معروف بأنه مكثر في الكتابة (١٩٢) وله مؤلفات عدة ، سبقت كتابه " فلسطين عبر ستين عاما " والذي وردت فيه هذه الرواية .
- ٢ - لم يبين الغوري رأيه هذا الا بعد أن تبنته فلسطين مجلة الهيئة العربية العليا عام ١٩٦١ . ومجلة فلسطين متأخرة ايضا في تاريخها . ولا يظهر أي اشارات مشابهة عن القسام في الادب السياسي للهيئة قبل عام ١٩٦١ .
- ٣ - يظهر في رواية الغوري طابع التعمد في الرد على كتابات اخرى وبالذات كتابة القساميين ومن بين هؤلاء بصورة خاصة صبحي ياسين ، مما يجعلها أقرب الى رد الفعل منها الى الحقيقة المجردة أو الموضوعية . ويصل هذا الرد احيانا الى درجة تعمد قلب الحقائق .
- ٤ - كان الغوري عضوا رئيسيا في الحزب العربي - سكرتيره - كما أن كتاباته المختلفة تظهر تحمسا كبيرا للمفتي قد لا يجعله يتورع عن أن ينسب للحزب والمفتي مواقف وطنية معينة .

٥ - كتب الكثير عن القسام في وقت متأخر وبخاصة مع قيام الثورة الفلسطينية الحالية . واعتبر القسام بالنسبة للكثير من التنظيمات مثلا وقدوة .
ومن هنا فقد انساق الغورى كغيره في محاولة تفسير الظاهرة القسامية تفسيراً خاصاً لا يتعارض - بل يؤيد - الخط النضالي لحزبه .

وفي الخاتمة نستطيع القول إن القسام كان ظاهرة فريدة من نوعها في هذه المرحلة : تنظيماً اعتمد على الطبقات الشعبية - وليس كغالب الأحزاب على الوجاهات - واستراتيجية وتكتيكا اعتمد أيضاً على المجابهة العسكرية المباشرة باعتبارها الحل الأمثل أو الأوحده .

- ٦ -

الحزبان والمجلس التشريعي (١٩٣)

كان مشروع المجلس التشريعي الذي دارت حوله مداولات بين قادة كل من الحزبين مع المندوب السامي ، مشروعاً قصد به الانتداب الى هدفين : الاول من أجل حل المشكلة الطويلة والمتعلقة بتحديد طبيعة العلاقة الدستورية بين العرب واليهود من ناحية ، وبين الانتداب من الناحية الأخرى . تلك المشكلة التي لم تكن قد حسمت بعد ، بالرغم من أهميتها وكونها المبرر الحقيقي لوجود الانتداب والثاني هو ارضاء العرب بالنظر للتيار - المتصاعد من الراديكالية العربية - وتعدد التنظيمات التي تمثل هذا الاتجاه مثل جمعيات الشباب ونوادي الرياضة ومنظمات الكشافة (١٩٤) وغيرها من المنظمات التي تحدثنا عنها في السباب الاول والتي تمثل تأثيراً واضحاً في حركة القسام .

وستعنى الصفحات التالية بتوضيح مواقف كل من الحزبين من مشروع المجلس التشريعي . وسنقسمها الى ثلاث مراحل :-

- ١ - فيما قبل محادثات يولييه ١٩٣٥ ما بين قادة الحزبين والمندوب السامي .
- ٢ - محادثات يولييه ١٩٣٥ التي سبقت اصدار المشروع بصورة رسمية .
- ٣ - موقف كل من الحزبين من المقترحات الرسمية للمشروع الذي أعلن في ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ .

١ - المرحلة الاولى : بالنسبة لهذه المرحلة نجد أن الشواهد تركز على حقيقة كبيرة وهي الحماس الكبير الذي طالب به انصار حزب الدفاع بهذا المجلس لانجد لهذا الحماس مثيلا في أدبيات الحزب العربي . كما لا يظهر موقف محدد للحزب من هذا المجلس) . وقد تجلت هذه الحقيقة في مذكرات ومحاضر محادثات رجال الحزب مع المندوب السامي . ففي مذكرة الحزب المؤرخة ١٩٣٥/٣/٤ (١٩٥) نجد معالجة لموضوع المجلس التشريعي "كخطوة في طريق الحكم الذاتي" (١٩٦) . كما أن المذكرة ألحت على تذكير المندوب السامي بتعهداته السابقة من أجل انشاء المجلس التشريعي . ولقد عزت المذكرة تأجيل انشاء هذا المجلس الى الجهسود اليهودية وقالت : " نحن على علم ان اليهود لن يوافقوا على هذا المجلس حتى يصبحوا أغلبية (١٩٧) وطالبت المذكرة في خاتمتها بتحديد موعد لانشاء هذا المجلس .

وقد ركزت مذكرة الحزب التالية والمؤرخة ١٤ مايو ١٩٣٥ (١٩٨) على موضوع الحكومة الذاتية (Self Government) . وعززت مناقشتها لهذا النوع من الحكم بالعودة الى قانون الولايات العثماني والذي " أعطى للولايات الحق في تكوين سلطات حكومية محلية ذات صفة مستقلة تماما " ثم أشارت الى الاستقلال الذاتي " ضمن تماما " في مراسلات الشريف حسين مكماهسون .

وكما أنهت المذكرة الاولى مطالبها بالمطالبة بتحديد موعد لانشاء هذا المجلس ، قالت المذكرة الثانية أن أي تأجيل لتأسيس الحكم الذاتي سيفسر من قبل الشعب بأن سياسة الانتداب لا تحيد اشراك الشعب في ادارة بلاده . و " هذا أمر ضار " و " يتعارض مع مبادئ العدالة والمساواة " (١٩٩)

والدارس لتأثير هذه المذكرات لا يستطيع القول انها كانت الوحيدة وراء قيام أو عرض مشروع المجلس التشريعي . فقد كان انشاء المجلس التشريعي سياسة مقررة ومدروسة من قبل البريطانيين تنفيذا لمضمون الكتاب الابيض عام ١٩٣٠ . ولعل أهم ما يمكن أن تكون هذه المذكرات قد ساهمت به لا يعدوا انها عززت موقف واكهبوب أمام دوائر وزارة المستعمرات والحكومة البريطانية من أجل التعجيل باصدار المشروع خاصة بالنظر للعراقيل التي كان يضعها اليهود في سبيله أمام هذه الدوائر . تلك العراقيل التي نجحت أكثر من مرة في وضع هذا المشروع على الرف وأجلت اصداره بصورة رسمية (٢٠٠) الى ديسمبر ١٩٣٥ ، بالرغم من الموافقة

المبكرة عليه كميّداً . . . (٢٠١) .

٢ - محادثات يولييه ١٩٣٥ : تمهيدا لانشاء المجلس التشريعي استدعى المندوب السامي كلا من الحاج امين وجمال الحسيني لمقابلته في ٢٢ يولييه (٢٠٢) حيث دارت مباحثات حول المجلس التشريعي الذي قدم المندوب السامي الملامح الرئيسية له ودارت حول الموضوعات التالية :-

- ١ - تطوير مواءمات الحكم الذاتي والقيود المفروضة عليه .
- ٢ - تركيب المجلس من حيث صفة أعضائه واصنافهم : رسميين وغير رسميين ، منتخبين ومعيينين ، وشروط العضوية فيه .
- ٣ - رئاسة المجلس : شروطها وصلاحياتها .
- ٤ - مدة المجلس ودورات انعقاده .
- ٥ - التصويت : طرق الانتخاب ، والشروط الواجب توفرها في المنتخبين .
- ٦ - صلاحيات المجلس . (٢٠٣)

كما كشف المندوب السامي بعض النواحي التفصيلية لهذه الموضوعات الكبرى فقد كان على المجلس أن يتألف من التاليين : ثمانية أعضاء منتخبين وثلاثة معينين من المسلمين ، عضو منتخب واثنان معينان ، من المسيحيين ، ثلاثة أعضاء منتخبين ، و ٤ - ٥ معينين من اليهود ، هؤلاء بالإضافة الى خمسة أعضاء رسميين بريطانيين ، ١ - ٢ أعضاء تجاريين " كما أن المندوب السامي سيحتفظ لنفسه بصلاحيات واسعة فهو يتمتع بحق الفيتو غير المشروط . كما أنه يحفظ بحق التشريع في حالة عدم انعقاد المجلس ، كما أن له الحق الخاص باخذ المبادرات المالية ، ويضاف الى ذلك صلاحية حل المجلس . (٢٠٤)

ولقد تمثل رد الزعيمين الحسينيين على هذه المقترحات في الثبات على ما سماه " مصالح العرب في فلسطين ، كما أنها أصرا على ايجاد نوع من التمثيل الحقيقي - وليس الاسمي فقط - للفلسطينيين . وبالنسبة لتكوين المجلس أو تركيبه ائتمرا ان عضوية المجلس يجب أن تقتصر على من لهم حق المواطنة (بالنظر لانه كان هنالك عدد كبير من اليهود الذين لا يتمتعون بهذا الحق لانهم عبروا البلاد بصورة غير شرعية) كما أنها عارضا بشدة تمثيل اليهود بالعدد الذي اقترحه المندوب السامي واعتبرا ذلك تحيزا مباشرا لهم ، لا سيما وانهم سيكونون محميين بحق الفيتو (٢٠٥) كما أنها اعترضا على تعيين عضو تجاري في المجلس والذي

— كما قالوا — انه على حد علمهما لم يكن له شبيه في مصر وفي أي مستعمرة أخرى بريطانية (٢٠٦) كما أنهما اعترضتا على أن يكون رئيس المجلس أجنبيا محايدا .

وبالنسبة لطريقة الانتخاب كان موقفهما كالتالي :-

أ — فضلا النظام الطائفي (communal system) والذي تقسم بموجبه البلاد الى ثماني مناطق انتخابية .

ب — آثرا الانتخاب المباشر على الانتخاب غير المباشر " الذي يؤدى فيما بعد الى الفساد " .

ج — وافقا على اقتراح المندوب السامي بالنسبة لشروط من يحق لهم التصويت والتي تشمل تحديد سن المنتخب بـ ٢٥ سنة مع اقامة شرعية في البلاد مدتها ثلاث سنوات . (٢٠٧)

أما بالنسبة لسلطات المجلس التشريعي فقد اعترضتا على أن السلطات أو الصلاحية الممنوحة للمجلس التشريعي — في هذه المحادثات المبدئية —

محدودة . وتركز اعتراضهما على الصلاحيات الممنوحة للمندوب السامي وان هذه الصلاحيات ينبغي تحديدها . وتطرقا في مناقشتهما الى أن الانتداب نفسه ينبغي

اعادة النظر فيه بحيث يحق للعربي " أن يناقش موضوعات لا يقرها الانتداب " وعلى سبيل المثال أن يحق له أن يتخذ قرارا لانتهاء وعد بلفور (٢٠٨) وكانت

هذه نقطة جوهرية أو مركزية في المطالب العربية طوال كفاحهم ، وتشهد بذلك مذكراتهم وبياناتهم الى المندوب السامي والحكومة البريطانية ولجنة الانتدابات

الدائمة (٢٠٩) . ويذهب ماكوفر Machover انه " كان هنالك قناعة لدى بعض الاعضاء الدائمين للجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم ان العرب انما يطالبون

بالمجلس التشريعي من أجل منع تنفيذ الاهداف الاخرى للانتداب أو من أجل تدمير الانتداب نفسه " . (٢١٠)

وتدل محاضر اللقاء الثاني الذي تم مع المندوب السامي بعد حوالي أسبوع

(٣٠ يولييه ١٩٣٥) (٢١١) على أن موقف كل من المفتي وجمال الحسيني كان أكثر تشددا من اللقاء الاول . فقد طالبا بتعديلات اخرى في الشروط التي اقترحتها

المندوب السامي للمجلس التشريعي ، وذلك من أجل أن تحقق الامال العربية (٢١٢) وفي هذا اللقاء أشار المفتي الى أن البلاد العربية تتمتع بصلاحيات تشريعية أكثر

اكتمالا من هذه التي تقدم آنيا لفلسطين كما أن تلك البلاد تتمثل بنظام تمثيلي

أكثر اتساعا (٢١٣) . وبالنظر لهذه الناحية فقد وضح أن " جزأ من الشعب (الفلسطيني) ربما يرضى بالمجلس التشريعي - بينما يرفضه الجزء الآخر " (٢١٤) وهنا عزز جمال الحسيني موقف المفتي بقوله : " مثل هذه الحالة ربما تدمر خطة تنفيذ المشروع التشريعي الذي تحتاج اليه البلاد وتطلبه " (٢١٥) ولكن بالرغم من هذه المناقشات والحجج ووجهات النظر التي أبدتها الزعيمان الحسينيان فانهما لم يفلحا في زحزحة المندوب السامي عن عرضه الاساسي : " ولقد رددت قائلا ينبغي علي أن أخبركم للمرة الثانية ان حكومة جلالته لن تغير الملامح الرئيسية لهذه المقترحات " (٢١٦) .

ولكن هذا الموقف من المندوب لم يمنع الزعيمين الحسينيين من أن يعيدا النظر في تركيب المجلس باتجاه مزيد من التشدد فقد طالب جمال الحسيني بأنه ينبغي أن يكون الاعضاء جميعا بالانتخاب وليس بالتعيين " لان الاعضاء المعينين سينظر لهم كموظفين أو خدم للحكومة " (٢١٧)

وبالانتقال الى موضوع صلاحيات المجلس أبدى الزعيمان تخوفهما من أنه " لن يكون مسموحا للاعضاء أن يناقشوا المسائل المالية " وردا على ذلك : " لقد قلت : لا يستطيع الاعضاء أن يتقدموا بأي قرار أو مناقشة هي مايتعلق بالمسائل المالية " (٢١٨) .

ويظهر أيضا من وقائع هذا الاجتماع (٣٠ يولييه ١٩٣٥) أن المفتي وجمال أرادا العبور من البحث في صلاحيات المجلس التشريعي الى المطالبة بزيادة الصلاحيات التنفيذية للعرب من خلال المجلس التنفيذي للحكومة . فقد " طالبا بزيادة الاعضاء الرسميين للمجلس التنفيذي ، ومنح بعض السلطة للفلسطينيين في المجلس التنفيذي أسوة بالسلطة التشريعية الممنوحة لهم " (٢١٩) ولعل هذا كان نابعا من رغبتهما في تحقيق نوع من الحكم الذاتي الحقيقي القائم على السلطتين التشريعية والتنفيذية وليس فقط السلطة التشريعية . الا أن المندوب السامي أجاب " ان حكومة جلالته لن تتقدم أكثر من خطوة واحدة في المرة الواحدة . فبعد أن يسير المجلس التشريعي سيرا جيدا ، فان الحكومة ستنتظر بعين الاعتبار لمسألة زيادة الاعضاء غير الرسميين للمجلس التنفيذي ، ولكن مع هذا فأنني لا أستطيع أن أتعهد بذلك في الوقت الراهن " (٢٢٠)

وفي ٢٣ يوليه عام ١٩٣٥ عقد المندوب السامي اجتماعا مع راغب النشاشيبي حيث تناول النقاش نفس الموضوعات التي عرضت على الحسينيين (٢٢١) وكانت ردود راغب على الوجه التالي :-

١ - بالنسبة لتركيب المجلس التشريعي : كانت أول ملاحظة لراغب النشاشيبي هي احتجاجه على خمسة أعضاء من اليهود واعتبر ان هذا العدد " نسبة كبيرة مما يجعل العرب ينظرون اليها على أنها نسبة غير عادلة بل أنه اعتبر أن عضوين معينين من اليهود سيكونان كافيين ، وان أربعة سيكونون أقل شأنا خمسة " (٢٢٢) . وبالنسبة لقضية الانتخاب أو التعيين فقد عبر راغب عن رغبته في " أنه يفضل مجلسا معيناً ولنقل مدة سنتين وان نجعل هذا المجلس المعين يتقدم بمقترحات لجمعية تشريعية (٢٢٣) ولقد برر راغب النشاشيبي هذا الاقتراح بتخوفه من نتائج المناقشات بين الفئتين اللتين يتكون منهما المجلس : المنتخبة والمعينة إذ أن الفئة المنتخبة ستعتبر نفسها الأفضل . كما أنه اقترح كحل عملي مجلسين : مجلس يهودي ومجلس عربي . وكلا هذين المجلسين يمكن انتخابهما " وكل قراراتهما سترفع الى مجلس ثالث من أعضاء معيّنين والى هذا المجلس المعين سيكون التصويت النهائي " . (٢٢٤)

ويستوقفنا اقتراح راغب هذا من ناحيتين : الناحية الأولى أنه يحرم الفلسطينيين من حرية التمثيل باعتبار أن الصلاحيات ستكون في يد المجلس المعين . كما أنه ردة الى مشروع شبيه بالمجلس الاستشاري الذي رفضه العرب عام ١٩٢٣ باعتبار أن أعضاء معينون وان الاكثية فيه كانت للانكليز واليهود معا (٢٢٥) . وباعتبار انه - بتركيبته هذه - يحرمهم من حق التمثيل ، وهم الذين رفضوا المجلس التشريعي ، الاقل حرمانا لهم من التمثيل قبيل ذلك . ومن ناحية ثانية نجد أن هنالك تشابها بين هذا الاقتراح واقتراح آخر سبق لوايز من ان اتفق عليه مع باسيفيلد وزير المستعمرات ونص على ما يلي :- " تشكيل مجلسين يهودي وعربي ، مستقلين ويتم انتخابهما بطريقة ديمقراطية . وكل من هذين المجلسين سيعنى بمشكلات طائفية . وعلاوة على ذلك سيتم عقد لجنة استشارية مكونة من عضوين من العرب وعضو من اليهود تحت رئاسة السكرتير الرئيس (للحكومة) . وفي اجتماعات هذه اللجنة سيكون من المسموح به مناقشة موضوعات مثل الهجرة ومشكلات الاراضي على أن لا يؤثر ذلك على صلاحيات الوكالة اليهودية " . (٢٢٦)

وبالنسبة لرئاسة المجلس التشريعي المقترح فقد تمسك راغب بالفكرة لانه
 " يوءثر بقوة انسانا من الخارج كرئيس " . (٢٢٧)
 أما في ما يتعلق باسلوب الانتخاب فقد آثر راغب الانتخاب " على أساس
 طائفي وبناءً على المناطق الانتخابية " كما أنه قال أنه يفضل الانتخاب غير المباشر
 الامر الذي اختلف فيه عن موقف الحسينيين . وكانت وجهة نظره أن كسلا
 الاسلوبين المباشر وغير المباشر " سيؤدى الى الفساد " (٢٢٨) الا أنه - كما
 اشار - من أجل أن يسهل المهمة على الحكومة فإنه يفضل الاسلوب الثاني (غير
 المباشر) للانتخاب وطلب أيضا أن تتولى الحكومة اقرار هذا الاسلوب " لان
 المسلمين لن يتفقوا فيما بينهم " (٢٢٩)
 ٢ - وفي ما يتعلق بصلاحيات المجلس فقد اعترض راغب على أي شرط يمنع من
 مناقشة موضوع الوطن القومي لليهود . كما أنه طالب بتقييد سلطات المندوب
 السامي بالنسبة لاصدار شهادات الهجرة إذ أن شهادات الهجرة من وجهة نظره
 يجب أن تستعمل في أغراض ينبغي تحديدها . كما أن راغب اعترض على حق
 المندوب السامي في حل المجلس بدون تحديد ميعاد لاعادة تكوينه وارتأى راغب
 انه ينبغي أن يكون هنالك تاريخ محدود بعام واحد " . (٢٣٠)
 ومن ناحية أخرى وافق راغب على النواحي التالية بالنسبة لسلطات
 المندوب السامي بالنسبة للمجلس التشريعي وهي مخالفة كل المخالفة لموقف
 الحسينيين :-

- أ - " يوافق على حق الفيتو "
- ب - " يوافق على انه ينبغي للمندوب السامي ان يصدر التشريعات
 وعندما لا يكون المجلس في حالة انعقاد " .
- ج - " يوافق على حق خاص بالمندوب السامي في أن يقرر في شؤون
 المال والضرائب " . (٢٣١)

وبعد وقت قصير من هذه المباحثات ، وقبل أن يصدر المشروع بصورة رسمية
 ابتداءً راغب بالتبشير والدعوة لهذا المجلس ، ولكن ليس بالصورة التي ناقشها
 مع المندوب بل بصورة " محسنة " فدعاية الحزب في هذه الفترة لا تتطرق
 للصلاحيات المحدودة للمجلس مقابل الصلاحيات التي ستكون للمندوب السامي .
 وهنا اتهم خصومه بانهم " قبلوه (أي المجلس) علانية ورفضوه سرا " (٢٣٢)

وزاد على ذلك بان رفضهم هذا خدمة للصهيونية " لان هؤلاء لن يرضوا به الا اذا اصبحوا اكثرية في البلاد ، او عندما يصبحون يعادلوننا عددا " (٢٣٣)
ولقد بلغ حماس الدفاعيين للمجلس التشريعي الى درجة أنهم نسوا كل خسارة حلت بالبلاد لافتقاد المجلس التشريعي . فهو يراقب الادارة " ويبعث صوته داويا في الدفاع عن القضية الوطنية " . (٢٣٤)
وعلى العكس من حزب الدفاع فان الحزب العربي على ما يظهر لم يأخذ موضوع المجلس التشريعي مأخذ الجد وقد بدا تشككهم فيه عندما خاطب جمال الحسيني المندوب السامي - في لقاء الاخير بقيادة الاحزاب بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ - قائلا : " لقد سمعنا منك قبل أربع سنوات قلت (عن المجلس التشريعي وان سعادتك تكرر الان عبارتك . ونحن نعتقد أنه لو امتدت مدة خدمتك خمس سنوات اخرى ، فاننا سنسمع في نهاية خدمتك نفس العبارة " . (٢٣٥) وشبهه بموقف الحزب العربي هذا كان موقف أنصار حزب الاستقلال الذين اعتبروا المجلس التشريعي " حديث خرافة . وان المندوب لا يحمل في حقيقته شيئا " (٢٣٦) .
٣ - المرحلة الثالثة : في ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ عرض واكهوب مشروع المجلس التشريعي على العرب واليهود وكان تركيبه على الوجه التالي : (٢٣٧)

مسلمون	يهود	مسيحيون	تجاربيون	رسميون	مجموع
٨	٣	١	—	—	١٢
٣	٤	٢	٢	—	١١
—	—	—	—	٥	٥
١١	٧	٣	٢	٥	٢٨

وبمراجعة مقترحات كل من الحزبين العربي والدفاع بالنسبة لعدد الاعضاء لكل فئة من العرب واليهود نجد أن المندوب السامي والحكومة البريطانية لم يستجيبا لاي منهما فعلى سبيل المثال كل من الحزبين آثر عضوين معينين من اليهود وليس اربعة وبالنسبة لنوعية الاعضاء نجد أن المندوب السامي لم يستجب لرغبة الحسينيين اللذين عارضوا تعيين أعضاء تجاريين وبالإضافة الى ذلك فان رغبة الحسينيين كانت في عدم تعيين رئيس من الخارج بالرغم من موقف الناشئين المعاكس .

ومن ناحية أخرى فأننا نشاهد ان هنالك خلافا جوهريا بين منطلق كل من راغب النشاشيبي والمندوب السامي الذي اتفق هذه المرة مع وجهة نظر الحسينيين . فبينما آثر راغب مجلسا معيننا كخطوة في طريق تكوين المجلس التشريعي فان اقتراح المندوب السامي تبلور في أغلبية رسمية .

وأما بالنسبة لصلاحيات هذا المجلس ، فأننا نجد ان هذا العرض الرسمي لمشروع المجلس التشريعي لم يحقق الامال التي راودت البعض من العرب من ورائه والتي تبناها الى حد معقول المفتي وجمال في محادثاتهما مع المندوب السامي . ولم تزد صلاحياته في مجملها عن كونه منبرا للكلام وان شروطه كما يقول مالرو " تسمح بالقول ولا تسمح بالحرب " (٢٣٨) .

كما أن واكهوب نفسه علق عليه بقوله : " اننا سنفسح المجال للمناقشة ، ولكننا مع ذلك سنفرض على مداولاته مثل تلك التعقيدات الضرورية لمساعدة المندوب السامي لممارسة مسؤوليته من أجل تنفيذ التعهدات الدولية لحكومة جلالته " (٢٣٩) .

والناظر الى المعنى الكامن وراء هذه العبارة " ان نفسح المجال أمام المجلس للمناقشة " لا يجد في العرض الرسمي للمجلس الجديد الا نسخة لبرالية مطورة بصورة طفيفة لمشروع المجلس التشريعي القديم الذي عرضه تشرشل عام ١٩٢٢ (٢٤٠) . ومع هذا فان هذا المجلس يعتبر ارتدادا الى الوراء اذا أخذنا بالمعايير الدقيقة للتمثيل الديمقراطي الصحيح وحرية القول والعمل معا . يقول سايكس : " سيكون لهذا البرلمان (المجلس التشريعي) صلاحيات برلمانية من مثل تلك التي كانت في عهد اسرة ثيودور المتأخر ، والشئ نفسه يمكن ان يقال عن السلطات التي سيحتفظ بها للمندوب السامي " (٢٤١) .

وبالنسبة لهذه النقطة الاخيرة " سلطات المندوب السامي " فان المندوب السامي كان سيحتفظ بالسيطرة الكاملة على الهجرة ، كما أنه سيكون له الحق في اصدار القوانين ، عندما يفشل المجلس في اصدار التشريعات اللازمة . كما ان ستة من الاعضاء يستطيعون تشكيل النصاب القانوني ، كما يحق للمندوب السامي علاوة على ذلك ، تعيين أعضاء بدلا من الاعضاء المنتخبين اذا رفضت احدى الطوائف التعاون (٢٤٢) .

ولعله من هنا كتبت جريدة الدفاع تقول : " مجلس سموه عدوانا وتجاوزا

مجلسا اشتراعيًا تكونون فيه الاقلية ، ومن مزاياه انه يحق لكم أن تتمتعوا بمشاهدة كبار الموظفين البريطانيين ، والاجتماع بزعماء الصهيونيين وتتعلموا فيه ادارة المجالس على يد سكسوني وتسال الهجرة يا فخامة المندوب ؟ فتجيبك الانباء انها ستظل دافقة جارفة . والاراضي ؟ فيجيبك منطق السياسة مشكلتها عويصة (٢٤٣) .

ومهما يكن من أمر ، فان مما يثير الدهشة ان هذا المشروع بشكله ومضمونه اللذين اشرفنا اليهما نجح في تحقيق " نوع من التغيير في الصورة السياسية " من ناحية تخفيف حدة المخاوف العربية والتقليل من روح التطرف . فبحسب ما يذكره تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية كتب بعد عشرة أيام فقط من عرض مشروع المجلس التشريعي بصورة رسمية نجد التطور التالي في المزاج السياسي الفلسطيني : " لقد سبب لقاء المندوب السامي بالزعماء العرب في ٢١ ديسمبر ، والذي كشف فيه عن تفاصيل مشروع المجلس التشريعي ، تغييرا ملحوظا في الصورة السياسية ، وعلى هذا فانه لا يحتمل أن تنشب الاضطرابات التي يخطط لها المتطرفون العرب في المستقبل القريب " كما أن هذا التقرير يؤكد ان العناصر المعتدلة ستصبح منفصلة عن موجة التطرف التي اجبرت على المشاركة فيها . (٢٤٤)

ولعل التعليل لهذا الموقف من المجلس - والذي تؤكد تقارير أخرى كما سيأتي معنا - يعود الى أن العرب القابلين به اعتبروا مجرد اصدار مشروع المجلس التشريعي - مهما كان مفرغا من المحتوى - مكسبا وخطوة الى الامام ولعل هذا الموقف ارتبط ايضا بموقف اليهود من هذا المشروع كما كان للدعاية والمجهودات المختلفة للمندوب السامي دورها في تحسين صورة هذا المشروع في أعين العرب (٢٤٥) .

ويهمنا في هذه الدراسة موقف كل من الحزبين العربي والدفاع وسط هذه الاجواء الجديدة التي اوجدها هذا المشروع .

فبالنسبة لتقارير السلطة نجدها تشير الى أن فئات الحزب العربي " مثل دوائر الجامعة العربية واللواء تظهر ميولها في ابراز مواده (المجلس التشريعي) الضارة بالعرب " وبالمقابل تبين الموقف المعارض لهذا الاتجاه عند حزب الدفاع وحزب مؤتمر الشباب : " يعقوب العيصين وحزب الدفاع يحاولان ابراز نقاطه الحسنه " . (٢٤٦)

وحتى تاريخ ٢٢ يناير لم يستطع قادة الاحزاب ان يصلوا الى اتفاق حول

المجلس التشريعي ، يقدمونه للمندوب السامي . وعلى أية حال فانه يظهر أن كلا من الحزبين العربي والدفاع استمر ثابتا على موقفه السابق من هذا المشروع : " في اجتماع ١٧ يناير طلب جمال الحسيني ذلك النمط من التعديلات مما اعتبره رفاقه حربا بالرفض الاكيد من قبل الحكومة " بينما " راغب بك النشاشيبي واسحق البديري لم يطالبا بتفسيرات كاسحة " . (٢٤٧)

ونظرا لاختلاف الرأي حول المجلس التشريعي فان قادة الاحزاب ما عدا حزب الاستقلال الذي رفض المجلس التشريعي رفضا كاملا - اتفقوا على أن يقدم كل حزب رده منفصلا الى الحكومة على أن " يجتمعوا فيما بعد للنظر في موقفهم النهائي " . (٢٤٨)

ومع هذا فقد استمر حزب الدفاع - مستفيدا من رفض الصهيونية لهذا المشروع - في اتهام المعارضين لهذا المشروع بانهم عملاء للصهيونية . فقد حاول " الاشخاص المرتبطون بحزب الدفاع ان ينشروا اشاعات بأن أولئك الذين يعارضون المجلس انما يفعلون ذلك بتحريض من اليهود (٢٤٩) . كما أن راغب استمر في تصريحاته الخاصة ومناقشاته التي تؤيد القبول بالمجلس " كما أن أنصاره في يافا اعدوا مضبطة وقعها عدد من السياسيين وملاك الاراضي ومن بينهم عسدد من المسيحيين " وتحت هذه المضبطة الزعماء السياسيين عبر عمر البيطار أن يقبلوا المجلس " . (٢٥٠)

كانت ردود الفعل على مشروع المجلس التشريعي في فلسطين على الصورة التي وصفناها عندما أخذ هذا المشروع طريقه الى مجلس اللوردات وجرى نقاشه في ٢٦ فبراير . وهنا عارض فيه المشاركون في مناقشته باستثناء واحد منهم (٢٥١) . ولقد كانت نتيجة هذه المناقشة اشارة خطر لواكهوب . وبشكل أو بآخر اعتبر واكهوب نفسه الخاسر الاول بالنسبة لهذا المشروع . فواكهوب الذي يمكن اعتباره المدافع الاول عن هذا المشروع وجد نفسه في وضع لا يحسد عليه ، لا سيما وانه قد حاول ان يحترم كلمته ووعدده الذي قطعه على نفسه في اقامة مجلس تشريعي فقد كان واكهوب كما يصفه ن . أ . روز من ذلك النوع الذي بالنسبة له " التعهدات التي تعطى ينبغي أن تنفذ واذا لم يحصل هذا أو حصل العكس فان شرف الحكومة وكلمتها ستتعرض للاهانة " . من أجل هذا رفض واكهوب النتائج المبدئية للمناقشة في مجلس اللوردات وحاول جاهدا أن ينقذ المشروع . ويبدو أن

هذا الموقف المتحمس لواكهوب - وبالنظر ايضا لرفض اللوردات ومن قبلهم الوكالة اليهودية لهذا المجلس - انعكس بصورة أو بأخرى على الاهالي في فلسطين . فقد كتب واكهوب في ٩ مارس : " ان الرأي العام العربي يسير بثبات في طريق ايثار أو تفضيل تأسيس المجلس التشريعي بل أن الغالبية العظمى من الاهالي العرب لعلى استعداد ان يتعاونوا مع الحكومة في تأسيس وتسيير المجلس " (٢٥٢) بل ان نفس التقرير يذكر " لقد تلقيت رسالة مؤرخة ٣ مارس ١٩٣٦ ٠٠٠ من ممثلي المسيحيين العرب يفهم منها أن الرأي المسيحي هو الاجتماع على قبول الخطة ، هذا مع العلم بأنه ينبغي ان يفهم أن الاهالي العرب سيكون لهم الحق في المطالبة بسلطات أوسع للمجلس وكذلك تمثيل أفضل " . (٢٥٣)

ويستوقفنا هنا أن الذي نقل هذا الموقف حول الاجماع المسيحي - ورغبة العرب عموما بشروط أفضل مع ذلك - عضوان بارزان في الحرب العربي والدفاع . وهما الفرد روك نائب رئيس الحزب العربي ويعقوب فراج نائب رئيس الحزب الدفاع ، بالرغم مما في هذا الموقف من تعارض واضح مع موقف كل من حزبيهما الذي لم يكن قد تبلور بعد باتجاه القبول الكامل . (٢٥٤)

والى هذا فلم يتوان واكهوب عن أن يحذر دوائر وزارة المستعمرات من الخطر الذي سينجم عن عدم تطبيق المجلس التشريعي : " اذا كنا لا نريد أن نتمسك بمقترحاتنا ، فان العصيان المدني سيكون النتيجة لا محالة ، وستعين حصول ذلك - بصورة خاصة - بالنظر للنجاح الظاهر لحالة الاضطراب في سوريا ، ولحركة الطلاب في مصر " (٢٥٥) .

ولقد ضمن واكهوب تقريره المطول هذا تلخيما لملاحظات الاحزاب على

بيان ٢١ ديسمبر وكان الملخص على الوجه التالي :-

- ١ - لا ينبغي ان يكون هنالك تعيين للاعضاء ولكن انتخاب .
- ٢ - ان حق الانتخاب ينبغي أن ينحصر في الفلسطينيين الذي يحملون الجنسية الفلسطينية .
- ٣ - ينبغي أن يمنح المجلس حق السيطرة الكاملة على سياسة الحكومة .
- ٤ - من أجل تنظيم علاقة الفلسطينيين الدولية لا بد من عقد معاهدة كما هو الحال بالنسبة للعراق . كما أن من حق المجلس أن يناقش ويقرر كل الامور المتعلقة بالشؤون السياسية والاقتصادية والادارية لفلسطين .

٥ - تشكل لجنة من أعضاء المجلس التشريعي تعالج موضوع الهجرة اليهودية من خلال اتصالها بالادارة .

٦ - ينبغي أن يخول المجلس بصلاحيات تنفيذية (٢٥٦) .
والدارس لهذه الملاحظات يلاحظ فيها اثر الحزب العربي بوجه خاص ، كما وضع من مداولاته مع واكهوب والتي سبقت اصدار المشروع بصورة رسمية . كما أن هذه الملاحظات كانت بمثابة كسوة الهيكل العظمى للمشروع بشيء من اللحم . أو أننا نستطيع أن نقول أنه كان رفضا للمجلس التشريعي بصورته الرسمية لان هذا المجلس كان يحرم العرب من أي تمثيل حقيقي ، كما أنه كان مفرغاً من السلطات الفعلية .

وعلى أية حال فإنه بالرغم من هذا الموقف الاجمالي للاحزاب فقد كان هنالك فروق بين كل من الحزبين العربي والدفاع في التفاصيل التي اعتمد عليها هذا الموقف الاجمالي .

فبالنسبة لتركيب المجلس فقد عارض الحزب العربي كليا المادة التي تنص على تعيين الاعضاء وطالب أن يكون جميع الاعضاء منتخبين . بينما نجد أن حزب الدفاع يوافق على مبدأ الانتخاب بتحفظ . وبينما اعتبر الحزب العربي أن توزيع المراكز الانتخابية بين العرب واليهود (٩ للعرب و ٣ لليهود) غير متناسب مع القوة العددية للطرفين ، لم ينتظر حزب الدفاع لهذا الموضوع في تعقيبه على بيان ٢١ ديسمبر ، مع العلم أنه اعترض على ذلك أثناء المداولات .

ولقد ظهر الخلاف جليا بين الحزبين في موقفهما من السلطات والواجبات الملقاة على عاتق المجلس . فبينما تبني حزب الدفاع أن المجلس ينبغي أن يكون له حق الاقتراح على المصروفات المأخوذة من الاموال العامة ، فإن الحزب العربي تبني وجهة النظر القائلة بأن كل القوائم المالية التي يمكن تقديمها للمجلس أو أي عدد من أعضائه ينبغي أن تقدم الى المندوب السامي بعد أن يقرها المجلس (٢٥٧) .

وبالنسبة لصلاحيات المجلس فقد ركز الحزب العربي على موقفه المعروف في اعتبار المجلس التشريعي مدخلا للاستقلال . ويظهر هذا بينا في موقف الحزب من الصلاحيات الممنوحة للمندوب السامي . فقد احتج الحزب العربي على منح أي صلاحيات للمندوب السامي ، وطرح كبديل معاهدة شبيهة بمعاهدة العراق مع

بريطانيا . فقد لاحظ جمال الحسيني " ان اقتراح المندوب السامي لا يخول المجلس ممارسة سلطة تنفيذية وان مثل هذه السلطة ينبغي حصرها في هيئة يجرى انتخابها بحرية من قبل المجلس " (٢٥٨) وبالمقابل فان موقف حزب الدفاع لم يكن يمثل هذه القوة فقد تبني وجهة النظر القائلة بأن حق المندوب السامي في طرح تشريعات في اوقات الطوارئ ، وعندما لا يكون المجلس في حالة انعقاد ينبغي ان يعدل باضافة المادة القائلة : " سوف تقدم الحكومة هذه القوانين او التشريعات الى المجلس عندما يجتمع اما بعد انتهاء العطلة الاعتيادية او بعد الانتخابات (٢٥٩) .

على ان مجلس العموم كرز موقف مجلس اللوردات من المجلس التشريعي . وهنا تعرضت الادارة في فلسطين لنكسة اخرى اصابها كما اصابها انتصار المجلس التشريعي من العرب في فلسطين . وقد عزت كثير من المصادر هذه الانتكاسة الى الجهود الصهيونية . فكما يقول جورج انطونيوس " ان اليهود عباوا جميع اركان الدنيا ضد المجلس " (٢٦٠) ، وكان رأس الحربة في الانتصار الصهيوني وايزمن سيد الدبلوماسية السرية . والذي وصلت تداخلاته الى صميم الاستراتيجية البريطانية (٢٦١) . كما ساهم بشكل كبير في احباط مشروع المجلس التشريعي الصهاينة من غير اليهود (gentile zionists) (٢٦٢) الذين يصف روز دورهم بأنه كان قتلا للبرعم قبل أن يتفتح . وقد تمثل دورهم هذا واضحا في مجلس العموم نفسه فقد كتب ودجود Wedgwood أحد هؤلاء الصهاينة (من غير اليهود) رسالة لابنته يصف دوره في محاربة المجلس التشريعي في مجلس العموم بقوله " لقد كان لي اسبوع حافل بالنجاح . . . ففي حقيقة الامر لقد سفكت دم الدستور الفلسطيني (٢٦٣) .

وعلى أية حال فان هذه النتيجة لم تمنع واكهوب من مواصلة جهوده لمحاولة انقاذ المشروع . وقد توأمت جهوده هذه مع جهود مماثلة من حزب الدفاع وفي هذا المجال لدينا وثيقتان تدلان على ان المندوب السامي وحزب الدفاع ركزا جهودهما في محاولة احتواء نتائج رفض المشروع . أولى الوثيقتين هي مذكرة مكتوبة من قبل قيادة الحزب والثانية هي تقرير مفصل من المندوب السامي . وكلا الوثيقتين مؤرختان في نفس اليوم ١٩٣٦/٤/١ وكلتاها تبحثان في المجلس التشريعي فقط . ومنطلقات الوثيقتين تكاد تكون متطابقة :-

١ - تحاول كل من الوثيقتين ان توضح النتيجة الموء سفة لرفض مجلس العموم
فبينما تبين مذكرة حزب الدفاع أن " بعض رجال السياسة البريطانية يستخدمون
منصة المجلس من أجل أن يطالبوا بتثبيت الوعد (بلفور) وحرمان العرب من أن
يعيشوا تحت الشمس ، وأن يمارسوا حقوقهم الانسانية والمدنية والدينية على
أرضهم " (٢٦٤) . فان تقرير المندوب السامي يعبر عن نفس الشعور " لقد كان
للمناقشة حول المجلس التشريعي في مجلس العموم أثر كبير على العرب . . . حيث
ساد قبل ذلك جو من الصداقة ، وتحول هذا الجو الان الى جو معاد تماما . فقد
جعلت هذه المناقشة العرب يتحققون أكثر من أى مرة مضت قوة التأثير اليهودى في
انجلترا " (٢٦٥) .

٢ - بالرغم من الاسف الذى يبديه حزب الدفاع الا أن مذكرته لا تنم على أن
هذه الجولة هي خاتمة المطاف فهي تعبر عن الامل الذى لم يستنفد بعد . / " ان
أمل العرب هو في أن سعادتك سوف تتخذ خطوات سريعة من أجل الوفاء بعهدك وتقيم
في البلاد اجراءات كاملة للحكم الذاتي " **self government** . وعلى هذا
فان المذكرة تنتقل لتعلن عن الرأى الرسمي للحزب - لأول مرة - في قبول المجلس
التشريعي " بالرغم من أن الحزب واع أن الخطة تقصر عن أن تحقق آمال البلاد
وأهداف الشعب ، الا أن الحزب لا يزال يأمل أن هذه الخطة ستكون الخطوة الاولى
نحو تحقيق المطالب الاساسية للامة العربية في الحكم الذاتي الكامل " وواضح هنا
أن هذا القبول الرسمي كان تراجعا عن روح مذكرات الاحزاب والتي لخصها
المندوب السامي كما أوضحنا (٢٦٦) ، والتي طالبوا
فيها بتعديلات جذرية لمشروع ٢١ ديسمبر ، والتي قدمت في ٩ مارس . ومهما
يكن من أمر فقد ضمن المندوب السامي تقريره أيضا ما يفيد أن العرب يقبلون
بالمشروع بدون تنازلات " فهم (أى العرب) الان باستثناء عدد قليل قد بدأوا
بتحققون أن آمالهم في تنازلات أخرى ، من غير المحتمل أن تكون واردة ، وعلى
هذا فهم على استعداد لقبول ما يقدم لهم الان قبل أن يتم سحبه " كما أن
المندوب السامي أكد على أهمية الوقت " انه مما لا شك فيه أن أى تأخير كبير في
التأسيس سينجم عنه اضطراب خطير " (٢٦٧) .

ويظهر أن جهود المندوب السامي مضافا اليها جهود حزب الدفاع وبالنظر
لموقف مجلسي اللوردات والعموم ، وجدت صدى على الجبهة المحلية . وقد

سارعت الاحزاب - ما عدا الحزب العربي وحزب الاستقلال الذى أشرنا الى موقفه الراض بصورة مطلقة للمجلس - الى اعلان موقفها الرسمي بالقبول . وحاولت اعتبار هذا القبول "نوريطا للسياسة الانجليزية ووضعتها امام الامر الواقع(٢٦٨) .

أما جمال الحسيني فقد رفض القبول وقال أن هذه المسألة هي سوء وليسة اللجنة التنفيذية للحزب . ومع هذا فان الحزب لم يعلن موقفه الرسمي (٢٦٩) .

وفي هذا الوقت كتبت جريدة حزب الدفاع - كجزء من حملتها في صالح المشروع وزيادة في احراج خصومها - نقلا عن جريدة نيويورك تايمز - ان الحاج أمين وعد السلطات في فلسطين بقبول المشروع (٢٧٠) .

وكمحاولة أخيرة على طريق انقاذ مشروع المجلس التشريعي دعا المندوب السامي قادة الاحزاب في ٢ أبريل ١٩٣٦ ليخبرهم أنه مخول من وزير المستعمرات بأن يرسل وفدا ، يختار من قادة الاحزاب الخمسة الى لندن (٣٧١) . وسيكون الهدف "وضع الفرصة أمامك لكي تضعوا وجهات نظركم أمام وزير المستعمرات (٢٧٢) .

وهنا أشار جمال الحسيني أنه ينبغي " أن لا يسمح لهم بمناقشة موضوع المجلس التشريعي فقط ولكن أن يضعوا أمام الوزير مجمل القضية الفلسطينية " (٢٧٣) .

ولم يجب المندوب السامي اجابة شافية على هذه النقطة التي أثارها جمال فبينما أشار الى أنه لن يكون هناك تقييد للمناقشة الا أنه أعاد القول ان النقاش سيركز بصورة رئيسية على المجلس التشريعي . ومع ذلك فقد ترك الباب مفتوحا أمام قادة الاحزاب لبحث موضوع بيع الاراضي والهجرة . وفي نفس الوقت وضع تحفظا مؤداه " انه (المندوب السامي) لا يعقد آمالا كبيرة على تعديل الوزير لموقفه الذى سبق نقله لقادة الاحزاب في (٢١ ديسمبر) " وهنا ورغم هذا التحديد المسبق لمجالات المباحثات فان جميع الحضور من القادة وافقوا بالاجماع على قبول الدعوة وطلبوا الى المندوب السامي نقل رغبتهم هذه الى وزير المستعمرات (٢٧٤) .

وقبل أن يغادر الوفد المزمع سفره الى لندن البلاد ، بتاريخ ١٤ أبريل أعلن الحزب العربي رفضه للمجلس التشريعي ، فقد أصدر الحزب بيانا قال فيه أن المجلس التشريعي " لا يتفق مع مطالب البلاد وأمانيتها في الاستقلال التام والوحدة العربية " ولأنه " أيضا مناقض لعهد عصبة الامم ومناف لما تتطلبه نصوص

• صك الانتداب " (٢٧٥) •

وفي مقابلة لجمال الحسيني وراغب النشاشيبي في ١٦ ابريل ذكر الثاني ان أربعة من زعماء الاحزاب على استعداد لقبول مقترحات المجلس التشريعي في شكلها الراهن ، ان لم يتمكنوا من الحصول على تنازلات اكبر (٢٧٦) بينما اصر الاول ان المقترحات الحالية غير مقبولة • وتساءل جمال انه نظرا لهذه الظروف - أي رفض الاقتراح من قبل الحزب العربي - أليس من الاولى ان لا يذهب ممثل الحزب العربي في الوفد لان ذهابه سيضعف من قوة الوفد في مناقشاتهم مع وزير الدولة • كما ان حضور هذا الممثل عن الحزب العربي سيرزقنا في الوحدة بين الاحزاب العربية الامر الذي ربما استخدم أيضا كقاعدة للدعاية اليهودية ضد المطالبين العربية (٢٧٧) •

ولقد ردّ المندوب السامي على ذلك بأنه يفضل ان يمثل الوفد جميع الاحزاب • ومع هذا فقد اضاف انه " لو كان هناك اجماع في وجهات نظر الوفد فان موقفهم سيكون أقوى " (٢٧٨) •

وتدل وقائع اللقاء بين المندوب السامي وقائدي الحزبين ان الموضوع الذي استأثر بالاهتمام كان اختيار اعضاء الوفد حيث اقترح جمال ان يكون اعضاء الوفد هم نفسهم اعضاء الوفد السابق (١٩٣٠) من أجل تأمين الاغلبية لحزبه على ان يحل الدكتور حسين الخالدي محل الراحل موسى كاظم الحسيني واصبح هذا الموضوع مثار خلاف تجاوز ردهات مركز المندوب السامي (٢٧٩) •

وعلى أية حال فانه أثناء النقاش حول عضوية الوفد ومهامه المنتظرة حصل ان قتل يهوديان على طريق نابلس - طولكرم • وعلى هذا فقد بدأ أول حادث في النورة العربية والتي استمرت حتى قيام الحرب العالمية الثانية • ولقد استتبع هذا ان أصبح النقاش حول المجلس التشريعي مسألة أكاديمية • ولم تلبث فكرة الوفد ان اجلت الى أجل غير مسمى (٢٨٠) •

حوادث البيان الثالث
=====

- Appendix 1- Translation of Arab Memorandum Handed (١)
to the H.C for Palestine on Nov.,25,1935 CO
733/297.
- Note of an interview granted by His Excellency the (٢)
H.C to the leaders of the Arab Parties at the
Government House on the 25th Nov.,1935.
- Hyamson: op. cit,p. 136. (٣)
- Appendix 1; op.cit. CO 733/298. (٤)
- Ibid., (٥)
- H.C to CO December 1935, CO 733/298. (٦)
- Ibid., (٧)
- Forath: op.cit, Vol:II,pp.140-141. (٨)
- P.A.S. 10 January 1935,FO 371/18957. (٩)
قارن أيضا فلسطين أول كانون الاول ١٩٣٥ التي تقول " ولم يظهر
منه (اي الحزب) شيء بعد لانه ما زال في المهد فليسفر حتى يخرج
عن الطوق الى العمل " .
- P.A.S. 19 December 1934, FO 371/18957. (١٠)
- Ibid., (١١)
- P.A.S. 10 January 1935, FO 371/18957. (١٢)
قارن الجامعة العربية ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٥ -
- Ibid., 30 January 1935 FO 371/18957. (١٣)
- Ibid., (١٤)
- P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957. (١٥)
- P.A.S. 13 February 1935 FO 371/18957. (١٦)
- انظر خلة : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ - (١٧)
- P.A.S. 13 February 1935 FO 371/18957. (١٨)
- Ibid.,: 20 February 1935 FO 371/18957. (١٩)

- (٢٠) يظهر هذا من حرص التقارير على تتبع النزاع الحزبي بحيث حصل أهمية عظمى في تغطية الأوضاع السياسية في فلسطين ، مما يضمن أن السلطات البريطانية كانت تشارك هذا النزاع ، انه لم تكن تتسا صورة أو باحسرى به .
- P.A.S. 5 August 1935 FO 371/18957. (٢١)
- ESCO : op. cit, Vol:II,p. 777. (٢٢)
- فلسطين ٤ ابريل ١٩٣٥ . (٢٣)
- المصدر ذاته . (٢٤)
- الجامعة العربية ١٥/١/١٩٣٥ . (٢٥)
- الجامعة العربية : ١٥/١/١٩٣٥ . (٢٦)
- ESCO: op.cit., p. 777 (٢٧)
- فلسطين ١٩ ابريل ١٩٣٥ . (٢٨)
- فلسطين ١٩ ابريل ١٩٣٥ . (٢٩)
- P.A.S. 20 April 1935, FO 371/18957. (٣٠)
- Ibid., (٣١)
- Ibid., (٣٢)
- Ibid., . قارن فلسطين ١٥ آذار ١٩٣٥ . (٣٣)
- P.A.S. 20 April 1935, FO 371/18957. (٣٤)
- فلسطين ١٩ ابريل ١٩٣٥ . (٣٥)
- العدد ذاته . (٣٦)
- انظر الجامعة الاسلامية ١٩ ابريل ١٩٣٥ . (٣٧)
- وانظر ايضا زعيتر : يوميات ، الكراس (٧) ص ٤٣ - ٤٤ .
- P.A.S. 20 May 1935, FO 371/18957. (٣٨)
- فلسطين ١٦ ابريل ١٩٣٥ . (٣٩)
- المصدر ذاته . (٤٠)
- زعيتر : يوميات ، كراس (٧) ص ٤٤ . (٤١)
- الجامعة العربية : ٢١ ابريل ١٩٣٥ . (٤٢)

- (٤٣) المصدر ذاته .
- (٤٤) الجامعة العربية : ٢١ ابريل ١٩٣٥ .
- (٤٥) المصدر ذاته ٢٤ مايو ١٩٣٥ .
- (٤٦) المصدر ذاته ٢١ مايو ١٩٣٥ .
- (٤٧) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١٧١ .
- (٤٨) زعبيتر : يوميات ، كراس (٧) ص ٤٤ .
- H.C to CO April 1935 CO 733/298. (٤٩)
- Ibid., (٥٠)
- Ibid., (٥١)
- Appendix B Extracts: .from weekly summary, : انظر : (٥٢)
 Palestine and Jordan G.H.Q. Jerusalem 26 Feb.,
 1937- Short List of Arab Personalities in
 Palestine.
- وانظر بوجه خاص ما هو مكتوب عن اكرم زعبيتر ، وعجاج يوسف وسليمان عبد
 الرحمن .
- Ibid., (٥٣)
- Een Gurion, David: My Talks with Arab Leaders (٥٤)
 (Jerusalem, 1972)p. 90.
- (٥٥) الخالدي: المصدر السابق ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .
- (٥٦) فلسطين : ٢ ابريل ١٩٣٥ .
- .A.S. 30 January 1935 FO 371/18957. (٥٧)
- (٥٨) انظر السفرى : المصدر السابق ص ٢٤٧ .
- (٥٩) الدفاع : ١٩٣٥/١٠/٢٠ .
- فان زعبيتر : يوميات ، كراس (٧) ص ١٠٨ .
- (٦٠) فلسطين : ٢٦ ابريل ١٩٣٥ .

Points raised at an interview of the H.C with (11)
Haj Amin El Husseini & Jamal Effendi el-Husseini
on the question of the proposed Ligislative
concil. 22 July 1935 CO 733/275.

(62) P.A.S. 5 August 1935 FO 371/18957.

- Ibid., (73)
- فلسطين ٤ أغسطس ١٩٣٥ (74)
- المصدر ذاته ، ١١ أغسطس ١٩٣٥ (75)
- المصدر ذاته (76)
- فلسطين ٨ أكتوبر ١٩٣٥ (77)
- المصدر ذاته (78)
- المصدر ذاته (79)
- المصدر ذاته (٧٠)
- Report on Palestine and TransJordan 1935, (٧١)
pp. 61-125.
- العورى : فلسطين ج ١ ص ١٨٤ (٧٢)
- Hurewitz: op. cit, p. 61. (٧٣)
- P.A.S. 30 Oct., 1935 FO 371/18957. (٧٤)
- Ibid., (٧٥)
- العورى : المؤتمر الكرى ص ٧٥ - ٧٦ (٧٦)
- P.A.S. 30 Oct., 1935, FO 371/18957. - فارن (٧٧)
- انظر وفائع هذا الاحماع فى الجامعة العربية ٢٢ أكتوبر ١٩٣٥ (٧٧)
- فارن : ESCO : op.cit, p. 784. (٧٨)
- السكاكى المصدر السابق ص ٢٧٦ (٧٨)
- Peel Report: op.cit, p. 88. (٧٩)
- انظر زعيتر : بوميات ، كراس (٧) ص ١٢٨ (٨٠)
- فارن : P.A.S. 4 Dec., 1935 FO 371/18957. (٨١)
- فلسطين ٣ نوفمبر ١٩٣٥ ، فارن زعيتر : بوميات ، كراس ٧ ص ١٢٨ (٨١)

- (٨٢) زعيتر : يومات ، كراس (٧) ص ١١٧ .
- (٨٣) فلسطين ١١/١١/١٩٣٥ قارن زعيتر : يومات ، كراس ٧ ص ١٣٧ - ١٣٨ .
- (٨٤) فلسطين ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ .
- (٨٥) انظر نص البيان من زعيتر : يومات ، كراس (٧) ص ١٤٦ .
- (٨٦) زعيتر : يومات كراس (٧) ص ١٤١ - ١٤٢ .
- (٨٧) فلسطين ١٢/١١/١٩٣٥ قارن زعيتر : يومات كراس ص ١٤٧ .
- (٨٨) فلسطين ١٤/١١/١٩٣٥ .
- (٨٩) الجامعة الاسلاميه ١٤/١١/١٩٣٥ انظر ايضا .
- زعيتر : يومات ، كراس (٧) ص ١٥٩ .
- (٩١) فلسطين ١٤/١١/١٩٣٥ قارن الجامعة الاسلاميه احيا ، شهدا التاريخ .
- (٩١) الجامعة الاسلاميه ١٣/١١/١٩٣٥ كاتب المقال هو اكرم زعيتر انظر زعيتر : يومات ، كراس (٧) ص ١٥٦ - ١٥٨ .
- Appendix I of 25/11/1935 in H.C to CS, 7412/1935(٩٢)
CO 733/278.

- (٩٣) فلسطين ٢/٢/١٩٣٥ .
- (٩٤) المصدر ذاته .
- (٩٥) فلسطين ٢٣/٢/١٩٣٥ .
- P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957. (٩٦)
- (٩٧) فلسطين ٦/٤/١٩٣٥ .
- Appendix B - Short list of Principal Personalities in Palestine FO 371/20824. (٩٨)
- P.A.S. 5 August 1935 FO 371/18957. (٩٩)
- P.A.S. 24 August 1935 FO 371/18957. (١٠٠)

- P.A.S. 24 August 1935, FO 371/18957. (101)
- انظر الجامعة العربية ١٣ حزيران ١٩٣٥ وأعداد متفرقة أخرى . (102)
- P.A.S 24 August 1935 FO 371/18957. (103)
- قارن الغوزي : فلسطين - ص ١٩٨ .
- Ibid., (104)
- ESCO, op.cit, Vol:II, p. 776. (105)
- Enclosure V of March 1935 in H.C to CS, 4 March 1935 CO 733/278. (106)
- Ibid., (107)
- Ibid., (108)
- جا، في هذا التقرير ان العرب لم يعطوا بيلا عن اراضيهم التي اشغلت
الى اليهود ما نصه :- (109)
- " These who can be shown to have been displaced
form the lands which they occupied in consequence
of the falling into Jewish Hands, and who have not
obtained other holdings on which, they can establish
themselves or other equally satisfactory occupation"
- See French Report p. 5.
- Enclosur V, : Ibid. (110)
- Ibid., (111)
- Enclosure I May 14th, 1935, in H.C to CS 19
June 1935 CO 733/278. (112)
- Report on Palestine and TransJordan, 1935, (113)
- pp. 16-17.
Enclosure II, of 25 Nove., 1935 in H.C to CS dated (114)
- Dec., 7. '35 CO 733/278.
- Ibid., (115)
- Ibid., (116)
- Ibid., (117)

- Enclosure V, op. cit, CO 733/278. (118)
- Ibid., (119)
- Ibid., (120)
- Ibid., (121)
- Enclosure I, op. cit, CO 735/278. (122)
- Enclosure II:op.cit,CO 733/278 (123)
- 13 May 1935,FO 371/18957. (124)
- P.A.S. 13 May 1935 FO. (124)
- قارن فلسطين ١٨ أيار ١٩٣٥ حيث تذكر أن هذا المبلغ جمع من عدد
 قليل من أغنياء الحزب هم الحاج أمين عمر النابلس وعبد الرحمن
 التاجي وشكري الناحي وموسى زهدى أبو الحسن وعبد المحمد يوسف
 العزة وعبد الرؤوف البطار . . .
- الجامعة العربية ١٩٣٢/١/٢٨ قارن العورى فلسطين ج ٢ ص ٣٤ . (125)
- Porath: op.cit, Vol:II,p.96. (126)
- الجامعة العربية ١٩٣٥/١/٢٤ . (127)
- الحوث : بيان بويهض : القادات والمؤسسات السياسية في فلسطين
 ١٩١٧ - ١٩٤٨ رسالة لنيل الدكتوراه من العلوم السياسية : الحامد
 السياسية - بيروت ١٩٧٧) ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .
- أنظر : - ١ (129)
- ٢ السرى المصدر السابق ص ٢٢٩ .
- ٣ Hirst: op. cit, p. 79.
- ٤ الجامعة العربية ١٩٣٥/٣/٢٧ .
- الجامعة العربية ١٩٣٢/١/٨ (130)
- الجامعة العربية ١٩٣٥/٤/٣٠ (131)
- Porath: op.cit, Vol:II,P, 86. . (132)
- العنبر ١٩٣٢/٩/١٧ (133)
- الاهرام ١٩٣٤/١٢/٥ أنظر خلة : المصدر السابق ص ٣٦٣ . (134)

- Peel Report: op.cit, p.80. (١٣٥)
- District Commissioner's Fortnightly Report, (١٣٦)
Samaria District, 27 March 1944 CO 733/456.
- فلسطين ٢٨ مارس ١٩٣٥ . (١٣٧)
- Hirst: op.cit, p.79. (١٣٨)
- Ibid., (١٣٩)
- Porath: op.cit, Vol:II, p.86. (١٤٠)
- Acting H.C to Colonial Secretary 4-7, 1935 (١٤١)
CO 733/278.
- Ibid., (١٤٢)
- Ibid., (١٤٣)
- Ibid., (١٤٤)
- Ibid., (١٤٥)
- Ibid., (١٤٦)
- الدفاع ١٠/٢١/١٩٣٥ . (١٤٧)
- يقدرهم عزة دروزة بعشرة : انظر حول الحركة ج ٣ ص ١١٦ . (١٤٨)
- يعقب غسان كنفاني على هذا التعار " من حق العسام ان يقيم معارزه (١٤٩)
هذا فهما غفاريا اذا جاز التعبير . ولكن على المستوى الوطني العبادي
ان سلوك القسام من خلال الشهادات القليلة التي حثها عنه سدل
على انه كان يدرك اهمية دوره كمفجر لبؤره نوره امامه " انظر
كنفاني : المصدر السابق ص ٦٢ .
- Bowden: op.cit, p. 150. (١٥٠)
- Peel Report : op.cit, p. 88. — قارن : (١٥١)
H.C to CO Dec., 1935 CO 733/278.
- الجامعة الاسلامية ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥ — كاتب المقال اكرم رعيير . (١٥٢)
- انظر مقال عجاج نويهيض من القسام في الانوار آ٦ — ١٩٦١ . (١٥٣)
- Hirst; op.cit, p. 79. (١٥٤)

- (١٥٥) ابو النصر : عمر (وأخرون) : جهاد فلسطين العربيه (١٩٣٦ - ١٩٤٦) ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- (١٥٦) بل لقد اعترى كثير من المؤرخين العرب الفلسطينيين موقف العسكاريه اذ اذنت لموقف قيادة حزب الدفاع والاحزاب العامه بكل ما يرمى له من ممارساتها السئاسيه : حرب الشعارات ، والموقف المهادن ، والتناقض السياسي والتناقض بين السياسات المعلنه والساطات الحفده وهكذا . . . انظر الكيالي : المصدر السابق ص ٣٩٧ .
خلفه : المصدر السابق ص ٣٨٠ ، ٣٨٢ .
- (١٥٧) انظر عنيم ، عادل حسن " نوره الشبح عبر الدرس العسام " في شؤون فلسطين كانون الثاني ١٩٧٢ ، ص ١٨٨ ، حسب عمده الكايب عنسي رساله له من عزة دروزه ، قارن حول الحركه ح ٣ ص ١١٦ .
- (١٥٨) مجلة فلسطين (الهيئه العربيه العلميه - بيروت) ١٩٦١/١١/١ .
قارن الغوري فلسطين ح ١ ص ٢٤٩ .
- (١٥٩) المصدر ذاته ، ص ٢٤٩ ١٥ آذار ١٩٦١ .
قارن الغوري : فلسطين ح ١ ص ٢٤٩ .
- (١٦٠) الغوري : فلسطين ح ١ ص ٢٤٩ - ٢٥١ .
- (١٦١) المصدر ذاته ص ٢٥١ .
- (١٦٢) ياسين : المصدر السابق ص ٢٥ .
- (١٦٣) انظر شؤون فلسطينيه عدد ٧ (١٩٧٢) ص ٢٦٩ .
- (١٦٤) الانوار ٦٦ آب ١٩٦١ .
- (١٦٥) Tegart: op.cit, Box1 File(c).
- (١٦٦) Ibid.,
- (١٦٧) Ibid.,
- (١٦٨) Porath: op.cit., Vol:I,p.289.
- (١٦٩) كنفاني : المصدر السابق ص ٦١ .

- (١٧٠) انظر بوجه خاص مقابلة الرفاق الاحياء للفصام من نوءون فلسطين
العدد ٧ (مارس ١٩٧٢) وهو علاء الرفاق هم ابو ابراهيم الكسر .
النصح سلمان همام ، محمد عبد القادر ابو الهيجا : وحسن سـقـاق
حاج حسن حمادة وآخرون .
- (١٧١) ياسين : المصدر السابق ص ٢٢ .
- (١٧٢) المصدر السابق ص ٢٢ .
- (١٧٣) نوءون فلسطين العدد ٧ (مارس ١٩٧٢) ص ٢٦٩ .
- (١٧٤) H.C to CO Dec., 1935 CO 733/278.
- (١٧٥) فلسطين العدد ٣ ، ٥ آذار ص ٢٥ - ٢٦ .
انظر ايضا العدد ٩٤ ، ١/١/١٩٦٩ .
العدد ٩٥ ، ١/٨/١٩٦٩ .
- (١٧٦) العوري : فلسطين ج ١ ص ٢٥١ .
- (١٧٧) المصدر ذاته ص ٢٥٢ .
- (١٧٨) Porath: op.cit, Vol:II,p.138.
- (١٧٩) Ibid.,: p.139.
- (١٨٠) رعيبر : يوميات كراس ٧ ص ١٧١ ، انظر أيضا الجامعة الاسلامية ص ٢٢
يوميات ١٩٣٥ .
- (١٨١) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٩٧ .
- (١٨٢) Note of an interview granted by His
Excellency the H.C to the leaders of the Arab
Parties at the Government House on 25 Nov., 1935.
- (١٨٣) Ibid.
- (١٨٤) الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٤ - كان المقال هو اكرم رعيبر .
- (١٨٥) P.A.S. 4 Dec., FO 371/13957.
- (١٨٦) Ibid.
- (١٨٧) Ibid.
- (١٨٨) فلسطين ١٩٣٥/١٢/١٠ .

- (١٨٩) المصدر ذاته .
- (١٩٠) زعير : يوميات كراس ٧ ص ١٩٤ -
- (١٩١) انظر الحوت : المصدر السابق ص ٣٨٥ والتي تروى عن دروره قوله :
 " سمعت بعض الناس يقولون ان القسام ارسل الى الحاج امين
 يستشير في خروجه ، وان الحاج امين نصحه بعدم ذلك . انا اعقد
 بان حركة القسام ذاتية وغير محرقة من المعني ، والقسام كانت له
 روح الثورة ، كما انه اشترك سابقا في الثورة السورية " المقالة صم
 في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٤ .
- (١٩٢) من كتبه : المؤامرة الكبرى ، والفلسطينيون في ارض العرب ، عدا
 عن المقالات المختلفة .
- (١٩٣) من اجل ادراك الجوانب القابوية للمشكلة الفلسطينية انظر :-
 J.M. Machover: Governing Palestine the
 Case Against Parliament 'London'1936.
- وفي هذا الكتاب توضيح لجوانب هامة من مشاريع المجلس السريعه
- Bentwitch, Norman: The Mandates System ب
 (London 1930). (١٩٤)
- ESCO: op. cit, Vol:II. (١٩٥)
- Enclosure V: op.cit, 4th March 1935, CO
 733/278. (١٩٦)
- Ibid., (١٩٧)
- Ibid., (١٩٨)
- Enclosure I of May, 14th, 1935: op.cit, Co
 733/278. (١٩٩)
- Ibid., (٢٠٠)
- Porath: op.cit, Vol:II, p.150. (٢٠١)
- Ibid., (٢٠٢)
- H.C to CO 22 July 1935 CO 733/275. (٢٠٣)
- Ibid., (٢٠٤)
- Machover: op. cit, pp. 259-263. انظر ايضا
 (204) N.L. Rose: The Gentile Zionists, A
 Study in Anglo-Zionist Diplomacy 1929-
 '39 (london'73)p.67.

H.C to CO 22 July 1935, CO 733/275.	(٢٠٥)
Ibid.,	(٢٠٦)
Ibid.,	(٢٠٧)
Ibid.,	(٢٠٨)
Machover: op.cit, pp.209-210.	(٢٠٩)
H.C to CO 30 July 1935 CO 733/275.	(٢١٠)
Ibid.,	(٢١١)
Ibid.,	(٢١٢)
Ibid.,	(٢١٣)
Ibid.,	(٢١٤)
Ibid.,	(٢١٥)
Ibid.,	(٢١٦)
Ibid.,	(٢١٧)
Ibid.,	(٢١٨)
Ibid.,	(٢١٩)
Ibid.,	(٢٢٠)
Ibid.,	(٢٢١)
H.C to CO 23 July 1935 CO 733/275.	(٢٢٢)
Ibid.,	(٢٢٣)
Ibid.,	(٢٢٤)
درورة : العصبة ج ١ ص ٤٥ .	(٢٢٥)
Rose: op. cit, p. 47.	(٢٢٦)
H.C to CO 23 July 1935 CO 733/275.	(٢٢٧)
Ibid.,	(٢٢٨)
Ibid.,	(٢٢٩)
Ibid.,	(٢٣٠)
Ibid.,	(٢٣١)

- (٢٣٢) فلسطين ١٢/٨/١٩٣٥ .
- (٢٣٣) المصدر ذاته .
- (٢٣٤) فلسطين ١٤/٨/١٩٣٥ .
- (٢٣٥) H.C to CO 25 November 1935.
- وعلى أية حال فقد أجاب المتدوب السامي : " ان الاحداث ليست
ان زكان الامر كذلك ."
- (٢٣٦) الجامعة الاسلامية ٢٦/١١/١٩٣٥ ، كاتب المقال اكرم رعنبر
الاستقلالي المعسروف .
- (٢٣٧) Palestine Post: December 23rd, 1935.
- (٢٣٨) Marlowe: op.cit, p.136.
- (٢٣٩) Palestine Post: Dec., 23rd '35. His Exce. Statement.
- (٢٤٠) قارن النسختين الرسميتين لهذا المشروع في :-
- Machover: op.cit, pp.248-252, 259-263.
- (٢٤١) Sykes: op.cit, p.263.
- (٢٤٢) ESCO: op.cit, Vol:II, p.786.
- (٢٤٣) الدفاع ٢٠/١/١٩٣٦ .
- (٢٤٤) P.A.S. 30 December 1935 FO 371/20018.
- (٢٤٥) انظر العنبري : فلسطين ج ٢ ص ٤٣ .
- (٢٤٦) P.A.S. 30 Dec., 1935 FO 371/18957.
- (٢٤٧) Ibid.,
- (٢٤٨) Ibid.,
- (٢٤٩) Ibid.,
- (٢٥٠) Rose:op.cit, p. 58-59.
- (٢٥١) Ibid.,
- (٢٥٢) H.C to CO 9 March 1936 CO 733/298.
- (٢٥٣) Ibid.,

- Ibid., (٢٥٤)
- Ibid., (٢٥٥)
- H.C to CO 9 March, 1936 CO 733/293. (٢٥٦)
- Enclosure No. 1, 9/3/1936 CO 733/293. ^{قارن أيضا} (٢٥٧)
- Ibid.,: Enc. No. ١. (٢٥٨)
- Ibid., (٢٥٩)
- Ibid., (٢٥٩)
- Ben-Gurion: op.cit, p.42. (٢٦٠)
- Rose: op.cit, p. 58. (٢٦١)
-
- Ibid.,: pp.41-61. ^{عن جهودهم في هذا المجال انظر :} (٢٦٢)
- Ibid., p.64. (٢٦٣)
- Enclosure in Jerusalem Despatch No CF/40 ^{قارن أيضا فلسطين ١٩٣٦/١/٢١} (٢٦٤)
- H.C to CO 1st, April 1963 Fo 371/20018. (٢٦٥)
- Enclosure No CF/40/46 Ibid., (٢٦٦)
- H.C to CO 1/4/1936 FO 371/20018. (٢٦٧)
- ^{فلسطين ١٩٣٦/٣/٢١} (٢٦٨)
- ^{الكيالي : المصدر السابق ص ٣٠١} (٢٦٩)

(٢٧٠) فلسطين : ١٩٣٦/٣/٢٧ .

Note of an interview granted by (٢٧١)
the H.C to the Arab leaders 2 April
1936. CO 733/307.

Ibid., (٢٧٢)

Ibid., (٢٧٤)

Ibid., (٢٧٤)

(٢٧٥) فلسطين ١٥/٤/١٩٣٦ .

أ - انظر ا - غنيم : المصدر السابق ص ٣٠٧ .

ب - الكيالي : المصدر السابق ص ٣٠١ .

ج - علوس : المصدر السابق ص ١٠٦ .

Note of and interview granted by (٢٧٦)
the H.C on 16 April to Ragheb
Nashashibi and Jamal el Hussein's.

Ibid., (٢٧٧)

Ibid., (٢٧٨)

P.A.S. 11/4/1936 & 6/5/1936 (٢٧٩)
FO 371/20018.

Porath: op.cit., Vol:II,p.158. (٢٨٠)

الباب الرابع

ممارسات الحزبين أثناء ثورة ١٩٣٦

" دور الحزبين في الخطوات الاولى للاضراب

وتكوين الكوادر القومية

ابتدا نشاط كل من الحزبين العربي والدفاع مع الايام الاولى للثورة . وقد تمثل هذا النشاط في الدعوة الى الاضراب واستمراره ، كما تمثل أيضا في تكوين اللجان القومية .

جاء الاضراب مواكبا للاضطرابات التي ابتدأت في منطقة يافا - تل أبيب ، ردا على حادثة القافلة اليهودية على طريق نابلس - طولكرم . ومن هنا فقد بدأ الاضراب في يافا ثم انتشر ليشمل بقية أرجاء فلسطين (١) .

وتفيد المادة المصدرية التي بين أيدينا انه كان للحزب العربي دور بارز في اعلان اضراب يافا . وقد تمثل هذا الدور بمساهمة علي الدباغ ، أحد أعضاء الحزب المناضلين ورئيس جمعية الشبان المسلمين في المدينة (٢) . فقد كان هو أول من دعا الى تشكيل لجنة للاشراف على تنظيم اضراب يافا كما انه كان أول من أعلن هذا الاضراب . كما انه لم يلبث أن اتصل بالقدس لتعلن الاضراب أيضا (٣) .

وعندما انتقلت عدوى هذا الاضراب الى بقية مدن فلسطين كان لحزبنا دور بارز أيضا . ففي عصر يوم ١٩ ابريل انعقد في كل من نابلس والقدس اجتماعان هامان . ففي نابلس عقد اجتماع في مصبنة (مصنع صابون) احمد الشكعة أحد أعضاء حزب الدفاع البارزين في المدينة . كما انه من بين عشرة أعضاء هم ممثلو احزاب المدينة - دعوا لهذا الاجتماع - كان هنالك أربعة أعضاء من حزب الدفاع هم (بالاضافة الى احمد الشكعة) سليمان طوقان رئيس البلدية ، وظاهر المصري ، وحكمت المصري ، كما كان هنالك عضوان من الحزب العربي وهما فريد العنبتاوى ومصطفى بوشناق (٤) . وقد قرر هذا الاجتماع اعلان الاضراب العام فورا ودعوة سائر المدن الى الاضراب حتى تستجاب المطالب الوطنية - أو اقلها على الاقل - وهي وقف الهجرة ، وكذلك دعوة المدن الى تأليف لجان قومية تتولى ادارة

الحركة الوطنية في مناطقها (٥) . كما انتخب المجتمعون أعضاء اللجنة القومية الأولى في فلسطين وقد تكونت من عبد اللطيف صلاح وأكرم زعيتر وفريد العنبتاوى وأحمد الشكعة وواصف كمال وحكمت المصرى . وفي مساء نفس اليوم عقدت اللجنة القومية أول اجتماع لها صدر عنه بيان نشرته الصحف في صباح اليوم التالي يحث المدن كلها على تأليف لجان مماثلة وعلى الاضراب العام (٦) . ويقول هيرووتزا ان مدينة نابلس كانت تتبع في ذلك نهج الوطنيين في مصر وسوريا (٧) .

وعندما بدأت اللجنة القومية لنابلس تتلقى ردودا لندائها بالاضراب العام (٨) كان أعضاء حزب الدفاع والحزب العربي من أوائل من تجاوب معها . كما تكون منهما - مع غيرهما من الاحزاب - الاعضاءالرئيسيون للجان القومية في المناطق المختلفة . فمن يافا أبرق يوسف عاشور . كما أبرق فخرى النشاشيبي تأييدا للجنة القومية بنابلس والاول من الحزب العربي والثاني سكرتير حزب الدفاع (٩) . كما تشكلت اللجنة القومية في يافا من : يوسف عاشور ، وراغب أبو السعود الدجاني ، ومحمود أبو خضرا والفرد روك ، وحمدي النابلسي ، وفخرى النشاشيبي ، ابراهيم الشنطي ، وسعيد الخليل . وكما يلاحظ من تركيبها فان نصفها كان من الحزبين العربي والدفاع (١٠) . كما أبرق من القاهرة مؤيدا ، توفيق الفاهوم وحنا خليل خليف . وهما من الحزبين العربي والدفاع ويظهر أن هذا الحال اضطرد في بقية مدن فلسطين (١١) .

كان ذلك نتيجة الاجتماع الاول الذي انعقد في نابلس ، وأما الاجتماع الثاني فقد عقد في القدس ، حيث تجمع عدد من الشبان يقودهم عارف الجاعوني اليد اليمنى للحاج أمين بين الشباب المسلمين وقد قرر هذا الاجتماع اعلان الاضراب " واجبار اصحاب الحوانيت والمتاجر ان يستجيبوا لهذا القرار " (١٢) ولعله الى هذا الاجتماع يشير الغورى الذى يزعم أن اعلان الاضراب العام بدأ من القدس ومن الحزب العربي بالذات (١٣) . وفي يوم ٣٠ ابريل اليوم الاول للاضراب العام والذى دعت اليه لجنة نابلس القومية ، صدر أيضا بيانات بالاضراب الى أجل غير مسمى من كل من رئيسي الحزب العربي وحزب الاستقلال (١٤) .

كما أن راغب النشاشيبي الذى يبدو أنه تحفظ على جعل الاضراب الى أجل غير مسمى في البداية ، عاد ووافق أيضا على اعلانه الى أجل غير مسمى أيضا .

فقد شارك في الاجتماع العام لقادة الاحزاب الذي انعقد في القدس بتاريخ ٢١ ابريل ، والذي أعلن موافقته على التمسك بالاضراب والى أجل غير محدود . كما أن راغب الذي كان متحمسا لارسال الوفد الى لندن عدل الان عن رأيه (١٥) . ويظهر أن موقف زعماء الاحزاب هذا من الاضراب كان ردا على دعوة المنسحب السامي لهم لكي يدعوا الى وقف الاضراب (١٦) ووسط الحماس الهائل والمظاهرات الصاخبة التي صاحبت الايام الاولى للاضراب تكونت اللجنة العربية العليا من زعماء الاحزاب اعضاء والمفتي رئيسا (١٧) . وقد كانت مهمة هذه اللجنة قيادة اللجان القومية والحركة الوطنية عامة والاشراف على تطبيق الاضراب ، وما يمكن أن يتمخض عنه . وقد دعا اول بيان أصدرته اللجنة العربية العليا الى " الاستمرار على الاضراب الى ان تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلا أساسيا تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية . واللجنة ستعمل مع الامة مستمدة من وحيها وصادق عزمها اصرارها على تحقيق المطالب الأساسية العليا التي تطالب بها بقوقوهي :

١ - منع الهجرة منعا باتا .

٢ - منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود .

٣ - انشاء حكومة مسؤولة أمام مجلس نيابي " (١٨) .

وكان لتأسيس اللجنة العربية العليا بالاضافة الى كونه مظهرا من مظاهر وحدة الامة وتعاضدها ، أثر كبير في دعم الاضراب العام . فقد أبرق المنسحب السياسي معلقا على بيان اللجنة العربية ما نصه : " ان اصدار هذا البيان قد دعم الاضراب العام ولقد أصبح استئناف العمل في مرفأ يافا أمرا غير محتمل أبدا (١٩) وفي حقيقة الحال لقد كان اصدار القرار بدعم الاضراب من قبل اللجنة

العربية العليا هو الاجراء الاول ولكنه لم يكن الاخير . فقد وضعت في يد هذه اللجنة - منذ تأسيسها - امكانات وقاعليات الحركة الوطنية الفلسطينية ، اما بصورة جماعية أو فردية . وهذه الظاهرة تستدعي أن نفحص تركيب هذه اللجنة الداخلي ، واتجاهات اعضائها ، الامر الذي سيساعدنا على فهم تطور مجريات الاحداث القادمة للشورة .

١ - كانت اللجنة العربية العليا قيادة حزبية مائة بالمائة . بمعنى أنها كانت

مكونة من قادة الاحزاب ، وهذه الخلفية لتركيبها ، سيكون لها تأثيرها

- على مواقف أعضائها وبخاصة أثناء ضعف الثورة .
- ٢ - شكل ممثلو الحزب العربي وحزب الدفاع نصف أعضاء اللجنة التي كان أعضاؤها عشرة . وقد تمثل الحزب العربي بالمفتي وجمال الحسيني والفرد روك . وقد انتخب الأخير - بالإضافة الى صفته الحزبية - لانه وجيه الروم الكاثوليك . كما أن انتخابه بالإضافة الى العضو المسيحي الآخر يعقوب فراج - وجيه الارثوذكس - مندوبا عن حزب الدفاع كان رمزا لتماسك ومناعة الجبهة العربية بطرفيها المسلم والمسيحي . وقد مثل حزب الدفاع أيضا ، راغب النشاشيبي رئيس الحزب .
- ٣ - كان على قمة هذه اللجنة المفتي الذي دفع لأول مرة لقيادة العمل الوطني وبصفة رسمية . وكما يظهر فإن المفتي لم يخل من تردد (٢٠) وذلك بالنظر الى ان هذا الموقع الجديد في قيادة الحركة الوطنية سيضعه وجها لوجه أمام السلطات ، وربما أدى الى عزله من رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى وهو أمر - كما شاهدنا - كان يحرص عليه كل الحرص (راجع خطابه في مؤتمر التوريط (ص ١١٠) ولكن الذي حسم هذا التناقض في موقف المفتي لحساب الصف الوطني كان ضغط الشباب المناضل في اللجان القومية الذي انضم اليه ضغط زعماء الاحزاب وبخاصة حزب الاستقلال ، كما ساهمت فيه أيضا الصحافة الفلسطينية (٢١) .
- ٤ - برزت في اللجنة تحالفات داخلية ذات طابع حزبي فقد كان المفتي مدعوما بقوة من الاستقلاليين: " الاستقلاليون والفريق الحسيني يعملون معا . واللجنة ليست متحررة تماما من المصالح الحزبية " (٢٢) . وفي الحقيقة لقد كون الاستقلاليون يسار اللجنة ومارسوا دورا متطرفا في الغالب ، بدا اثره في ابتداء الاضراب والمحافظة عليه . كما أن حزب الاصلاح كان أكثر ميلا نحو المفتي بالنظر لموقف زعيمه الدكتور حسين فخري الخالدي ، بعد انتخابات بلدية القدس خاصة .
- وأما حزب مؤتمر الشباب فكما يظهر من مجريات الحوادث ، فكان موقفه موازيا لموقف الحزب العربي ، ان لم يزد عنه تطرفا ، وكان التزامه بالمفتي أكثر من أي زعيم آخر .
- ولعله من اثر هذا التركيب الداخلي ، للجنة ، جاء التأشير الواسع الذي

تمتع به المفتي ، خلال أحداث الثورة ، وكما سنرى في الفصول التالية .

٥ - أما راغب النشاشيبي فان موقفه من الانضمام للجنة ، لم يخل من تردد أيضا ، وذلك بالنظر للموقع الذي احتله المفتي في زعامتها ، ولكنه مع ذلك لم يكن بمنجاة من تأثير الضغط الشعبي وضغط حزب الاستقلال (٢٣)

٦ - لم يبنه الخلاف الكامن بين الحسينيين والنشاشيبيين ، في اللجنة . فحسب أحد التقارير السرية : " اللجنة العربية لم تخل من انقسامات داخل صفوفها وذلك بالنظر للخصومة الطبيعية بين الحسينيين والنشاشيبيين " ومع ذلك فقد تمكن الزخم الوطني من أن يخفي تأثير هذه الخصومة أحيانا كثيرة . (٢٤)

ومهما يكن من أمر فقد تمكنت هذه اللجنة من القيام بالانجازات التالية في الفترة المبكرة من الاضراب والثورة :

١ - تمكنت من تكوين جبهة وطنية متحدة ، وهذه حقيقة يوءكدها مالرو ، وهو من أفضل مؤرخي الانتداب ، عندما يذكر " ان العرب - ولولوقت ما - تمكنوا من تقديم معارضة مصممة والى حد ما منظمة للانتداب " (٢٥) . ويعزز هذا الرأي بوردن Bowden في مقالته عن الثورة . وهو يعزوها الى الصوفية الوطنية - وخاصة خلال الستة أشهر الاولى للاضراب :- " ان الاخلاقات العميقة العائلية والثقافية والاقتصادية والانشاقات السياسية ذابت مؤقتا في القضية العامة " (٢٦) .

وحقيقة الامر أن تغييرا عظيما أصاب حزبينا اللذين طالما احتلا مواقف متعارضة حيث اذا كان الواحد يقف موقفا - بغض النظر عن الخطأ والصواب - فان الاخر كان يقف موقفا معاكسا له . فقد أصبح الحال الان كما يصفه تقرير بيل : " كل الاحزاب تشكل جبهة عامة . كما أن قادتها يجلسون معا في اللجنة العربية العليا . ويتمثل فيها المسيحي العربي مع المسلم العربي على حد سواء . وليس هنالك حزب معارض " (٢٧) (التأكيد من قبل المؤلف) .

٢ - تظهر لنا مجريات تطور الاضراب والثورة انه كان هنالك اجتماعات منتظمة لهذه اللجنة العليا . بل لقد اعتبرها بعض المؤرخين انها أول جهاز تنفيذي للحركة الوطنية يعمل بانتظام منذ بداية الانتداب (٢٨) .

وكانت الاداة الفعالة للجنة العربية العليا ، من الناحية التنظيمية ، اللجان القومية ، التي ضمت في عناصرها الرئيسية أعضالا احزاب كما تشهد بذلك المصادر

العربية والاجنبية على السواء . فبينما يذكر أحد التقارير السرية ان اللجان القومية كانت مشكلة modelled على صورة اللجنة القومية المركزية (٢٩) نجد أن مصادر المعاصرين العرب تؤكد ذلك . يقول الخالدي : " وتألفت بعض هذه اللجان القومية منذ الايام الاولى من الاحزاب . ولم تكن هذه اللجان تمثل البلد الذي تقوم فيه تمثيلا حقيقيا ، بل تغلبت فيه النعرات الحزبية بادئ الامر " (٣٠) كما أن دروزة يذكر أنه " قام في كل مدينة أو قرية كبيرة لجنة قومية تمثل جميع الميول والاحزاب " (٣١) . كما تذكر أوراق أحمد الامام وهو معاصر من حيفا ان اللجنة القومية في حيفا تألفت من ممثلين عن جميع الهيئات الوطنية والسياسية منذ تأسيسها في ٢٢ أبريل ١٩٣٦ (٣٢) .

والدارس للقوائم التي يزودنا بها أكرم زعبيتر في أوراقه عن رؤساء اللجان القومية يلاحظ التوازن الحزبي وأضا في تركيب هذه اللجان القومية ، كما كان في اللجنة العربية العليا (٣٣) .

لعبت اللجان القومية دورا جذريا في تسيير الحركة الوطنية وكانت بديلا ممتازا للفروع الحزبية - التي سبق لنا الحديث عنها والتي لم تكن تعمل بطريقة فعالة من الناحية التنظيمية - بل ان هذه اللجان شكلت حلقة الوصل بين اللجنة العربية العليا ورجل الشارع أو القواعد ، لدرجة أنها أصبحت خلايا عضوية في تنظيم شامل للامة كلها .

وبعقب تقرير بيل على صورة الممارسات لهذه اللجان بقوله : " في كل بلدة هنالك لجنة قومية عربية ، والتي لها ممثلوها في القرى العربية المجاورة . أما عن سعة امتداد هذه المنظمة وعن حسن تسييرها للامور ، فقد ظهر ذلك بسلكوك الاهالي العرب ككل خلال اضطرابات العام السابق (كما أن) تجربتنا كانت برهانا اكبر على هذا . فانه طالما ذكرت اللجنة العربية المقاطعة ، لم يتقدم اليينا عربي وحتى عندما سحبت (هذه المقاطعة) فان الشهود الوحيدين الذين سمح لهم بان يقوموا بالشهادة أمامنا ، كانوا باستثناء أربعة ، أما اعضاء أو وكلاء عن اللجنة العربية " (٣٤) (الاقواس ليست في الاصل) .

ولعل أهمية ممارسات اللجان القومية تنبع من أنها لم تكن دائما تأخذ أوامر اللجنة العربية كحقائق مسلم بها ، بل شكلت قوة ضابطة أو صمام أمان للحركة الوطنية في مجملها قيادة وقواعد . وكان لما اكتست به هذه الممارسات

من صفة اللامركزية ان زاد في فاعلية هذه اللجان وحيويتها وقدرتها على المبادرة والمبادهة . يقول المندوب السامي في تقرير له :-

" ومهما يكن من أمر فان اللجان المحلية لم تكن بأى حال من الاحوال راغبة دائما في تنفيذ تعليمات الهيئة العربية العليا . بل ان أعضاء هذه اللجنة (العربية العليا) انما يجمعهم شعورهم القوي نحو القضية الوطنية وهم الى حد كبير خاضعون لنفوذ الشباب والعناصر المتطرفة بينهم (أى الشباب) والمفتي هو رئيس هذه اللجنة ويمارس النفوذ الاكبر " (٣٥) .

وكان الدور الظاهر للجان القومية وعملها الرئيسي هو الاشراف على الاضراب كل من موقعها ، كما أنها قامت بدور كبير في جمع التبرعات والطمسان وتوزيع ذلك على المضربين وعائلاتهم وخاصة الفقراء منهم . وتفيد المعلومات المتوفرة انه كان هنالك مخازن معدة في المدن تحوى الارز والقمح والسكر توزع منها هذه المواد على المحتاجين (٣٦) ويظهر تقرير للمندوب السامي مقدار التكافل الاجتماعي الذي ساد لدى العرب بفضل جهود اللجان القومية : " الفلاح لا يكفي نفسه مؤءونتها فقط ، وانما يتبرع من محصوله لمساعدة رفاق في المدن . . . العائلة الثرية تعتني بعائلة أو عائلتين فقيرتين والفرد الواحد يساعد الاخر " (٣٧) .

ولعل الدور الاهم لهذه اللجان كان الابقاء على روح الثورة حية أو متأججة ومعاينة كل مظهر من مظاهر التخاذل سواء بالخروج على تعليمات الاضراب مثل فتح الحوانيت أو الففلة عن مقاطعة البضائع اليهودية . وقد بلغ الحماس ببعض عناصر هذه اللجان أنها استخدمت اسلوب التهديد احيانا مع أولئك الاغنياء الذين لا يريدون التبرع للثورة (٣٨) والذين على ما يظهر لم يكن يجدى معهم غير هذا الاسلوب .

وكان اكثر عناصر هذه اللجان فاعلية وحماسا واندفاعا الشباب الذين وصفهم تقرير بيل بأنهم " حادو الذهن " كما أنهم " لا يتحركون بدوافع اقتصادية بل أنهم يفسرون حملتهم المقدسة باصطلاحات مستمدة من (قاموس) الصراع والتضحية وليس باصطلاحات أو تعبيرات السلام والراحة والرفاهية " (٣٩) .
وقضلا عن هذا فان هذه اللجان كانت بمثابة الاحتياطي الدائم أو المستمر الذي تفيد منه الحركة الوطنية في كل ظرف . يقول الخالدي : " وكثيرا ما ألقت الحكومة القبض على اعضائها وزجتهم في المعتقلات فيحل محلهم آخرون يتقدمون

للعمل عن طيب خاطر " (٤٠) .

والواقع أن كثيرا من الاعضاء المناضلين لهذه اللجان تحولوا مع الزمن - ومع تصاعد الاضراب الى ثورة مسلحة - الى أعضاء في خلايا حركة المقاومة السرية في المدن ، وبصفة خاصة في القدس . اذ يذكر أحد تقارير تيجارت أن أول منظمة سرية للمقاومة في القدس تشكلت من اللجنة القومية - التي يقدر عددها بـ ٣٥ عضوا - وكانت قيادتها من رجال الحاج أمين وهم الشيخ حسن أبو السعود واسحق درويش وعزة دروزة وعارف الجاعوني وخالد الدزدار (٤١) .

ومما يتصل بدور هذه اللجان كمولد أو احتياطي للحركة الوطنية ما لمسناه مما سبق الإشارة اليه في أن اللجان القومية كانت وراء الاضراب الذي عم في أيام قليلة كل مكان من فلسطين ، ورافق تعميمه تعميما مماثلا لهذه اللجان . كما أنه يعود الى اللجان القومية - كما سنوضح في ما يأتي من فصول - تصعيد الاضراب الى عصيان مدني ، والى هذه اللجان يعود الفضل في تثوير القرى كما أنها كانت هي التي وضعت المتاريس وقاومت السلطة في نابلس وغيرها (٤٢) . وبايجاز كانت اللجان القومية رأس الحرية في جميع عمليات الاضراب والثورة من البداية الى النهاية .

- ٢ -

دور كل من الحزبين في تنظيم الثورة والدعوة لها

تعتبر الثورة الفلسطينية عادة بأنها ثورة بلا نظرية أو خلفية نظرية . وهي في نظر خصومها ثورة أقرب الى أن تكون بلا دماغ . فبينما تعتبرها أغلب المؤلفات العربية (٤٣) أنها وليدة العفوية ومن هنا تنبع في نظرهم اصالتها ونقاوتها ، تلك الاصالة التي تنبع بالدرجة الاولى من كونها ثورة الفلاحين ، فانه من الناحية الاخرى لا يعتبرها كثير من المؤرخين والكتاب الصهيونيين أو المؤيدين للصهيونية أكثر من اضطرابات . (التوكيد من قبل المؤلف) . وعندما يكون انحياز هؤلاء الكتاب خفيفا أو معقولا فان هذه الاضطرابات توصف بأنها " تعبير عن الغضب " كما يقول لوكاس مؤلف " تاريخ اسرائيل الحديث " (٤٤)

وعلى العكس من ذلك وعندما يكون الانحياز كبيراً فإن أحداث الثورة كما يعرض هيرست تفسر بأنها انعكاس إلى "بربرية الصحراء" وما الثوار إلا شعب ساذج يحركه ويقوده ساسة غاشمون وزعماء دينيون متعصبون ، وتساندهم فاشستيه دولية ... وهوء لا جميعاً يشنون حملته لا ترحم ضد حضارة أرقى ، حضارة الرجل الأبيض تلك الحضارة التي لا يريدون ولا يفهمون (٤٥) .

وهاتان النظرتان : النظرة المتعاطفة التي تنادى بعفوية الثورة والنظرة الأخرى المعادية التي تتهم هذه الثورة بالبربرية أو أنها تعبير عن العصب ، هاتان النظرتان وبالقدر الذي به تحن هنامعنيون - في إطار دراسة الحزبين - عسير دقيقتين ، وفي غالب الأمر مضللتين ، واصحابهما لا يحاولان التعمق أكثر من السطح كما أنهما لا تسمان الثورة إلا من الخارج ، فالفريق الأول يسعى وراء اضاء ثوب من العذرية والبراءة على الثورة ، والفريق الثاني يريد أن يسلب الثورة كثيراً من قيمتها ، وبالتالي يسعى لوصمها من أجل أن يبرر ما كان من قضاء عليها وقمعها . والدارس لهذه الثورة ، يجد لديه شواهد متعددة تؤيد أنه كان هنالك توجه ايدولوجي أو على الأقل قاعدة نظرية . هذا التوجه الايدولوجي لم يكن نتاج فيلسوف معين أو منظر متخصص ، بل هو وليد التجربة الفلسطينية المتميزة الفريدة في كثير من ابعادها . تلك التجربة التي تميزت بكثير من المرارة والالم الذي نجم عن المعاملة التي تعرض لها العرب الفلسطينيون فترة طويلة من الزمن في عهد الانتداب . تلك المرارة والالم اللذان تأثرا أيضاً بعملية الاستلاب المصرية لوطن بحالة ، وببطء واصرار ، من قبل الصهاينة بدعم من البريطانيين . كما تأثرا أيضاً بالنضال العربي والشهداء الذين سقطوا صرعى على أرض هذا الوطن ، خلال النضال في انتفاضات ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ . بل ان مرافق هذا النضال من تراكمات تجارب الاحباط والفشل الذي كان دائماً نتيجة هذه الانتفاضات ، ترك آثاره التي لا تمحى على نفوس وعقول المواطنين العرب ، وجعلهم يفكرون في أمرهم ، ومن هنا جاءت مقدرتهم على وزن تجربتهم النضالية من الناحية الفكرية ووضع المقابل الفكري أو النظري لها . ولعله من هنا ولدت كثير من القناعات العميقة التي قد ترقى إلى مستوى الفلسفة الوطنية - ان صح القول - أو الايدولوجية لحمة هذه القناعات وعمودها الفقري هو الصوفية الوطنية وسداها النضال واستخدام القوة من أجل تخليص الحق المغتصب . ونحن لدينا منجم من

المعلومات او المادة المصدرية ، وخاصة تلك المتعلقة بالمناضلين وخلفياتهم الفكرية . والذي يدرس على سبيل المثال ملفات دوائر التحقيقات الجنائية او التقارير البريطانية عامة ، وهي عادة تحاول الاحاطة بابعاد حياة من تتحدث عنهم ، يستطيع ان يجد خميرة ممتازة لاستنتاج الافكار او التصورات الفكرية للنضال الفلسطيني . وقد اتيح لكاتب هذه السطور ان يدرس عددا من هذه التقارير وبخاصة عن مناضلي الحزب العربي ، وقد اتاحت لنا هذه الدراسة ان نخرج بالاستنتاجات التالية :

١ - ان بعض هؤلاء المناضلين - وهم شريحة من الشعب العربي الفلسطيني بصورة عامة - كانوا يؤمنون بالقوة او ما يسمى احيانا بنظرية العنف المستمر . ولعل هذه النظرية كانت المقابل الفكري لعمليات التصدي المتواصل للانتداب من خلال النضال ذي الطابع العنيف - تظاهرات عنيفة وعصيان والعودة الى هذا النضال على الرغم من الكبت والقمع والسجن (٤٦) ويبدو ان تجربة النضال هذه تطورت الى ان اخذت شكلا نظريا لها واصبح اتباعها - مع الزمن - يؤمنون انه لا بد من العنف الثوري ليس كاسلوب فردي وانما كعمل جماعي . وليس في اطار زمني محدود وانما مستمر وشامل . واحداً للتقارير عن هؤلاء المناضلين بعد ان يتحدث عنه بأنه مشاغب غاشم على اتصال بالمشاغبين المحليين ، ومسؤول مع مشيرى اضطراب آخرين عن مظاهرة غير قانونية في عام ١٩٣١ في مدينة نابلس ، والتي لم تفرق الا بعد ان فتح السلاح على الرعاع وبعد ان يصف عدد المرات التي دخل فيها المعتقل في اعوام متعددة وبعد ان توصى ايضا باعتقاله . . . تصفه بهذه الكلمات " منذ سنوات " مؤيد عنيف للنظرية القائلة انه يجب اللجوء للعنف او القوة من اجل تحقيق الطموحات العربية " (التأكيد من قبل المؤلف (٤٧) .

٢ - والاستنتاج الثاني او البعد الثاني للتوجه الفكري لهؤلاء المناضلين هو القناعة بوجود محاربة الاستعمار ، المصحوبة بالكراهية العميقة لهذا الاستعمار (وليس الانتداب فقط) . ويتناول اصحاب هذه القناعة الاستعمار من جهة صلته بالصهيونية ، وان الثانية انما هي امتداد للاول . وعلى هذا فاننا نجد ان عددا من كانوا متهمين بمحاربة الصهيونية ، وممن تصفهم التقارير بانهم من اتباع المفتي ، يشكلون جماعة تحمل هذا العنوان " والجماعة المناهضة للاستعمار (anti-imperialist group)

وقد ضمت هذه الجماعة عناصر متفرقة عن نواحي فلسطين ومن مختلف المواقع الاجتماعية والمهنة . ولعل الأهم من هذا أن حربهم للاستعمار ليس تعبيرا عن غضب مؤقت . . . وإنما ترقى حربهم للاستعمار الى مستوى الرسالة . وتصف أحد التقارير أحد أفراد هذه المجموعة بأنه "خطير" وأن "له تاريخا بالارتباط بالعناصر الهدامة في البلاد" . وبعد أن يعدد التقرير بعض هذه العناصر ويذكرها باسمائها . . . يذكر أنه على صلة تنظيمية ببعضهم بعضا . وعندما ينتقل احد أعضاء هذه المجموعة الى مصر يصبح "المحرر الأول في جريدة مصرية تحارب الاستعمار" (٤٨) وعلى سبيل المثال يذكر القسم الأخير من التقرير الذي يتحدث عن "جماعة محاربي الاستعمار" عن عضو فيها هو محمد علي الظاهر صاحب جريدة الثورى فيقول: " في عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧ كان نشيطا في الدعوة لاتجاه الحاج أمين في جعل القضية الفلسطينية قضية تهدد الشعب الاسلامي بالاضافة الى أنها تهديد للعرب، ولا يزال حتى الان نشيطا ومتعصبا" . (٤٩)

ويبدو أن هذا الاتجاه الذي أصبح المفتي رمز له مع اشتداد عصب الثورة ومجابهة الانكليز - كما سنوضح - جلب الى المفتي كثيرا من الانصار ممن كان توجههم الاصلي والاصيل توجهها معاديا للاستعمار كجزء من صلب عقيدته أو ايديولوجيته . ولدينا في هذا المجال مثالان لشابين من ذوى الميول الشيوعية (تصنفهم التقارير على انهما مجلسيان) هما محمد نمر عودة وفؤاد نصار اللذان كان لهما دور نشالي ممتاز - سنتحدث عنه فيما بعد - فهما تحالفا مع المفتي أو عملا تحت رايته لانه كان يحارب معركة وطنية، ضد الاستعمار والصهيونية .

٣ - والاستنتاج الثالث أو البعد الفكري الثالث لمناضلي الحزب العربي نجده يتكرر في كثير من التقارير "الوطنية الدينية" أو كما يسميه أحدها "الحركة الدينية الوطنية" ومن يحلل المادة المصدرية في هذه التقارير، يجد أن نغمة متحاملة تسيطر عليها ان لم تكن مضللة . فهي في العادة تسمى الاشياء بغير مسمياتها . فما تنعته بالتعصب عند عشرات المناضلين الذين لديها عنهم سجلات سرية، ليس في حقيقة الامر الا اتجاهها أو توجهها وطنيا أصيلا . ولناخذ المفتي مثلا لما تكتبه هذه التقارير، التي تصفه عادة بالنبي المتعصب، نجد

انه لم يكن أكثر من زعيم وطني ذي نزعة قومية عربية عميقة على الرغم من خلفياته الدينية والوظيفية بل انه مما يثير الدهشة حقا أننا نجد أن هذه التقارير - التي تنسب التعصب إلى أنصار المفتي أيضا - كثيرا ما لا تكون منسقة . . بل أنها كثير من الأحيان متعارضة . تلك التقارير التي توجد منها مئات الصفحات في مكتب السجلات العامة بلندن ولكنها لم تستطع أن تنفذ إلى حقيقة المفتي الا أحيانا قليلة (٥٠) .

وانه لصحيح أيضا - ولعله من هنا يأتي الالتباس - ان كثيرا من أنصار هذا الاتجاه كما هو الحال بالنسبة للمفتي ، ذوو خلفيات دينية أو أنهم كانوا رجال دين أو ذوى مشاعر دينية - ولدينا أمثلة على ذلك في أنصار القسام الذين وقفوا مع المفتي خلال الثورة - الا أنهم لم يكونوا شوفيني الطابع أو أنهم غير متسامحين . ولعلمهم أيضا اتكأوا على الدين ولكن ليس للحقد والكراهية أو التعصب الأعمى ، بل كوسيلة لتعبئة الجماهير ومن أجل اشغال روح الجهاد (الحرب الطويلة الأمد) كاسلوب للنضال الوطني . ولعل لهذه الناحية الأخيرة جرى التركيز على وصف هذا الاتجاه بالتعصب وتحول الاستشهاد والتضحية والصبر إلى ضده .

وهذا التقرير التالي عن قسامي سابق ومناصر للمفتي أثناء الثورة ، ويعمل كاتباً في المجلس الإسلامي الأعلى هو الشيخ محمد هاشم الخطيب من حيفا ، يتحدث عن نفسه وهو لا يتعرض هنا للتعصب بمقدار ما يحاول أن يبرز أثر الاتجاه الديني في النضال الوطني .

" استمر (الخطيب) خلال سنتي ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ في المساهمة بشكل بارز في السياسة ولقد عرف بأنه مدافع عنيد ومن أبطال نظرية الإسلام المناضل ، وخلال ثورة ١٩٣٦ استمر في التوجيه المحلي لحملة تطوير الحركة (الوطنية) عبر خطوط دينية ونضالية " ويمضي التقرير ليؤكد الأثر الكبير لهذا التنظير السياسي وكيف كان له أثره العميق في الحركة الوطنية : " ان كثيرا من النجاح الذي أحرزه العرب الفلسطينيون في وضع قضيتهم على أساس ديني وسياسي إنما يعزى إلى الدعاية القوية التي أعطاها الشيخ محمد هاشم الخطيب لهذه الفكرة " (٥١) .

ارتبطت النواحي الفكرية السابقة بأنصار المفتي . . ولكن وجد أيضا مجال آخر ساهم به الحزبان معا وليس الحزب العربي فقط . وهذا المجال هو الدعاية

لل قضية الوطنية : اضرابا وثورة . وقد عملت هذه الدعاية بصورة أو بأخرى كجزء
مكمل للتنظيم .

فمنذ الايام الاولى للاضراب نجد صحف كل من الحزبين تضع حدا
لادبياتها الحزبية أو التحزبية ، لتركز بكثير من الكفاءة والحيوية والحماسة على
القضية العامة . وانه ليس بلا مغزى هنا أن نجد أن تقرير بيل وبكثير من المصادقية
يذكر أن " المنظمة الوطنية تخدمها صحافة غزيرة عارمة القوة " (٥٢) .

وعلى سبيل المثال نجد أن جريدة اللواء ، الجريدة الرسمية للحزب
العربي والتي وصل توزيعها الى ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ نسخة في اليوم ، والتي كان
يملكها جمال الحسيني بالاضافة الى جريدة فلسطين لسان حال حزب الدفاع والتي
كانت أوسع انتشارا ، تنافستا في هذه الفترة أيهما يبرز مناحي النضال أكثر (٥٣)
كما أنه كانت نعمة ثابتة في كتابتهما ، الدعوة الى الاستمرار على الاضراب .
ويضيف تقرير بيل أيضا أن هاتين الصحيفتين بالاضافة الى " الدفاع " وهي لا تقل
عنهما انتشارا لم تكن تنطق الا باسم اللجنة العربية العليا رغم الاختلاف على
التكتيك احيانا " كما أنه ليس هنالك اشارة للاعتدال في لهجاتها " ومن هنا كان
جزاؤها التعطيل أو الايقاف عن الصدور وقد احصيت عدد المرات التي أوقفت
فيها هذه الجرائد فبلغت ٣٤ مرة كما لفت نظرها ١١ مرة في سنة واحدة هي
عام ١٩٣٦ (٥٤) .

ولعله لا يقل عن أثر الصحافة في الدعاية ما قامت الادوات الحية للدعاية
واعني بذلك الاشخاص الذين قاموا بدور كبير في التعبئة الوطنية أو التحريض على
الاضراب والثورة . وهنا نجد أن كثيرا من انصار المفتي والذين هم في الاصل
موزعون على جهات فلسطين المختلفة ، حققوا انجازا دعائيا كبيرا عن طريق
الاتصال المباشر بالافراد والجمهير (٥٥) . وما الاتية اسماؤهم والانماذج كشفت عنها بعض
التقارير والتي لا تأخذ مادتها الا بعد اخضاعها لنظرة فاحصة وشاملة تتناول هذه
التقارير فرادى ومجموعة . . وتقيسها على الظروف الموضوعية التي مرت بها البلاد
في الفترة التي تتحدث عنها : حسن حسونة : عضو فعال في الحزب العربي ،
ويعمل واعظا في القرى التي تقع حول مدينة يافا ، كما أنه داعية للحزب في هذه
المناطق ، هذا الرجل تصفه التقارير بالاتي : " في ١٩٣٦ ، كان قد حرض
القرويين للالتحاق بالعصابات المسلحة وكانت هذه الدعاية تنفذ من منطلق
ديني " (٥٦) .

كما ان عادل كنعان وهو مجلسي ووطني عنيد ، أصله من مدينة نابلس ، وكاتب بالاقواف يوصف بأنه رجل " ذو آراء متطرفة وله تاريخ عريق مع العناصر المتطرفة " (٥٧)

وليس أقل شأنًا من كنعان ، قاضي غزة ، الشيخ مصطفى فاضل العورى الذى تطلق عليه التقارير لقب "الخطير" وتعقب على ذلك بقولها "نشط كمحرض على الحركة (الارهابية) ، مشاغب ، خطير ، ومعارض للحكومة لا يشق له غبار" (٥٨) وشيبه بالدور الذى قام به العورى هو الدور الذى لعبه الشيخ صبحي الخضرا قاضي حيفا الذى يوصف بأنه "قائد سياسي ذو طبيعة متطرفة . . . في خلال ثورة ١٩٣٦ كان بارزا كداعية للحركة الثورية (٥٩) ولقد أسهم في هذه الحركة الدعائية عدد من ذوى الرتب الدنيا أيضا في كوادر المجلسيين ، ومن مواقعهم المتواضعة هذه تمكنوا من الاتصال بالرجل العادى وقاموا بدور نذكر أمثلة عليه أيضا : ماذون (مسجل عقود الزواج) في غزة ، الشيخ حسين الشوا ، يذكر انه أيضا "مشاغب خطير وعدو للحكومة" وتتبع خطورته من كونه "يعرض أفكارا ارهابية" (٦٠)

كما ان آذن المحكمة الشرعية بنابلس عبدالقادر فتايح "استغل مناسبات متعددة لينشر دعاية من أجل المفتي "ويستغل من أجل ذلك اتصالات المخاتير (٦١) . ومثل آذن المحكمة مراسلها يستفيد من موقعه من أجل ان ينشر دعاية مضادة للحكومة" (٦٢) .

ولقد كان هنالك أيضا بالاضافة الى هذه الاساليب في الدعاية القائمة على الاشخاص محاولات لتخريب الطلاب في مدارسهم والمصلين في مساجدهم . فحمدي الدجاني ، سليل عائلة الدجاني ذات الميول القوية نحو الحزب العربي ، والواسعة النفوذ في يافا والذى يعمل مديرا لمدرسة دار العلوم الاسلامية في يافا ، يوصف أيضا بأنه "ينفذ دعاية في صالح الحزب المجلسي" كما انه يدعو طلاب مدرسته لكي يشاركوا في المظاهرات (٦٣) . ورفيق شهاب الدين المدرس في نفس المدرسة المذكورة سابقا يقوم بدور شبيه بدور الدجاني (٦٤) .

كما ان اسماعيل الطوباسي وهو عضو في حزب المجلسيين ومدرس في مدرسة النهضة الاسلامية في يافا ، يحكم عليه بالسجن لانه "لقى خطبا سياسية في يافا" (٦٥) .

كما ان الشيخ سليم اليعقوبي واعظ مسجد حسن بك في يافا "يشحن المصلين
بالافكار السياسية" فهو معروف بأنه يمزج بين الاحداث السياسية ونقاشها خلال مواعظه
الدينية (٦٦) .

ومهما يكن من أمر فنحن اذا طرحنا جانبا اللهجة التحريضية الواضحة في هذه
التقارير السابقة - في السطور وما بين السطور - على من كتبت عنهم والتي لا تدل
على موضوعية أو انصاف فان هذه التقارير تدل بما لا مجال للشك فيه على التالي :

١ - كان خط المفتي خلال الثورة خطا معاديا للحكومة تفيد بذلك اللهجة التراكمية
لهذه التقارير التي نجد فيها شخصية الحاج أمين شخصية محورية تتأثر بها
دعاية أنصاره في كل موقع .

٢ - كانت هنالك منطلقات ووسائل متعددة لهذه الدعاية الشخصية . . من القاضي
الى الكاتب الى الاذن فالمراسل عبورا الى المدرس ومدير المدرسة ولكنها مهما
اتخذت من أساليب . . ومهما اختلفت المواقع الاجتماعية والجغرافية لأصحابها
فانها كانت دعاية للقضية الوطنية والثورة التي تطلق عليها هذه التقارير عادة
اسم الارهاب .

٣ - اللهجة التي صيغت بها التقارير تدل على مدى فاعلية هذا الاتجاه في الدعاية
والذي يقال من خلاله عادة أشياء ، لا يمكن قولها من خلال منابر كالصحافة
مثلا ، ولذا فاننا كثيرا ما نجد أن هذه التقارير ، وبخاصة ان بعضها كتب في
اثناء الجزء الثاني من الثورة - يوصي باعتقال الشخص المعني أو المذكور في
التقرير أو انها تذكر انه اعتقل مرة أو مرتين أو انه فصل من عمله أو انه تشرذ
من موقعه الذي هو فيه .

دور كل من الحزبين في المحافظة على الاضراب والمشاركة

في العصيان والتظاهرات العنيفة كممارسات من ممارسات الثورة

١ - الاضراب : سبق لنا الحديث عن انبثاق فكرة الاضراب الى اجل غير مسمى من قبل اللجان القومية التي أسهم فيها نشوء وتنظيما ، عناصر من حزبينا . وكان المقصود من الاضراب بحسب استراتيجية اللجان المقاومة السلبية أو العصيان المدني - على طريقة غاندي - من أجل اكراه الحكومة على الاستجابة للمطالب القومية .

ولقد نجح الاضراب وكان استمرار الاضراب العام لمدة ١٨٠ يوما أحد الانجازات الكبرى للثورة عام ١٩٣٦ . ولقد تم هذا الاضراب بتوجيه عام من اللجنة العربية التي ضمت زعماء الاحزاب . الا انه مع ذلك لم يكن كلا الحزبين العربي والدفاع من حيث الاسهام بالاضراب - داخل اللجنة وخارجها - متشابهة كما لم تكن منطلقات كلا الحزبين من الاضراب كوسيلة للكفاح ، أيضا متماثلة . فبالنسبة لموقف حزب الدفاع نجد أنه كان هنالك حماس كبير للاضراب . فقد كان من أوائل الذين نظموا اضراب قطاع حيوى ، على مستوى فلسطين جميعها حسن صدقي الدجاني سكرتير حزب الدفاع . فبصفته رئيسا فخريا " لنقابة مالكي السيارات والسواقين " تمكن الدجاني بالتعاون مع أفراد هذه النقابة من شل حركة النقل : " فمالكو السيارات الكبيرة (الشاحنات) والباصات والتكسيات ، الذين كان معظمهم يعتمد في معيشته على كسبه الشهري لكي يدفع أقساطه ، وضعوا جانباً مركباتهم " (٦٧) وفضلا عن ذلك كان حسن صدقي الدجاني رائدا في خطوته هذه فقد سبق في اعلان اضراب اصحاب السيارات وسائقها اللجنة العربية العليا في اعلانها للاضراب العام بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٣٦ . يقول الدكتور الخالدي " كان أول من أعلن الاضراب المنظم نقابة السواقين ورئيسهم الفخرى حسن صدقي الدجاني ، فتحملوا ما تحملوه من خسارة ، من توقف المواصلات ، ولكن النقابة استطاعت مساعدتهم في الايام الاولى " (٦٨) ولقد ظل السواقون من أكثر الناس اخلاصا للاضراب حتى نهايته " (٦٩) .

ولم يكنف الدجاني بذلك بل كان من بين الاشخاص البارزين الذين طالبوا بأن الاضراب ينبغي أن يشمل موظفي الحكومة وبالذات موظفي المجالس البلدية والمجلس الاسلامي ، ولعله من أجل هذا - مع عوامل أخرى أهمها ضغط اللجان القومية - اضربت بعض البلديات ممن كان رؤساءها من الحلفاء التقليديين لرأغب النشاشيبي مثل بلديات يافا ونابلس والرملة وطولكرم واللد . وقد قرر هؤلاء الاضراب بعد أن عقدوا اجتماعا سريا في بيت رئيس بلدية رام اللد وقرروا الاضراب " باستثناء عمال التنظيف والكهرباء والماء (٧٠) وكذلك اضربت تحت هذا الضغط مكاتب المجلس الاسلامي الاعلى وأصدر المجلس الاسلامي بيانا يعلن فيه أن " دوائر المجلس والمدارس التابعة له وكذلك أعمال الانشاءات والبناء والمنافع قد اضربت كلها ولم يستثن من ذلك سوى ما يتعلق بالشعائر الدينية (٧١) وتشير بعض المصادر الى أن الدجاني انما زاد في الحاحه في المطالبة باضراب الموظفين لانه كان مدفوعا - الى جانب موقفه الوطني - بدافع احراج خصميه الحزبيين المفتي والدكتور الخالدي ، وهما اللذان يحتلان منصبتين بارزتين في الحكومة ، وآزره في موقفه هذا رأغب النشاشيبي (٧٢) . ولقد قام رأغب النشاشيبي بالضغط من داخل اللجنة بهذا الاتجاه . ولكن جهوده هذه داخل اللجنة لم تعط نتيجة ملموسة لا سيما وان المفتي وجمال الحسيني لم يستحسنا موقفه هذا ، وهكذا فان اللجنة لم توافق على اقتراحه . وانفق على عرض هذا الموضوع على اللجان القومية للبيت فيه في اجتماع يعقد في ٧ مايو ١٩٣٦ (٧٣) ، ويبدو أن الصراع بين أنصار تعميم الاضراب ليشمل موظفي الحكومة ومعارضيهم أخذ شكلا حادا حتى أن موسى العلمي أخبر بن غوريون يوم ٦ مايو أن " الاضراب والعصيان المدني الشاملين ليسا سوى حلقة جديدة في الصراع القديم بين المفتي والنشاشيبي " (٧٤) .

وهذا الموقف بين الطرفين سيجعلنا ندخل في منطلقاتهما من الاضراب ، لانه على ما يظهر لم يكن نابعا فقط من الخصومة الحزبية .

كان وراء رأغب النشاشيبي للاضراب كاسلوب في الكفاح كبيرا . ولعله اعتبره اهم من أي وسيلة أخرى لتحقيق المطالب العربية . وفي تقرير للمندوب السامي ان رأغب كان على استعداد ليقتال رجلا كالمفتي اذا تردد هذا في الانصياع للاضراب : " كان لدى رأغب منذ بضع سنوات ومرة أخرى منذ حوالي شهرين الى خمسة أشهر ، رجال أشداء (قبضيات toughs) ممن هم على استعداد

لاغتيال المفتي اذا ما بدرت منه بوادر الخضوع للحكومة ، وأخيرا التخلي عن الاضراب الخ بدون مقابل " (٧٥) . ويقارن مالرو بين موقف النشاشيبيين والحسينيين من الثورة عموما فيقول أن النشاشيبيين راهنوا على الاضراب مقابل مراهنة الحسينيين على الثورة المسلحة ، ويعلل ذلك باعتدال النشاشيبيين بالنسبة للحسينيين ويقول " انهم ربما كانوا - منذ البداية يفكرون بحل وسط لا يأتي عن طريق استعمال العنف ولكن بتدخل دبلوماسي عربي ، ويتضمن هذا الحل استمرار الحكم البريطاني مع تحديد جدى وكبير للوطن القومي اليهودى " (٧٦) . ومن الناحية الاخرى فان موقف المفتي كان محكوما بعوامل اخرى ومتعددة :

١ - لم يكن المفتي الذى كان يوءثر السرية والتكتم في عمله ، والذى كان يرغب أيضا في الاحتفاظ بمنصبه في رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى من ناحية ، والمحافضة على اللجنة العربية كناطق رسمي باسم الشعب العربي الفلسطيني (٧٧) من ناحية اخرى ، أقول لم يكن يرغب في مجابهة علنية مع بريطانيا . كما أنه - على ما يظهر - لم يرد أن يكون سببا في تعطيل جهاز الحكومة في فلسطين ، مما كان سيحلب عليه وعلى اللجنة العربية نقمة الحكومة وربما تسبب في حلها للجنة . ولعله من هنا جاءت لهجة التقارير التي تمتدح الاعتدال الظاهر للمفتي " في الايام الاولى من اعلان الاضراب طلب المفتي عدة مرات حماية البوليس كما أنه استعار من سبايسر (مدير دائرة التحقيقات الجنائية) معطفا واقيا ضد الرصاص ليقيه من قبضات الشباب " (٧٨) .

كما أن تقارير أخرى تعكس الدور المعتدل الذى مارسه المفتي في المراحل الاولى للثورة على جهاز واعظي المجلس الاسلامي الاعلى " . . . ان الحقيقة التي تسترعي الانتباه ان النداء الديني لم يرفع طيلة الاسابيع الماضية وان صلوات أيام الجمعة وخطبها اقترنت بدرجة كبيرة من الاعتدال تفوق كثيرا ما كنت أتوقعه في وقت بلغت فيه حدة المشاعر عمقا كبيرا والفضل في ذلك يعود الى المفتي " (٧٩)

٢ - يظهر أن المفتي لم يكن يعول كثيرا على الاضراب او على الاقل لم يكن اهتمامه به مثل اهتمام النشاشيبي ، كوسيلة للكفاح ، أو كمارسة سياسية . فالمؤرخ البريطاني - الذى أشرنا اليه سابقا - شديد الاقتناع بأن الثورة المسلحة في الجبال وليس الاضراب كانت لها الاولوية عند المفتي ، وما كان الاضراب بالنسبة له الا فقط من أجل " أن يخدم كستار واق يمكن تنظيم عصابت الثوار وراءه ، فهو يخلق

ظروف الاضطراب والفوضى ، التي يمكن لعصابات الثوار أن تعمل من خلالها بصورة أفضل " (٨٠) .

وبؤيده في هذا أميل الغوري الذي يقول : " فضلا عن أن الحاج أمين بوصفه رئيسا للجنة العربية العليا ، كان زعيم البلاد وقائد حركتها السياسية والمسؤول عن أعمال اللجنة العربية ، فإنه كان يشغل في الوقت ذاته منصب رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، الذي كان أيدا ظهيرا للحركة الوطنية ومصدر قوتها ، ولكن الدور الخطير الذي يقوم به المفتي ، على القدر من السرية والكنمان وتجنب الظهور ، هو دور قيادة الثورة ، فهو في الواقع زعيمها وموجهها وعونها " (٨١) .

٣ - يبدو أن اعتدال المفتي الذي ذكرناه تحول الى التشدد بصورة تدريجية ، ولعل تطور مجربات الاحداث من اضراب الى عصيان مسلح الى ثورة مسلحة بمعناها الكامل كان له تأثيره على موقف المفتي كما سنوضحه في الصفحات القادمة فموقف المفتي في شهرى مايو ويونيه (فترة العصيان المسلح) هو غير موقفه أثناء اشتداد الثورة المسلحة (اغسطس وسبتمبر) .

٢ - المظاهرات العنيفة والعصيان :

واكب الاضراب الشامل مظاهرات عامة منذ الايام الاولى ، وكان من أهمها المظاهرة الكبرى في نابلس في ٢٤ ابريل ١٩٣٦ . وقد برز في هذه المظاهرة دور أحد أقطاب حزب الدفاع سليمان طوقان ، الذي خطب في المظاهرة ، خطابا وصفته جريدة فلسطين بأنه " كان له دوى " (٨٢) وقد رد في هذا الخطاب على خطاب للادون ديزنكوف رئيس بلدية تل أبيب حين قال في ماتم يهودى حاشد : " اننا أردنا السلام . ولكن هناك أمة وحشية مجرمة يعتدى أفراد شعبها على الامنين منا . ولكنهم لن يخيفونا " ومما قاله طوقان في رده " . . فليعلم الادون ديزنكوف ، ان الامة التي عرفها العالم بالاباء والكرم ، وحماية الجار والملاحيء المشهورة بنصرة الضعيف ، والاحذ بيد المظلوم ، هذه الامة التي تمتاز بهذه الخلال ليست وحشية أبدا ، بل لا يجروء أحد في العالم أن يصفها بهذا الوصف الا اذا كانت الطباع الوحشية متأصلة فيه " ولعل الاهم في هذا الخطاب هو التعرض للانجليز مباشرة فقد قال طوقان أيضا " اعلم يا ادون ديزنكوف انه لولا الحراب الانكليزية لما تجاسرت ان تقول حرفا واحدا ، وكان للعرب معك شأن آخر " (٨٣)

وقد اعتبر هذا الخطاب باعتباره صادرا عن ركن من أركان المعارضة ذا أهمية معينة لأنه تعرض للانتداب الانجليزي بشكل صريح .

كما أن اللجنة العربية العليا قامت في هذه الاثناء بجولات في مختلف المناطق حيث ، كما يقول دروزة " كانت تستقبل فيها استقبالات رائعة تدل على ما ذكرناه من قوة حماس الشعب واقدامه وتصميمه وما صار للجنة بفضل اندماج الزعماء والرؤساء من قوة وأثر واعتبار " (٨٤) .

كما أنه كان لانصار الحزب العربي دور كبير في التظاهرات العادية والتظاهرات العنيفة ويبدو انها واكبت موقف المفتي الذي أخذ بالتشدد مع تطور أحداث الثورة ، والتي يظهر أن لقواعد الحزب العربي دورا واضحا في تصعيدها ايضا ، وتظهر مساهمة انصار الحزب العربي على الوجه التالي :-

أ - التنظيم والتخطيط : تذكر الشواهد - خلافا لما قد يتبادر لاذهاننا لأول وهله - ان التظاهرات كان يخطط لها بصورة مسبقة لا سيما وان الانجليز أخذوا يتعرضون للمظاهرات ويطلقون الرصاص على المتظاهرين . جرى ذلك في الناصرة والقدس وعكا وطولكرم حيث اطلق الانجليز النار على المتظاهرين من الطلاب والطالبات والرجال والنساء والعمال . . . كما يذكر أكرم زعيتري في يومياته (٨٥) . ويبدو أنه كان هنالك رجال مهمتهم الاساسية أن ينظموا هذه المظاهرات فالشيخ عبد الحميد السايح قاضي القدس ، واحد المناضلين من المجلسيين ، رجال المفتي - على سبيل المثال - تعتبره التقارير " انسانا متعصبا ومشاعبا قوى الشكيمة

وتركز هذه التقارير نفسها على انه " منظم للمظاهرات " Organizer of demonstrations (٨٦) . وعلى هذا فقد كان جزاؤه الاعتقال .

ب - المشاركة الفعلية أو المادية في المظاهرات : قام بهذا الدور مناضلو الحزب الذين يوصفون بالعراقة في التظاهر ، ومن هنا فانهم يطورون التظاهرات السلمية الى انتفاضات عنيفة . وعلى هذا فانهم كانوا يتعرضون لاسلحة السلطة . وكمثال على هذا النمط من مناضلي الحزب هوءلاء ، نجد عادل كنعان - باش كاتب اوقاف القدس - الذي تصفه تقارير البوليس ضمن عدد كبير من مريدي المفتي . بالتالي " سبق الحكم عليه سنة ١٩٣١ لقيادة مظاهرة غير قانونية لم يتم تفريقها الا بعد اطلاق النار على الفوغاء " ويذكر التقرير نفسه عن عادل كنعان ايضا " وطني عنيف ، ذو ميول حسينية قوية ، مشاغب وخصم للحكومة لا يقبل المهادنة أو المصالحة " (٨٧) .

ولدينا مثال آخر في جمال القاسم أحد أعضاء الحزب العربي النشيطين في نابلس (٨٨) الذي يوصف بأنه " خطر جدا ويجب ابعاده " وبقيّة التقرير عنه تبرز دوره في المظاهرات التي تصل الى درجة الاحتراف : " محرض على الشعب لا يتورع عن شيء وعلى صلة وطيدة بالمتطرفين المحليين " (٨٩) .

كما أن هذا النمط من المناضلين يجد شبيها له في الشيخ صبرى عابدين ، وهو أحد اتباع المفتي المخلصين ، وصديق شخصي من أصدقائه ، ولا تعتبره تقارير الحكومة أقل من " مشاغب ، ومروج للاضطرابات ، عنيف ومتعصب وخطير " (٩٠) . وكانت مدارس المجلس الاسلامي الاعلى ، أو المدارس المدعومة ماليا من قبله ، معاقل للمظاهرات الوطنية . ويعود دور هذه المدارس في مجال التظاهر السياسي الى العشرينات ولقد كان لمدرسة النجاح بنابلس ومدرسة روضة المعارف بالقدس اللتين كان لاساتذتهما دور كبير في توجيه طلابهما بروح قومية منطرفة ، دور بارز في مجال التظاهر . وقد برز بشكل خاص في هذه الناحية أكرم زعبي وعزة دروزة والاول - على ما يظهر - كان له دور كبير في المظاهرات التي تلت اعلان الاضراب وعلى احياء روح الاضراب والانتفاض على الانجليز عامة طوال أيام الثورة لدرجة أن بعض المصادر - وكما يظهر أيضا في تضاعيف يومياته - تعتبره السروح المحركة للجماهير في نابلس وقراها في الايام الاولى للاضراب (٩١) . ولقد شارك مع هذه المدارس أيضا مدارس أخرى في مناطق متعددة من فلسطين مثل مدرسة دار الايتام في بيت المقدس ، ومدرسة النهضة الاسلامية ومدرسة دار العلوم الاسلامية في يافا (٩٢) . ويذكر أحد التقارير عن مدرسة النهضة الاسلامية ومشاركتها في التظاهر بتحريض من ناظر المدرسة حمدي الدجاني ما يلي : " خلال الاضطرابات ، وفي مناسبات تتعلق بالحالة السياسية يأمر (الناظر) التلاميذ لكي يقوموا باضراب " (٩٣) .

العصيان والتعرض للاعتقال وانماط أخرى من العقوبة والقمع :

تطورت المظاهرات العنيفة تدريجيا الى عصيان مدني ويظهر ان هذا التحول وقع في منتصف شهر مايو ، عندما أعلنت اللجان القومية امتناعها عن دفع الضرائب بعد مؤتمراً عقد في القدس لهذه الغاية (٩٤) . وهنا قوبلت المظاهرات في مختلف جهات فلسطين بالرصاص (٩٥) . ويصف أكرم زعبي يوم

العصيان المدني في نابلس بتاريخ ١٥/٥/١٩٣٦ على هذه الصورة " كان اليوم
كأنه عيد - يهنئ الناس فيه بعضهم بعضا على البدء بالعصيان . وقد حدث في
نابلس ان انسحب الجند والبوليس من المدينة انسحابا كلياً ، واغلقت دوائر
البوليس الموجودة في المدينة . ومنذ أمس ونحن مستقلون في نابلس استقلالاً تاماً
ورفعت الرايات العربية " (٩٦) .

وقد كان لتطور الاضراب الى عصيان اثره في لجوء السلطات الى اعتقال من
يمارسون هذه المظاهر غير الشرعية في نظرها . وفي هذا المجال نجد شهادة
لمعاصر هو الاستاذ عزة دروزة مبينا تضحيات فئات كثيرة من أبناء الوطن ومن
بينهم افراد حزبنا : " مدنيين وقرويين وزعماء رئيسيين وثانويين وشباباً وأعضاء
لجان قومية ومسلمين ومسيحيين ومشايخ وخوارنة ومجلسيين ومعارضة واستقلاليين
وغير حزبيين ، فكان المعتقل يمثل مرحلة الكفاح القائمة التي شملت عرب فلسطين
على اختلاف ميولهم وطبقاتهم " (٩٧) .

وكان بين الوجبة الاولى للمعتقلين الذين نفوا عن مناطق سكنهم الى عوجا
الحفير في سينا والتي اشتملت على الشباب من المناضلين مثل اكرم زعيتر وسليم
عبد الرحمن وفايز حداد ، كان من بينهم فخرى النشاشيبي وحسن صدقي الدجاني
من حزب الدفاع ، وصبرى عابدين من الحزب العربي (٩٨) .

وتعمل بعض المصادر الى ان عددا كبيرا من المعتقلين في عوجا الحفير
كان من حزب الدفاع وتقدرهم بانهم كانوا اكثر من ٩٠/٠ من مجمل المعتقلين (٩٩) .
ولعل هذا عائد بالدرجة الاولى الى دورهم في الاضراب .

وهنا نلاحظ ان اسوار المعتقل لم تحل دون المعتقلين والاحداث السياسية
في الخارج ، بل ارتفع صوتهم موحدا قويا فقد شكل المعتقلون في عوجا الحفير
لجنة قومية على غرار اللجان القومية خارج المعتقل (١٠٠) . كما ان المعتقلين في صرند
كانوا يصدرون البيانات السياسية باسم " المعتقلين في صرند " ومنها البيان
الذي اصدره ردا على المندوب السامي الذي دعا الفلاحين فيه الى
وقف الاضراب (١٠١) .

كما ان التقارير المكتوبة عن المعتقلين من مناضلي الحزب العربي تبين
مبررات او مسوغات هذا الاعتقال : فعلى سبيل المثال احد الاعضاء يعتقل لانه
يحمل افكارا متطرفة ويدعو الى استعمال القوة ضد الحكومة (١٠٢) كما ان عضوا

آخر يعتقل لانه " القى عدة خطابات سياسية في يافا " (١٠٣) .
كما انه ليس بلا مغزى ان نجد بعضهم كانت تهمته الاولى انتسابه للحزب
العربي ومشاركته به كمناضل فكثير من المناضلين يطلب اعتقالهم اما لانهم " ذوو
انحياز شديد للحسينيين " أو أنهم " ساهموا بشكل فعال في نشر ودعم سياسة
الحاج أمين الحسيني " (١٠٤) .
كما أن آخرين كانوا يلاحقون من قبل السلطات الى الدرجة التي كانوا
يضطرون معها الى ترك أعمالهم الحالية والبحث عن غيرها . فمحمد نمر عودة
(مجلسي ذو ميول شيوعية) " استقال من وظيفته بمدارس الحكومة الثانوية بعد
اطلاق النار على عز الدين القسام ، وفر بعدئذ من يافا حيث تم توظيفه كمدرس " .
ثم كان عليه بعد ذلك أن يقر للمرة الثانية " حيث لا يعلم شيء عن مكان
وجوده " (١٠٥) .
ولم يكن زعيم الحزب العربي ، المفتي ، ليستثنى من طلب الاعتقال وكان
الذي طالب باعتقاله هو المندوب السامي (١٠٦) الذي طالما أشاد بصداقة المفتي
له . وهذه قصة أخرى سنوضحها فيما سيأتي من فصول .

— ٤ —

الحزبان والمقاومة المسلحة

لم يلبث العصيان المدني أن تحول الى مقاومة مسلحة . وكانت بدايات هذا
التحول هي المجابهة المباشرة مع السلطة والهجوم على اليهود وحرق محصولاتهم
والتعرض لقوافلهم وقطع أسلاك وأعمدة التلغراف والقاء المتفجرات التي واجهها
الانجليز بأساليب قمع عنيفة واعلنوا قانون طوارئء مشددا غير الذي اعلن في بداية
الاضراب (١٠٧) . وقد تصاعدت أساليب المجابهة حتى تطورت الى مجابهة كاملة
و حرب عصابات حقيقية شنها العرب على سلطات الحكومة البريطانية .
وقد ارتبط تصعيد المقاومة ، حتى بلغت درجة المجابهة العسكرية ، بموقف
السلطات السليبي من المطالب العربية . فالى منتصف شهر مايو ، كان كل ما تمخض
عنه الاضراب وما صاحبه من مظاهرات ، هو اعلان مجلس العموم البريطاني أنه

سترسل لجنة ملكية الى فلسطين للتحقيق (١٠٨) . ومن هنا فقد تحقق المناضلون العرب انه لا بد من اسلوب آخر أكثر تأثيراً . ولعل في البيان التالي الذي أصدره الحرس الوطني ، الذراع العسكري ، للجان القومية (١٠٩) ما يدل دلالة واضحة على نفسية المناضل الفلسطيني ، والشعور بالمرارة تجاه الاهدال البريطاني لمطالبه وان الرد على هذا انما هو ليس في أقل من الحرب ، والثورة على اساليب الكفاح السابقة : " أيها الشعب الباسل :-

باسم الحرس الوطني نوجه اليك هذا النداء . فقد رأينا أن نغير اساليب كفاحنا قبل أن نطلب الى الانجليز تغيير سياستهم ووسائلنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، ووسيلتنا الان كفاح عملي شريف . . .

ايتها الامة سيرى في اضرايك العظيم الى النهاية ، الرجوع قتل لوطنيتنا ، انه انتحار ، مضيا الى أن تنال البلاد حقها ، واذا الانجليز استكبروا صمدنا لهم الى النهاية . فاما فلسطين عربية واما كل عربي شهيد " (١١٠) .

وسيرا على طريق تصعيد الكفاح الى المقاومة المسلحة عقد الجهاد المقدس اجتماعا في ١ مايو وانتهى باتخاذ القرار التالي :-

" وجوب التمرد والعصيان على الحكم البريطاني والقيام بثورة مسلحة عامة تستمر حتى النصر ، ويفوضون الاخ عبد القادر الحسيني ، ومكتب القيادة العامة للتنظيم في القدس اعلان بدء هذه الثورة في الظرف الى يرونة مناسبا " (١١١) .
كما أن فخرى الناشبي - ومعها ابراهيم الشنطي - خاطب العمال العرب في يافا وحرصهم على التصدي للجيش والبوليس البريطاني ، واخبرهم أن " فترة الاضراب قد انتهت وأن على أي انسان قادر على حمل أي شيء أن يذهب الى ساحة المعركة " (١١٢) .

كما أن جمال الحسيني استدعى عبد الله سمارة عضو الحزب العربي في طولكرم الى القدس ، واخبره أن على العرب أن يظهرُوا شجاعتهم وأضاف الى ذلك " ينبغي عليك أن تنظم العصابات . . . فانه اذا فقدت هذه الفرصة فان العرب سيفقدون أي فرصة لانجاح قضيتهم " (١١٣) .

وفي شهر يونيه أوعز المفتي للشيوخ المسلمين لاثارة مشاعر الجماهير ودعوتهم باسم الاسلام لكي يوءيدوا الثورة وان يلتحقوا بالثوار كما ان جريدة اللواء لسان حاله شجعت الثوار على الاستمرار في النضال " حتى يقضي الله أمرا

كان مفعولا " (١١٤) •

وبابتداء عمليات المجابهة العسكرية ساهم كل من الحزبين بدور معين • فابتداءً بحزب الدفاع نجد أن مساهمته لم تكن بصفته الحزبية بمقدار ما كانت جهوداً فردية قام بها الاعضاء بصفته الشخصية ، وعلى سوء ولياتهم الخاصة • ولو أنها على ما يظهر لم تجد معارضة من القيادة ، وربما لقيت تشجيعاً كما بدر من موقف فخري النشاشيبي الذي اشرنا اليه أعلاه • وعلى أية حال يظهر أيضاً أن راغب النشاشيبي كان يؤيد الاضراب كوسيلة في تحقيق المطالب العربية وليس الثورة المسلحة كما اشرنا أعلاه أيضاً إلا أن موقفه هذا لم يمنع عناصر الحزب وانصاره - الذين لم يستطيعوا ان يعزلوا أنفسهم عن التيار العام للمقاومة العربية - ان ينخرطوا في النضال المسلح في مواقع مختلفة •

فمنذ وقت مبكر من نشوء العصابات المسلحة نجد أن عائلة ارشيد القوية في منطقة جنين ، والتي كانت من العائلات المناصرة لحزب الدفاع تضم جهودها الى عصابة فخري عبد الهادي ، والتي وصل عددها الى ١٠٠ شخص ، وكان مسرح نشاطها سهل جزريل ، والتحقيق بها عدد من العصابات الصغيرة التابعة لهذه العائلة في قرى عرابه واللجون وقباطية (قضاء جنين) ودير شرف (قضاء نابلس) وكانت عصابة القرية الاخيرة تعمل أيضاً بإرشاد وتوجيه عائلة ارشيد (١١٥) •

وبنى القاوقجي في مذكراته على دور هذه العائلة أيضاً ويخص بالذكر مصطفى ارشيد ، ويميز بدور خاص تغطية انسحابه في ١٠ أكتوبر ، حيث كان قد حوَصر من قبل القوات البريطانية وأصبح مهدداً بتصفية قواته • فقد تعاونت عائلة ارشيد مع أهالي بلدة طوباس المجاورة لمعقل هذه العائلة ، في انقاذ القاوقجي من هذا المأزق العسكري (١١٦) •

وشبيه بدور آل ارشيد : دور عائلة طوقان في نابلس • فقد دعا سليمان طوقان أعيان نابلس واثرياءها للتبرع بسخاءً للثوار • كما أنه شخصياً زود الثوار بالمال والغذاء (١١٧) • كما أنه لقي عننا كبيراً من السلطات البريطانية بسبب سكوته على نشاط الثوار العسكري في منطقة نابلس ، وبعد اهانة وجهها اليه حاكم نابلس العسكري رد الوسام الرفيع الذي يحمله من الحكومة البريطانية ، للمندوب السامي (١١٨) •

ويمتدح القاوقجي الجهود الطيبة في مجال الثورة لرجل آخر من آل طوقان

وهو سعدى طوقان " الذي قدم للثورة والثوار أعمالا هامة ومعلومات مفيدة ومعاونات قيمة " (١١٩) .

أما جهود الحزب العربي في المقاومة العسكرية فتظهر في النواحي التالية :
١ - الحشد والتجنيد : بالإضافة الى تحريض الناس على الالتحاق بالثورة فإن المفتي تمكن من تجنيد المقاتلين من خارج البلاد ، ويبدو أنه كان هنالك رجال للمفتي مهمتهم تجنيد المتطوعين من خارج البلاد . وقد سافر بعض هؤلاء الى سوريا وطلبوا الى رفاقهم العرب أن يأتوا الى فلسطين ليشاركوا في معارك الثورة . وعندما كانوا يجتازون نهر الاردن كانوا يستجيبون لتعليمات القيادة المحلية - قيادة المفتي (١٢٠) .

ويشير تقرير للمندوب السامي انه يرجح أنه كان هنالك ضباط سوريون مثل سعيد العاص والشيخ محمد الأشمر ، وقد وصلا خلال أيلول نتيجة لجهود ومساعي المفتي (١٢١) . ولم يقتصر الامر على سوريا من هذه الناحية ، وإنما شمل ذلك أيضا العراق وشرق الاردن ولبنان . بل وجدت قطاعات وطنية بحالها ساهمت في العمل الثوري العسكري في فلسطين يذكرهم الغوري على النحو التالي :-

" أبطال حي الميدان وحي الشاغور في دمشق ، ونادى المشنى وأفراد من عصبة العمل القومي والحزب القومي السوري في لبنان كانوا في طليعة العاملين لثورة فلسطين والمتطوعين للقتال في سبيل الدفاع عن الاراضي المقدسة " (١٢٢) فضلا عن ذلك فقد شكلت في كل من بغداد ودمشق لجنتان للدفاع عن فلسطين ، يبدو أنهما لعبتا دورا ممتازا في الحض على التطوع على القتال في فلسطين . وكان للمفتي أصدقاء في اللجنتين . وإلى جهود لجنة الدفاع في بغداد والتي استجابت لدعوة المفتي يعزى الفضل في قيام حملة القاوقجي . " وكانت حملة القاوقجي من الحملات الموفقة التي تمت بمساعي الحاج أمين ومعين الماضي وعادل العظمة ومساعدته ياسين الهاشمي " (١٢٣) .

٢ - التمويل : يتواتر كثير من الأدلة على أن المفتي كان القيم الوحيد على أموال اللجنة العربية العليا ، ولجانها الفرعية . كما أن معظم الاموال كانت تذهب للثورة . (التوكيد للمؤلف) . فقد ذكر أحد التقارير السرية لدائرة التحقيقات الجنائية : " ان انفاق الاموال هو في يد المفتي ، الحاج أمين الحسيني ، رئيس اللجنة العربية العليا . وان اللجان القومية في مختلف المناطق تعمل تحت اشراف

اللجنة العربية العليا . ولكن كل التبرعات من داخل فلسطين وخارجها هي في يده وليس هنالك شك في أن ما يسمى أموال " الاغاثة والمنكوبين " تستخدم لدعم العصابات المسلحة من كل سبيل " (١٢٤) .

كما أن تقريراً يؤكد على نفس الدور ، ويبرز أهمية الموارد المالية في المحافظة على المقاومة المسلحة وبخاصة من ناحية شراء الاسلحة (١٢٥) .
ويبدو أن المفتي اتكأ أيضاً على أموال " صندوق الامة العربية " من أجل المجهود الحربي (١٢٦) .

وتشير بعض التقارير الى دور الكوادر المالية للمجلس الاسلامي الاعلى في جمع الاموال من أجل الثورة فعبد الله نمر من القدس ، يجمع ربيع عقارات الاوقاف ومع ذلك يطلب الى عرب القدس أن يمدوا الثورة المسلحة . وتصفه هذه التقارير بأنه " جامع نشيط لاموال تستخدم في أغراض ضد الحكومة " ويقوم بدور مشابه أيضاً طلال عابدين ، وصبري عابدين ، والشيخ صبحي خيزران ، من أقرب المقربين للمفتي (١٢٧) .

٣ - تنفيذ العمليات العسكرية : تقاسمت الاعمال العسكرية الثورية فثتان هما :

١ - الخلايا السرية للمقاومة في المدن .

٢ - العصابات في الجبال .

١ - الخلايا السرية للمقاومة في المدن : سبق الاشارة الى أن بعض عناصر اللجان القومية تحولت الى ممارسة دور في المقاومة السرية المسلحة ويبدو أنسب كان للحزب العربي ، وبشكل خاص جماعة المفتي دور كبير في النشاط السري لخلايا المقاومة السرية في القدس . ففي تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية تنسب اعمالاً " ارهابية " لعارف الجاعوني - الذي سبق الاشارة لدوره في اعلان الاضراب . وبعضى التقرير " لقد علمت بصورة موثقة أن منظم الارهاب والاعتقالات حول القدس كان عارف الجاعوني . وهنالك كل الاسباب التي تدعو للاعتقاد أن هذا الانسان لم يكن يعمل أي شيء بدون غض نظر من المفتي . بل انه في حقيقة الامر اتخذ لنفسه ومع عدد من الاخرين غير المرغوب فيهم مكاناً في الحرم الشريف خلال الاضطرابات " (١٢٨) .

ولقد مارس افراد هذه الخلايا السرية نشاطهم في دائرة أحاطت بالحرم الشريف مستفيدين من الابنية القديمة لمساجد القدس وكنائسها وابنياتها عموماً مع

أزقتها المعتمة . ففي مسافة تمتد من حائط المبكى الى باب الاسباط في الشمال الشرقي من الحرم ، وهي لا تزيد عن ثلاثة أرباع الكيلومتر طولاً ، ومكتظة بالسكان كانت تجرى عمليات هذه الخلايا (١٢٩) حيث كان من يقومون بها يخنفون بعدها بسهولة . كما يظهر أنها شملت مناطق أخرى في القدس وحولها . ففي أحد التقارير – والذي مثله مثل أي تقرير آخر لا يخلو من لهجة التحامل – إشارة الى دور هذه الخلايا على هذا الوجه : " لقد نلا الارهاب نشوب الثورة عام ١٩٣٦ ، بسرعة ، وقد أخذ شكل قتل اليهود ، وتسديد النار على المستوطنات اليهودية ، مما أصبح ملمحاً من ملامح الحالة في مقاطعة القدس " (١٣٠) ويقول الغوري أيضاً : " أما في داخل القدس فقط انطلقت فصائل المجاهدين وخلاياهم المخصصة للعمل داخل مدينة القدس تهاجم مراكز الشرطة والجيش وتشعل النار في دوائر الحكومة وتزرع الالغام في المناطق المحيطة وفي الاحياء اليهودية " (١٣١) .

وتصنف تقارير تجارت عن نشاطات هذه الخلايا الانحصاص الذين كانوا مستهدفين للتصفية الجسدية من قبلها ، والتي بلغ نشاطها ضدهم أقصاه في المرحلة الثانية من الثورة (١٩٣٧ – ١٩٣٨) ، بأنهم كانوا : رجال دائرة التحقيقات الجنائية من الانجليز والضباط العرب المتهمين بتعذيب السجناء السياسيين ، والعملاء العرب المتعاونين مع بريطانيا والمتعاطفين معها (١٣٢) .

٢ – العصابات في الجبال : يذهب الغوري ويوافق على وجه الاجمال السفري العصابات ، أن التي قامت بالجزء الأكبر من حرب المواجهة أو المقاومة المسلحة مع القوات البريطانية ، كانت تحت القيادة العامة لعبد القادر الحسيني (١٣٣) ويورد الغوري بعض التفاصيل التي تؤيد وجهة نظره فهو يعتبر القادة عبد الرحيم الحاج محمد وحسن سلامة ، وبعض القساميين من ضمن تنظيم الجهاد المقدس (١٣٤) .

ويقول أيضاً انهم كانوا يحضرون الاجتماعات السرية التي سبقت تفجير الثورة . وتزيد رواية الغوري على ذلك بأن زمام المبادرة في القتال على مستوى فلسطين جميعها ، كان بيد عبد القادر الحسيني ، وأنه هو الذي حدد ساعة الصفر للثورة في ١٧ مايو وأطلق أول رصاصة للثورة في بيت سوريك من أعمال القدس (١٣٥) .

وتتفق مع رواية الغوري هذه روايات أخرى تنسب للمفتي والحسينيين عموماً السيطرة على العصابات . فمالرو الذي أشرنا في السابق الى رأيه ، في أن المفتي كان يراهن على الثورة المسلحة ، وليس على الاضراب كوسيلة للمقاومة وتحقيسق

المطالب العربية (بعكس موقف النشاشيبيين المعتدل والذي راهن على الاضراب) يقول : " ان الثورة المسلحة في الجبال كانت الاهتمام الرئيسي للحاج أمين " ويضيف مالرو الى ذلك رآيه في أن اللجنة العربية العليا كانت تشرف على حملة العصيان المدني بينما من الناحية الاخرى " كانت الثورة توجه من قبل المفتي واتباعه . بل ان السيطرة على الثورة قد انتقلت كليا الى أيدي المفتي ، ورجاله الذين كانوا يعملون مستقلين عن اللجنة العربية العليا " (١٣٦) .

وتتشابه رواية سايكس مع رواية مالرو في سيطرة المفتي على المقاومة المسلحة فهو يقول " ان اللجنة العليا فقدت السيطرة منذ وقت مبكر ، ولكن كسل الشواهد تشير الى انه كان هناك تفاهم سري وثيق بين القاوقجي والمفتي ، ولقد ظهر أن هذا موجود في سياسة الثورة " (١٣٧) .

ويظهر أن تنظيم الجهاد المقدس لم يقتصر فقط على أنصار الحسينيين - اثناء الثورة - فلاكور يذكر أن الشيوعيين ضمو جهودهم لهذا التنظيم وعمل اثنان من الشيوعيين في منصبين حساسين من مناصب القيادة . فقد شغل محمد نمر عودة دورا كبيرا في مخابرات التنظيم . كما أن فؤاد نصار شغل نائب القائد العام (١٣٨) .

ويمكن أن نضيف الى هذه الروايات أو الشواهد التقارير التي أوردنا أمثلة عنها في السابق للتدليل على دور المفتي والحزب العربي في تدعيم الثورة بالجند (المتطوعة) ، والمال ، ولا تقتصر هذا التدعيم على فئة من العصابات دون أخرى .

ومن الناحية الاخرى ، هنالك بعض المراجع العربية والصهيونية التي تؤيد ان العصابات نبعت محليا ، واتخذ نشاطها شكلا محليا أيضا ، وان نشاطها هذا كان بمبادرة ذاتية من قادة العصابات ، وانهم اعتمدوا على الموارد المحلية في تغذية وتسليح وتمويل عصاباتهم . ونحن نجد أنه بينما يعزز صبحي ياسين رأى الفوري في اعلان الثورة في ١٦ مايو ١٩٣٦ ، إلا أنه لا يشير الى دور رئيسي للحسينيين ولكنه يركز على القسميين بصورة خاصة والشعب العربي في فلسطين وخارجها بصورة عامة (١٣٩) ويبين الكيالي ان الصدام المسلح بدأ في الاسبوع الاخير من ايار ، عندما اصطدم البوليس بالمتظاهرين في نابلس فقتل أربعة أشخاص وجرح سبعة . وعلى الاثر " توجه عدد من القرويين المسلحين الى طولكرم فاصطدموا بالبوليس

بالقرب من بلعه ، حيث جرح أربعة اشخاص بينهم امرأة كانت تحمل الماء للمقاتلين . وعند هذا الحد تحول الاضراب السلمي في لواء نابلس الى ثورة كاملة سافرة " (١٤٠) (التوكيد من قبل المؤلف) .

ويذهب بوراث الى أن العصابات نبعت محليا وأخذت طابعا مستقلا . ولا يوافق بوراث الغورى والسفرى في أن القيادة العامة كانت لعبد القادر الحسيني . ويرد على ذلك بقوله انه حتى عندما فكر قادة العصابات في الشمال بتكوين قيادة موحدة لهم لم يكن أحد من الجنوب من المشتركين فيها ، ويضيف الى ذلك قوله في صيف ١٩٣٦ كان فخرى عبد الهادى هو الشخصية الرئيسية في الثورة وليس عبد القادر الحسيني (١٤١) .

ولعل هذا التعارض في الروايات والشواهد بين الفئتين اللتين ذكرناهما ، يعود الى أن موقف المفتي من الثورة المسلحة اتسم بالفردية كما اتسم بالغموض المتعمد .

فالمفتي الذى اتسم تصرفاته دائما بالفردية كما سبق لنا القول لم يــــرد أن يشرك معه أعضاء اللجنة العربية العليا ، في الاشراف على هذه الثورة المسلحة . ولعل هذا ما زاد في غموض دوره الذى ارتبط به هو شخصيا . كما يظهر أيضا أن المفتي كان يعتمد اغراقه في السرية لعاملين أساسيين . العامل الاول : ظل المفتي حريصا على أن يلعب دورا مزدوجا ظاهره الاعتدال وباطنه التشدد وذلك بالنظر لمنصبه .

والعامل الثاني : هو تجنب الثورة ضربات الحكومة حتى تنمو وتنف على قدميها . ويرى مالرو أن المفتي تمكن من أن يقنع الحكومة " بأن تعتنق الفكرة القائلة ان الثورة في الجبال كانت ثانوية ، وانها مجرد نتيجة للاضراب (ومن هنا فان الحكومة) لم يظهر عليها أنها علمت يقينا أن الاضراب لم يكن أكثر من انعطاف في طريق الثورة قام بتمثيله المفتي ، من أجل أن يغطي تكوين جيش تائر وان يخلق ظروفًا ملائمة لتطويره " (١٤٢) .

ولعل مما زاد من هذا الغموض أن مشاركة المفتي لم يكن بنفس الايقاع طوال الوقت بل أنها اشتدت في اغسطس أكثر من أى وقت مضى كما سيأتي معنا . ومهما يكن من أمر فان كلا الموقفين السابقين اللذين تدور حولهما الروايات السابقة ليس صحيحا تماما . ومن دراسة هذه الروايات ومقابلتها بالوقائع الحقيقية

لمجريات الثورة نرجح النواحي التالية بالنسبة لعلاقة العصابات والثورة المسلحة عامة بالمفتي :

١ - ان المفتي كان له اشراف ودعم عامان أو ما يمكن أن نطلق عليه استراتيجية عامة في تبني الثورة المسلحة ، وذلك من مواقع متعددة : بصفته زعيما وطنيا ، من ناحية ، سبق له أن قام بتكوين التنظيمات العسكرية الطابع - جيش الجهاد المقدس والفتوة - ودعم بطريقة أو بأخرى تنظيم القسام ، كما أنه يعتبر الحل العسكري أنجح الحلول بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وأنه لا بد أن يصل بالثورة الى جميع أبعادها وأوسعها وهي الثورة المسلحة الكاملة . وبصفته أيضا رئيسا للجنة العربية العليا التي كانت تقف على قاعدة متطرفة هي اللجان القومية ويسارها المتشدد وهم الشباب ، وبصفته كذلك رئيسا للحزب العربي ذي القاعدة الجماهيرية بين الاحزاب ، والذي لم يكن تأثيره متوقفا على منطقة بعينها ، بل كان في كوادرجيش الجهاد المقدس الشعبية وخلاياه العسكرية وقياداته كما ذكرنا عناصر من جهات مختلفة من فلسطين . ومسع أن المفتي أحاط دوره هذا بشيء كثير من السرية والتكتم ، وهما صفتان كانتا جزءا من طبيعته ومحكما أيضا بصفته الرسمية ، فان الكثير من المصادر الحكومية والحسينية والمستقلة ، تؤيد مساهمة المفتي مساهمة كبيرة في الثورة تحريضا وتجنيدا وتمويلا كما بينا ، ولعل هذا ما جعل المصادر البريطانية تطلق عليه - ربما بعد أن تشكفت لها مساهمته بوضوح في آخر ايام الثورة - " العبقرية الشريفة للثورة " (١٤٣) . وليس بمستبعد على هذه الاسس التي ذكرنا من مساهمته أن يكون له نوع من الاشراف الفعلي أو الحقيقي على هذه العصابات .

٢ - ان طبيعة حرب العصابات وتكوينها تترك مجالا ليس قليلا للمبادرة الفردية وبرز القيادات المحلية وانبثاقها بصورة عفوية من مناطق مختلفة . فالتقارير البريطانية تفيد أن القادة الرئيسيين لعصابات الثورة مثل : فخرى عبد الهادي وعارف عبد الرزاق ، وفرحان السعدى ، وعارف الجاعوني ، ومنير الرئيس ، وعبد الله الاصبح ، وعبد الرحيم الحاج محمد انما كانوا يؤلفون افراد عصاباتهم من قراهم أو القرى المجاورة لهم (١٤٤) . ولعله من هنا جاءت الآراء التي تتبنى ان العصابات انبثقت بصورة عفوية مثلما يذهب بوراث والكيالي كما أشرنا أعلاه . ومن هنا على ما يظهر اختلفت صلة المفتي بهذه العصابات بحسب ظروف وخلفيات نشوء

كل منها . فبينما يبدو أن عصاية فخرى عبد الهادي اتكأت في بعض من فئاتها على الدفاعيين وانصارهم من آل ارشيد كما ذكرنا ، نجد أن عصابات أخرى تنسبها ، أو تنسب قياداتها ، بعض المصادر الى المفتي مثل عبد الرحيم الحاج محمد وحسن سلامة وعارف الجاعوني . كما أن بعض التقارير السرية الانجليزية وتتفق معها بعض المصادر العربية تفيد بأن صلة المفتي لم تكن مبتورة بالقاسميين الذين يركز على دورهم العظيم وعلى استقلالهم صحي ياسين (١٤٥) .

٣ - لا نستطيع أن نحكم على علاقة المفتي بهذه العصابات في وضع واحد ، أو وضع معين ثابت ، وإنما ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار أن علاقة المفتي بالعصابات كانت علاقة ديناميكية تطورت مع تطور هذه العصابات واتساع نشاطها ، وحاجة المفتي للاستفادة من نشاطها من أجل تحقيق الاهداف السياسية للثورة الفلسطينية عامة ، وقد بدا أن عناية المفتي بحرب العصابات بلغت أشدها ، عندما أراد احباط وساطة الامير عبد الله ، الذي عمل على انهاء الثورة ووقف الاضراب . كما أنه ليس بلا مغزى أيضا أن المفتي صعد من حرب العصابات من أجل الحصول على القرار السياسي المناسب ، أثناء وساطة نوري السعيد ، وما تلاها ، مما سنذكره بالتفصيل عن الحديث عن الوساطة العربية .

وعلى أية حال فإن العصابات لم تتطور لتصبح كما يصفها - هيرروتز - ذراع الحسينيين العسكري الا في الفترة الثانية من الثورة (١٩٣٧ - ١٩٣٩) (١٤٦) .
وخلاصة هذه الامور جميعا ان التزام المفتي بالثورة المسلحة كان التزاما كاملا ، ولو تعددت صور اشرافه من الناحية التنظيمية ، ومن حيث عمليات هذه العصابات - التي هي من صميم اختصاصها كعصابات - باختلاف الظروف والاحوال والتطور الزمني للثورة بابعادها السياسية والعسكرية بصورة عامة .

دور الحزبين في الحلبة العربية والدولية

كان من الطبيعي من أجل تحقيق الاهداف الاستراتيجية للثورة الفلسطينية ان يمد الفلسطينيون أيديهم الى أشقائهم العرب في البلاد العربية المجاورة . ولقد برز أثر هذا ظاهرا بما استطاع الفلسطينيون ان يحققوه من دعم عربي لثورتهم تنامي وتساعد مع تصاعد الثورة واشتداد عودها . يقول سايكس : " ان أعظم المظاهر جدية لهذه الانتفاضة (وهي الاعظم الان بين ما شوهد من الانتفاضات في القرن العشرين) هو أنها استمدت قوتها من الخارج ، وبدأت في اظهار علامات على انها ستصبح ثورة عامة عبر العالم الناطق بالعربية ، ضد الانتداب البريطاني (١٤٧) .

ويقول صبحي ياسين الذي يعزو نجاح اضراب فلسطين الى الاضطرابات التي وقعت في مصر لطرد الانجليز من وادي النيل والاضرابات المشابهة في سوريا (١٤٨) : " وكما تجاوب الشعب العربي في فلسطين فيما سبق مع الثورات العربية والتحريرية في الاقطار المجاورة ، تجاوب الشعب العربي في هذه الاقطار والى أقصى الحدود مع الشعب العربي في فلسطين " (١٤٩) . ويضرب أمثلة على هذا التجاوب بتظاهرات عمان في ٢٣ ابريل ١٩٣٦ ، كذلك اضراب المدن في سوريا ، واصدار الكتلة الوطنية بيانا تدعو فيه لجمع التبرعات لضحايا فلسطين . ومثلهما اضراب مدينة طرابلس الشام ، " الباسلة " واحتجاجها على سياسة الانجليز الهوجاء ، وصيدا ومعظم المدن العربية : دمشق وحلب وحمص وحماه وسائر مدن الاردن . كما اضربت بغداد والموصل عدة مرات . وقام الطلاب في مصر بمظاهرات صاحبة عديدة (١٥٠) .

ولقد سبق لنا الاشارة الى انه تكون في العواصم العربية مثل بغداد ودمشق وعمان وبيروت لجان محلية كان يطلق عليها لجان الدفاع ترجمت تعاونها مع الثورة الفلسطينية بمدىها بالمتطوعين والاموال .

ويهمنا هنا ان نستقصى دور كل من حزبينا في تغذية البعد العربي من أجل ان يتضامن العرب مع الثورة الفلسطينية . وهنا نلمس أن دور الحزبين برز ظاهرا

من خلال اللجنة العربية وذراعها اللجان القومية ، وقد استمر هذا الدور من خلال هذا المنطلق الذي كان مندوبو الحزب العربي - وبخاصة المفتي - والدفاع - وبخاصة راغب النشاشيبي - من أهم الشخصيات المؤثرة في تسيير شؤنها . الا أنه مع هذا يبرز للمفتي وأنصاره أو المقربين منه (من الحزب العربي) دور أكبر من أي دور آخر . ولقد شكل الانفتاح على العالمين العربي والاسلامي ما يشبه العقيدة لدى المفتي ، وذلك من أجل معادلة الخطرين الصهيوني والبريطاني ، يقول أحد التقارير الانجليزية المطولة عن المفتي والذي يحاول أن يستقصي ابعاد شخصية المفتي وسياسته على جميع الاصعدة ما نصه : " لقد كان الفضل لجهود المفتي في حمل البلاد العربية والاسلامية على الاهتمام بفلسطين ، وذلك لانه قد أدرك ادراكا تاما أن الفلسطينيين بدون دعم أبناء دينهم ، لن يكون باستطاعتهم ان يصمدوا للتأثير الصهيوني . فان نداءه الى البلاد الاسلامية والعربية للتصريح بالاموال لاصلاح مسجد عمر ، أتاح له الفرصة لتأسيس علاقات مع هذه البلاد . وسرعان ما أصبح الحاج أمين شخصية سياسية (ذات وزن) في البلاد العربية والاسلامية واعتبر بصورة عامة زعيم الفلسطينيين العرب " (١٥١) .

وشبه بهذا التقرير ، تقرير وصل الى وزارة الخارجية من سفير بريطانيا في العراق ، يعالج موضوع الدعم الذي لم يكن يتوقعه ذلك السفير للثورة الفلسطينية ويعزو ذلك الى سياسة المفتي . بل الى أنه ليس بلا مغزى أن نجد أن السفير البريطاني يعود ببداية الانفتاح العراقي على القضية الفلسطينية بصورة جديدة الى انعقاد المؤتمر الاسلامي في القدس عام ١٩٣١ ذلك المؤتمر الذي كان الفضل في انعقاده للمفتي بالدرجة الاولى قال السفير : " ففي خريف المؤتمر الاسلامي (المنعقد) في القدس ، والذي لم يكن مرتبطا ارتباطا مباشرا بالمسألة الصهيونية ، بدأت (عملية) احياء الاهتمام بوضع العرب في فلسطين . ولقد شارك في حضور هذا المؤتمر ثمانية من المندوبين العراقيين غير الرسميين ، والذين لقي عملهم دعاية واسعة في الصحافة العراقية . ولما لم ترافق وقائع المؤتمر حوادث ظاهرة فانه لم تستتبع ذلك اضطرابات وشغب في العراق " (١٥٢) .

وفضلا عن ذلك فان العلاقات الطيبة للمفتي بالزعامات والقيادات العربية وبوجه خاص منهم - من بينهم - زعماء الاحزاب والوطنيون البارزون ومحركو

الاعصاب الحساسة ، ومفاتيح الكتل الشعبية ، هذه العلاقات التي كانت احدى نقاط القوة في شخصية المفتي ، وظفت من أجل القضية الفلسطينية .
وواقع الامر ، ان المفتي بفضل ميوله الاصلية نحو القومية العربية ، والتي بدت واضحة في نشاطه منذ وقت مبكر في مصيره السياسي ، ورغبة منه أيضا في دور اكثر فاعلية ، تستثمر فيه الطاقات العربية ، كان شديد الحرص على تنمية صداقات سياسية تقوم على التعاون المشترك ، وتدعيم روح المناضلة والرفقة مع كثير من العرب النافذين ، في كل قطاع من قطاعات الحياة : السياسية ، المال الصحافة ، الجهد الشعبي الخ . ويظهر أن المفتي بما طبع عليه من حب السرية والكتمان كان يحرص أحيانا كثيرة على احاطة هذه العلاقات بالسرية والغموض ولعل ذلك من أجل دور يتميز بأنه أكثر تأثيرا وفاعلية .

ولقد أتيج لكاتب هذه السطور أن يستوضح هذا البعد في شخصية المفتي من احد شخصيات الحزب العربي وعضو مكتبته السياسي الاستاذ كامل الدجاني والسدي عايش المفتي فترة كافية عن كتب . فأجاب بأن المفتي كان حريصا على هذه الناحية ، وضرب مثلا على ذلك بالعلاقة بين المفتي والمجاهد السوري عادل العظمة ، فان العلاقة النضالية بينه والمفتي لم تشهر من قبل الدعاية ، كما أنه نجم عن التعاون والتفاهم العميق بين الطرفين خير كثير للقضية الفلسطينية والعربية عامة . وقد كانت هذه العلاقة تقوم على ايمان عميق بالقومية العربية التي تشكل القضية الفلسطينية رأس الحربة فيها " (١٥٣) .

كما استطاع كاتب هذه السطور أن يتتبع هذه الظاهرة حتى الكويت ، ذلك القطر العربي النائي ، والذي كان الاتصال به وهو الخاضع للحماية البريطانية ، يشكل صعوبة كبرى ، وهناك تعكن المفتي من ان يوجد عددا من المتعاطفين معه من أجل القضية الفلسطينية ، ومن بين هؤلاء يوسف النصف ويوسف الغانم وآخرون (١٥٤) وقياسا على هذا فان الاستاذ أحمد السقاف وهو مثقف كويتي يعمل حاليا موظفا كبيرا في وزارة الخارجية ، أطلع المؤلف على رسائل تلقاها من المفتي يدعوه فيها للكتابة عن القضية الفلسطينية ، بما تستحقه ، في عام ١٩٤٨ (١٥٥) .
وخلاصة القول أن المفتي كان له مراكز ثقله ، في العالمين العربي والاسلامي التي كان يحركها في الوقت المناسب من أجل القضية الفلسطينية . ولقد بدا هذا واضحا خلال الثورة . فلقد أرسل المفتي برسله ورسائله الى كل مكان في العالم

العربي والاسلامي ، تضرب أمثلة عليها بما يأتي :-

فقد أرسل المفتي برسائله الى محرري الصحافة المصرية واصفا لهم " الارهاب اليهودي " و " اللؤم الانجليزي " وطلب اليهم دعم " الابطال القوميين " الذين يتضورون جوعا . كما أنه أرسل رسلا خاصين لمخاطبة الرأي العام المصري من أجل دعم القضية الفلسطينية (١٥٦) .

ولقد لعب أميل الغوري السكرتير العام للحزب العربي أثناء الثورة دورا بارزا في هذا الشأن يتحدث عنه في مذكراته فيقول " اجتمعت خلال اقامتي في القاهرة بالعديدين من العلماء ورجال الدين وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب ، والصحفيين ورجال الحكم وغيرهم ، وباحثتهم بشأن قضية فلسطين وأهميتها بالنسبة للعرب والمسلمين وقد لقيت منهم تجاوبا صحيحا وتشجيعا أكيدا ، لا سيما من العلماء ورجال الازهر الشريف والمعنيين بالشؤون الاسلامية " (١٥٧) . ويوضح الغوري دور كل من الاحزاب والهيئات السياسية في مصر : " ان رجال حزب الوفد المصري (أكبر الاحزاب السياسية في مصر) كانوا أقل اهتماما بقضية فلسطين وعظفا على أهلها من رجال حزب الاحرار الدستوريين ، في حين كان حزب مصر الفتاة وجماعة الاخوان المسلمين (وكانت في بدء نشأتها) وجمعيات الشبان المسلمين ، أشد المصريين تحسبا بقضية فلسطين وتفهما لها " (١٥٨) . ومع ذلك فانه يذكر أن هنالك عددا وافرا من زعماء الاحزاب المصرية ورجالاتها كانوا على خلاف مع أحزابهم كمجموعة ، وكانوا حريصين على تأييد قضية فلسطين . ولعل تعليل موقف حزب الوفد المصري الفاتر في هذه الفترة من القضية

الفلسطينية عائد الى أنه كان يفاوض بريطانيا من أجل عقد معاهدة ١٩٣٦ (معاهدة النحاس - لامسون) ومهما يكن من أمر ، فإن الغوري يشيد بدور الصحافة المصرية من القضية الفلسطينية ، وبصورة خاصة كوكب الشرق ، والبلاغ ومصر الفتاة والمقطم (١٥٩) .

الا أنه - على ما يظهر - كانت أكثر الصحف تعاطفا وحماسا مع القضية الفلسطينية هي الصحف ذات الاتجاه العربي والتي كان أصحابها يعودون في أصلهم الى بلاد الشام . مثل أسعد داغر " وهو من أصدق رجال الحركة العربية " وخير الدين الزركلي وحبیب جاماتي وموريس أرقش وعبد العزيز الحلبي وصبحي الشوربجي ويعقوب خوري وغيرهم (١٦٠) .

وتحدثنا التقارير السرية المرسلة من بغداد الى لندن أثناء الثورة أن المفتي والحزب العربي كان لهم دور في بغداد ، مشابه لذلك الذي كان في مصر ، أو لعل المردود السياسي كان هنا أفضل . ويتحدث تقرير للمندوب السامي البريطاني في العراق عن دور كبير لامييل الغورى نفسه الذى يصفه بأنه " رجل الدعاية العربي " . وقد تمثل هذا الدور بأن الغورى " زار بغداد حيث أقام صلات وطيدة مع الدوائر السياسية " (١٦١) وعلى أثر هذه الزيارة زار فلسطين جماعات من الاعيان العراقيين والسياسيين والطلبة ، وفي الحفلات التي اقيمت على شرفهم تكررت المناسبات التي أبدوا فيها تعهد رجال بلادهم للعرب في فلسطين للمؤازرة في نضالهم (١٦٢) . ولم يمض كبير وقت حتى عقد اجتماع عام في " الجمعية القومية الرئيسية " نادى المثنى حيث تقرر السماح لعرب فلسطين بالانساب اليه ، كما بحثت خطط من أجل مقاطعة البضائع اليهودية ، واضراب يوم واحد تعاطفا مع الفلسطينيين (١٦٣) .

وقد استجابت الصحافة العراقية بحماس كبير أيضا . واصدرت صحف " الاستقلال " و " البلاد " و " صوت الشعب " اعدادا في يوم ٢٢ مايو ١٩٣٦ ، يوم الاضراب من أجل فلسطين ، مجلة بالسواد واحتوت على مقالات افتتاحية وأعمدة مختلفة عن الحالة في فلسطين " واعتبر يوم الاضراب أيضا يوم حداد على شهداء فلسطين (١٦٤) .

ويظهر أن جهود المفتي لم تقتصر على ايقاد الغورى فقط الى بغداد بل لقد أرسلت اللجنة العربية العليا أيضا بعض الشخصيات الفلسطينية الاخرى مثل معين الماضي وسليم عبد الرحمن ، الى بغداد ، والذين لعبوا دورا جيدا في تكتيل الناس حول القضية الفلسطينية ، ونجحا في عقد عدد من الاجتماعات العامة ، والتحريض على المظاهرات ، وطبع المنشورات والقيام بجمع التبرعات . كما كان لوجودهما في بغداد أثر كبير في تأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين في العراق والتي تحدثنا عن أثرها في قيام حملة القاوقجي بالتعاون مع المفتي ومعين الماضي وغيرهما (١٦٥) .

ويبدو أن الاثر الفلسطيني في العراق بلغ حدا ، جعل ياسين الهاشمي يقول للسفير البريطاني ، ان العلاقات الحسنة بين العراق وبريطانيا ، ستأثر اذا سمح للاوضاع الحالية في فلسطين أن تستمر على ما هي عليه (١٦٦) .

كان ذلك على الصعيد العربي والاسلامي . أما على الصعيد الاوروبي وبالذات البريطاني ، فنجد أن اللجنة العربية العليا قد انتدبت رسلها للعمل السياسي والدعائي هناك ، مفيدة مما ولدته الثورة على أرض فلسطين من تحول نسبي في الرأي العام البريطاني . ويتحدث الغوري - الذي يبدو أنه كان له دور نشيط في هذا المجال - عن الروح التي استقبل بها في بريطانيا - مقارنا اياها بما كان قبل الثورة - كما يروى أن عددا كبيرا من كبار الشخصيات الانجليزية من اللوردات ورجال مجلس العموم والصحفيين أبدوا تعاطفا واضحا مع القضية العربية في فلسطين (١٦٧) . ولعل أهم ما يقوله الغوري انه هو شخصا كان يترجم عن الثورة الفلسطينية ، ويتحدث باسمها ، وانه كان مرتبطا ارتباطا عضويا بقيادة الثورة السياسية والعسكرية ، ويحاول أن يستثمر أحداث الثورة من أجل كسب الرأي العام لها : " وكنت على اتصال مستمر بالزعامة الفلسطينية ، أتلقى منها الانباء والتعليقات والبيانات . . . وكنت على صلة وثيقة بقيادة الجهاد المقدس ، وبصورة خاصة بعد الفادر الحسيني ، الذي كان يوافيني باستمرار ، رغم انشغاله ، بقيادة الكفاح ، بكل أنباء الثورة ، وبأمور وحقائق كان يرى ضرورة اطلاعي عليها " (١٦٨) .

ولم يلبث أن لحق بالغوري وفد آخر مكون من جمال الحسيني وشلي الجمل وعزت طنوس ، الذين أجروا اتصالات رسمية مع الحكومة البريطانية ، بقصد الحصول على مقابل سياسي لكفاح الفلسطينيين على أرض الوطن ، وكان هذا أول وفد عربي يصل الى بريطانيا ، للقيام بمهمة سياسية ، بعد الغاء فكرة ارسال الوفد الاول ، بسبب اندلاع الثورة .

عقد الاجتماع الاول بين الوفد - وقد انضم اليه الغوري - ووزير المستعمرات البريطاني في ٩ يولييه ١٩٣٦ . وقد رفض جمال الحسيني في هذا الاجتماع اصرار الحكومة البريطانية على ارسال لجنة ملكية للتحقيق من أجل معالجة الظلمات العربية . وقد بنى رفضه على " ان لجانا حكومية كثيرة اعترفت بضرورة تأمين أو ضمان القضية العربية ، ولكن لم يتم شيء من الناحية الفعلية " (١٦٩) . واقترح كبديل لذلك ، ومن أجل اجراء جدي للقضاء على المخاوف العربية ، ليس القوة ، ولكن مبادرة حسن نية " (١٧٠) وكانت المبادرة الحسنة من وجهة نظر جمال الحسيني وقف الهجرة . كما فعل سابقا كل من هيربرت

صموئيل والسيد تشانسلور لا سيما وقد اشيعت البلاد " وحتى على اساس اقتصادي فان هنالك سببا وجيها لايقاف الهجرة " (١٧١) .

وقد ردّ وزير المستعمرات على ذلك بأن علق وقف الهجرة على اخلاص العرب للهدوء والسكينة ومع ذلك فلم يجزم بأن الهجرة ستتوقف حتما : " الى أن يستعاد النظام فان الهجرة الحكومية من الممكن ومن غير الممكن أن تلغى خلال تحريات اللجنة الملكية " (١٧٢) .

وهكذا فان الوفد فشل في تحقيق أي هدف سياسي . بل جوبه تساهله النسبي - بالقبول بوقف الهجرة فقط - بالتشدد البريطاني ، كما قوبل من قبل مطلب مماثل على أرض الوطن ، وكان سببا في تصعيد الثورة . ويستوقفنا هنا : أن هذا الوفد كان آخر وفد مكون من الفلسطينيين فقط يذهب الى بريطانيا للتفاوض عن عرب فلسطين . . . ومن الان فصاعدا سيدخل العرب أو الحكام العرب طرفا في القضية الفلسطينية ، ولعل البريطانيين آثروا التعامل مع هؤلاء الحكام ، على أن يتعاملوا مع الفلسطينيين مباشرة ، الامر الذي لم يفد منه لا بريطانيا ولا الحكام العرب ، كما لم يفد منه الفلسطينيون بطبيعة الحال . نقول اليزابيث مونرو معقبة على هذا الموقف البريطاني ، وبكثير من المرارة : " لقد بدأت الثورة العربية في عام ١٩٣٦ باضراب . وأرهب هذا النمط من المقاومة الدول العربية المجاورة ، فأسرع ملوكهم بالتدخل . . . ولقى هذا التصرف الذي يطيه التضامن ، ترحيبا من بريطانيا كمظهر من مظاهر الوحدة الانجلو عربية ، وهو انطباع بدا أنه ليس مخطئا تماما في بداية الامر ، ولكن هذا الانطباع أصبح بعيدا جدا عن الصحة ، عندما طعن الملوك والباشوات المخلصون لبريطانيا بعد سنوات طويلة متأخرة " (١٧٣)

الحزبان والوساطة العربية

بدأت جهود الوساطة العربية بين عرب فلسطين وبريطانيا منذ وقت مبكر في تاريخ الثورة . وقد أخذت هذه الوساطة في مراحلها الاولى شكل التعاطف والاستجابة للنداء الفلسطيني الذي أصدرته اللجنة العربية ، بعد تكوينها مباشرة ودعت فيه ملوك وأمراء العرب وزعماء المسلمين والهيئات في جميع الاقطار للمؤازرة (١٧٤) . كما أن الحاج أمين أرسل بقرقيات استغاثة الى جميع ملوك وأمراء العالم الاسلامي (١٧٥) .

وكان اول الملبيين او المستجيبين من الحكام العرب هو ابن سعود الذي أرسل بمستشاره الشيخ يوسف ياسين الى السفير البريطاني في حدة يطلب اليه بأخذ موضوع الفلسطينيين بعين الاعتبار الا ان هذه الجهود لم تنجح ونصحت السعودية بعدم التدخل (١٧٦) .

وكانت الاستجابة الثانية من قبل الامير عبد الله ، الذي لم يكن نداء اللجنة العربية هو السبب الوحيد وراء استجابته فالامير عبد الله الذي كان دائما وراء مشروع سوريا الكبرى من اجل توسيع سلطانه (١٧٧) وجد في الدعوة الفلسطينية فرصة ذهبية ينبغي اهتبالها من اجل ان يصنع السلام على ارض فلسطين ، فيفوز بنصيب الاسد . كما تكشف المادة المصدرية لهذه الفترة ان هذه المبادرة - وكما سيتضح معنا في ما سياتي - لم تكن بمنأى عن تأثير السلطات البريطانية في فلسطين على الامير عبد الله . ولعل الوكالة اليهودية لم تكن تقل عن السلطات البريطانية اهتماما بحفز الامير على التدخل ، واثارة مظامعه في فلسطين . يذكر بوارث اعتمادا على المصادر الصهيونية ان شرتوك (شاريت) مسؤول الشؤون الخارجية في الوكالة اليهودية ، أرسل رسالة الى عبد الله ، ابدى فيها استعداد الوكالة اليهودية للاعتراف بالامير رئيسا لعرب فلسطين ، كما انه اشترط من اجل ايجاد حل للثورة في فلسطين على ان يكون الاتفاق ثلاثيا : عربيا يهوديا ، انجليزيا وليس عربيا انجليزيا فقط (١٧٨) .

كانت اولى مبادرات الامير في جهود الوساطة ان دعا وفدا من اللجنة العربية لزيارة قصر رغدان في عمان ، في ١ مايو ١٩٣٦ ، حيث نصحهم

بوقف الاضراب وارسال وفد الى لندن . وهنا أخبر الوفد الامير أن الحد الادنى لمطالبهم هو وقف الهجرة مؤقتا ، من أجل أن يوافقوا على وقف الاضراب (١٧٩) وقد جاء سفر الوفد الثاني الى عمان والذي تكون من جمال الحسيني وعوني عبد الهادي على أثر اعلان وزارة المستعمرات البريطانية بتاريخ ١٤ مايو ١٩٣٦ ، أنه لن يكون هنالك وقف للهجرة ، وان بريطانيا سترسل بلجنة تحقيق . وقد طالب الحسيني وعبد الهادي بأن يتدخل الامير من أجل أن تعدل الحكومة البريطانية عن موقفها ، وتوقف الهجرة ، ويظهر ان عبد الله حاول جهده مع المقيم البريطاني في عمان ، ومع واكهوب في فلسطين ، وكتب للاخير رسالة يشعر فيها أن الوفد الفلسطيني " مكره اخاك لا بطل " وقال في رسالته " لقد تأكد لي يا صاحب الفخامة أن الوفد مملوك غير مالك ، متصرف به غير متصرف بقيادة البلاد كما كانت الحالة قبلا ، وتصل بعضهم كتب تهديد فيما اذا ضعفوا ولم يقوموا بما عليهم في خدمة الشعب " (١٨٠) ولكن هذه الجهود من قبل عبد الله لم تفلح أيضا (١٨١) .

تلت جهود الامير عبد الله في الوساطة ، جهود معاملة لنوري السعيد . وقد جاءت جهود نوري السعيد تنفيذا للاستراتيجية العراقية ، التي قامت على ايجاد اتحاد فدرالي للدول العربية والسماح لليهود بوطن صغير **enclave** ضمن هذا الاتحاد ، والتي على ما يظهر كانت امتدادا لسياسة فيصل الاول . كتب السفير البريطاني في بغداد موضحا هذا المنطلق يقول :-

" لقد كان الملك فيصل راعي الثورة الهاشمية منذ البداية راغبا في احتواء الوطن القومي اليهودي ، كما وى صغير ذي امتيازات معينة ، ضمن الامبراطورية التي كان يأمل أن يراها موحدة تحت أسرته " (١٨٢) .

ولقد عزز الاتجاه العراقي في الوساطة أيضا ، ما أصبح للعراق من مصالح اقتصادية في فلسطين ، وبخاصة بعد مد خط أنابيب البترول من كركوك الى حيفا ، يضاف الى ذلك رغبة العراق في أن يكون لها رثة تتنفس بها على البحر الابيض المتوسط (١٨٣) .

ابتدأ نوري السعيد وساطته في ٩ يونيو وكان محل هذه الوساطة واي زمن . وكان مكان اللقاء بين الطرفين في لندن . وقد أبدى نوري السعيد استعدادة للقيام بتنازلات مجزية لليهود ، ضمن اتحاد فدرالي للدول العربية مقابل موافقتهم على

وقف الهجرة (١٨٤) . ويبدو أن وايزمن لمح بالموافقة على وقف الهجرة لمدة سنة ولكنه عاد فتراجع عن موقفه هذا . فعندما طلب واكهوب المندوب السامي من وزير المستعمرات ان يؤكد هذه الموافقة من قبل وايزمن ، رفض هذا الاخير رفضا حادا (١٨٥) .

وبانتهاج جهود نوري السعيد في الوساطة برزت جهود جديدة لابن سعود مدفوعا بمجابهة مشاريع نوري السعيد في الاتحاد العربي من ناحية ، ومستجيبا لرغبة بريطانيا في التدخل السعودي بالمشكلة الفلسطينية ، من ناحية اخرى . وبالنسبة لهذه الناحية الثانية فان وضع بريطانيا السيئ الذي نجم عن احتلال بريطانيا للحيشة ، واستمرار حملة الدعاية عليها من محطة ايطاليا باري ، وتساعد عمليات الثورة في فلسطين مما آذن بتدخل نفوذها في الدول العربية . كل هذه العوامل حدثت ببريطانيا لتغيير موقفها ، وبدلان عدم الترحيب بالتدخل السعودي ، كما حصل في السابق ، بات البريطانيون راغبين في التدخل . ففي ٢٠ يونيو وزعت وزارة الخارجية مذكرة الى مجلس الوزراء تشير الى الضرورة الملحة للوصول الى اتفاق مع الفلسطينيين ، واهمية اصدقاء وحلفاء بريطانيا ، السعودية واليمن والعراق في تحقيق هذا الاتفاق . كما لمحت هذه المذكرة الى انه ينبغي ان يتم الاتفاق بوقف الهجرة (١٨٦) .

وتدل وثيقة اخرى مؤرخة في ٧ يوليه على ان وزارة الخارجية ذهبت الى المدى الذي نادت فيه بالسماح بالوساطات من الدول العربية ، للتقدم من اللجنة العربية العليا ، بعرض وقف الهجرة ، من اجل ان يقبل العرب بوقف الاضطرابات (١٨٧) .

وقد جاء في مذكرات بن غوريون (وهي في الغالب تستند على وثائق رسمية) ان الحكومة البريطانية كتبت الى ابن سعود " اذا كان يستطيع ان ينجح في التأثير على عرب فلسطين لكي ينهوا الاضطرابات فانه بهذا لايسدئخدمة الى حكومة جلالته فقط ، وانما ايضا الى الفلسطينيين العرب أنفسهم " (١٨٨) .

وقد وضحت استجابة ابن سعود للتأثير البريطاني عندما أرسل رسالة الى الامير عبد الله بتاريخ ١٣ يونيو جاء فيها : " هل توافقون سموكم على التقدم لتوجيه نداء عام نشترك فيه مع سموكم وجلالة الاخوين الملك غازي والامام يحيى ، ندعو فيه أهل فلسطين لسوقيف الاضراب ، ليفسحوا المجال للحكومة البريطانية

لإنصافهم في جو هادئ " (١٨٩) ومع هذا فإن الجهود السعودية لم تغلح في جعل الفلسطينيين يقبلون بوقف الاضراب ، وذلك لأنهم أصروا على موقفهم في طلب وقف الهجرة ، الأمر الذي لم تستطع وزارة الخارجية - على ما يظهر - أن تقنع به أوساط الحكومة البريطانية ، وبصورة خاصة وزارة المستعمرات . فقد كان أورمسي غور - ذو الميول الصهيونية - طوال الوقت وراء الإصرار على وقف الاضراب بدون شروط مسبقة . ومن هنا فقد جرى اعلام السفير السعودي في لندن بأنه " ما لم توقف الاضطرابات فإن الحكومة ليست مستعدة لان تقوم بأى اعلان عن الهجرة " (١٩٠) .

وهكذا بدا أن جهود الوساطة وصلت الى طريق مغلقة ، وكان ينبغي أن تقطع . ولكن الذي حصل كان على عكس ذلك . فقد تجددت جهود الوساطة على يد الامير عبد الله بشكل أشد ، وأكثر كثافة من المرات السابقة . وتحمل جهود الامير عبد الله وبشكل خاص خلال الجزء الأول من شهر آب أهمية خاصة للعوامل التالية :

١ - كانت أول مبادرة يطلب فيها الامير عبد الله من اللجنة العربية القبول بأن يلقى الفلسطينيون السلاح بدون مقابل ، ولو لحد أدنى ، وهو وقف الهجرة .

٢ - اخذت هذه المبادرة طابع الالاح والضغط . ويظهر ان صفة الضغط والالاح جاءت من تدخل الصهيونية والانجليز معا . فقبل هذه المبادرة اتصلت الوكالة اليهودية بعبد الله وطلبت اليه توظيف حكمته واعتداله من أجل التوسط بين اللجنة العربية والحكومة (١٩١) . وتضيف مصادر البوليس الى ذلك أن الامير الذي كان " يفكر ببيع أراضيه لليهود " أرسل بمبعوثه محمد بك الانسى الى فلسطين تحت مظلة الوساطة " وكان هذا الرجل نشيطا بوجه خاص خلال المفاوضات التي جرت في وقت مبكر من هذا الشهر (آب) لقد كان من أهم مبعوثي الامير عبد الله ، ولكن مما لا شك فيه أنه في نفس الوقت كان على اتصال باليهود وكان يتلقى النقود منهم " (١٩٢) .

كما أن واكهوب رغب الى عبد الله بالتدخل ، أو التوسط ، وكعادة الانجليز بالتلويح بوقف الهجرة من دون التنفيذ ، جعل واكهوب عبد الله يفهم أن بعض

الخطوات ستتخذ بشأن وقف الهجرة بعد وقف القتال (١٩٣) .

٣ - لم يحاول الامير عبد الله من خلال هذه المبادرة ان يتعامل مع اللجنة العربية والفلسطينيين عامة ككتلة واحدة ، أو كصف واحد ، بل حاول أن يلعب على الخصومات الكامنة وتفجيرها في وقت كان فيه الفلسطينيون أحوج ما يكونون لوحدة الجبهة الوطنية . فعلى أثر اجتماع الامير باللجنة العربية في يوم ٥ آب . - وهذا الاجتماع وما ترتب عليه من نتائج موثقة توثيقاً جيداً مما يساعد على دراسته - بدأ أن اللجنة العربية قد جرى فيها انشقاق . فقد مال راغب النشاشيبي الى صف الامير عبد الله ، بينما كان الحسينيون والاستقلاليون في منتهى السخط على طلب عبد الله وقف الاضراب والثورة (١٩٤) .

ولم يكتف الامير بايقاع الشقاق في صف اللجنة العربية بل انسحب هذا على بعض القطاعات الاخرى في الجبهة الفلسطينية . فقد ذكر تقريره للبوليس ما نصه " الامير مصر على محاولته التأثير على مختلف أعضاء اللجنة العليا والوطنيين والسياسيين الاخرين ، من أجل أن يساعدوا في اعادة النظام في البلاد لدرجة تسمح بحضور اللجنة الملكية " (١٩٥) .

وكتب المندوب السامي في تقريره لوزير المستعمرات مركزاً على دور عبد الله في خلق صراع داخل المعسكر الفلسطيني يقول : " لقد نجح الامير في خلق نواة من الاعتدال ، ولقد وعد بصورة مؤكدة بالتأييد من جرائد فلسطين والدفاع والجامعة الاسلامية " (١٩٦) .

وليس بلا مغزى ان فلسطين كتبت على اثر مبادرة عبد الله تقول : " الامير في الواقع هو خير من يعهد اليه بأمر الوساطة بين العرب والحكومة ، فسموه من أحذب الناس على قضية العرب ، وأحرصهم عليها وأعلمهم بدقائقها " وأضافت ملمحة الى المفتي " وهو من الناحية الاخرى مرموق المكانة عند السلطات البريطانية ، بعيد الصيت في انجلترا ، حائز لاحتزام الانجليز ورجال الحكم ، يتبسطون مع سموه بما لا يجيزون التبسط به مع غيره ، بسبب سمو رتبته بين العرب وولاته الشخصية المعروفة بالعائلة المالكة " (١٩٧) .

ومهما يكن من أمر فقد كان رد فعل المفتي ومعه مناهضو مبادرة الامير من اللجنة العربية والقطاع الاكبر من الفلسطينيين ، ممثلاً باللجان القومية ورجال

العصابات ومختلف الاحزاب - ما عدا حزب الدفاع ممثلا براغب وبعض الاعيان -
ردًا عنيفا .

ومن أجل أن نفهم رد الفعل هذا من المفتي لا بد أن ندرسه في ظل

حقيقتين أساسيتين :-

١ - أن المفتي كان يراهن على الثورة كوسيلة فعالة للحصول على الاستقلال (١٩٨)

وما القبول بالهجرة الا أولى البوادر في طريق الحل وليس آخرها .

٢ - أن المفتي شعر من خلال ضغوط الامير عبد الله هذه المرة أنه - أي المفتي

هو المستهدف شخصيا أكثر من غيره فقد أحس أن هنالك حلا سيفوز به عبد

الله على حسابه " لقد تكونت لدى المفتي القناعة ان هنالك حلا معيننا

للمشكلة التراهنة ، تم بحثه وانه لم يكن المحرك الاول لهذا الحل ، الذي

لو كتب له النجاح فانه مما لا شك سيؤثر على مكانته باعتباره الشخصية

الاولى من حيث الاهمية " (١٩٩) .

تمثل رد فعل المفتي على مبادرة عبد الله بالتالي :-

١ - في مفاوضاته مع الامير رفض وعود الامير الطيبة بأنه سيكون هنالك وقف

للهجرة وافراج عن المسجونين السياسيين ، بل طالب بضمانات سابقة

ومكتوبة من قبل الحكومة (٢٠٠) .

٢ - لم يلبث المفتي بعد أن عاد الى القدس من عمان أن كتب الى عمان رسالة

تديدة اللهجة وقعها عدد من أعضاء اللجنة (٢٠١) ، ويظهر أنهم طلبوا

فيها من الامير أن يرفع يده عن المشكلة الفلسطينية " وان يكون الاتصال

بينها (أي الحكومة) وبينهم مباشرة اذ لا علاقة له هو بالموضوع " (٢٠٢)

٣ - صعد المفتي من أعمال العصيان والاضطرابات . فقد أفادت التقارير أن

النتيجة السريعة لمبادرة عبد الله " كانت الانفجار العاجل للاضطرابات في

طول البلاد وعرضها وقد قامت جهود أكيدة لجعل حيفا تضرب اضرابا

عاما " (٢٠٣) .

٤ - صعد المفتي وانصاره من العمليات العسكرية للعصابات وربما بلغت أعمالها

حدا لم يسبق لها أن بلغت ، في هذه الفترة ، وعلى أثر مبادرة عمان .

" فقد نشطت العصابات المسلحة في الجبال وبصورة خاصة في قضاء نابلس

الذي تبعه طبرية وصفد وبيسان وأماكن أخرى " (٢٠٤) .

كما أن الثورة لقيت في هذه الايام دعما واضحا من وراء الحدود . فالنجدات العربية للثورة الفلسطينية والتي سبق لنا الاشارة اليها عند حديثنا عن جهود المقاومة المسلحة للحزب العربي بلغت أشد كثافتها في هذه الفترة . فقد وصل الى فلسطين في هذه الفترة تعزيزات من الثوار من كل من سوريا والاردن والعراق " هنالك تقارير من البلاد المحيطة (بفلسطين) تشير الى أن هنالك عددا من الثوريين السوريين قد عبروا الحدود الى فلسطين ، ومعهم بعض التابعين ، وهم مسلحون تسليحا كاملا ، وهدفهم أن يلتحقوا بالعصابات في الجبال . كما أن هنالك عددا قليلا يعتقد أنه عبر من شرق الاردن . فعلى سبيل المثال ، فوزى القاوقجي وهو ثوري سوري الاصل ، والذي قد استقال من عمله في الجيش العراقي . . " ولقد أضاف التقرير " لقد أصبح وجود غير الفلسطينيين بين عدد من العصابات المسلحة في الفترة الاخيرة واضحا " (٢٠٥) .

٥ - عمل المفتي مع العناصر الثورية على معادلة الجهود المحلية لاعداء استمرار الثورة. فقد شهدت فترة تصاعد عمليات الاضطرابات مقاومة شديدة للعناصر المعتدلة ففي هذه الفترة تعرض عدد من مؤيدي وقف الثورة ، بفعل تأثير مبادرة الامير عبد الله ، الى محاولة العدوان الجسدي أو النصفية الجسدية . فأحد التقارير يؤكد " ان الخبر عن ابعاد سليمان طوقان من الطريق خير صحيح " (١٠٦) . كما أن عيسى العيسى الذي تولى الترويج لوساطة الامير عبد الله في صحيفته تعرض لعدوان جسدي عليه (٢٠٧) . كما قتل رئيس بلدية الخليل وربما كان ينتمي الى المعتدلين " (٢٠٨) .

ولعل هذا الموقف المتشدد نحو انصار الاعتدال ، هو الذي جعل جهودهم تنحسر ، ويحشرون في زاوية ضيقة . فقد ذكر أحد التقارير يصف الاثار التي ترتبت على المبادرة يقول " ليس هنالك أية مدعاة للتفاؤل ، لا سيما وان هذه اشارات على أن الحزب المنشق (النشاشيبيون) سيجد نفسا مضطرا الى مفاشة دعاة استمرار الاضراب ، وما سترتب عليه من نتائج متفاوتة ، كما أن هنالك احتمالا قويا أن كثيرا من موظفي الحكومة سيضطرون للاحتجاب عن تأدية واجباتهم العادية " (٢٠٩) .

٦ - لم تقف جهود احباط مبادرة عبد الله عند حد اعمال الاضطراب والعنف وتصعيد المقاومة المسلحة وحصار انصار الاعتدال من حزب الدفاع ، بل على ما يظهر اخذت شكل تأليب الراى العام في فلسطين قاطبة . يقول ابو بصير : " ظهر الامير عبد الله على مسرح الاهتمام ، وسعى لوقف الثورة وانهاء الاضراب ، ولكن الشعب الفلسطيني الممثل في مؤتمر القدس قرر الاستمرار في الكفاح حتى النهاية " (٢١٠) .

لم يكد العرب في فلسطين يفرغون من احباط مبادرة الامير عبد الله في الوساطة ، حتى ووجهوا بمبادرة اخرى للوساطة . ففي عشرين اغسطس " هبط " نوري السعيد وزير خارجية العراق في القدس كما يذكر عزة دروزة (٢١١) . وقد رحب كل من رجال الحزب العربي وحزب الدفاع بوساطته لاعتبارات ليست متعاقلة تماما . فبينما قبلها حزب الدفاع من منطلق الاعتدال الذى عرف به ، وباعتبارها وسيلة لاجراجه من المآزق الذى زج به ، بالنظر لفشل مبادرة الامير عبد الله التى ايدها ، وكان لفشلها اثر كبير في ضعف موقفه ، فان الحزب العربي قبلها ايضا لاكثر من سبب ، ولعل السبب الاول في قبول المفتي كان المحافظة على تضامن اللجنة ، والذى على ما يظهر كان قد بدأ بالضعف بالنظر لمحاولات الامير المتكررة للعب ورقة المعتدلين فيها ، اولئك المعتدلين الذين كانوا قد تضرروا من استمرار الاضراب . ومع هذا لم يكن باستطاعتهم المطالبة العلنية بوقفه من اجل حفظ ماء الوجه . يذكر هيرووتز انه " منذ وقت مبكر يعود الى نهاية اغسطس كان هنالك اشارة على وجود خلافات في اللجنة العليا . وقد ذكر ان الخالدى والنشاشيبي " قد قبلوا بالاستمرار فيها من اجل الابقاء على التضامن فقط " (٢١٢) والسبب الثانى ان مهمة نوري السعيد تمت في ظل الموافقة الظاهرة للدول العربية (السعودية واليمن بوجه خاص) وليست كبادرة الامير التى اخذت طابعا فرديا . ولعل بعد العراق الجغرافى عن فلسطين ، لا يجعل التدخل العراقى بمثل الخطورة التى كانت لتدخل الامير عبد الله ، بالنظر للمفتي وانصاره كتكتل ، بصورة خاصة .

والسبب الثالث ان نوري السعيد صرح بانه يقوم بمبادرته ليس بصفته الرسمية ولكن بصفته الشخصية كعربي ، وانه لا يريد التوسط بين بريطانيا والعرب

وانما بين العرب واليهود (٢١٣) . كان أول ما قام به نوري السعيد هو تقديم مذكرة الى اللجنة العربية العليا نصت على :-

- ١ - الطلب الى الجامعة العربية العليا بتبني قرار بوقف الاضراب والاضطرابات
 - ٢ - تستخدم الحكومة العراقية وساطتها مع الحكومة البريطانية للموافقة على المطالب العادلة للفلسطينيين العرب ، والتي اسفرت عن الاضطرابات الراهنة والمرتبطة بصورة جذرية بالسياسة العامة في فلسطين (٢١٤) .
- وقد قابلت اللجنة العليا ، التي عقدت اجتماعا في ٢٢ اغسطس ، مذكرة نوري السعيد بالرفض ، ومع أنها اشارت الى قبولها لمبدأ الوساطة مع الحكومة العراقية ، الا أنها طالبت بالوقف التام للهجرة ، كما طالبت بالتعويض عن الارواح والممتلكات التي دمرها القمع البريطاني في فلسطين (٢١٥) .

وهنا رفض نوري السعيد هذه الشروط وأصر على قبول مذكرته كأساس . ومن أجل الضغط على رجال اللجنة العربية لجأ الى الاستعانة بعضوى حزب الاستقلال في اللجنة وهما عوني عبد الهادي وعزة دروزة اللذان كانا يحملان ولاء لعراق فيصل الاول وذهب من أجل ذلك الى معسكر صرفند حيث كانا معتقلين . وتذكر اوراق عوني عبد الهادي أن نوري السعيد وعد بأن تعلن الحكومة بعد مدة لا تزيد عن ١٥ يوما وقف الهجرة وقفاتاما ويستمر ذلك ريثما تنتهي المفاوضات وتعطى اللجنة (الملكيد) توصياتهم تعلن الحكومة مبدأ العفو العام ورفع الغرامات "على أن يتم ذلك مقابل "انهاء الاضراب والاضطرابات باصدار بيان تطلب فيه اللجنة (العربية) من الاحزاب والاهالي الكف عن أعمال العنف . وتضيف هذه الاوراق أن نوري السعيد صرح بأنه "لا يقوم بهذا التوسط الا اذا وافق بنيل المطالب المذكورة ثم هو متعهد هو وحكومته بأن يكون على استعداد للعمل على تحقيق مطالب اهل فلسطين الاخرى بكل ما يستطيع (٢١٦) .

وفي يوم ٢٣ اغسطس حضر نوري السعيد اجتماع اللجنة العربية وبيظهر انه كان لجهود الاستقلاليين عبد الهادي ودروزة اثره في تعديل موقف اللجنة (٢١٧) فقد قررت اللجنة الموافقة على الوساطة ولكنها لم تقصرها على العراق فقط بل شملت ايضا وساطة الملوك والامراء الاربعة - وغيرهم اذا امكن - بشرط أن تلزم الحكومة العراقية نفسها على احداث تغيير جذري في السياسة الرسمية في ما يتعلق بالمطالب العربية " (٢١٨) وعلى الاثر كتب واكهبوب الى وزارة المستعمرات يطلب تفويضا ينقله الى نوري السعيد " بأن حكومة جلالته تتقبل بالرضا وساطته " على أساس

مذكرته السابقة " (٢١٩) .

غادر نوري السعيد فلسطين الى الاسكندرية يوم ٢٥ اغسطس ومن هناك أبرق الى الحكومة العراقية يقول " انه بعد الاتصال مع جميع الاطراف اقترحت على الطرفين قبول توسط العراق رسميا وبدون قيد أو شرط لتأييد مطالب عرب فلسطين المشروعة . وان اقتراحه أرسل برقيا الى الحكومة البريطانية للموافقة عليه فاذا تم ذلك فان مسعاه، سينحصر في ما يلي :-

- ١ - وقف الهجرة واطلاق العفو العام وتعويض المنضريين .
- ٢ - الحضور أثناء حضور اللجنة الملكية لتأييد الوطنيين " (٢٢٠) وقد وافق مجلس الوزراء العراقي على ما جاء في برقية نوري السعيد ظهر يوم الخميس ١٩٣٦/٨/٢٥ .

وفي نفس اليوم أجاب اورمبسي غور وزير المستعمرات تلهرافيا يعترض على اقتراحات نوري السعيد : " اقتراح نوري السعيد يختلف بكيفية جوهرية عما كانت حكومة جلاله الملك وافقت عليه بالنسبة لتدخل ابن سعود بالاشتراك مع ملوك آخرين باستخدام نفوذهم على وقف العرب للاضطرابات بدون أن تعلن عن أي أمر بشأن مطالب العرب قبل وقف الاضطرابات . . . ان حكومة جلالته لا يمكنها الموافقة على وساطة نوري السعيد " (٢٢١) ويمكن فهم رفض اورمبسي غور لوساطة نوري السعيد على ضوء الاعتبارين التاليين :-

- ١ - ان العراق الذي سيتوسط رسميا لا بصفته الشخصية كما صرح عند قدومه ، سيحاول التدخل في الشؤون الفلسطينية بمقدار لم تكن لتسمح بسه السياسة البريطانية ، بالنظر لوضعها من ناحية ، وبالنظر للدول العربية الاخرى ، وبخاصة السعودية من الناحية الاخرى . (٢٢٢) .
- ٢ - ان هنالك بحسب مذكرة نوري السعيد نوعا من الالتزام المسبق لبريطانيا في الاستجابة للمطالب العربية ، تلك المطالب التي لا يمكن التنبؤ بأبعادها أو حدودها .

ومهما يكن من أمر فان الاستجابة أو رد الفعل لوساطة نوري السعيد لم يتوقف فقط على المفاوضات معه ، بل تدلنا العادة المصدرية على أن العرب صدوا من عمليات الثورة . فقد استمرت عمليات الثوار - التي شاهدنا أمثلة على قوتها على أثر مبادرة الامير عبد الله - في التصاعد ففي هذه الفترة توحد الثوار تحت

قيادة فوزى القاوقجي وقامت العصابات المسلحة تحت
قيادته بعمليات عسكرية واسعة وجزئية . وهنا أرسل المفتي اسحق درويش أحد
رجالہ الثقة الى القاوقجي الذي وصل الى فلسطين في ٢٢ أغسطس بدعوة السي
تكثيف العمليات العسكرية . ويظهر أنه كان لعمليات الثوار ومعاركهم مع الانجليز
في هذه الفترة أثرها العظيم على نفسية المفاوضين . يذكر القاوقجي في مذكراته
على لسان اسحق درويش قوله " لو تأخرت يوما أو يومين لكنت اللجنة استسلمت
الى الاقتراح بتوسط نوري السعيد ووقف اطلاق النار والصلح الملوث للشرف (٢٢٣)
ويروى القاوقجي كيف كان للمعارك في هذه الفترة أثرها في تغيير دفة الاحداث
فعلى أثرها " أقفل الانجليز أي باب مع العرب واخرجوا نوري باشا السعيد (٢٢٤)
ويصف أكرم زعيتر اثر معركة بلعا - بصورة خاصة - على نفسية العرب عموما
والمعتقلين من قادة الثورة بوجه خاص . " لم نكد نسمع هذا البلاغ (عن معركة
بلعا) حتى هتفنا للثورة ، ورحنا كل رهط في كوخه ننشد الاناشيد الوطنية ،
وتصاعدت الهنافات الصاخبة بسقوط المندوب والانجليز " ولعل الهم من ذلك أن
هذا المعتقل الذي خرج منه عوني عبد الهادي وعزة دروزة للمفاوضة هو الذي
طرح شعار سقوط المفاوضة فقد هتف جميل وهبه أحد قادة الاستقلاليين " لتسقط
المفاوضة " (٢٢٥) . في وسط هذا الجو عادت اللجنة العربية الى الاجتماع في ٢٦
أغسطس وقررت دعوة نوري السعيد من مصر الى فلسطين . وبالفعل وصل نوري
السعيد في يوم ٢٧ أغسطس . وعقد اجتماع بينه وبين المندوب السامي أخبره فيه
انه لا يفكر بالتدخل في شؤون السياسة البريطانية ، ولكنه أضاف انه ما من شيء
يؤدى الى وقف الاضطرابات سوى وقف الهجرة . وانه اذا لم تأخذ الحكومة
باقتراحه فانه سينسحب ، وان عليه أن يسافر الى انقرة يوم ٣٠ أغسطس (٢٢٦) .
ويستوقفنا هذا التحول في موقف نوري السعيد نحو التشدد . وليس له من تعليل
حقيقي الا أن نوري شعر بالزخم الثوري الكبير في فلسطين من ناحية . وان لمس
- من ناحية أخرى - كما تذكر المصادر العربية والصهيونية ان هنالك استعدادا لدى
واكهوب لوقف الهجرة . يذكر أكرم زعيتر في يومياته - وهو الذي كان على اتصال
وثيق بعضوين أساسيين في المفاوضات هما عوني عبد الهادي وعزة دروزة :- " أما
بالنسبة الى نوري السعيد فهو لم يعط ضمانات للجنة العليا ، لانه هو لم يأخذ
ضمانات خطية من الانجليز ، وكل ما هنالك ان المندوب السامي أكد له شفويا ان
الحكومة البريطانية على استعداد لوقف الهجرة قوقفا تاما حتى تعطى اللجنة

الملكية تقديرها ، وللعفو عن الثوار والمحكومين " (٢٢٧) ويؤيد بوراث هذا القول ويعلمه بأن واكهوب شعر أن لا بديل عن وقف الهجرة من أجل وقف الاضراب والاضطرابات الا حل عسكري حاسم من قبل السلطات البريطانية . وقد كان واكهوب دائما يؤثر الحل الاول ، ويضيف بوراث الى ذلك قائلا " أن واكهوب وافق على وقف الهجرة مؤقتا من أجل انجاح وساطة نوري السعيد (٢٢٨) ويذهب بوراث الى اكثر من ذلك الا وهو أن المخابرات الصهيونية سجلت مكاملة تليفونية (رفعها بعد ذلك شاريت الى وزارة المستعمرات) بين نوري والمفتي يدعو فيها الاول الثاني الى مزيد من العناد والتشدد لانه هذا هو الاجدى (٢٢٩) .

عقدت اللجنة العربية العليا اجتماعا بتاريخ ٣٠ أغسطس حضره مندوبون عن اللجان القومية في جميع أنحاء البلاد . ووافق المجتمعون على الابقاء على مبدأ الوساطة العربية قائما ولكنهم قرروا " أن الامة ستستمر في اضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بهما " وقد اتخذ قرار اللجنة العربية العليا واللجان القومية هذا من قبل الحكومة البريطانية سببا لعدم القبول بوقف الهجرة من ناحية ولانها وساطة نوري السعيد من الناحية الاخرى (٢٣٠) " .

في ٣١ أغسطس غادر نوري السعيد القدس الى استانبول وأعدا بالعودة عند أية اشارة اليه بالعودة .

وفي هذه الاثناء حصل ما فجر وساطة نوري السعيد على المستوى المحلي - في فلسطين - فقد نشرت البالستين بوست في ١ سبتمبر ١٩٣٦ أن نوري السعيد ، بموافقة من المندوب السامي ، اتفق مع اللجنة العربية العليا على وقف عاجل للهجرة بانتظار أن تصدر اللجنة الملكية تقريرها ، وأن تصدر الحكومة عفوا عن سجناء الثورة ، وأن الحكومة العراقية ستمثل الفلسطينيين أمام اللجنة . ولا ندري تماما شيئا عن صحة هذه الرواية . لكن من المؤكد وكما شاهدنا أعلاه (٢٣١) طرحت مثل هذه الشروط على بساط البحث . . . ولكن ليس من المحتمل أن يكون واكهوب قد ارتبط بوعد لنوري السعيد بأي من هذه الشروط ، وبخاصة بعد برقية وزير المستعمرات في ٢٥ أغسطس والتي رفض فيها اقتراحات نوري السعيد واعتبرها متشددة ، كما أنه رفض تدخل العراق بصورة رسمية في الوساطة .

ومهما يكن من أمر فان بعض المصادر تنسب الى راغب تسريب أخبار عن هذه الاتفاقية للناس ، وذلك لانه كان راغبا في اغتنام الفرصة لانها الاضراب .

ووجد في الشروط المطروحة خير سبيل لذلك . ومن أجل أن يقطع خط الرجعة على المفتي ، سرب أخبار هذه الاتفاقية حتى يثبت للناس أن تردد المفتي في قبولها غير صحيح، وأنه أي المفتي سيضيع فرصة سانحة (٢٣٢)

حمل وايزمن قصاصة عن الخبر المنشور في البالستين واعطاها لا ورمسي غور الذي سارع بارسال رسالة الى الدكتور وايزمن شبيهه بالرسالة التي أرسلها ماكدونالد له في عام ١٩٣٠ . وحاء في هذه الرسالة : "عزيزي المستر وايزمن أن المندوب السامي لم يوافق على أية شروط مثل هذه . كما أن الحكومة لا تعرف عنها شيئا . وفوق ذلك أنه لا توجد أية معلومات كالتى وصلت الوكالة اليهودية بأن المندوب السامي فوض نوري باشا السعيد لاعطاء مثل هذه الدعوة ، وكذلك نوري باشا نفسه لم يطلب مثل هذا التفويض ، كما يقول المندوب السامي . والذي يعرفه المندوب السامي أيضا أن نوري باشا أبلغ الزعماء العرب في وضوح أنه لا يمكن اعطاء مثل هذه الوعود . أن الحكومة والمندوب السامي لم يفوضا نوري باشا السعيد بالتوسط لحل مشكلة فلسطين " (٢٣٣) .

كانت هذه الرسالة التي نشرت في الصحف ، بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير لوساطة نوري السعيد . فقد أشعرت العرب في فلسطين أنه لا فائده ترجى من هذه الوساطة . ومن هنا يقول أنيس صايغ : " فعاد العرب الى تصلبهم ورفضوا الاجتماع بالسعيد ثانية، وأخرجوه من القدس شبه مطرود " (٢٣٤) .

خلال النصف الثاني من شهر سبتمبر والعشرة أيام الاولى من أكتوبر مرت جهود الوساطة بتغيير جذري . فبدلا من أن تكون في أغلبها بمبادرة من الحكام العرب ، وأحيانا بتشجيع من بريطانيا ، فانها تحولت الى مطالب من قبل الفلسطينيين أنفسهم ، أولئك الفلسطينيين الذين طالما رفضوا ممثلين بالمفتي بالدرجة الاولى . أي وقف للاضراب الا بوقف للهجرة ترافقه أو تسبقه أو تتبعه بسرعة . ولعل هذا التغيير يجد تفسيره في الظروف الموضوعية التالية والتي ترتبط باستراتيجية الثورة عسكريا وسياسيا :-

١ . على الحبهة العسكرية : على أثر فشل مبادرة نوري السعيد ، والتي رافقها تصعيد الثوار لعملياتهم العسكرية ، وأمام التشدد الفلسطيني الذي اصر على الاضراب بانتظار تلبية المطالب الفلسطينية ، أعلنت الحكومة القانون العرفي (martial law) (٢٣٥) . وقد رافق هذا الاعلان جلب تعزيمات

عسكرية كبيرة من بريطانيا (٢٣٦) وعينت قائدا عسكريا جديدا هو الجنرال ديل الذي أصدر بيانا في ١٥ سبتمبر دعا فيه "الشعب الى القاء السلاح والكف عن الاضراب (٢٣٧) وأنه سيعمل بكل قوة وعزم على قمع الاضطرابات مهما كلفه الامر ، ومهما كانت الخسائر فادحة (٢٣٨) وبالفعل شهدت هذه المرحلة ، أساليب بشعة من القمع البريطاني يصفها عيسى السفري في كتابه (٢٣٩) وانصبت على القرويين حيث كان ينبع الثوار وحيث كانوا يلجأون .

ومهما يكن من أمر فان الثوار الفلسطينيين لم يستسلموا لهذا الواقع العسكري المتصاعد الخطر ، بل شهد سبتمبر والايام الاولى من أكتوبر أعظم الاعمال العسكرية عنفا بين الثوار والقوات البريطانية . ومع هذا فان الواقع العسكري الجديد للقوات البريطانية ، كان له أثره في ضعف تسليح قوات الثورة الامر الذي ساهم في اضعاف طاقتها على المقاومة أو الاستمرار فيها . ففي رسالة من عبد القادر الحسيني الى أميل العورى الذي كان آنذاك يدير المكتب العربي في لندن يذكر عبد القادر التالي عن الثورة : "أما في ما يتعلق بالثورة نفسها والمجاهدين فاننا نجد صعوبة عظيمة في الحصول على السلاح والفشك . فضلا عن أن الانجليز يتشددون في حراسة الحدود ويضيقون علينا الخناق فان سعر البندقية ارتفع الى أكثر من سنين ليرة (جنيه) " (٢٤٠) .

ولقد أثر هذا التطور السلبي في الموقف العسكري لقوات الثورة على موقف الامير عبد الله منها . فالامير الذي آلمه احباط مبادرته للوساطة ، بما حلت من مطامع في فلسطين ، كان لا يزال يتحين الفرصة السانحة ليعيد التدخل بشؤون الثورة ، والقضاء على زعامة المفتي لفلسطين . فطبقا لما يرويه القاوقجي نجد أن الامير قام بالضغط على قيادة الثوار في الجبال ، مستغلا تصاعد القوة العسكرية البريطانية ومحاولتها حصار قوات الثورة . فقد أرسل رسوله الى القاوقجي في جبال نابلس ، يحمل رسالة يدعوه فيها الى أن يغير اتجاه شراعه عن اللجنة العربية بصورة خاصة وعن الثورة بصورة عامة . فبعد أن يذكر " أن الحكومة البريطانية كانت ترجو طيلة مدة الصيف انتهاء الحركة بفلسطين ، ولما قنعت الآن أن الشوط بعيد ، ابتدأت تنظر الى المسألة بعين الجد " ينشئ الى التعريض باللجنة العربية العليا : " أما اللجنة العربية العليا ، واللجان الاخرى ، فلا يساورني الشك أنهم من أرباب النية الصادقة الا أن الاوطان كانت أشمن من أن

تعرض للخطر بمجرد ملاحظات غير مدعومة ببراهين ، أو لوعود غير مدعومة بحقائق
وأسال الله التوفيق في حل الاشكال الحاضر بأسرع ما يمكن " (٢٤١) .

ويعقب القاوقجي على هذه الرسالة ويعتبرها أنها بمثابة دعوة للقيام
بانقلاب على اللجنة العربية العليا " . . . وطلبه حتى انعزالنا عنها ، وتشويقنا
وترغيبنا في الاستسلام قبل أن تبطش نجدات العدو بنا واستدراجنا الى اعطائه
اسرار الثورة " (٢٤٣) .

ويذهب بوراث الى أكثر من ذلك . فاعتمادا على مصادر الصهيونية يذكر أن
الامير عندما شعر بأنه لن يكون هو صانع السلام على أرض فلسطين ، مع ما يستتبع
ذلك من ضمها اليه ، كتب الى الوكالة اليهودية يدعوها الى التحالف معه من
أجل سحق الثورة بعنف ومن أجل أن ينهار خصمه المفتي (٢٤٣) ويضيف الى
ذلك قوله أن الوكالة رفضت هذا العرض لظروف تختص بها (٢٤٤) .

ومن ناحية أخرى فان موقف القاوقجي باعتباره احدثمرا كثر ثقل الثورة من
الناحية العسكرية ، لم يكن تماما منطبقا أو متماثلا مع موقف اللجنة العربية
وبالذات المفتي . فالقاوقجي الذي كان لا يخلو من نزعة المغامرة ، والبحث عن
المجد الشخصي ، والذي كان أيضا ينتم بروح الفردية والتسلط ، حاول أن
يسيطر على مقدرات الثورة من الناحية العسكرية ، جميعها . فقد عين نفسه جنرالا
عاما للثورة . وبدأ باصدار البيانات المستقلة التي تحمل توقيع له وحده (٢٤٥) .
والاكثر من ذلك فقد خطف القاوقجي بريق الجاه والشهرة ، وأصبح اسمه يتردد
على كل لسان . ومن الذكريات الشعبية عن تلك الفترة أن صور القاوقجي أخذت
ترتفع في الحوانيت والمتاجر والبيوت ، كما كان الصبية يهتفون في الشوارع

صهيوني دبر حالك نفذوا الثوار

معهم فوزى القاوقجي البطل المفوار (٢٤٦) .

وعلى ما يظهر فان هذا البريق والشهرة للقاوقجي مع نزعته نحو الاستقلال
والفردية لم تكن مصدر رضا كبير من قبل القيادات الفلسطينية ، وبصورة خاصة
للمفتي . ولم يكن هذا كل ما يتعلق بوضع القاوقجي . ففي رسالة عبد القادر
التي مر ذكرها يشكو عبد القادر الحسيني من القاوقجي من ناحيتين أساسيتين :
الناحية الاولى أن القاوقجي كان مرتبطا بالقيادات العربية خارج فلسطين - الامر :

الذى حاول القاوقجي أن ينفذه على الأقل بالنسبة للامير عبد الله كما شاهدنا - أكثر من ارتباطه بالقيادة المحلية تلك القيادات العربية التي يصفها عبد القادر بأنها باتت أقرب الى خذلان الثورة أكثر من تعزيزها وتعزيدها " وأشعر أن اخواننا في الخارج أخذوا يتخلون عن الثورة ومساعدتها ماديا ، وإلى جانب هذا فإن بعض الجهات الرسمية العربية بدأت تقف من الثورة موقفا مريبا ، وأن بعض المتطوعين وخاصة الذين يتزعمهم فوزى (القاوقجي) مرتبطون بسياسات عربية خارجية أكثر من ارتباطهم بالثورة" (٢٤٧) .

والناحية الثانية - ولعلها الأهم - هو تدخل القاوقجي في شؤون الجبهة الداخلية الفلسطينية ، وبخاصة الاحزاب ، من أجل الضغط على عصب حساس بالنسبة للحسينيين وهو جيش الجهاد المقدس فقد ورد في رسالة عبد القادر أيضا ما نصه : " لا يتورعون (أى المتطوعون) عن إثارة الاختلافات الحزبية لضعاف الجهاد المقدس" (٢٤٨) .

ولعل القاوقجي وقد شعر أنه نقطة استقطاب رئيسية في فلسطين بفعل سيطرته على قطاع كبير من الثوار (٢٤٩) أحس أن المنافس الرئيسي له هو المفتي والمعسكر الحسيني عامة ، ومن هنا فإنه رغب في التحالف مع خصوم المفتي . فقد بدرت بالفعل عدة بوادر منه تؤيد هذا الاتجاه فقد تعاون بصورة خاصة مع عائلتي ارشيد والنمر ، كما تعاون مع عائلات طوقان والجبوسي وكان نائباً لـ العسكرى من أنصار النشاشيبيين أيضا (٢٥٠) وعندما دعا الى اجتماع قادة فصائل الثورة في فلسطين في ٢ سبتمبر ١٩٣٦ من أجل توحيدهم تحت رأيه ، استثنى عبد القادر الحسيني وقادة فصائل الثورة الحسينيين ، علما بأنهم كانوا يسيطرون على قطاع كبير من فلسطين يمارسون فيه عملياتهم الثورية : في منطقة الخليل - القدس - رام الله ، ومنطقة الرملة - يافا (٢٥١) .

ولعله ليس بلا مغزى أيضا أن نجد أن مذكرات القاوقجي عندما تعرض للمفتي لا تتحدث عنه بنفس الحماس والثناء الذى يذكر به خصومه ، وقد انسحب موقفه هذا على المفتي خلال الحرب العالمية الثانية (٢٥٢) حيث نجده يتهم المفتي بالفردية والتسلط ، وحتى بعد الحرب العالمية وأثناء عام ١٩٤٨ عندما تزعم القاوقجي جيش الانقاذ فإنه أهدر دم الاشخاص الذين كانوا يتسلطون الى معسكره ليدفعوا رواتب جنود جيش الانقاذ من قبل المفتي " (٢٥٣) .

كان لهذا الواقع العسكري الجديد للثورة بما فيه من ضغوط خارجية وتعزيزات بريطانية ، ومحاولة للعب على الجبهة الداخلية ، مدعاة للمفتي لكي يعيد النظر في الموقف . ويبدو أنه من هنا طرحت فكرة تجسيد الثورة لفترة فقد عقد المفتي والموالون له اجتماعا في هذه الفترة لتقييم أعمال الثورة وبعد أن أبدى القادة " مخاوفهم من قلة السلاح ومن التيارات المحلية التي تدعو لوقف الاضراب " طرح شعار " تجسيد أعمال الثورة ، فيتحذ هذا التجسيد شكل وقفها ، وتسنف حالما تتوفر الاسلحة والاعتدة بصورة كافية " (٢٥٤) .
ومن هذا المنطلق - بالاضافة الى ما سيأتي معنا - سسير المفتي في طريق طلب الوساطة العربية .

٢ . على الجبهة الداخلية : لم تكن الجبهة الداخلية في فلسطين في هذه الفترة أفضل بكثير من الجبهة العسكرية ، فالاضراب الذي كان قد طال أمده ، واستمر قرابة الخمسة شهور ، شلت خلالها الفاعليات الاقتصادية في البلاد ، ترك تأثيره السيء على قطاعات كثيرة من أهل البلاد . فالفقراء الذين كانوا يعتمدون على اللجنة العربية العليا في قونهم اليومي ، لم يعد بالامكان تغطية حاجاتهم لا سيما وأن التبرعات التي كانت تصل الى اللجنة العربية العليا ، قد قلت أيضا . (٢٥٥) .

كما أن كثيرا من أصحاب المصالح الاقتصادية شعروا بما جلبه عليهم الاضراب من خسائر مادية : " بات عدد كبير من الاشخاص الذين لا يعيرون النفاتا كبيرا للسياسة ، في حالة من السأم أو الملل الذي جلبه النزاع الطويل المدى ، بما في ذلك انعدام الامن ، والتضحية المالية التي تبعتها ، وكان عدم الاشتراك في جني محصول الحمضيات ، والذي يبدأ عادة في نوفمبر سببا في عسدم الرضا " (٢٥٦) .

انعكست هذه النتائج للاضراب على موقف أعضاء اللجنة العربية العليا . واهتز التماسك الداخلي لكيان هذه اللجنة كما لم يكن الامر من قبل : فراغب النشاشيبي وحزبه اللذان جرفهما التيار الوطني في الخمسة شهور الاولى الى درجة أنه أحيانا كثيرة كان يزايد على موقف المفتي (٢٥٧) بدأ الان في تغيير موقفه : (وفي نفس الوقت فانه من الاهمية بمكان أن نسجل الموقف المتغير للحزب الاخرى) . فقد كان ما يسمى الحزب المعتدل ولا يزال معاديا لحزب

المفتي ... ولكن الان هنالك عدد كبير من العرب يمن فيهم راغب وكثيرون من
حزبه قد ضاقوا ذرعا بالاضراب ونتائج الاضطرابات الطويلة" (٢٥٨) .
ولم يكن راغب وحده من أعضاء اللجنة العربية الذي أصبح مؤيدا لوقف
الاضراب بل أن عوني عبد الهادي ، مندوب حزب الاستقلال في اللجنة - ذلك
الحزب الذي كان يعتبر بمثابة يسار اللجنة وأكثر أعضائها تطرفا - لم يكن أقل
أثرا في تدمير تماسك اللجنة من حيث الموقف من الاضراب . فعوني عبد الهادي
الذي رأينا أنه بدأ في التحول بعد مبادرة نوري السعيد الى السير في طريق وقف
الاضراب ، بدأ في أول سبتمبر راغبا بصورة جدية بالتضحية بالاضراب . ولقد
استغرب واكهب نفسه من موقف عوني عبد الهادي : " والامر الأكثر أهمية هو
تغير عوني عبد الهادي ، رئيس حزب الاستقلال ، لقد أخبرني في السابق أنه
ليس لدى الفلسطينيين ما يخسرونه الاحياتهم ، أما الان فانه يعترف أن من
مصلحة العرب أن يتوقف الاضراب وكل أعمال العنف " (٢٥٩) ولم يكن موقف
حزب الاصلاح بأفضل أيضا من هذه الناحية . فمذ أواخر شهر أغسطس لما سبق
لنا الاشارة كان موقف حسين فخري الخالدي مجرد
مماشة للجنة من أجل أن لا يتهم بأنه خرق التماسك في هذه اللجنة .
ولقد بلغت المعنويات المتدنية للجنة العربية العليا - باستثناء ممثلي
الحزب العربي - حد التخلي عن الثورة بدون مقابل " ان بقية أعضاء اللجنة
العربية باستثناء جمال الحسيني قد تحققوا أنه من غير المجدى أن يطلبوا أية شروط
وأن وقف القتال يجب أن يكون كاملا " (٢٦٠) .
وقد سجل عبد القادر الحسيني هذه الحقيقة بقوله : " وهناك أمر يحملني
على التطير والخوف ، فان العم (الحاج أمين) يتعرض لبعض التدخلات من
الخارج ، ولضغط كبير من زعماء الاحزاب لفك الاضراب ووقف الثورة " (٢٦١) .
ولقد جاءت الترجمة لحقيقة هذه المعادلة الحزبية في فلسطين: المفتي
وحزبه في ناحية ، والاحزاب الاخرى المؤثرة في ناحية أخرى ، أقول جاءت هذه
الترجمة من واكهب . فمن أجل أن يعزز جبهة الاعتدال ، ويغطي لهيب الثورة
وينهي الاضراب ، لا يوجد الا عقبة رئيسية وحيدة الا وهي المفتي ، ولذلك نجده
ينهي تقريره الذي وصف فيه مواقف الاحزاب ، وصور تعاريج الخريطة السياسية
للجبهة الداخلية الفلسطينية ، وعنوانه بـ " البحث في أفضلية القبض على

المفتي " أنهاء وقد - شاهد تصدع الجبهة الداخلية - " القبض على المفتي وابعاده " (٢٦٢) .

في ظل المعطيات السابقة ، العسكرية والداخلية عامة ، أصدر الحاج أمين باعتباره رئيسا للجنة العربية العليا بيانا ذكر فيه أن الشعب ولجنته العليا في فلسطين ، كانوا ولا يزالون يرحبون بوساطة ملوك العرب وأمرائهم . وقد قبلوا بكل ارتياح وشكر ، ولا يزالون مستعدين لتنفيذ هذه الوساطة بكل ارتياح " (٢٦٣) . وفي هذه الفترة ذاتها كلف المفتي عن اتصالاته بالملك ابن سعود من اجل أن يعادل موقف كل من الامير عبد الله والعراق ، وكانت الاتصالات تجري عبر القصاب ، الذي تشير التقارير الى أنه كان يقيم في القدس بصورة شبه دائمة (٢٦٤) .

أما عن شروط هذه الوساطة ، فانه على العكس مما يذهب اليه بورا في أن المفتي طلب أن تكون الوساطة بدون قيد أو شرط (٢٦٥) فان المادة المصدرية لدينا تدل على أن المفتي ظل وراء الشروط مقابل وقف الاضراب الى الساعات الاخيرة قبل وقف هذا الاضراب . (٢٦٦) فعلى اثر اتصال المفتي بابن سعود اتصل الاخير بوزارة الخارجية البريطانية وطالب باصدار العفو عن كل المساجين الذين اعتقلوا خلال الثورة (٢٦٧) .

كما أن تقريرا آخر يذكر أن جمال الحسيني - كما سبق الاشارة - كان هو الوحيد ، بالاضافة الى المفتي طبعاً ، الذي أصر على الشروط من بين أعضاء اللجنة .

ولقد برز موقف المفتي المتشدد والمطالب بشروط مقابل وقف اطلاق النار والاضراب من خلال اتصالاته بالعراقيين . فوثائق المركز الوطني العراقي تدل دلالة واضحة على الروحية التي هيمنت على المفتي خلال مناقشاته فالمدقق في نصوص برقية مؤرخة ١٥ سبتمبر ومرسلة من قبل ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي (٢٦٨) والذي كان آنذاك في استانبول والتي تلخص برقية أخرى سبق لياسين الهاشمي أن تلقاها من المفتي ، يستطيع أن يستنتج التالي :-

٠١ أن المفتي حاول أن يعتذر بطريقة غير مباشرة للاحباط الذي لحق ببعثة نوري السعيد عازيا هذا الاحباط للانجليز ، وأن يحيى هذه المبادرة من جديد .

٠٢ أن المفتي استجابة منه لمعتقلي صرفند (يعني جماعة حزب الاستقلال بصفة

خاصة) لا يزال مع الوساطة وليس ضدها : " اراد الحسيني ان يرد قول الحكومة البريطانية ان مساعي نوري لم تنجح ، وان يعزز موقفه امام معنقلي صرفند ، بانه باق على قبول الوساطة " (٢٦٩) .

٣ . وتظهر صلابة المفتي أنه لا يزال وراء شروط مما تضيفه البرقية السابقة عظفا على ما سبق : " في الوقت الذي اصدر قرار الاستمرار في الاضراب بشدة بدلا من العودة للهدوء " (٢٧٠) .

٤ . فر ياسين الهاشمي برقية المفتي بانها محاولة لاجراج العراق اذا هو حاول الاستنكاف عن الوساطة " ويريد ايضا ان يبقى موقف العراق في وضع حرج باعتبار ان اهالي فلسطين ما زالوا مرحبين بالوساطة ويريدون المؤازرة " (التوكيد من قبل المؤلف) . وكلمتا يريدون المؤازرة اذا ربطت بالجزء السابق لها " الاضراب بشدة بدلا من العودة الى الهدوء (٢٧١) كافيئان للدلالة على ان المفتي كان يصعد الاضراب من اجل الحصول على شروط معينة .

وقد تكرر هذا الموقف الذي يظهر انه استطاع التأثير على اعضاء اللجنة العربية لتبني موقفه - بالرغم من ميلهم لانهاء الاضراب الذي اشرنا اليه - اقول تكرر هذا الموقف من المفتي وابرق الى رئيس الوزراء العراقي يطالب بالتالي :-

أ - اعلان العفو العام .

ب - وقف الهجرة اليهودية مع وصول اللجنة بانتظار نتائج اعمالها .

ج - ان الوساطة ستأخذ مجراها على الاسس التي اقترحها نوري السعيد (٢٧٢) ويظهر من مراسلات السفارة البريطانية في بغداد مع وزارة الخارجية البريطانية والتي تشير ايضا الى موقف السعودية من الشروط التي اقترحها المفتي يظهر من هذه المراسلات ان ضغط المفتي لم يحقق أية نتيجة تذكر . واكثر من ذلك يظهر انه كان هنالك خطة معتمدة لاحباط جهود عرب فلسطين في الاتصال بالعرب الاخرين ، من اجل الوساطة ، او بكلمات اخرى حرمان الفلسطينيين من أية فرصة للحصول على اي تنازل من خلال وسيط اخر ، فضلا - بطبيعة الحال - عن بريطانيا نفسها ، بل ان مطلب الوساطة بالشروط التي صدرت عن اللجنة العربية والتي عرضها رئيس الوزراء العراقي على السفير البريطاني قوبل بالتالي : " وكأجابة على ذلك (طلب الوساطة بشروط) اعطيت لرئيس الوزراء جواهر اجاباتك لمثل هذه الاسئلة التي اثارها الملحق السعودي في لندن . كما اشرت

له الى ان هذه الحركة لم تكن سوى محاولة لاستخلاص بعض الوعود المسبقة من اجل انتهاء الاضطرابات . بل ان اللجنة العربية تحاول الان وضع العباء على اكتاف الحكومات التي طلب اليها ان توجه النداء (انتهاء الاضراب) وستحمل هذه الحكومات مسؤولية لا مسوغ لها ولا مبرر . وسيكون مصيرها الفشل اذا ما انتهت لمثل هذه الاتصالات المتعبدية . " (٢٧٣) .

لم يرفض العراقيون ولا السعوديون ، هذا التشدد الواضح من الانجليز ، ولكنهم انحنوا امامه . فقد اهملت المطالب الفلسطينية في ضمان شروط مسبقة لوقف الاضراب . بل لقد جرى اكثر من ذلك . فقد تحول العراقيون والسعوديون الى محاولة اقناع اللجنة العربية والمفتي ، بالذات ، بوجهة النظر البريطانية والتي تنادي بوقف الاضراب بدون التزام مسبق ؛ كتب السفير البريطاني يقول اخبرني رئيس الوزراء اليوم انه نتيجة لاتصالات اوسع من اللجنة العربية معه (اي رئيس الوزراء) فانه اصدر تعليماته الى القنصل العراقي في حيفا بالنظفون ليذهب الى القدس ، ويتأكد فيما اذا كان المفتي في حالة مناسبة تدل على اللين ، عندئذ ، فأني اعتقد ان هنالك امكانية ، ان الملك غازي سيقوم باصدار نداء على اساس خطوط غير مشروطة (٢٧٤) .

وفي مناسبات متعددة اخذ التشدد البريطاني شكلا يدل على العجرفة والغرور ، كما كان يحمل في طياته الكثير من التهديد . فعندما حاول - على سبيل المثال - رئيس الوزراء العراقي ان يستفسر عن دور اللجنة الملكية في ضمان العدالة للقضية الفلسطينية ، لم يزد جواب السفير البريطاني عن القول :-

" ان من المضيعة للوقت ان نحاول تفهم ماذا ستفعل اللجنة ، او ماذا سيحصل بعد ان تكون اللجنة قد قدمت تقريرها " ولم يكنف بذلك بل اضاف والامر الوحيد الاكيد في كل هذا العمل الحزين انه ما لم يتوقف العنف ، فإنه اللجنة الملكية لن تستطيع ان تفعل شيئا على الاطلاق ، بل ان كل يوم يضيع في التداول ، هو مسمار يدق في النعش العربي " (٢٧٥) .

وهكذا يظهر ان محاولات المفتي للعمل على توظيف التناقضات العربية - العربية ، والتناقضات الانجليزية العربية ، من اجل الحصول على شروط معينة كان نتيجتها الفشل التام ،

وتدل الشواهد ايضا ، عن جهود الوساطة في اكتوبر قبيل ايام من وقف

الاضراب ، ان التخادل العراقي السعودي بلغ مداه ، وقد بلغ هذا التخادل حدا جعل البريطانيين يتدخلون في صياغة نص النداء الذي سيقدمه الحكام العرب الى الشعب الفلسطيني . وفي الواقع ان ما حصل ، بالنسبة لصياغة النداء ، كان أكثر من تدخل ، لقد كان من الناحية الواقعية فرضا لنص النداء : " وأخيرا طلب رئيس الوزراء (العراق) نصا عربيا لمقترحاتهم في النداء الملكي " (٢٧٦) وتقول إحدى الوثائق المؤرخة في ٢ أكتوبر " أنه لن ينلقى الحكام العرب من حكومة جلالة الملك أي ذكر لاي شيء يدل ضمنا على توكيد معين بشأن ما ستعمله حكومة جلالته في فلسطين " (٢٧٧) .

ليس هذا فقط بل ان الاستهانة وعدم التقدير البريطاني للحكام العرب بلغ مداه ، فبينما كان هؤلاء الحكام يقبلون صيغة النداء من البريطانيين ، كان البريطانيون يخططون للقبض على المفتي ونفيه كتنويع لجهود الوساطة العربية . ولعله لا يوجد أكثر توضيحا لهذا التعامل السياسي غير المتكافي بين الطرفين العربي والبريطاني من البرقيات المتبادلة في ٨ أكتوبر في ما يتعلق بهذا النداء ففي هذا اليوم أبرق سير كلارك السفير البريطاني في بغداد الى أيدين وزير الخارجية يقول " أخبرني رئيس الوزراء أن ابن سعود يوافق على نص النداء وسيفوم بنوحيهه حالا . وسنذهب رسالة غازي اليه . ويأمل رئيس الوزراء أن يكون غدا في القدس . المفتي لديه نص النداء مسبقا . وسيدعيه بعد أن يعرضه على اللجنة " (٢٧٨) .

وفي اليوم نفسه أبرق السير كلارك الى أيدين مجيبا على اقتراح من وزارة المستعمرات بنفي المفتي . ولقد جرت البرقية على الوجه التالي : " بالرغم من أن المفتي ليس لديه شعبية شخصية لدى الحكومة العراقية ، وذلك بسبب تأمره مع الايطاليين ، الا أنه مع ذلك ، كان هو المفتي الذي فاوضه ياسين باشا بندا الملك غازي ، ومما لا شك فيه أن نفيه في هذه اللحظة سيخلق انطباعا غير جيد " .

ومهما يكن من أمر فان الحكام العرب ظلوا حتى آخر لحظة متشككين بأن المفتي سيمرر فعلا علمية انهاء الاضراب ، استجابة لنداء الحكام العرب ، وعلى كل حال فان فكرة ابعاده ستبقى قائمة ولن تُلغى ، ولكنها ستنتظر الظروف الملائمة . فقد كان نص برقية كلارك على الوجه التالي : " اذا اتضح بعد عدة أيام أن النداء قد فشل ، فان الاساءة ستكون أقل للحكومة العراقية من جراء عملية

أما رد فعل الجمهور فمن الصعب التكهن به ، ولكنني أتوقع أن مهمة الحكومة في السيطرة على هياج الشعب ستكون أكثر صعوبة " (٢٧٩) .

ان هذه البرقية تتحدث عن نفسها . لقد كان المفتي محميا من الجماهير وليس الآ . كما أن المفتي كان الوحيد المستهدف من بين جميع المشاركين في المعادلة السياسية للمعسكر العربي . ولقد كان المفتي حتى النهاية يعمل - وهو يعلم أنه يسبح ضد التيار بفعل تقاوم الظروف المحلية والعربية ضد الثورة - للحصول على شروط ، ولقد كانت عملية ابعاده مقصودة لتكون خاتمة وتنويجا سيئا للثورة . وهي خطوة لا تخلو من كونها ستكون مصدر اذلال لعرب فلسطين ، بالنظر الى أن المفتي كان قد أصبح القائد الحقيقي للثورة ، ورمزا للنضال العربي . فبالنسبة لنص هذه البرقية التي تقسم المعسكر العراقي الى قسمين : الجماهير التي ستعارض النفي ، والحكام الذين سيقمعون هذا الجمهور ، يمكننا أن ندرك أن المفتي كان ضحية نوع من الاتفاق الضمني ، بين البريطانيين والانظمة العربية كل منهم يريد أن يحارب التطرف والراديكالية في المنطقة . والبرقية تدل ضمنا أيضا على أن المفتي فقد الفرصة للمناورة ، فما كان المفتي ينظر اليه كوسيلة للخلاص والانقاذ من المأزق الفلسطيني ، قد تهاوى أمام التضامن الانجليزي مع الحكومات العربية .

ومن هنا نجده يحاول أن يجنب الثورة ضربة مميتة ، ويحرم الجنرال ديل من فرصة مؤاتية لسحق الثورة وهو (أي ديل) الذي كان قد خطط لهجوم عام على الثوار في ١١ اكتوبر تنفيذا للمقتون الحربي " (٢٨٠) وبذلك سيسبب ندما شديدا للجنرال " أعتقد ديل أن الفرصة قد فقدت من أجل إعادة توطيد السلام في البلاد " .

وبدلا من ذلك ، ترك للجنة العربية العليا السيطرة على الجانب العربي من فلسطين " (٢٨١) .

وفي حقيقة الامر لقد تركت قوات الثورة بدون أن تمس وبالنسبة للمفتي فان انها الاضراب لم يكن أكثر من هدنة مسلحة .

" أعتقد العرب أن هنالك هدنة . فاللجنة العربية والمنظمات العربية بقيت مسالمة ، واستبقت العصايات المسلحة . تنظيماتها وأسلحتها ، وأحسن ما يوصف به الحال حقيقة هو أنه هدنة مسلحة " (٢٨٢) .

حواسبي اليباب الرابعع

=====

- (١) السعري : المصدر السابق ج ٢ ص ١٦ - ١٧ .
- (٢) الشقيري : المصدر السابق ص ١٢٠ .
- (٣) الغوري : فلسطين ج ٢ ص ٦٥ .
- (٤) زعبيتر : يوميات كراس ٨ ص ٦٠ .
- (٥) زعبيتر : يوميات كراس ٨ ص ٦١ .
- (٦) المصدر ذاته ص ٦٤ .
- (٧) Hurewitz: op.cit. p.67
- (٨) فلسطين ٢١ ابريل ١٩٣٦ .
- (٩) زعبيتر : المصدر السابق ص ٧٤ .
- (١٠) زعبيتر : يوميات ص ٧٠ .
- (١١) فلسطين ٢١ ابريل ، ٢٣ ابريل ١٩٣٦ .
- (١٢) Porath: op.cit. Vol:II,p.162.
- (١٣) الغوري : فلسطين ج ٢ ص ٥٦ - ٥٧ .
- (١٤) P.A.S. 16 May 1936 FO 371/20032
- (١٥) Ibid.
- (١٦) فارس ايضا نوفمبر : يوميات كراس ٨ ص ٧٨ - ٧٩ .
- (١٧) زعبيتر : للمصدر ذاته ص ٧٧ .
- (١٨) H.C. to CS 26 April 1935 FO 371/20032.
- (١٩) السعري : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧ .
- (٢٠) Ibid. 26 April 1936 FO 371/20032.
- (٢٠) اطر الشقيري : المصدر السابق ص ١٤٢ .
- الغوري : فلسطين ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩ .
- درروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١١٨ .

- (۲۱) انظر الخالدي : المصدر السابق ص ۲۲۲ .
 فارن حريده فلسطين ۲۶ ابريل ۱۹۳۶ .
 دروزه : حول الحركة ح ۳ ص ۱۱۸ - ۱۱۹ .
 انغوري : فلسطين ح ۲ ص ۵۷ - ۶۰ .
 P.A.S. 6 May 1936 FO 371/20018. (۲۲)
 انظر دروزه حول الحركة ح ۳ ص ۱۱۸ . (۲۳)
 H.C to CC 12 September 1936 CO 733/311.
 Tegart: op.cit, Box I File 3 (۲۴)
 Marlowe: op.cit., p. 139 (۲۵)
 Bowden: op.cit, p. 148. (۲۶)
 Peel Report: op.cit, p. 132. (۲۷)
 Hurewitz: op.cit, p.68. (۲۸)
 Tegart: op.cit, Box I file 3(c). (۲۹)
 الخالدي : المصدر السابق ص ۲۴۴ . (۳۰)
 مذكرات عمره دروزه في صوت فلسطين (۱۹۷۸) . (۳۱)
 احمد الامام : وثائق واوراق حاصد (مركز الاحداث - بيروت) . ص ۱۰۰ . (۳۲)
 رقم ۱۴۷ حفا : ۲۴ ابريل ۱۹۳۶ . (۳۳)
 رعيتي : يوميات كراس ۸ في اكرم من صفحة ، فارن الحوب - حريده .
 السابق ص ۲۸۰ - ۲۹۱ .
 Peel Report: op.cit, p. 132. (۳۴)
 H.C to CC 12/9/36 CO 733/311. (۳۵)
 Tegart: op.cit, Box I file 3 (۳۶)
 Porath: op.cit, Vol:II p. 172. فارن :
 H.C. to C. 16 July 1936 FO 371/20022. (۳۷)
 Tegart: op.cit, Box I File 3 (C). (۳۸)
 Peel Report: op.cit, p. 134. (۳۹)
 الخالدي : المصدر السابق ، ص ۲۴۴ . (۴۰)

Tegart: op.cit, Box I, file (C). (٤١)

الكاتب : المصدر السابق ص ٣٠٥ - ٣١٥ . (٤٢)

انظر المراجع التالية على سبيل المثال :- (٤٣)

١ - صحى ياسين : المصدر السابق ص ٣٠ - ٣٦ .

٢ - رعيبر : العصابة الفلسطينية (دار المعارف حمر ١٩٥٥)

ص ٩٧ - ٩٨ .

٣ - دروره : القضية ح ١ ص ١٢٨ وما بعدها .

Lucas: op.cit, p. 102. (٤٤)

Hirst: op.cit, p. 80. (٤٥)

Tegart: op.cit, Box I, File 3(C). (٤٦)

Ibid. (٤٧)

انظر مثلا ما هو مكنوت عن عبد الله حلاذ وما هو مكنوت عن محبوب (٤٨)

حجم اكرم رعيبر ويوفى عن الرزاق وسلم عن الرحس ومحمد على

الطاهر مكي :- Tegart: op.cit, Box I, File 3.

Ibid. (٤٩)

انظر هنا على سبيل المثال تقرير مطول عن المعنى مكي :- (٥٠)

Tegart: op.cit, Box I, File 3 DS. 125.3, 1983.

قارن أيضا :-

Appendix "B" Short list of Principal Arab

Personalities in Palestine FO 371/20018.

Tegart: op.cit, Box I File 3. (٥١)

Peel Report: op.cit, pp.132-133. (٥٢)

Ibid. (٥٣)

Ibid. (٥٤)

قارن أيضا صحى ياسين : المرجع السابق ص ٣٣ .

P.A.S. 12/71936 FO 371/20018.

- Tegart: op.cit, Box I,File 3 (A). (٥٦)
- Ibid., (٥٧)
- Tegart: op.cit, Box I,File 3 (A). (٥٨)
- Ibid., (٥٩)
- Ibid., (٦٠)
- Ibid., (٦١)
- Ibid., (٦٢)
- Ibid., (٦٣)
- Ibid., (٦٤)
- Ibid., (٦٥)
- Ibid., (٦٦)
- Ibid., (٦٧)
- Peel Report: op.cit, p.97
الحالدي : المصدر السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥. (٦٨)
- Porath: op.cit, Vol:II, p. 166. - قسار : (٦٩)
- Hirst: op.cit, p.82.
- Porath:Ibid., زعبيتر : يوميات كراس ٨ ص ١١١ قارن . (٦٩)
- السفري : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨ - ٢٢ . (٧٠)
- الامام : وثائق واوراق خاصة : بيان المحل الاسلامي ١١ حزيران ١٩٣٦ . (٧١)
- قارن :
H.C to CO 17/5/36. CO 733/297. (٧٢)
- P.A.. 6/5/36 FO 371/20018. (٧٢)
- Ibid., (٧٣)
- Porath: op.cit, Vol: II,p.169. (٧٤)
- H.C to Parkinson 22 October 1936. (٧٥)
- FO 371/20018.
- Marlows: op.cit, p. 142. (٧٦)
- الحسوت : المصدر السابق ص ٢٩٤ : (٧٧)

- H.C to Parkinson 22 October 1936 FO 371/20018. (٧٨)
- H.C to CC 1936 CO 733/297. (٧٩)
- Marlowe, John: Rebellion in Palestine (London 1964) p. 157. (٨٠)
- الفوزي : فلسطين ج ٢ ص ٨١ (٨١)
- فلسطين ٢٥ أبريل ١٩٣٦ . (٨٢)
- العدد ذاته . (٨٣)
- دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١٢٠ - ١٢١ . (٨٤)
- زعتر : يوميات كراس ٨ ص ١٠٠ . (٨٥)
- Tegart: op.cit, Box I File 3. (٨٦)
- Tegart: op.cit, Box I file 3. (٨٧)
- Ibid. (٨٨)
- Ibid. (٨٩)
- Ibid. (٩٠)
- انظر زعتر يوميات ص ٦٠ وما بعدها (٩١)
- Porath: op.cit, Vol:II, p. 163. قارن
- Ibid., Vol: I, p. 204.
- Tegart: op.cit, Box I file 3. (٩٢)
- Ibid. (٩٣)
- زعتر : المصدر ذاته . (٩٤)
- الحوث : المصدر السابق ص ٤٠٨ . (٩٥)
- زعتر : المصدر ذاته . (٩٦)
- دروزة : الفضة ج ١ ص ١٣٢ . (٩٧)
- Porath: op.cit, Vol: قارن ، ١٩٠ ص ١٨٠ . (٩٨)
- Schectman: op.cit, p.46 (٩٩)
- قارن زعتر يوميات كراس ٨ ص ١٩٠ الذي يذكر فيه عددا منهم من
عائلات مختلفة مثل الجبوسي وحبون وعبيده . انظر ايضا ، انجالدي
المصدر السابق ص ٢٢٦ .

- (١٠٠) زعيتر : المصدر السابق ص ١٩٣ .
- (١٠١) انظر وثائق زعيتر : الوثيقة رقم ٣٢ .
- (١٠٢) انظر ما هو مكتوب عن جمال الفساح في :
Regart: op.cit., Box File 3
- (١٠٣) انظر ما هو مكتوب عن اسماعيل طوباس في :
Ibid.,
- (١٠٤) انظر ما هو مكتوب عن احمد الطاهر وعطا ابو طانة واحمد الحمادي
في :
Ibid.,
- (١٠٥) Ibid.,: BoxI,File 3.
- (١٠٦) H.C to CS 12 September 1936 CO 733/311.
- (١٠٧) السعري : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٧ .
- (١٠٨) Marlowe: op.cit, p. 140.
- (١٠٩) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦ كان حسر صدفي الدخاني احد قادة هذا
الحرس الوطني .
- (١١٠) المصدر السابق ص ٧٠ .
- (١١١) نص القرار الكامل موجود في العوري : فلسطين ج ٢ ص ٦٦ - ٦٧ .
- (١١٢) Porath: op.cit, Vol: II,p.179.
- (١١٣) Ibid.,
- (١١٤) Porath: op.cit, Vol:IIp.194.
- (١١٥) Ibid.,
- (١١٦) انظر فاسمذ ، حبرية (اعداد) فلسطين في مذكرات الفاوقجي
(بيروت مركز الابحاث ١٩٧٥) ج ٢ ص ٥٨ .
- (١١٧) Porath: op.cit, Vol: II,p.186.
- (١١٨) المصدر السابق : فلسطين في مذكرات الفاوقجي ص ٥٨ .
- (١١٩) المصدر ذاته ص ٥٩ .
- (١٢٠) Schectman: op.cit., p. 48.
- (١٢١) H.C to CS 22/8/1936 CO 733/314.
قارن دروزة حول الحركة ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

- (١٢٢) العورى : فلسطين ج ٢ ص ٩٢ .
- (١٢٣) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١٣١ .
- فارن :- Porath: op.cit, Vol:II, p.188. (١٢٤)
- P.A.S. 18 August 1936 FO 371/20018. (١٢٥)
- Tegart: op.cit, Box I, File 3. (١٢٦)
- P.A.S. 27 October 1936, FO 371/20018. (١٢٧)
- Cohen: op.cit, pp.44 -45. (١٢٨)
- Tegart: op.cit, Box I, File 3. (١٢٩)
- The Palestine Police Headquarters, Jerusalem 27 Oct., 1936 FO 371/20028. (١٣٠)
- Hirst: op.cit, pp.220-230. (١٣١)
- Tegart: op.cit, Box I, File 3. (١٣٢)
- قارن الكيالي : المصدر السابق ص ٢١٦ .
- العورى . (١٣٣)
- Ibid., (١٣٤)
- العورى : فلسطين ج ٢ ص ٨٢ ، السفرى المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٢ . (١٣٥)
- المصدر ذاته ص ٨٢ - ٨٣ . (١٣٦)
- المصدر ذاته ص ٧٥ . (١٣٧)
- Marlowe: Rebellion, p.157. (١٣٨)
- Sykes: op.cit, p. 129. (١٣٩)
- Laqueur: op.cit, pp. 96-97. (١٤٠)
- صحى ياسين : المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٦ . (١٤١)
- الكيالي : المصدر السابق ص ٢١٠ . (١٤٢)
- Porath: op.cit, Vol:II p.186, (١٤٣)
- Marlowe: Rebellion, p. 164. (١٤٤)
- FO to Sir, Clark Kerr(Baghdad), Sir R. Bullard, (Jedda), Mr. Kelly (Alexandria) 7 October 1936 CO 733/311. (١٤٥)
- Appendix "B" List of Arab Gang Leaders, Feb. 26, 1937. FO 371/20824. (١٤٦)

- Appendix B Ibid. انظر : أ - (١٤٥)
- ب - الغوري : فلسطين ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦ .
- ج - Tegart: op.cit, Box I File 3. (١٤٦)
- د - ياسين : المصدر السابق ص ٢٢ .
- Hurewitz: op.cit, p.83. (١٤٧)
- Sykes: op.cit, p.150. (١٤٨)
- ياسين : المصدر السابق ص ٢٢ - ٢٣ . (١٤٩)
- المصدر ذاته ص ٢٣ . (١٥٠)
- المصدر ذاته ص ٢٣ .
- فان أيضا درورة : حول الحركة ج ٣ ص ١٢١ - ١٢٢ .
- الغوري : فلسطين ج ٢ ص ٧٦ .
- Tegart: op.cit, Box I, File 3 (A). (١٥١)
- DS. 125. 388.
- Enclosure No.99, Baghdad August 17,1936 (١٥٢)
- received August 31,1936 FO 406/74/8251.
- مقالة المؤلف مع الاستاذ كامل الدجاني سنة ١٩٧٧ . (١٥٣)
- مقالة مع عبد الله الكليب وكيل وزارة التري والتري من الكويت سابقا في ربيع ١٩٧٧ . (١٥٤)
- مقالة المؤلف مع الاستاذ عبد الله السعاف المسؤول عن مكتب الخليج العربي في وزارة الخارجية الكويتية - مايو ١٩٧٨ . (١٥٥)
- P.A.S. ٥/5/1936. (١٥٦)
- الغوري : فلسطين ج ٢ ص ١٠٣ . (١٥٧)
- الغوري : المصدر ذاته ، فان درورة حول الحركة ج ٣ ص ١٢٢ . (١٥٨)
- الغوري : المصدر السابق ، ص ١٠٤ . (١٥٩)
- المصدر ذاته ص ١٠٤ . (١٦٠)
- فان : Porath: op.cit, Vol:II,pp 199-200. (١٦١)
- Enclosure No:99, Baghdad Aug.,17,1936. (١٦٢)
- received Aug.,31,1936.
- Ibid.,

- Ibid., (١٦٣)
- Ibid., (١٦٤)
- P.A.S. 12.7/1936 FO 371/20018. (١٦٥)
- Foreign Secretary Memorandum 20/6/1936. (١٦٦)
CO 733/312.
- العزري : فلسطين ج ٢ ص ١٠٧ - ١١٠. (١٦٧)
- P.A.S. 18th Aug., 1936 FO 371/20018. - قارن : (١٦٨)
المصدر ذاته ص ٩٥ .
- Record of interview with the secretary of State. Present were Jamal Effendi Huuseini, Shibli Effendi Jamal, Dr. Izst Tannus and Amile el-Shuri, 14 July 1936 CO 733/321. (١٦٩)
- Ibid., (١٧٠)
- Ibid., (١٧١)
- Ibid., (١٧٢)
- Monroe, Elizabeth: Britain's Moment in the Middle East (London) 1964 p.86. (١٧٣)
- وثائق المقاومة ص ٣٨٠ . قارن فلسطين ١٩٣٦/٤/٢٧ . (١٧٤)
- الجزيرة ١٩٣٦/٥/١ انظر خلة : المصدر السابق ص ٣٩٦ . (١٧٥)
- Forath : op.cit, Vol:II, p. 202. (١٧٦)
- ESOC: op.cit, Vol II, p. 777,857. (١٧٧)
- قارن صابع انيس : الهاشميون وقضية فلسطين (صدا ويبروت ١٩٦٩) ص ١٥٦ - ١٥٧ .
- Forath: op.cit, Vol:II, p. 202. (١٧٨)
- Ibid., (١٧٩)
- وثائق زعبيتر : الوثيقة رقم ٥٥ المجموعة الثالثة . (١٨٠)
- Forath: op. cit, Vol:II, p. 202-203. (١٨١)

- Ibid., (٢٠٤)
- Ibid., (٢٠٥)
- P.A.S. 27th Oct., 1936 FO 371/20018. (٢٠٦)
- Porath: op.cit, Vol:II, p. 206. (٢٠٧)
- Ben Gurion: op.cit, p. 109. (٢٠٨)
- P.A.S. 1st August 1936 FO 371/20018. (٢٠٩)
- ابو بصير ، صالح مسعود : جهاد فلسطين في عهد فرنس و بروت (١٩٦٨) ص ١٨٩ (٢١٠)
- درورة : القضية ج ١ ص ١٢٩ - (٢١١)
- Hurewitz: op.cit, p. 71. (٢١٢)
- P.A.S. 6/5/1936 FO 371/20018. (٢١٣)
- Ben Gurion: op.cit, p. 110. (٢١٤)
- قارن زعتر : يوميات الكراس ٨ ص ١٠٥ . (٢١٥)
- Porath: op.cit, Vol: II, p. 209. (٢١٥)
- اوراق عوني عبد الهادي ، ص ٧٧ . (٢١٦)
- زعتر : المصدر السابق ص ١٠٨ . (٢١٧)
- Porath:op. cit, Vol:IIp. 209. (٢١٨)
- Ben Gurion: op. cit, p. 110. (٢١٩)
- وثائق المركز العراقي وشيقة رقم ١٤٤٩ /ملف ١١٣٦/٥ (٢٢٠)
- Ben-Gurion: op.cit, p. 111. (٢٢١)
- Porath: op.cit, Vol:II, pp. 204-211. (٢٢٢)
- فلسطين في مذكرات الفاوفجي ج ٢ ص ٢٢ . (٢٢٣)
- المصدر ذاته ص ٢٦ . (٢٢٤)
- زعتر : يوميات كراس ٨ ص ١٢١ . (٢٢٥)
- Ben Gurion: op.cit, p. 111 (٢٢٦)
- P.A.S. 1st, September 1936 FO 371/20018.

- (٢٢٧) زعبيتر : يوميات كراس ٨ ص ١٢٦ .
- (٢٢٨) Porath: op.cit, Vol:II, p.210.
- (٢٢٩) Ibid.,
- (٢٣٠) CS to HC 2/9/1936 CO 733/314.
- (٢٣١) CS to HC 1 September 1936 CO 733/297.
- (٢٣٢) Cohen,J.Michael: Palestine Retreat From the Mandate(Paul Elek London 1978)p. 26.
- (٢٣٣) نص الرسالة موجود لفي ، زعبيتر : يوميات الكراس ٨ ص ١٨٢ .
- (٢٣٤) الصايغ : المصدر السابق ص ١٣٦ .
- قارن : P.A.S. 23,Sept.,1936 FO 371/20018.
- (٢٣٥) Peel Report: op.cit,
- (٢٣٦) فلسطين في مذكرات الفاوقجي ج ٢ ص ٢٧ .
- (٢٣٧) المقطم ١٩٣٦/٩/١٦ .
- (٢٣٨) العدد ذاته ١٩٣٦/٩/١٧ . قارن دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١٤٢
- قارن ايضا :- P.A.S. 28 Sept.,1936 FO 371/20018.
- (٢٣٩) السفري : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٧ - ٦٠ .
- (٢٤٠) الغوري : فلسطين ج ٢ ص ٩٦ .
- (٢٤١) انظر نص الرسالة في فلسطين في مذكرات الفاوقجي ص ٢٨ - ٣٩ .
- (٢٤٢) المصدر ذاته ص ٣٩ .
- (٢٤٣) Porath: op.cit, Vol:II, pp.213.
- (٢٤٤) Ibid.,
- (٢٤٥) ١ . حضر ، علي محفوظ : تحت راية الفاوقجي (دمشق ١٩٣٨) ص ٢٥ - ٢٨ .
- ب - وثائق المقاومة ص ٤٣٣ - ٤٣٦ .
- ج - وثائق زعبيتر : المجموعة الثالثة عن بلاغات العمادة العامه
- (٢٤٦) الحوت : المصدر السابق ص ٤١٢ .
- (٢٤٧) الغوري : فلسطين ج ٢ ص ٩٦ .

- (٢٤٨) المصدر ذاته .
- (٢٤٩) مركز الأبحاث قسم الوثائق الملف ب/٤ رقم الوثيقة ٤١ .
- (٢٥٠) Porath: op.cit, Vol:II, p. 192.
- (٢٥١) العورى : فلسطين ج ٢ ص ٨٢ - ٨٤ .
- (٢٥٢) فارن : Porath: op.cit, Vol:II, p. 192.
- (٢٥٣) انظر فلسطين في مذكرات الفاوقجي ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٨ .
- (٢٥٤) مقالة المؤلف لاحمد سببة الديو كان مسؤولا عن دفع حدود التروات
نص المقالة في ربيع ١٩٧٨ في الكويت .
- (٢٥٥) العورى : فلسطين ج ٢ ص ٩٧ - ٩٨ .
- (٢٥٦) العورى : المصدر ذاته ج ٢ ص ٩٧ - ٩٨ .
- (٢٥٧) فارن : Porath: op.cit, Vol:II, p. 212.
- (٢٥٨) Peel Report: op.cit, p. 101.
- (٢٥٩) H.C to CS 12 Sept., 1936 CO 733/311.
- (٢٦٠) Ibid.,
- (٢٦١) Ibid.,
- (٢٦٢) P.A.S. 7 October 1936 FO 371/20018.
- (٢٦٣) العورى : فلسطين ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧ .
- (٢٦٤) H.C to CS 12 Sept., 1936 CO 733/311.
- (٢٦٥) وثائق المعارمة ص ٢٣٩ - ٤٤١ .
- (٢٦٦) P.A.S. 7 October 1936 FO 371/20018.
- (٢٦٧) Porath: op.cit, Vol:II, p. 212.
- (٢٦٨) P.A.S 16 October 1936 FO 371/20018.
- (٢٦٩) Minute by J.M. Martin 18 Sept., 1936 in CO 733/314.
- (٢٦٨) وثائق المركز الوطني العراقي وثيقته رقم (١٦١) ١٩٣٦/١٥/٥ . الوصف
بتوقيع ياسين الهاشمي بتاريخ ١٥/٩/١٩٣٦ ومرسلة الى جوري السعد
- (٢٦٩) المصدر ذاته .

- المصدر ذاته . (٢٧٠)
- المصدر ذاته . (٢٧١)
- Batman to Eden 27 September 1936 FO 406/74. (٢٧٢)
- Ibid., (٢٧٣)
- Batman to Eden 2 October 1936 FO.406/74. (٢٧٤)
- P.A.S. 28 Sept., 1936 FO 371/20018. (٢٧٥)
- Ibid.,
- Ibid., (٢٧٦)
- Clark-Kerr: FO 20 October 1936 FO 371/20018. (٢٧٧)
- Clara to Eden 8 October 1936 FO 406 /74. (٢٧٨)
- Ibid., (٢٧٩)
- H.C to C.S 3 October 1936 CO 733/314. (٢٨٠)
- Bill to Chief Imperial General Staff Oct., (٢٨١)
- 15, 1936 H.O 32/4178.
- Cohen, J: " Sir Arthur Wanchope, the Army and (٢٨٢)
- and the Rebellion in Palestine, 1936" Middle East
- n Studies (St. Antony's College-Oxford) Vol:9,
- 1973, p. 28.

الباب الخامس

موقف الحزبين في الفترة الانتقالية ما بين نهاية الاضراب
والمرحلة الاولى من الثورة (اكتوبر ١٩٣٦) الى
حل اللجنة العربية العليا والاحزاب (اكتوبر ١٩٣٧)

- ١ -

ممارسات الحزبين حتى قدوم اللجنة الملكية

كانت الفترة التي تلت وقف الاضراب في اكتوبر ، كما أشرنا سابقا بمثابة هدنة مسلحة . فالثورة لم تلق السلاح . كما أن المشكلات الرئيسية التي عانى منها الفلسطينيون العرب لم تلق حلا . وعلى هذا فقد مارس الحزبان أو هياكلهما الاساسية ، وبالذات قياداتهما نشاطيهما ضمن اطار ذي طابع مزدوج : اطار الثورة التي لم تلق السلاح ، واطار ترقيب الحلول ، وعلى ما يظهر فقد تركت ممارسات الثورة ، وما نجم عنها من تصاعد قوة المفتي ، وبالمقابل ضعف راغب النشاشيبي أثرها على ممارسات الحزبين وقوتيهما في فترة ما بعد الثورة . فتقارير السلطة عن هذه الفترة تصور موازين القوة بين الطرفين على الوجه التالي : تعاضم قوة المفتي وانصاره (وكذلك حزب الاستقلال والشباب) " خرج المفتي من الثورة وهو الرجل الاقوى أو الاول (strongman) في فلسطين " (١) . وضعف حزب الدفاع وانشاققه على نفسه . فقد انسحب في شهر نوفمبر حسن صدقي الدجاني من الحزب (٢) كما تشير التقارير الى ان راغب فقد معظم نفوذه (٣) ويبدو أن الحزب استمر في طريق الضعف حتى وصل الى درجة الانحلال الكامل (٤) . وكان لاختلال ميزان القوى بين الحزبين ، ولطفيان أثر المفتي في اللجنة العربية العليا ان فكر راغب في الانسحاب من هذه اللجنة وهدم الاطار الذي

- ٣٤٥ -

تصاعدت من خلاله قوة خصمه . ولقد برز راغب موقفه من الانسحاب من هذه اللجنة بانها - آى اللجنة - انما قامت من أجل قيادة الشعب خلال الاضراب ، ولما كان الاضراب قد انتهى فانه لا حاجة لهذه اللجنة . وعندما رفض هذا الطلب بالانسحاب من قبل اللجنة ازداد الحزب تدهورا (٥) . ومع ذلك فقد توقف ممثلو حزب الدفاع عن حضور اجتماعات اللجنة طوال شهرى تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٣٦ (٦) .

ومهما يكن من أمر فقد استمرت اللجنة العربية ايضا تمارس نشاطها في قيادة الحركة الوطنية وقد تميز هذا النشاط بالتركيز على بعض الجوانب التنظيمية من قبل جمع النقود من أجل دعم الاضراب والثورة في حالة تجددهما (٧) . كما ركزت اللجنة في هذه الفترة على تنظيم مقاطعة فعالة للبضائع اليهودية وبحسب أحد التقارير السرية ، فان الاهتمام الاساسي للمنظمات السياسية في هذه المرحلة - الانتقالية - منصب على قضيتين اساسيتين الاولى استقبال اللجنة الملكية - مما سنتحدث عنه تفصيلا فيما يأتي - والقضية الاخرى هي تنظيم مقاطعة لليهود والتخلص من أثر تجارهم (٨) . وقد شنت اللجنة العربية العليا حملة دعائية ضخمة تولى أمرها كالعادة : الصحافة والعلماء والوعاظ من رجال المفتي الذين حثوا الناس على الالتزام بقواعد المقاطعة " (٩) .

- ٢ -

الحزبان يقاطعان اللجنة الملكية

ولكن أهم الامور التي استأثرت باهتمام الاحزاب والحركة الوطنية عامة كان قدوم اللجنة الملكية الى فلسطين في نوفمبر ١٩٣٦ من أجل تقييم أسباب ثورة ١٩٣٦ ووضع الحلول المناسبة (١٠) وقد رحب العرب بهذه اللجنة ابتداءً بينما لم يرحب بها اليهود (١١) ومن هنا فقد أعدوا أنفسهم لاستقبالها واعتبر الاهتمام بأمرها أولوية كبرى (١٢) : " ان نشاط المنظمات السياسية منصب على الاستعداد لعرض القضية العربية على اللجنة الملكية . . ومن أجل ذلك شكلت لجنة فرعية من اللجنة العربية جمعت مادة وثائقية كبيرة " (١٣) ويؤيد هذا الغورى ، ويقول أن اللجنة العربية شكلت لجانا خاصة من المحامين والخبراء الفنيين لاعداد

الوثائق والمستندات والدراسات (١٤) .

ولكن هذا الاستعداد توقف وكان هذا التوقف في ظل المعطيات التالية :
فقد حاولت القيادة العربية استباق قدوم اللجنة الملكية وحذرت المندوب السامي
من أنه إذا كان قدوم اللجنة لن يكون مصحوبا بوقف الهجرة فلا داعي لقدمها .
فقد حذر المفتي واکهوب أنه إذا أعطى اذن بالهجرة فان السلام في البلاد
سيتعرض للخطر ، كما أن جمال الحسيني أخبر المندوب السامي انه اذا كان وزير
المستعمرات سيسمح باذن عمل جديد فانه لا حاجة لارسال لجنة ملكية لان هذا
سيكون بمثابة اصدار حكم مسبق في قضية لا تزال تحت النظر (١٥) .

وعلى هذا فقد اصدرت اللجنة العربية بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٦ بيانا ربطت
فيه بين موقفها من اللجنة الملكية وموقف الحكومة البريطانية من الهجرة وقالت اذا
لم توقف الهجرة فانها ستقاطع محادثات اللجنة وتدعو العرب الاخرين ليحذروا
حذوها (١٦) .

وعندما أعلن وزير المستعمرات في ٥ نوفمبر أن الهجرة لن تتوقف وانه
سيسمح بهجرة ما اعتبره نسبة قليلة من اليهود : ١٨٠٠ ، كان لهذا الاعلان وقع
سيئ على العرب كما كان مصدر دهشة واستغراب (١٧) واعتبرت جريدة اللسواء
- جريدة جمال الحسيني - هذا التصرف من بريطانيا بأنه لا يدل على أنها
الجديرة بالثقة ، كما أنه طعنة في الظهر ، لا سيما وانه جاء بعد ان اخلد العرب
للهدوء (١٨) .

كما أن اللجنة العربية - بجميع أعضائها - اجتمعت في ٦ نوفمبر واصدرت
بيانا قالت فيه أن " اللجنة تستنكر هذا الموقف وتقرر عدم التعاون مع اللجنة
الملكية ، وتدعو الامة الكريمة ان تعمل بهذا القرار " (١٩) .

ولم تفلح جهود واکهوب في حمل اللجنة على التحول عن موقفها وتغيير
قرارها . وقد تولى الدفاع عن موقف اللجنة هذا أمام المندوب السامي - في
الاجتماع الذي عقد يوم ٧ نوفمبر - جمال الحسيني الذي اتسم موقفه بالمعارضة
الشديدة لاقتراح المندوب السامي بالعدول عن المقاطعة (٢٠) .

ولم تتوان اللجنة لحظة في الدعوة لموقفها وتجميع الناس حول المقاطعة .
ففي يوم ٦ نوفمبر - يوم اصدار البيان بالمقاطعة - غادر عضوان هامان في اللجنة
وهما عوني عبد الهادي والدكتور حسين خالدى الى شرق الاردن لاعلام الامير

عبدالله من الموقف من المقاطعة (٢١) . كما يظهر أنه سادت البلاد موجة كبرى من الاستنكار تضامنا مع موقف اللجنة : " ان الحالة في البلاد تتغير بسرعة كبيرة كما أن عدم الثقة بالحكومة يعبر عنه بصورة علنية " (٢٢) .
وعندما وجه بيل نداءه الى العرب قائلا " هل لنا أن نسأل اولئك الذين يحبون فلسطين ويرجون الخير لمستقبلها ان يشتركوا معنا ويساهموا في اعمالنا " (٢٣) لم يسفر هذا النداء الا عن رسالة بعث بها الحاج أمين الى اللورد بيل يعتذر فيها عن عدم تمكن الشعب العربي من القيام بواجب الضيافة حسب تقاليد الموروثه ، بسبب موقف الحكومة البريطانية الاخير (٢٤) كما قال المفتي ايضا أنه لما كانت الحكومة البريطانية " هي المرجع والحكم في تحقيقات اللجنة ، فان العرب لم يعد لهم أمل في انصاف الحكم لهم . لهذا لم يروا ، مع الاسف ، أية فائدة في التعاون مع لجننتكم الموقرة " (٢٥) .
وعندما وصلت اللجنة الملكية في ١١ نوفمبر قاطع جميع المدعويين العرب حفل الاستقبال الذي أعده الصندوق السامي لهذه اللجنة (٢٦) .

- ٣ -

اللجنة العربية تعدل عن مقاطعة اللجنة الملكية

تضافرت عدة عوامل جعلت اللجنة تعدل عن موقفها من مقاطعة اللجنة الملكية . وقد تمثلت هذه العوامل في حملة من الضغوط الخارجية والداخلية التي تمكنت في النهاية من ثني اللجنة عن عزمها على الاستمرار في المقاطعة .
١ - الضغوط الخارجية : كانت بادرة أول ضغط خارجي على اللجنة ما قام به الامير عبد الله الذي اختارته اللجنة - كما سبق لنا القول - من أجل أن تعلمه بقرارها سعيًا وراء تضامنه معها ، ولكنه استنكر موقفها . ويعزو عزة دروزة هذا الموقف من الامير لضغوط انجليزية " وكان الحاج الانجليز ظاهرا في هذا الضغط الذي بدأ به عاهل الاردن . . . حيث أرسل يخطيء اللجنة في قرار المقاطعة (٢٧) وقد جاء الامير الى القدس عقب وصول اللجنة ودعاها الى عمان كما أنه حاول في القدس ان يقنع اللجنة بالانصال بها أو " تفويضه كتابيا ليتكلم باسم

- ٣٤٨ -

اللسطينيين " (٢٨) . ولم يلبث أيضا أن انقلب الى الملك غازى وابن سعود ليحاولوا جميعا القيام باقتناع الزعماء الفلسطينيين ان يتجنبوا هذه الخطوة المميتة مهما كان تصميمهم (٢٩) .

وعلى ما يظهر فان الملك ابن سعود والملك غازى لم يكونا بحاجة الى حث من الامير عبد الله . يقول عزة دروزة " منذ أبحرت اللجنة الملكية والضغط يتوالى على اللجنة العربية من عمان والرياض وبغداد وبنوع خاص من عمان والرياض " (٣٠) وقد وصل الامر بابن سعود ان يهدد بوقف محاولاته في سبيل فلسطين وقطع علاقاته مع اللجنة " وأخذت برقيات الرياض تتوالى كذلك ملحمة بالاتصال ومنذرة بالعواقب بقطع الصلات واعتبار المقاطعة مبدلا لمفعول النداء والوساطة الاولى " (٣١) .

ولم يجد اللجنة العربية نفعا الوفد الذى أرسلته الى الرياض وبغداد مكونا من عونى عبد الهادى وعزة دروزة وكامل القصاب ومعين الماضى ليقنع الحكام العرب بتعزيز موقف اللجنة . بل على العكس فقد عاد الوفد يحمل رسالة الى اللجنة العربية العليا تقول : " ان المصلحة تقضى بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة ، لان ذلك أضمن لحقوقكم وأولى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم " (٣٢) .

ومن أجل أن ندرك مقدار هذا الضغط من قبل الحكام العرب فانه ينبغي أن نتذكر أنه من جراء هذا الضغط واستجابة لما سمي " النداء السامي " - ضمن ضغوط اخرى سنتحدث عنها في ماسيلي - حدث التغيير الكلي في موقف اللجنة من المقاطعة . ويذكر أحد المراجع أن قبول اللجنة بالتمثل أمام اللجنة انما كان " نياية عن الحكام العرب " (٣٣) وعلى أية حال فقد اعتبرت بعض المصادر الاخرى هذا الضغط من قبل الحكام العرب على الفلسطينيين دليلا لدى الكثيرين على أن ولاء الدول العربية " لا زال للصديقة بريطانيا أكثر منه للمصالح الفلسطينية " (٣٤) .

ولم يقتصر الضغط الخارجي على الحكام العرب بل تعدى ذلك الى بعض أصدقاء القضية العربية وبوجه خاص في بريطانيا . فقد حث مستر بنيت وكولونيل ستيوارت ونيوكمب ومس فرانسيس نيوتن ، العرب الفلسطينيين على الاتصال باللجنة لناحيتين : الاولى الايمان بعدالة نظرة هذه اللجنة مما سيتبعه انصاف

العرب ، والثانية ان المقاطعة ستجلب على العرب فقدان التعاطف البريطاني وتجعل عمل هؤلاء الاصدقاء أكثر صعوبة (٣٥) .

٢ - الضغوط الداخلية : لم تسلم اللجنة العربية العليا من ضغوط من داخل فلسطين نفسها . فقد سبق لنا الاشارة الى موقف واكهوب من اللجنة العربية عشيبة اصدار بيان المقاطعة من أجل العدول عنه . ويبدو أنه مارس - آنذاك - ضغطا كبيرا حتى انه وصف موقف اللجنة " بالحمق والجنون " (٣٦) .

ويذكر أكثر من مصدر فلسطيني معاصر أنه كان هناك ضغط بريطاني في داخل فلسطين على الشعب الفلسطيني للاتصال باللجنة فالشقيري يذكر أن السلطات البريطانية "مارست ضغطا مباشرا وغير مباشر لحمل الشعب الفلسطيني على الاتصال باللجنة والعدول عن مقاطعتها" (٣٧) كما أن الغوري ينسب الى رسالة من نافذ الحسيني ، أحد أفراد الحزب العربي البارزين "المساعي التي بذلتها الحكومة لحمل العرب على المثول أمام اللجنة الملكية (٣٨) ويظهر أنه كان لواكهوب أثر كبير في عدول عوني عبد الهادي عن موقفه المتشدد من المقاطعة ، ليس ذلك فقط ، وإنما التأثير على موقف اللجنة ككل . فبحسب إحدى الرسائل الواردة في أوراق عوني عبد الهادي - من واكهوب - يذكر الأخير "ان جهوده (أي عوني) قد أثرت في اتخاذ الزعماء العرب بتقديم شهادتهم أمام اللجنة " (٣٩) .

ولم يكن موقف عوني عبد الهادي وحده هو الذي أثر في تغيير موقف اللجنة العربية بل ان موقف حزب الدفاع كان ممازاد في زعزعة هذا الموقف . فبحسب أحد تقارير البولي نجد أن حزب الدفاع لم ينتظر طويلا حتى تنكر لموقفه من المقاطعة (٤٠) .

وقد عبرت جريدة فلسطين الناطقة بلسان الحزب عن موقف الحزب من المقاطعة بمقالة كتبها في ١٩٣٦/١٢/٢٤ وانتقدت فيها موقف المفتي من هذه المقاطعة (٤١) ولم يلبث حسن صدقي الدجاني ان نشر بيانا أعلن فيه اعتزازه المثول أمام اللجنة (٤٢) ولم تستبعد بعض المصادر اثر الامير عبد الله في موقف حزب الدفاع هذا من التنكر للمقاطعة (٤٣) . ويرى الكيالي أن موقف حزب الدفاع في العودة عن المقاطعة بأنه لم يكن استجابة لضغط الامير عبد الله بمقدار ما كان تعبيرا عن تضامن استراتيجي بين الطرفين من أجل مصالح هذين الفريقين وفي سبيل تقليص نفوذ خصومهم من السياسيين المحليين وبخاصة المفتي وأنصاره . ويوضح الكيالي التضامن الاستراتيجي بخوف كل من الدفاعيين والامير من اندلاع الثورة من جديد مما سيجعل الحاج أمين " يصبح دون شك سيد البلاد بسلا

منازع (٤٤) ويؤكد الفوري بدوره أنه كان هنالك خلاف في الاستراتيجية بين حزب الدفاع والحزب العربي وأن خروج المعارضة على اللجنة لم يكن إلا "لخوفهم من أن تعود اللجنة الى اضرام نار الثورة من جديد" (٤٥) .

كما أنه في هذه الفترة بدت في البلاد بوادر انشقاق داخلي وأخذ شكل نكرة طائفية اتهم المفتي الذين يروجونها بأنهم من "أعوان السوء" وصنائع الاعداء من طلاب الصيد في الماء العكر" (٤٦) وفي البيان الذي أصدره المفتي في ٦ يناير اتهم الصهيونيين بأنهم يوعزون الى أذناهم وماجوربيهم بتوزيع نشرات ملوثة بالدس والكيد والسم الزعاف سرا بين الناس في المدن والقرى محاولين بذلك صدع الجبهة الوطنية المتحدة بين الوطن الواحد من مسلمين ومسيحيين " (٤٧) .

كان لهذه الضغوط الخارجية والداخلية مجتمعة أثرها وتفاعلاتها على الجبهة الداخلية الفلسطينية وعلى اللجنة العربية بالذات فقد بدأت بالتراجع عن موقفها تدريجيا وبانتظام .

ففي ٢١ نوفمبر اجتمعت اللجنة العربية لبحث الموقف ، وهنا نجد أنه تقرر بعد مناقشة حادة التمسك بقرارات المقاطعة . ولكن مع ذلك فقد أبقت اللجنة الباب مفتوحا . فقد قررت أيضا أنه سيعاد النظر في القرار اذا طلب ملوك العرب ذلك من اللجنة (٤٨) .

وقد أبدى المفتي بعد ذلك رغبته في الاتصال باللجنة الملكية بصورة غير رسمية مع الأبقاء على المقاطعة ، الا أن اللجنة الملكية رفضت الاستجابة لرغبته (٤٩) .

وفي ٦ يناير أصدرت اللجنة قرارها في العودة عن المقاطعة (وكانت اللجنة الملكية قد فرغت من سماع أصوات اليهود ممثلي الصهيونية) وقد نص هذا القرار " على الاتصال باللجنة الملكية نيابة عن الشعب العربي وبسط القضية على أن لا يتقدم أحد للشهادة الانفرادي بدون موافقة اللجنة العربية" (٥٠) .

وبالرغم من كل هذه الضغوط فقد كانت مقاطعة اللجنة ثم العدول بعد شهرين من اعلانها سببا في عدم اعطاء العرب قضيتهم ما تستحقه من الوقت والجهد اللازمين لعرضها كما ينبغي أمام اللجنة . كما أن هذه المقاطعة والعدول عنها كانت مثار نقد فقد اعتبرت مظهرا من مظاهر الخور والضعف أمام الضغط

العربي من ناحية ، والضغط البريطاني من الناحية الاخرى .

فمن الناحية الاولى يتساءل الدكتور حسين الخالدي أحد أعضاء اللجنة ويقول : " ونفكر الان ونقول هل كنا على حق في مقاطعة اللجنة ؟ وجوابنا على ذلك بالسلب اذا اعتبرنا الاشهر التي ضاعت وكنا نستطيع فيها تحضير قضيتنا .. " وعلى هذا فانه يوءثر لو استمر العرب في المقاطعة : " لقد كان على اللجنة ان تظل متمسكة بقرارها الاول ولا تراجع عنه " (٥١) .

ومن الناحية الثانية يتحدث الشقيري عن انتقاد الرأي العام الفلسطيني " لموقف قيادته التي قررت قبل شهرين بالضبط (أي في ٦ نوفمبر) مقاطعة اللجنة الملكية ، وعادت اليوم تلغي قرارها السابق " (٥٢) .

ويستمد رأى الناقدين لموقف اللجنة في العدول عن المقاطعة أهميته من عدتواح بالاضافة الى ما سبق ذكره . ولعل أهمها ان اللجنة كانت تفتقر الى البصيرة او الحكمة السياسية الكافية . كما يظهر أنها لم تستفد من تجربتها خلال السنوات الطويلة مع الاسلوب البريطاني واللجان التي لا تقدم ولا تؤخر . " ولقد كان المفتي نفسه الذى قال اذا كانت بريطانيا لا زالت " هي المرجع والحكم في نتائج تحقيقات اللجنة الملكية فان العرب لم يعد لهم أى امل في انصاف الحكومة لهم " (٥٣) ، والذى يضع احداث هذه الفترة في منظورها التاريخي العام ويحاول قراءة المعادلة الفلسطينية من آخرها ، يستطيع ان يدرك ان الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية لم تكن ذات أثر في القرار البريطاني الذى يبدو أنه كان أعد مسبقا . وان سماع للشهادات كان ، قضية رسميات فقط ذلك أن وايمن في مذكراته يذكر أنه بعد موافقة اللجنة العربية بيومين فقط - ولم تكن قد أدلت بشهاداتها بعد - أطلعته اللجنة الملكية عن طريق أحد اعضائها على مشروع التقسيم (٥٤) .

ولعل مثل العرب أمام اللجنة الملكية اعطى لقرارها نوعا من المبرر أو المسوغ الشرعي كانوا في غنى عن اعطائها اياه .

ومن ناحية اخرى افتقدت اللجنة العربية الحس الواقعي او العملي بعدم مثلها أمام اللجنة الملكية منذ قدومها ويظهر هذا واضحا اذا قسنا موقفها على موقف وايمن والصهيونيين من هذه اللجنة . فهنا نجد الفرق واضحا . فبالرغم من كراهية وايمن للجنة الملكية أسوة بما سبقها من اللجان واعتباره اياها بداية

المشاكل الكثيرة " (٥٥) لم يتوان عن المثل أمامها مع رفاقه في جلسات متعددة وساعات طويلة (خمس جلسات مع وايزمن لوحده) .

فاللجنة العربية على هذا لم تقاطع وتستمر على مقاطعتها ، وبهذا تكون أكثر انسجاما مع موقفها ، ولعلها كانت ستحبط نتائج ترتبت على مثلها ، ولا هي من الناحية الأخرى اهتبلت الفرصة ، وتقدمت بمبادرة ذاتية منها - وليس تحت الضغوط الخارجية التي هددت بتمرق داخلي - للممثل أمام اللجنة .

مثل العرب أمام اللجنة الملكية ممثلو الحزب العربي في اللجنة المفتي وجمال الحسيني بالإضافة الى ممثلي الأحزاب الأخرى عوني عبد الهادي ، وحسين الخالدي ، وعبد اللطيف صلاح ، وقد اختارت اللجنة العربية جميع الممثلين العرب للتحديث للجنة ما عدا حسن صدقي الدجاني الذي تقدم للشهادة على سوء وليته الشخصية (٥٦) وقد تميز موقف الاعضاء العرب المائلين أمام اللجنة بالتكامل والانسجام (٥٧) كما كان نجم هؤلاء الاعضاء هو المفتي (٥٨) وكانت شهادته أهم الشهادات " لأنها حددت الموقف السياسي للحركة الوطنية " (٥٩) ، ويصف أحد المؤرخين المفتي ووايزمن بأن كليهما كان فصيحا (٦٠) وبدوان المفتي أفاد من كون شهادته جاءت بعد شهادة وايزمن فركز على رفض المطالب الصهيونية ، فقد دعا الى تحقيق المطالب التالية :-

- ١ - العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة .
- ٢ - وقف الهجرة اليهودية وقفا تاما وفوريا .
- ٣ - منع انتقال الاراضي العربية لليهود منعا باتا وحالا .
- ٤ - حل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان بانهاء عهد الانتداب ، وعقد معاهدة مع بريطانيا تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ، ذات حكم دستوري تتمثل فيها جميع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيها العدل والتقدم والرفاه " (٦١)

وعلى اثر انتهاء هذه الشهادات العربية غادرت اللجنة الملكية الى بريطانيا يوم ١٨ يناير ١٩٣٧ .

موقف الحزبين في الفترة ما بين مفادرة اللجنة الملكية الى
اصدار قراراتها في ٧ يولييه

ولقد أخذت الصورة السياسية شكلا معينا في الفترة ما بين عودة اللجنة في ١٨ يناير وصدور قراراتها في ٧ يولييه ١٩٣٧ . فلم يمض طويلا وقت على عودة اللجنة حتى بدأت ترشح أخبار مؤداها أن البلاد مقبلة على التقسيم بين العرب واليهود . وكانت اللجنة كما ذكرنا قد أُخبرت وازمن بهذا التقسيم قبل مفادرتها . كما يظهر أن العرب لم يكونوا يعيدون عن معرفة بعض المعلومات عن هذا التقسيم المنتظر . بل أن عزة دروزة ليعزو معلوماته عنها الى وقت سابق لقدم اللجنة الى فلسطين ليعرض بالقصير " وقد سمعنا هذا الحديث (حديث التقسيم واقامة دولة يهودية مصغرة) من نوري السعيد بالذات في فلسطين حيث جاء لزيارتنا وزيارة رفاقنا في معتقل صرفند في شهر آب ١٩٣٦ " (٦٢) .

وكانت هذه الاخبار أو الاشاعات عن التقسيم ذات تأثير معين على كل من الحزبين العربي وأنصاره في اللجنة وخارجها ، وحزب الدفاع وأنصاره . بل لقد نجم عن ذلك موقف متميز لكل من الطرفين . وقد أخذ هذا الخلاف في هذه الرحلة المظاهر التالية :-

أولا - بالنسبة لحزب الدفاع : انفتح الدفاعيون على الامير عبد الله - بينما

وقف أنصار المفتي موقفا سلبيا منه - ويبدو أن الدفاعيين حاولوا مد جسورهم - في ظل الاشاعات السابقة - الى الامير وضم فلسطين الى شرق الاردن . وقد بدت دلائل على ذلك . منها أنه عندما دعي الامير عبد الله في شهر نيسان ١٩٣٧ لحضور حفلات التتويج الملكية في بريطانيا كان الدفاعيون هم الذين تولوا في فلسطين حفلات توديعه واستقباله . حيث أعدوا له قبل سفره " استقبالات في القدس ونابلس وحيفا " ويعقب دروزة على هذا الموقف بقوله " ولم يشترك المجلسيون في هذه الاستقبالات مما لمس فيه بادرة جفاء ، حتى صار يبدو جليا أن المعارضين أصبحوا جبهة واحدة ضد المجلسيين والمتضامنين معهم " (٦٣) . وعندما عاد الامير من لندن هب الدفاعيون للحفاوة به من دون بقية الشعب ويعقب الشقيري على أعراض الشعب بأنه " كأنما أحس بفطرتها السليمة أن الامير

عبد الله سيكون المحور الذي يدور حوله الحل " (٦٤) وقد أولم سليمان طوقان بهذه المناسبة وليمة كبرى للامير (٦٥) .

وفي يوم السبت ٣ يوليه ١٩٣٧ اجتمعت الهيئة المركزية لحزب الدفاع وقررت أن يترك مندوبها راعب النشاشيبي ويعقوب فراج اللجنة "كي يستطيع الحزب أن يعمل لمصلحة هذه الامة مستقبلا" وذلك "بحجة أن اللجنة قد تغير شكل تأليفها المتفق عليه بين الاحزاب ، كما تتطلب حالات البلاد ومصالحها" (٦٦) .

ومع هذا التبرير الظاهر للانسحاب فانه اعتبر تصرفا هادفا له ماوراءه ، بالاضافة الى كونه شقا للجنة واخلاقا بوحدة الصف ولو من الناحية الشكلية او الرسمية على الاقل .

والدارس لمصادر هذه الفترة يستطيع الترجيح على أن تصرف حزب الدفاع تم بدوافع ذاتية بحتة وليس سعيا وراء المصلحة العامة . فدروزة يذكر أنه كان لعمان ضلع في انسحاب حزب الدفاع ، ويربط هذا الانسحاب برغبة النشاشيبيين في أن يكونوا أحرارا في اتخاذ الموقف الذي يتلاءم مع خططهم ، بالنسبة لقرارات اللجنة الملكية . ويستشهد عزة دروزة على ما يذهب اليه بعدة قرائن منها كتابات جريدة فلسطين عن أثر عمان في الانسحاب وزيارات ابراهيم هاشم رئيس وزراء الاردن ، ومحمد الانسي رئيس الديوان ، المتكررة الى فلسطين في هذه الفترة . ويؤيد حسين فخرى الخالدي رأى دروزة في تأثر عمان . كما أنه يعزو الى الانكليز أيضا دورا في هذا الانسحاب للدفاعيين من اللجنة . ويعلل ذلك بأن الانكليز كانوا مقبلين على حل اللجنة - من أجل اتمام مشروع التقسيم - ويزيد على ذلك بأن حل اللجنة - فيما بعد - كان باقتراح من الدفاعيين انفسهم . وانا أورد هنا نص روايته التي ينفرد بها لوحده يقول : "وتذكرت انسحاب رئيس حزب الدفاع ونائبه فهل كان انسحابهما هذا من قبيل المصادفة أو أنهما تلقيا مثل هذه الاشارة؟"

" هذا ما اكتشفته فيما بعد فقد دعاني الجنرال ديل القائد البريطاني لتناول طعام العشاء معه في فندق الملك دواد . . . قال : وما تقول اذا ألقينا القبض على رجال اللجنة العليا ؟ قلت : لك أن تجرب وعلى كل أوكد أن النتائج ستكون وخيمة العاقبة .

قال : عجا ليس هذا رأى جميع من قابلتهم .

قلت : لهم رأيهم ولي رأيي .

قال : أوتدرى أن شخصاً محترماً مسوءٍ ولا رئيس حزب كبير أخبرني بعزم وتأكيده أن القاء القبض على المفتي ورجال اللجنة كاف لوقف الثورة في أيام وأسابيع محدودة " (٦٧) .

كما يتعرض الخالدي لوثيقة أخرى لها علاقة بموضوع الانسحاب ، وأثر عبد

الله فيه ، سنتحدث عنها في ما سيأتي .

كما أن أوراق عوني عبد الهادي ، وهو عضو لجنة آخر - بالإضافة إلى عزة دروزة وحسين الخالدي - تشير إلى أن الانسحاب كان بتواطؤ مع الأمير والانكليز ويقول في رسالة لأحد أصدقائه : " وأظنك تذكر أنهم كانوا متواطئين مع الأمير - وهذا مع الانكليز - على قبول التقسيم والترويج له قبل صدور تقرير لجنة بيل (٦٨) .

ترك انسحاب حزب الدفاع آثاراً سلبية على الموقف الوطني فالخالدي يصفه بأنه " الضربة الأولى التي أصابت الوحدة بعد نضال دام عاماً ونصف وبإدارة الانقسام الأولى " (٦٩) . كما يعقب عوني عبد الهادي عليه بقوله " لو لم ينسحبوا لما اتخذ الانكليز واليهود انسحابهم حجة والترويج لفكرة متطرفين ومعتدلين والدعوة إلى البطش بالمتطرفين فيخلو الجو للمعتدلين " (٧٠) كما أنه يعتبر الانسحاب خسارة لهم من الناحية الوطنية ولو لم ينسحبوا " لظلوا في الأوج الذي وصل إليه بعضهم في تلك السنة " (٧١) .

ويذهب أنيس صايغ إلى أن انسحاب الدفاعيين تم بعد علمهم المسبق بقرارات التقسيم " وقد علموا محتويات قراراتها قبل نشرها بأيام وعلموا أن اللجنة ستعارض القرارات في حال إعلانها ، ولذلك وحتى يتبرأوا من معارضة الانكليز انسحبوا من اللجنة قبل صدور قرارات التقسيم بيوم واحد " (٧٢) .

ثانياً - بالنسبة للمفتي وأنصاره من الحزب العربي : أدرك المفتي أن البلاد

مقدمة على التقسيم ، وأنه لا بد من استباق هذا الأمر ووضع العراقيل في طريقه ، أو تدارك الخطر قبل وقوعه . وكما شاهدنا فإنه وقف موقفاً سلبياً من تحركات الأمير عبد الله ، وعلى هذا فقد بدأ أن الطرفين يسلكان طريقين مختلفين .

ويبين أحد تقارير السلطة أن الخلاف ومحاولة الايقاع بالخصم عادا
يسودان العلاقة بين المعسكرين الحسيني والنشاشيبي . فقد ذكر هذا التقرير أن
البحث عن أسلحة في دار اللجنة القومية في القدس في ١٦ فبراير جعل حزب
المفتي يتهم حزب الدفاع بأنه هو الذي وضع الذخائر في هذه الدار (٧٣) .
وفي ١٧ آذار عقد أركان قيادة جيش الجهاد المقدس اجتماعهم في اربد
في شمال شرق الاردن من أجل المبادرة لـ "الاعداد والتنظيم ، كان ذلك لانهم
تبينوا أن اللجنة الملكية تعلم من اليهود والانجليز ستوصي بتقسيم فلسطين وقرر
المجتمعون تخصيص جماعات من رجال الجهاد المقدس للرد على الاعتداءات
اليهودية فور وقوعها " (٧٤) .

وعلى أثر انتشار "انباء موثوقة من لندن تقطع بأن اللجنة الملكية قد
انتهت من وضع تقريرها ... على أساس تقسيم فلسطين " ، عقدت اللجنة العليا
بمبادرة من المفتي اجتماعا في ٧ حزيران أذاعت على أثره بيانا " أكدت فيه
تمسك الشعب بأهدافه وسلامة أرضه ووطنه ، وتصميمه على مقاومة كل حل يعرض
لقضية فلسطين لا يحقق للعرب مطالبهم " (٧٥) وفي هذه الفترة قام المفتي بعدة
سفرات للخارج . فقد سافر بصحبته عزة دروزة واسحق درويش ورشيد الحاج
ابراهيم الى القاهرة والرياض " لمباحثة المسءولين فيها بشأن "التوصية"
المرتقبة ومقاومتها وضرورة اتخاذ موقف عربي موحد كما سافرت وفود أخرى الى
عمان وبغداد (٧٦) .

وفي ٢٢ يونية عام ١٩٣٧ قام المفتي بزيارة دمشق يرافقه أربعة من أعوانه
الضباط واستقبل هناك زعماء الحركة الوطنية البارزين وبعض العراقيين
واللبنانيين وقنصل المملكة العربية السعودية ويستفاد من تقرير لقنصل بريطانيا
في دمشق أن مباحثات المفتي شملت بصورة رئيسية مشروع تقسيم فلسطين . وقد
اعترض المفتي على هذا المشروع كما أن أكثرية السياسيين عارضوا فكرة تنصيب
الامير عبد الله ملكا على الدولة العربية المقترحة بعد التقسيم . وهنا عقد
المفتي أكثر من اجتماع مطول مع عدد من المقاتلين السوريين والفلسطينيين مثل
الشيخ محمد الاشمr والشيخ عطية كما هدد المفتي بأنه " سيعلن الحرب على
بريطانيا في الثامن من يوليو " (٧٧) .

ويذكر تقرير آخر أن المفتي وضع - أثناء وجوده في دمشق - مبلغا كبيرا

من المال لاغراض الدعاية وشراء الاسلحة تمهيدا لحشد المسلحين والعصابات للعمل على أرض فلسطين " وعلى ما يظهر فان هذه الاموال أحسن الاستفادة منها بصورة جيدة ، لان التقارير لا تزال ترى بأن هنالك تهربها لكميات كبرى من الاسلحة من الشمال والشرق " (٧٨) ويعزز هذا الدور للمفتي ما يذكره وايضن في مذكراته عن دور المفتي " في تنظيم المقاومة المسلحة " (٧٩) .

رفض المفتي بتاريخ ٣٠ حزيران عرضا سريا من السكرتير العام لحكومة فلسطين المستر هول بأن يكون رئيس الدولة الجديدة (بقية فلسطين وشرق الاردن) بدلا من الامير عبد الله (٨٠) وكان قد دبر اللقاء بين المفتي وسكرتير الحكومة ، موسى العلمي ، وكان رد المفتي تركيزا على رفض التقسيم كمبدأ وليس لان الامير عبد الله سيكون ملكا . فقد خاطب المستر هول كما يذكر هو (المفتي) نفسه بقوله : " اذا كنتم تظنون أنني اعارض التقسيم لئلا يصبح الامير عبد الله ملكا على فلسطين وشرق الاردن فانتم واهمون ، فالحقيقة أنني اعارض مبدأ التقسيم لضروه على البلاد ، وتهديمه لكيانها وتمزيقه وحدتها ولا اعارض شخص الامير أبدا " (٨١) .

على انه لا سند لهذه الرواية الحسينية في المراجع البريطانية . بل العكس هو الصحيح . فقد كان عبد الله هو مرشحهم الوحيد . كما أنهم كانوا قد بدأوا منذ وقت مبكر بالتفكير في التخلص من المفتي أو تقليص اظافره على الاقل . وهناك اشارات عديدة في تقرير بيل نفسه الى سعة نفوذ المفتي وانه يمكن وصفه بأنه " رئيس حكومة ثالثة في فلسطين " (٨٢) .

ولو صحت هذه الرواية فانها تكون من قبيل المناورة التي قصد منها توريط المفتي وحرقة شعبيا تمهيدا لتمرير التقسيم . ولعل هذا ما فهمه المفتي وتوضحه رواية الغوري عندما يقول : " وكنا نعتبر موسى العلمي وطنيا صادقا ، ومخلصا للحاج أمين " والتي يفهم منها أن العلمي هو الذي ورط المفتي في مقابلة المسؤول الانجليزي في بيته (العلمي) بدون سابق علم من المفتي : " وأكد العلمي انه لن يأتي أي زائر في هذا اليوم الى شرفات (حيث بيت العلمي في القدس) . . . وقبل المفتي الدعوة " (٨٣) .

رد فعل الحزبين على قرارات لجنة بيل في التقسيم

في ٧ يوليه ١٩٣٧ أعلنت قرارات لجنة بيل التي نادى بتقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام : عربي ويهودي وقسم ثالث يبقى تحت الانتداب البريطاني . ولقد وصف التقرير هذا التقسيم بأنه عملية جراحية (٨٤) . وقد دعا التقرير الى اقامة دولتين عربية وتشمل القسم العربي من فلسطين وامارة شرق الاردن ودولة يهودية ، وتترك بعض المناطق ذات الالهية الاستراتيجية (٨٥) بما فيها الاماكن المقدسة تحت الانتداب البريطاني .

ومن أجل أن ندرس رد فعل الحزبين العربي والدفاع لهذا التقسيم سنضعه في اطاره من رد الفعل الكلي للشعب العربي في فلسطين .

كان رد الفعل العربي المباشر لهذا التقسيم عارما رهيبا يقول الشقيري : " وكان يوم جعل الناس سكارى وما هم بسكارى من هول الصدمة وخيبة الامل (٨٦) " . ويصفه وليد الخالدي بأنه " حلم رهيب تحقق " (٨٧) .

جاءت أعنف ردود الافعال من الذين تضرروا مباشرة من مشروع التقسيم وبشكل خاص من منطقة الجليل التي استقبل فيها القرار " بصدمة اقترنت بعدم التصديق " (٨٨) فقد ذكر تقرير حاكم الجليل ما نصه : " لقد كان الاتحاد الذي ابداه المسيحيون والمسلمون والفلاحون وملاكو الاراضي في ما يتعلق برفض الاقتراح - أشد على الارجح - مما أبدوه في أي وقت مضى ، فقد كان الشعور العام الذي لدى سكان هذه المنطقة انهم ذهبوا ضحية الخيانة وانهم سيجبرون على التخلي عن اراضيهم والهلاك في مكان ما من الصحراء " (٨٩) .

كان هذا استقبال الرأي العام الفلسطيني لقرارات التقسيم فماذا كان موقف كل من الحزبين الدفاع والعربي من هذا التقسيم .

أولاً - موقف حزب الدفاع : انحكم موقف حزب الدفاع بالاعتبارات التالية : تحالفهم مع الامير عبد الله الذي كان التقسيم فرصة ذهبية له لضم ما تبقى من فلسطين الى امارته . وتعيينه ملكا عليها . وعلى هذا فقد صرح للصحفي الالمانى شوارتز فون برك بأنه يؤيد هذا التقسيم (٩٠) . يقول المفتي في "حقائق عن فلسطين

اتخذ المغفور له عبد الله موقفا مؤيدا من التقسيم على أمل أن يتمكن من ضم القسم الباقي من فلسطين الى شرق الاردن " (٩١) ، ويذهب أنيس صايغ أن الامير أوعز الى بعض أعوانه ، عند صدور المقترحات بتأييدها ، فقامت تظاهرات صغيرة في نابلس ويافا حيث كان لاعوان عبد الله سيطرة محددة " تهتف باسمه ملكا على فلسطين وشرق الاردن ، وترفع صورته الى جانب الاعلام البريطانية (٩٢) وينفرد حسين الخالدي بين السياسيين والمؤرخين العرب المعاصرين بالاشارة الى نوع من المعاهدة السرية المكتوبة بين حزب الدفاع والامير من أجل القبول بالتقسيم ، تقول : " ويقال أن حزبا كبيرا وافق سرا على مشروع التقسيم وأمضى زعماءه واحزابه وثيقة خطية الى المسؤولين في قطر شقيق " ويضيف الخالدي مؤكدا قوله : " وقيل أن هؤلاء المسؤولين استاءوا في احدى المناسبات من موقف رجال هذا الحزب وهددوا بنشر هذه الوثيقة ، فما كان من رجال حزب الدفاع الا أن هددوا بنشر الوثيقة التي يطلب فيها المسؤلون هؤلاء من حزب الدفاع الانسحاب من اللجنة العربية العليا عام ١٩٣٧ والضغط الذي استعمل لهذه الغاية " (٩٣) .

موقفهم المعروف بالاعتدال والايمان بالحلول الوسط وسياسة خذ وطالب ، ورغبتهم المعروفة بالتعاون مع بريطانيا . ولعل ما عزز هذا القبول ان مشروع التقسيم ارتبط بطموحات راغب في أن يوازن أو يعادل قوة المفتي الذي تفوق عليه بمراحل ، وذلك بأن يصبح هو رئيسا للوزراء للدولة المقبلة . ولقد كان راغب منذ خسارته لمنصب رئاسة البلدية يبحث عن منصب يليق بوجاهته أو زعامته . وقد بحث عن ذلك في المجلس التشريعي ولم يوفق كما رأينا ، ولم يعوضه وجوده في اللجنة العربية العليا كعضو ذي أهمية ثانوية - وخاصة اذا قورن بالمفتي - عن طموحاته الواسعة . وفي حقيقة الامر فاننا لا يمكن أن ندرك قبول راغب للتقسيم الا في ظل هذا التصور : التنافس على الزعامة في فلسطين، ورغبة راغب في أن يكون رجل عبد الله المقبل في فلسطين . ويشير العالم السياسي الامريكي كواندت الى هذه الناحية بقوله :

" لقد كان راغب بمجالسه الخاصة يشير الى أنه باستطاعته القبول بالتقسيم على أمل أن يصبح رئيس وزراء للامير عبد الله في دولة متحدة عربية فلسطينية - أردنية " (٩٤) .

ومع هذا فإنه ينبغي أن نبادر الى القول أن التقسيم كما عرضته لجنة بيل كان أكبر من أن تستطيع معدة راغب النشاشيبي هضمه وذلك بالنظر لردّ الفعل العربي المحلي على أرض فلسطين . وتؤيد الوثائق البريطانية هذا الاتجاه لدى راغب النشاشيبي ونائبه يعقوب فراج زعيمى حزب الدفاع بأنهما أخبرا المندوب السامي بأنهما يرحبان " مبدئيا بالتقسيم " (٩٥) .

ولقد وجد هذا القبول المتحفظ صداه في جريدة فلسطين جريدة حزب الدفاع . فقد بادرت هذه الجريدة الى الثناء على اللجنة الملكية بعد صدور تقريرها لما فيه من انصاف للعرب . لكنها مع ذلك طالبت بمسعى دبلوماسي لتغيير الحدود فقط . ولقد نشرت هذه الجريدة نبذة فكاهية في عددها الذي تقبل فيه مبدأ التقسيم وتطالب بتعديل الحدود - عنوانها " ديك الحبش سجن ومات " ويعقب دروزة على هذه النبذة بأنها كانت " للشماتة بالمفتي والارتياح للتقسيم الذي فيه القضاء على مركزه ومطامحه " (٩٦) .

ولربما كان مقدرا لحزب الدفاع أن يستمر في قبوله المبدئي بالتقسيم لولا أنه تعرض لضغوط كبرى جعلته يغير من موقفه هذا ويستطيع أن نجمل هذه الضغوط في ما يلي :-

أ - تعرض الحزب لضغوط كبيرة من الرأي العام من أجل حمله على اتخاذ موقف اللجنة العربية العليا التي رفضت المشروع رفضا كليا في بيانها الصادر في الثامن من يوليو (٩٧) . ولقد شهد صيف ١٩٣٧ عمليات هجوم واغتيال لعدد غير قليل من زعماء النشاشيبيين مثل الدكتور طه خليل طه ، و ابراهيم خليل من حيفا وحسن حنون وعبد السلام البرقاوى من جنين وآخرين غيرهم (٩٨) . ولقد ارتفعت حوادث الاغتيال في الاسبوع الاول من مارس حتى أن " المقطم " نشرت مقالا بعنوان " جنايات القتل في فلسطين " جاء فيه " أن قضية فلسطين لا تحل بهذه الطريقة " (٩٩) . وتشير المصادر البريطانية أيضا الى حالة " الفوضى الامنية " التي سيطرت على فلسطين خلال عام ١٩٣٧ وحملات " الاجرام والتهديد والتخريب التي يقوم بها العرب الخارجون على القانون " (١٠٠) .

ويبدو أن راغب هدد شخصا من قبل المفتي في هذه الفترة حتى يرتدع عن التفاوض مع اليهود بشأن التقسيم (١٠١) . بل الاكثر من هذا أن هنالك توازنا - في هذه التقارير - بين تصاعد مقاومة المفتي للتقسيم التي قابلها ضعف

راغب عن الاستمرار في موقفه من هذا التقسيم . فراغب الذي كان عازما على عقد مفاوضة مع اليهود في جنيف نفى تصريحاً نشرته الصحف عن لسانه بهذا المعنى ، عندما علم أن السلطات البريطانية عدلت عن اصدار أمر باعتقال المفتي (١٠٣) .

ب - تعرض راغب كذلك الى ضغط القيادات السياسية العربية . ويظهر أن النشاشيبيين توقعوا أن يهب اصداق الانجليز من الحكام العرب لتأييد المشروع . لكن عندما عارض هؤلاء الحكام بفضل عوامل كثيرة (سنتعرض لها عندما نتحدث عن دور المفتي واللجنة في محاربة مشروع التقسيم) ظن النشاشيبيون ان بريطانيا ليست جادة في مشروع التقسيم أو أنها كانت تعارضه في السر (١٠٣) .

ولقد كان الموقف العربي هذا من القوة وبخاصة في العراق بحيث كان له ، كما جاء في أحد التقارير : " تأثير عميق على العقلية العربية في فلسطين " (١٠٤)

ومما قوى هذا الشعور لدى الدفاعيين بعض البوادر من جانب البريطانيين في فلسطين وفي بريطانيا أيضا نحو المشروع - ادراكا منها لعنف الرد العربي - الدعاية التي قامت محليا ضد المشروع مما جعل واكهوب يستقيل (١٠٥) ولقد تطور موقف واكهوب هذا الى معارضة للتقسيم الامر الذي وجد صداه في البرلمان البريطاني . يقول واربورغ : " ان تقرير بيل لقي معارضة من واكهوب والادارة الفلسطينية . وربما لهذا السبب فانه لقي تأييدا ضعيفا من قبل الناطقين باسم الحكومة عندما عرض على البرلمان " (١٠٦) وكان أكثر المنتقدين لهذا المشروع هيرت سموثيل . ويضيف الى ذلك ان " المشروع وضع جانبا من قبل الحكومة البريطانية " (١٠٧) .

ولعل هذا الموقف من البرلمان البريطاني والحكومة البريطانية هو الذي حمل حزب الدفاع أن يوقت اصدار بيانه في ٢٢ يولييه (بعد مناقشات البرلمان مباشرة) (١٠٨) كما أن رد الامير برفض المشروع من الناحية الرسمية جاء في ٢٤ يولييه .

ج - وجدت قرارات التقسيم معارضة معينة من حزب الدفاع نفسه . فممن عارضوا معارضة صريحة أسعد الشقيرى . ويروى أحمد الشقيرى في مذكراته أن والده بتأثير منه (أى أحمد) كتب رسالة معروفة الى الامير عبد الله يقول فيها " ان الله ورسوله والمؤمنين يأبون الموافقة على التقسيم وانشاء دولة يهودية ما أنزل الله بها من سلطان " . ولعل السبب الحقيقي وراء موقف أسعد الشقيرى هو أن مصالحه

سوف تتضرر لان مدينته ستكون داخل الدولة اليهودية . ومما يعزز هذا التفسير ان أعضاء حزب الدفاع الاخرين ممن لم يشملهم التقسيم بضره ظلوا على موقفهم من تأييده . وقد بدا هذا في موقف أنصار حزب الدفاع في يافا ونابلس وجنين التي كانت ستبقى ضمن الدولة العربية المقترحة .

وقد كان لتضارب المصالح بين فئات حزب الدفاع أن الحزب ضعف الى درجة الانحلال وان راغب بقي وحييدا (١٠٩) .

ثانيا - موقف الحزب العربي : عمل الحزب من خلال أعضائه في اللجنة : المفتي رئيسا وجمال والفرد روك أعضاء ومع انصارهم في اللجان القومية على ابطال مشروع التقسيم . وتنسب مصادر كثيرة الى المفتي بالذات دورا كبيرا في احباط التقسيم .

وقد نبع رفض المفتي للتقسيم - بالاضافة الى كونه اجحافا واضحا بالحق العربي في فلسطين - من موقفه المعروف بالصلاية وعدم الايمان بأنصاف الحلول . فالمفتي الذي كان مع الثورة المسلحة كاسلوب للحصول على المطالب العربية ، لم يجد مانعا من العودة اليها ، عندما وجد أنها الاسلوب الوحيد الكفيل بالحقوق العربية . وقد تمثلت مواقف المفتي على طريق احباط التقسيم بما يلي :-

لم تأخذ قرارات التقسيم المفتي على حين غرة بل أنه كما مر معنا كان مهيباً لها حتى قبل صدورها . وقد ظهر ذلك عندما عاد الى فلسطين من سوريا قبل اصدار الوعد بيوم أو يومين من أجل ضم الصوف بمن فيها النشاشيبيون للوقوف في وجه التقسيم .

ولعل رفض المفتي للتقسيم مباشرة بعد صدوره - ومع اللجنة العربية العليا - كان من أعظم مواقفه السياسية ، لان هذا الرفض تناغم مع مشاعر القطاع الاكبر من أهالي فلسطين والعالمين العربي والاسلامي . فعلى أثر اصدار اللجنة بيانها بالرفض صرح حكمت سليمان برفضه القاطع لقرارات التقسيم وقال كلمته المشهورة بأن العراق " مستعد لتحطيم أكبر رأس عربي يقبل التقسيم " (١١٠) .

ويعزو زيف الى موقف العراق هذا ما كان من استقبال غير مشجع للتقسيم من قبل أعضاء البرلمان البريطاني ، ويعتبر تصريح حكمت سليمان " المهين " بأنه كان الورقة الراجعة أو الضربة القاضية على التقسيم " (١١١)

كما أن المفتي عمل على أكثر من صعيد لتحقيق النتيجة المرجوة وهي قتل قرارات التقسيم في مهدها .

١ - صعيد تنظيم قوات الثوار وتهيئتهم لمقاومة الانجليز بالقوة عند الاقتضاء . وقد شاهدنا ما قامت به قوات الجهاد المقدس - وهي كما سبق لنا الحديث من اعداد المفتي على المستوى العربي في سوريا . ويذكر اميل الغوري أن " قلم المخابرات للجهاد المقدس لعب دورا كبيرا في متابعة ردود الفعل على التقسيم محليا . كما يعدد الغوري اسما الأشخاص الذين اتصلت بهم الحكومة البريطانية وكيف أنها لجأت الى أسلوب " التهديد والوعيد " (١١٢) .

ولم يقف تنظيم قوات الثوار على المستوى المحلي بل تعدى ذلك الى الاردن كما شملت سوريا . فقد اشكى عبد الله لوكهوب من ان قوات البدو ستشارك بثورة في فلسطين (١١٣) كما تتحدث التقارير السرية البريطانية عن تظاهرات وعمليات هياج عنيف يديرها المفتي ضد الامير عبد الله ، وانها تزداد كل يوم شراسة وعنفا . وعلى هذا فان حالة الامير " تسير كل يوم من سيء الى أسوأ " (١١٤) .

٢ - الصعيد المحلي والعربي : فقد نظم المفتي حملة دعائية واسعة ضد قرارات التقسيم ، وأرسل رسله الى كل مكان في فلسطين واستخدم فيما استخدم منابر المساجد ، كما سبق له أن فعل في كل ملمة (١١٥) .

أما على الصعيد العربي ، فقد لجأ المفتي الى انصاره وأنصار القضية الفلسطينية ، ووظف القواعد الوطنية في كثير من أرجاء الوطن العربي توظيفا ممتازا في بث الدعوة ضد التقسيم . ولدينا شواهد متعددة على هذا . يذكر أحد التقارير السرية البريطانية ان المفتي يركز على هؤلاء الانصار كما سبق له في عام ١٩٣٦ ، وذلك من أجل استئناف النضال من أجل القضية ، والمتمثل الان في احباط التقسيم ويتحدث أحد هذه التقارير عن " جهاز سرى للمفتي الارهابي " معزز من عناصر سياسية عربية وهي على علاقة وطيدة بالمفتي ، وجماعته في فلسطين ، وتشمل هذه العناصر فيمن تشمل سعيد ثابت ، من العراق ونبيه العظمة من سوريا ، كما أن رسل هذا الجهاز " تنشط في التنقل بين دمشق وفلسطين ومصر وبنفداد " (١١٦) .

وفي هذه الفترة توجه عوني عبد الهادي الى بغداد من أجل الدعوة ضد التقسيم وتذكر أوراق عوني عن لسان أحد أصدقائه أن سفره - أي عوني - الى بغداد " وما كان هنالك من الامور كان من أبرز ما ظهر من حركة في الاقطار العربية (١١٧) . كما يذكر الغوري ان اللجنة العربية أرسلت وفودا الى لندن وجنيف فضلا عن البلاد العربية (١١٨) .

ولقد جرى تركيز كبير على شرق الاردن من أجل سحب البساط شعبيا من تحت اقدام الامير عبد الله كما جرى عزله عن البدو والعناصر الثورية هناك . ولقد تمثل الاثر الشعبي في مظاهرات كبيرة قامت بها الحركة الوطنية في الاردن " وقد أضربت عمان وتظاهرت ، وأرسلت شرق الاردن بيانات استنكارية عديدة للجنة العربية العليا ومويدة لها ، وأذاعت لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان بيانا قويا حملت فيه على الاستعمار واذنابه واساليبه واستنكارا له وللتقسيم وما فيه من أخطار وأضرار وذيل ذلك بميثاق نص على وجوب مكافحة الصهيونية واعتبار كل شخص أو هيئة أو دولة أو حكومة تقبل بالتقسيم عدوا للامة العربية " (١١٩) .

ويظهر أن جهود الحركة الوطنية الاردنية بدعم من الفلسطينيين نجحت نجاحا تاما ، وأصابت موقف الامير في الصميم . وبدلا من أن يكون زمام المبادرة في يده أصبح في موقف الدفاع ويقول أحد التقارير " انه تم عزله عزلا تاما (١٢٠) بل يظهر انه بات حريصا على ارضاء المفتي " عدوه اللدود " بل ارضاء الفلسطينيين عموما وقد بدا ذلك في اصداره عفوا عن أشخاص فلسطينيين - تصفهم تقارير المخابرات بأنهم عملاء للمفتي - اتهموا بمحاولة اغتياله (١٢١) .

وعلى هذا فقد تراجع عن التقسيم بصورة رسمية وصادر في ذلك بيانا في ٢٤ يوليه ١٩٣٧ - سبق الاشارة اليه - وقال فيه " ان حكومة شرق الاردن . . . ترى من واجبها أن تبادر الى التصريح بأنها لم تتلق من أية جهة رسمية أى تكليف بابداء رأيها في مشروع التقسيم ، وأن القول بأنها تؤيد غير مطابق للحقيقة والواقع " (١٢٢) وفي العراق أخذ التأثير الشعبي عدة مظاهر ، كما شمل عدة قطاعات من الشعب . . ففي برقية من سير كلارك كير الى وزير الخارجية يصف الحالة في العراق على الوجه التالي :- " الانطباع الذي تركه التقسيم على العراق سيء . . كما قال رئيس وزراء العراق للسفير البريطاني " انه لا يوجد أحد في العراق يمكن أن يقبل هذا القرار - " (١٢٣) .

وفي الصحافة كتبت صوت الشعب مقالا في ١٩ سبتمبر ١٩٣٧ تحت عنوان " حرب من أجل القضية القومية " قارنت الجريدة فيه :
" الفلسطينيين العرب بعبيد الارض في العصور الوسطى ، اولئك العبيد الذين كانوا يطردون من اوطانهم ، لان بقية البيت ستعطى لاجنبي ثرى اشترى ضمير الامير الاقطاعي " (١٢٤) .

وفي تصريح لحكمت سليمان رئيس وزراء العراق لصحيفة البلاد في ٨ يولييه (بعد يوم واحد من اصدار قرارات بيل بصورة رسمية) قال : " منذ الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل انصبت البرقيات من كل جزء من البلاد تعبر عن دعمها الكامل لموقف رئيس الحكومة من هذا الموضوع ، كما أنها تثني وتشعر بغبطة شديدة لاحتجازه باعتباره يمثل رغبات وآمال الامة العراقية بكاملها .

وفي اجابة على سؤال هل يتفضل سعادة رئيس الوزراء في أن يبين رأيه في قرار اللجنة الملكية عن تقسيم فلسطين قال ضمن أشياء أخرى : " لن نتنازل للاخرين عن قدم مربعة واحدة . وان العرب في كل مكان مستعدون للتضحية بأرواحهم عند ساعة الشدة " (١٢٥) .

كما أبرقت عدة قطاعات شعبية الى المفتي تدين خطة التقسيم . فقد أبرقت لجنة الدفاع عن فلسطين تدعو الى التضامن في هذه المرحلة الصعبة التي تمر بها فلسطين . وقد رد المفتي على هذه البرقية بقوله " ان دعم العراق لفلسطين يشكل الضمان الاكبر لفلسطين من أجل المحافظة على شخصيتها العربية الى الابد ، اطيب الشكر لكم وللعراق " (١٢٦) .

كما أبرق نادي المثني الذي تصفه التقارير بأنه منظمة عربية متطرفة " فاشية الى مستر دي فاليرا الزعيم الايرلندي تشكره " نيابة عن الشباب العربي " على موقفه وموقف دولة ايرلنده الحرة من التقسيم (١٢٧) .

كما قامت مظاهرات صاخبة في بغداد استنكارا للتقسيم وأذاع علماء الدين السنيون والشيعيون ، نداءات بوجوب مؤازرة فلسطين (١٢٨) . وليس هذا فقط بل أصدر هؤلاء فتوى دينية بتكفير كل مسلم يقبل عرش الدولة العربية الجديدة في فلسطين على أساس التقسيم وباعتباره خارجا عن الدين ومنبوذا " فلا يسمع له شهادة ولا يدفن في مقابر المسلمين وتحل عليه اللعنة الى يوم الدين " (١٢٩) .
وقد وصف عوني عبد الهادي وقفة الجمهور العراقي بقوله : " رأيت

الامواج الصاخبة المتتابة في اليم الهائج بين العواصف والزواج والرياح ابان
غضب الطبيعة ، هكذا رأيت الشعب العراقي هائجا مضطربا متحمسا غضوبا
لفلسطين " (١٣٠) .

وفي السعودية ومثلها اليمن نجد أن الضغط الشعبي يفعل فعله لدرجة أنه
أثر في تغيير موقف الحكام الذي اتسم في البداية بالتردد من حيث القبول
بالتقسيم الى المعارضة الكاملة لهذا التقسيم . فقد أخبر السفير السعودي
السلطات البريطانية أن العلماء في السعودية مارسوا ضغطا كبيرا على ابن سعود
لكي يعمل ضد التقسيم (١٣١) وكان هؤلاء العلماء قد أصدروا فتوى يحرمون
فيها التقسيم (١٣٢) .
(١٣٣)

٣٣ على المحور السياسي : واجه المفتي ومعه أنصاره من اللجنة العربية ثلاثة

أنماط من الحكام العرب : النمط الاول وهو مؤيد تماما لموقف اللجنة من معارضة
التقسيم . والمتحمس مثل حماسها لمقاومته . وكان هؤلاء هم حكام العراق الذين
أشروا الى موقف حكمت سليمان كمثل عليهم . وكان دور اللجنة هنا سهلا أو
ميسورا . وقد عززت هذا الموقف العراقي وأرسلت رسلها الى بغداد من أجل
استمراره وديمومته ، وتوظيفه لكسب جهات عربية أخرى على مستوى الحكام .
فقد وصل في هذه الفترة الوفد الذي سبق الاشارة اليه ،
كما أن المفتي أرسل بسكرتيره الخاص الى بغداد حيث اكتست رحلته معنى خاصا
وهاما . حتى أن أيدين وزير خارجية بريطانيا بعث ببرقية يطلب من سفيره في
بغداد أن يعقد لقاء مع رئيس الوزراء العراقي " ويحذره في نفس الوقت من أن حكومة
جلالته ستنظر بعين الجدا اذا أعطى أى تشجيع من قبل الحكومة العراقية الى
سكرتير المفتي الذي طار الى بغداد من أجل الحصول على دعم لارسال حملة الى
فلسطين بسبيل مقاومة توصيات اللجنة " (١٣٤) .

والنمط الثاني هو النمط المتردد وقد تمثل هذا النمط في موقف حكام
اليمن والسعودية وسوريا . وقد تعامل المفتي مع هؤلاء بحنكة ودراية وتمكن من
القضاء على ترددهم لصالح معارضة التقسيم . ويظهر أنه كان هنالك عاملان لعبا
دورا أساسيا في القضاء على هذا التردد . فبالنسبة للسعودية أدى خوف الحكام

السعوديين من سيطرة الامير عبد الله على فلسطين بعد التقسيم (١٣٥) الى أن يعيدوا النظر في موقفهم الذي اتسم بالموافقة المبدئية في البداية . والعامل الثاني وهو الذي أثر على جميع الحكام العرب كان تأثير الضغط الشعبي الذي سبق الإشارة اليه . يقول هيرسووتر : " ان الحكومات العربية التي - على ما يظهر - استحسنت في البداية خطة التقسيم ، بدأت في العدول عن موقفها ، والتي على أية حال لم تعلن عنه بصراحة ، خوفا من الرأي العام " (١٣٦) ويعزو الكاتب نفسه هذا التغيير في موقف الحكام الى رفض المفتي " الذي لم يشارك الزعماء العرب شكوكهم ومخاوفهم من مقاومة بريطانيا " (١٣٧) .

كانت محصلة الموقف العربي انعقاد مؤتمرات هاميين لتأييد القضية الفلسطينية في بلودان (١٩٣٧) وفي القاهرة . وكان الاول أكثر أهمية من الثاني وقد جاء هذا المؤتمر (الاول) تتويجا لجهود اللجنة العربية في تعبئة الرأي العام العربي . وقد حضر هذا المؤتمر حوالي (٤٠٠) مندوب من العراق ومصر ولبنان وشرق الاردن ولكن الغالبية كانت من سوريا وفلسطين . وقد انتخب رجال مشهورون بولائهم للقضية الفلسطينية كنواب له : محمد علي علوبه (مصر) وشكيب أرسلان (لبنان) والمطران حربكة (سوريا) (١٣٨) . كما كان من بين مندوبي العراق الاصدقاء العريقون في صداقتهم للمفتي وفلسطين مثل سعيد ثابت أحد أركان لجنة الدفاع عن فلسطين . وقد قرر هذا المؤتمر قرارات رسمية ، كما عقد أثناء اجتماع جانبي ضم الوطنيين الفلسطينيين والسوريين اتخذ قرارات أخرى سرية (١٣٩) . وقد تمثلت القرارات الرسمية في اعلان فلسطين جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي ورفض التقسيم وتأسيس دولة يهودية في فلسطين (١٤٠) أما القرارات السرية فقد تركزت على تهديد مصالح بريطانيا بطريقة مباشرة . فقد قرر الوطنيون الفلسطينيون والسوريون أن النضال ضد التقسيم ينبغي أن يكتسي العنف " ومواصلة الحملات على الاشخاص الموالين للسلطات البريطانية واليهود وذلك من أجل تمهيد الطريق لعمل أكثر مساسا بالانتداب فيما بعد اذا اقتضى الامر ذلك " (١٤١) .

وعلى ما يظهر كان لهذا أثر عظيم في ابطال مشروع التقسيم يقول مالرو " لقد حسم موضوع التقسيم سوريا ما كان هذا هو الافضل - في بلودان في سوريا حيث أعلن المؤتمر " أن على بريطانيا أن تفهم أنها يجب عليها أن تختار بين صداقة العرب وصداقة اليهود " (١٤٢) .

ولعله مما يحمل مغزى كبيرا أن بريطانيا غيرت موقفها من التقسيم إثر هذا المؤتمر يقول روز " خلال نوفمبر - ديسمبر ١٩٣٧ تغير موقف بريطانيا تغيرا جذريا . فبعد أن كان مؤيدا وبصورة علنية لمشروع التقسيم ، أصبح يتميز بأنه غير مستقر على حال معين ، وفي أحيان كثيرة أخذ شكلا عدائيا غير خفي (١٤٣) . ونستطيع أن نجمل العمل على مقاومة التقسيم من خلال الأبعاد التي تحدثنا عنها : المحلي والعربي والدولي على الوجه التالي :

- ٠١ تأثر موقف البرلمان البريطاني من موقف حكومة فلسطين التي تأثرت بدورها من عنف رد الفعل المحلي .
- ٠٢ أدى الرأي العام العربي الذي عمل الفلسطينيون من خلال المفتي وأنصاره واللجنة العربية العليا على استنارتهم ، التغيير موقف الحكام العرب . وقد انعكس موقف الحكام العرب هذا على بريطانيا الأمر الذي جعلها - بالإضافة إلى العوامل الأخرى - تعيد النظر في موقفها من مشروع التقسيم وهي التي - على ما يظهر - راهنت على موقف الحكام من قبوله عند إصدارها له يقول مالرو : " يظهر أن اقتراحات لجنة بيل تم تبنيها من قبل الحكومة البريطانية لأنها فكرت (وربما كان لها عذرهما في ذلك) أن لهذه الاقتراحات مستقبلا لدى الرأي العربي المعتدل خارج فلسطين " (١٤٤) .

- ٠٣ انعكس موقف بريطانيا الذي تغير بفضل العوامل التي ذكرناها على موقف أنصار التقسيم في المنطقة العربية بمن فيهم أعضاء حزب الدفاع والأمير عبد الله الذين تراجعوا عنه بعد أن كانوا - كما تشير الأدلة المختلفة - مع قبوله (١٤٥) .

أدركت بريطانيا أن الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة بالمفتي واللجنة لا ترفض التقسيم فقط وإنما هي وراء حل جذري للمشكلة الفلسطينية ، وكان رد الفعل العنيف ضد التقسيم الذي اكتسى أشكالا ومظاهر مختلفة اندازا لبريطانيا بأنه له ما وراءه . وأن الثورة التي بدت بوادرها ، لا محالة قادمة ، وعلى نطاق واسع . ومن هنا بدأ رد فعلها ضد المفتي بشكل خاص وضد اللجنة العربية بشكل عام . بل أنه لدينا تقارير صريحة في التحريض على تفليم أظافر المفتي من ناحية ودعم الأمير عبد الله من ناحية أخرى . فالمفتي الذي كان سببا في إرهاب عبد

الله وراغب النشاشيبي - كما تذهب هذه التقارير - وتحويل الجبهة العربية والرأى العام الفلسطيني وصحافتها الى معارضة التقسيم ينبغي أن يوضع حد لموقفه ذلك " بشل جهازه الارهابي " (١٤٦) وبالمقابل ينبغي دعم الامير عبد الله " لان امكانياته محدودة بصورة كبيرة وليس لديه امكانيات غير محدودة من أموال الاوقاف كالمفتي " (١٤٧) وتوصي هذه التقارير بعزل المفتي عن رئاسة المجلس الاسلامي فوراً من أجل حرمانه من أموال الاوقاف ، كما أنه ينبغي العمل على رفع مكانة الامير وتزويده بمعونات مالية خاصة من أجل الردّ على دعاية المفتي وتمويل حملة دعائية لصالحه في فلسطين والبلاد العربية المجاورة (١٤٨) .

وقد بدأت المضايقات للمفتي في أعقاب اعلان التقسيم - فمنذ ١٢ يولييه - كما يذكر الغوري عقد المندوب السامي اجتماعاً طارئاً لمجلسه التنفيذي وقرر هذا المجلس " اعتقال المفتي وابعاده الى الخارج فيغدو في الاستطاعة تنفيذ مشروع التقسيم " (١٤٩) (توكيد المؤلف) ويظهر أن الحكومة البريطانية في لندن وافقت على هذا القرار (١٥٠) . وفي ١٩ يولييه داهمت قوات بريطانية مقر اجتماع اللجنة العربية العليا للقبض على المفتي ، ولكنه تفادى القبض عليه وفر الى بيته في ساحة الحرم الشريف (١٥١) .

وتداعت الاحداث بعد ذلك مؤذنة بتصاعد العنف ضد التقسيم وبلغت قمته باغتيال اندروز حاكم الجليل (يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٣٧) الذي كان مؤيداً بقوة للتقسيم ، صديقاً لليهود كما أنه كان عدواً للفلاحين العرب يسهل بيع اراضيهم لليهود (١٥٢) وعلى الاثر حلت الحكومة البريطانية اللجنة العربية العليا وأعلنت عدم شرعيتها مع العلم أن اللجنة أصدرت قراراً تنفي فيه سوء وليتها عن اغتياله (١٥٣) . وقد بادرت الحكومة البريطانية الى اعتقال أعضاء اللجنة أحمد حلمي عبد الباقي ، والدكتور الخالدي وفؤاد سابا ويعقوب العصين وفتنهم الى جزيرة سيشيل (١٥٤) وتمكن جمال الحسيني من الفرار الى دمشق . كما تمكن المفتي من الفرار الى لبنان .

ويعقب دروزة على هذا الاجراء من قبل السلطة بأنه " كان وفق خطة مبيتة مرسومة وجزءاً من منهج محاربة " ما يسمى بالمتطرفين " مما كانت الصحف الانكليزية واليهودية ترهص به منذ صدور قرار اللجنة الملكية " (١٥٥) وكانت هذه الاجراءات ايذاناً بحل الاحزاب التي تمثلها اللجنة ، ما عدا حزب الدفاع الذي

كان قد انسحب من اللجنة ولم تمسه الحكومة بسوء . وقد عقب الحزب على موقف الحكومة بأن أصدر بياناً استنكر فيه ما كان من اجراءات ووصفها بأنها " اكثر مما تقتضيه الحالة " وأعلن أنه على استعداد للقيام بالواجب الوطني بعد فراغ الميدان من اللجنة العربية العليا واللجان القومية (١٥٦) .

لم يستطع حزب الدفاع أن يملأ الفراغ ، ومع تصاعد الثورة انحل هذا الحزب انحلالاً كاملاً وفرّ قادته الى خارج البلاد ليبنجوا بأنفسهم . ويعقب نيفيل باربور على الوضع السياسي في فلسطين بعد انهيار اللجنة على الوجه التالي :
" كانت الظروف ، بالرغم من كل شيء ، أسوأ مما كانت عليه قبل حل اللجنة العربية في أكتوبر ١٩٣٧ . فقد ترتب على هذا تدمير القيادة السياسية الرسمية في فلسطين العربية . ولقد رافق ذلك الكسوف الكامل لحزب الدفاع الذي كان قد انشق عن اللجنة العربية مباشرة قبل نشر قرار اللجنة الملكية " (١٥٧) .

حوادث الباب الخامس
=====

- P.A.S. 7 November 1936 FO 371/20018. (١)
 Ibid., (٢)
 Ibid., 11 November, 1936. (٣)
 Ibid., (٤)
 Ibid., (٥)
 العوري ، فلسطين ج ٢ ص ١٢٤ . (٦)
 Porath: op.cit, Vol:II, p.217. (٧)
 P.A.S. 7 November 1936 FO 371/20018. (٨)
 الدفاع . أكتوبر ١٩٣٦ . (٩)
 انظر عن هذه اللجنة وطروف قدومها (١٠)
 CS to H.C 29/7/1936. CO 733/311.
 Marlowe: Rebellion : p. 173. (١١)
 Rose: op.cit, p. 124.
 P.A.S. 7 November 1936. (١٢)
 Ibid., (١٣)
 العوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢٢ . (١٤)
 Note on interview granted by the H.C to the (١٥)
 Higher Arab Committee 24/10/1936 H.C. to
 CS CO 733/311.
 Porath: op.cit, Vol: II, p. 222. (١٦)
 P.A.S. 7 Nov., 1936 FO 371/20018. (١٧)
 Ibid., (١٨)
 درورد : العصبه ج ١ ص ١٤٩ . (١٩)
 H.C to C.S 8 Nov., 1936 FO 371/20018. (٢٠)
 P.A.S. ٥ November 1936 FO 371/20018. (٢١)

- (٢٢)
- Ibid., (٢٣)
- Peel Report: op.cit, p. X. (٢٤)
 الفتح ١٩٣٦/١١/١٩ انظر حله : المصدر السابق ص ٤٢٣
- (٢٥) العدد ذاته .
- (٢٦) الغوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢٣ .
- (٢٧) دروزة : القضية ج ١ ص ١٥٢ .
- (٢٨) المصدر ذاته .
- (٢٩)
- P.A.S. 8 November 1936 FO 371/20018. (٣٠)
 دروزة : المصدر ذاته ص ١٥٠ .
- (٣١) دروزة : المصدر ذاته ص ١٥٢ - ١٥٣ .
- قارن .
- (٣٢) جانا : المصدر السابق ص ١١ - ١٢ .
- (٣٣)
- Survey, I, op.cit, p.29.
 Hirsowics, Lukas: Nazi Germany & the Palestine
 Partition Plan in Middle Eastern Studies Vol:1,
 1964. pp. 55-56.
- (٣٥)
- Porath: op.cit, Vol:II, p. 224.
 قارن الغوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢١ .
- (٣٦)
- B.C to CS 8 November 1936 FO 371/20018. (٣٧)
 الشقيري : المصدر السابق ص ١٦٧ .
- (٣٨) الغوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢٣ .
- (٣٩) اوراق عوني عبد الهادي ص ٨٠ .
- (٤٠)
- P.A.S. 20/11/1936 FO 371/20018. (٤١)
 فلسطين ١٩٣٦/١٢/٢٤ .
- (٤٢) الكيالي : المصدر السابق ص ٣٢٣ .
- (٤٣) الشقيري : المصدر السابق ص ١٦٧ .
- (٤٤) الكيالي : المصدر السابق ص ٣٢٣ .

- (٤٥) الفوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢٤ .
- (٤٦) الاحوان المسلمون ١٩٣٦/١/١٢ .
- (٤٧) المصدر ذاته ١٩٣٦/١/١٢ .
- (٤٨) المقطم : ١٩٣٦/١/٢٢ .
- (٤٩) حله : المصدر السابق ص ٤٢٨ .
- (٥٠) جانا : المصدر السابق ص ١٠ ، قارن
- الخالدي : المصدر السابق ص ٢٥٤ .
- (٥١) الخالدي : المصدر السابق ص ٢٥٤ .
- (٥٢) الشقيري : المصدر السابق ص ٢٣٥ .
- (٥٣) الفتح ١٩٣٦/١١/١٩ انظر حله : المصدر السابق ص ٤٥٧ .
- (٥٤) Weizmann: op.cit, p. 385.
- (٥٥) Rose: op.cit, p. 124.
- (٥٦) الخالدي : المرجع السابق ص ٢٥٤ .
- (٥٧) Lif, W. E.: The Rape of Palestine (New York, 1938).
- (٥٨) Schectman: op.cit, p. 52.
- (٥٩) علوي : المصدر السابق ص ١١٨ .
- (٦٠) Warburg, James P : Cross Currents in the Middle East (London 1969) p. 82-83.
- (٦١) جانا : المصدر السابق ص ٣٥٧ - ٣٦٨ .
- (٦٢) دروزة : القصيدة ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .
- (٦٣) المصدر ذاته ص ١٥٦ .
- (٦٤) الشقيري : المصدر السابق ص ١٧٠ .
- (٦٥) المصدر ذاته .
- (٦٦) الجزيرة ١٩٣٦/٧/٨ انظر حله : المصدر السابق ص ٤٤٢ .
- (٦٧) الخالدي : المصدر السابق ص ٢٦٦ .
- (٦٨) المصدر ذاته .
- (٦٩) اوراق عوني عبد الهادي ص ١٠٩ .

- (٧٠) الخالدي : المصدر السابق ص ٢٦٦ .
- (٧١) أوراق عوني عبد الهادي ص ١٠٩ - ١١٠ .
- (٧٢) المصدر ذاته .
- (٧٣) صايغ : المصدر السابق ص ١٥٢ .
- P.A.S. 24 February 1935 FO 371/20824.
- (٧٤) الغوري : فلسطين ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ .
- (٧٥) الغوري : المصدر ذاته ص ١٢٣ .
- (٧٦) المصدر ذاته ص ١٢٣ .
- Macareth to Wauchope 5/7/1937 CO 733/326. (٧٧)
- Extracts from a personal letter to Dr. Weizmann from a Friend in Jerusalem Dated 18 August 1937 CO 733/351. (٧٨)
- Weizmann: op.cit, p. 39. (٧٩)
- (٨٠) انظر : أ - الحسيني : المصدر السابق ص ٧٦ .
ب - الغوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥ .
ج - احبار اليوم : ١٩٥٧/٩/٢٨ .
- (٨١) الحسيني : المصدر السابق ص ٧٦ .
- Peel Report: op.cit, p. 181. (٨٢)
- (٨٣) الغوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢٤ .
- Peel Report: op.cit, pp. 380-382. (٨٤)
- Rose: op.cit, p. 87. (٨٥)
- (٨٦) الشقيري : المصدر السابق ص ١٧٠ .
- (٨٧) Khalidi, Walid : From Haven to Conquest: Readings in Zionism & Palestine Arab (Beirut 1971) p. xli.
- (٨٨) The Monthly Administration Report for July 1937, Galilee District CO 733/332. انظر ايضا : Ibid.,: CO 733/351.

Antonius: op.cit, p. 402. (٨٩)
 Hirsowics, Lukasz: " Nazi Germany & the Palestine Partition " Middle Eastern Studies Vol: I, 1964 (٩٠)
 p. 40.

- (٩١) الحسين : المصدر السابق ص ٧٥ .
- (٩٢) الصانع : المصدر السابق ص ١٤٧ .
- (٩٣) الحالدي : المصدر السابق ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .
- (٩٤) Quandt: op.cit, p. 37. (٩٤)
- (٩٥) Lauchane to Parkinson 14/7/1937 & 19/7/1937 (٩٥)
 انظر فلسطين اعداد شهر يولييه ١٩٣٧ ، قارن دروزة : فلسطين حالي ص ١٦٢
- (٩٦) Porath: op.cit, Vol:II, p. 359. (٩٧)
- (٩٨) المعظم : ١٩٣٧/١/٣١ . (٩٨)
- (٩٩) المعظم ٢ مارس ١٩٣٧ . (٩٩)
- Survey I, op.cit, p. 39. (١٠٠)
- Extracts from a personal letter to Dr. Weizmann from a friend in Jerusalem Dated 18 Aug., 1937 CO 733/351. (١٠١)
- Ibid. (١٠٢)
- Porath: op.cit, Vol:II, p.229. (١٠٣)
- Extracts: op.cit, CO 733/351. (١٠٤)
- Lauchane to Parkinson 19/7/1937, CO 733/352 (١٠٥)
- Warburg: op.cit, p.84. (١٠٦)
- Ibid., (١٠٧)
- (١٠٨) دروزة : حول الحركة ح ٣ ص ١٥٩ .
- (١٠٩) السعدي : المصدر السابق ص ١٧١ .
- Porath: op.cit, Vol: II, p. 229. (١١٠)
- العوزي : المؤامرة الكسبري ص ٨٨ .
- Ziff: op.cit, p. 416. (١١١)

- (١١٢) انظر هذه الاسماء في فلسطين ج ٢ ص ١٢٨ .
- Schectman: op.cit, p. 55. (١١٣)
- Extracts: op.cit, CO 733/351. (١١٤)
- Porath: op.cit, Vol:II,p.228. (١١٥)
- Extracts: op.cit, CO 733/351. (١١٦)
- (١١٧) اوراق عوني عبد الهادي ص ٨٩ .
- (١١٨) الغورى : المواقف الكبرى ص ٨٨ .
- (١١٩) دروزة : القصة ج ١ ص ١٦٧ .
- (١٢٠)
- Extracts: op.cit, CO 733/351. (١٢١)
- Ibid.,
- Sir Clark Kerr to 10 July 1937 FO 406/75/8251. (١٢٢)
- (١٢٣)
- Ibid., (١٢٤)
- Ibid., (١٢٥)
- Ibid., (١٢٦)
- Ibid., (١٢٧)
- Ibid., (١٢٨) دروزة : القصة ج ١ ص ١٦٥ .
- (١٢٩) الغورى : المواقف الكبرى ص ٨٨ .
- (١٣٠) جريدة الرمان (بغداد) ٢٤ يوليو ١٩٣٧ .
- (١٣١)
- Porath: op.cit, Vol:II,p.231. (١٣٢) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١٦١ .
- (١٣٣) المصدر ذاته ص ١٦٠ - ١٦١ .
- (١٣٤) Mr. Eden to Sir A. Clark Kerr Baghdad 16 July 1937 FO 406/74.
- (١٣٥)
- Porath: op.cit, Vol:II, p. 231. (١٣٦)
- Hirsowics: op.cit, p. 56. (١٣٧)
- Ibid.,

- Macarath 11/9/1937 CO 733/353. (١٣٨)
- Ibid., (١٣٩)
- Mr. Scott (Baghdad) to Eden 22 Sept., 1937 (١٤٠)
FO 406/74.
- Macarath: 14/9/1937 CO 733/353. (١٤١)
- Marlowe: op.cit, pp. 145-146. (١٤٢)
- Rose: op.cit, p. 85. (١٤٣)
- Marlowe: op.cit, p. 147. (١٤٤)
- انظر دروره : العصفه ح ١ ص ١٦٢ . (١٤٥)
- Extracts: op.cit, CO 733/351. (١٤٦)
- Ibid., (١٤٧)
- Ibid., (١٤٨)
- الغوري : فلسطين ح ٢ ص ١٤٠ . (١٤٩)
- المصدر ذاته . (١٥٠)
- المصدر ذاته ص ١٤٠ - ١٤١ . فارس دروره : حول الحركة ح ٣ ص ١٧٦ . (١٥١)
- Barbour, Neville Nisi Dominus (London) pp. 183-184. (١٥٢)
- دروره : حول الحركة ح ٣ ص ١٨٢ . (١٥٣)
- المصدر ذاته . (١٥٤)
- المصدر ذاته . (١٥٥)
- المصدر ذاته ص ١٨٤ . (١٥٦)
- Barbour: op.cit. p. 195. (١٥٧)

الخاتمة

لقد قدمنا في هذه الدراسة لظهور الاحزاب السياسية في فلسطين ، ثم تتبعنا نشأة حزبي الدفاع والعربي ، اللذين هما موضوع هذه الدراسة . كما عالجتنا بناءهما التنظيمي : فرعا وقيادة وعضوية . كما درسنا أيضا ممارساتهما منذ نهاية عام ١٩٣٤ الى اواخر عام ١٩٣٧ .

وقد رأينا أن المؤسسة السياسية لكلا الحزبين لم تستطع أن تثبت مقدرتها من الناحية التنظيمية . فقد ظل الفرع وهو الوحدة التنظيمية الاساسية لكل من الحزبين ، اطارا فضفاضا لتجميع الانصار ولم يحقق الكثير من اهدافه . فالطريق الى القيادة لم تكن عبر الانتخاب . كما ان العضوية لم تتحقق بحسب ما طمح اليه الحزبان من الناحية النظرية ، وبرز واضحا في دستور الحزب العربي وقوانينه التنظيمية . فلم يكن هنالك تسجيل للاعضاء ، ولا دفع للاشتراكات بصورة منتظمة ولا حرص في انتقاء الاعضاء من أجل تحقيق نوع من التجانس الحزبي . كما أن الاعضاء لم يمارسوا تجربة سياسية على مستوى الفرع تبرر وجود هذا الفرع ، وتجعل له حياة سياسية خاصة به . فلم يكن هنالك تثقيف سياسي ، كما لم يكن هنالك اجتماعات منتظمة . وتركز نشاط الفرع في احتفالات أو تظاهرات ذات طابع سياسي وعليه فقد اعتمد الحزب في نشاطه على عدد محدود من الاعضاء الناشطين الذين ارتبطوا بالقيادة بصورة خاصة ، وشكلوا ما يشبه الحاشية أو المقربين أو ما يطلق عليه أحيانا الشلة . ولم يزد باقي الاعضاء عن قطاع من المؤيدين أو الانصار .

ولقد تعددت روابط هؤلاء الانصار بالحزب . فكان منها الرابطة الشخصية التي تقوم في الغالب على جاذبية الزعامة الملهمه (الكاريسما) التي كانت تمكن الزعيم من حشد عدد غفير من الانصار حوله . والى جانب الرابطة الشخصية لعبت الرابطة العائلية دورا كبيرا وشكلت العائلية هرمية خاصة بها ربما كانت أقوى من الهرمية التي ربطت الفروع بالقيادة المركزية .

على أن الرابطة الوطنية ظلت رابطة أساسية تشد الانصار الى الحزب . ومن هنا فقد تفوق الحزب العربي في عدد من انصاره باعتباره أكثر حرصا على تبني مطالب الأمة من حزب الدفاع ، الذي تميز عموما بالاعتدال في علاقته مع الحكومة وفي برامج الحزبية عامة .

وكانت للرابطة الوطنية بوصفها عاملا في كسب الانصار جذور في خلفيات الحزبين . فالحزبان عندما قاما في نهاية عام ١٩٣٤ وأوائل عام ١٩٣٥ لم يزيدا عن وضع لافئة على جهاز سياسي أخذ في التكون منذ بداية الاحتلال البريطاني ، وفي اطار الحركة الوطنية . فمذ بداية الاحتلال التحم الناششيون والحسينيون في أجنحة الحركة الوطنية من مواقعهم المتقدمة اجتماعيا وثقافيا . وساهموا مساهمة فعالة في الجمعيات الاسلامية المسيحية ، كما ساهموا في الناديين العربي والادبي اللذين كانا بمثابة طليعة الحركة الوطنية واثنين من اجهزتها الفعالة . وقد شكلت العائلة الحسينية العناصر الفعالة في النادي العربي ، كما كان للنشاشيين نفس الدور في المنتدى الادبي .

وقد رأينا أن المواقف الوطنية الصلبة للحسينيين والنشاشيين التي اتخذوها في بداية الاحتلال لم تلبث أن اتصفت بالاعتدال الذي ترتب على فشل الحركة الوطنية في التصدي للتحدى الخارجي والمتمثل بالاحتلال البريطاني والصهيونية ، ورسوخ اقدام هذا الاحتلال ، وتأثير هذا الاحتلال - مع الصهيونية تأثيرا سلبيا في الحركة الوطنية . فمذ أوائل العشرينات مالت القيادات الحسينية والنشاشيية الى التعاون مع سلطات الانتداب . فبينما تولى أمين الحسيني منصب الاقناء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، تولى راغب النشاشيبي رئاسة بلدية القدس . وكلا المنصيين كان حساسا وهاما ، يتمتع بميزانية وكوادر من الموظفين . وله أبعاد على مستوى الوطن جميعه .

وفي هذه السنوات تولد التنافس العائلي بين الحسينيين والنشاشيين كأقوى ما يكون . وبالإضافة الى السيطرة على المناصب أخذ هذا التنافس شكل السيطرة على أجنحة الحركة الوطنية . ومن هنا ولدت احزاب المعارضة النشاشيية التي تصدت للجمعيات الاسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية والمجلس الاسلامي الاعلى التي سيطر عليها الحسينيون . واستمر هذا التنافس بصورة أو بأخرى الى أواخر عهد الانتداب .

ومع هذا فان هذا التنافس كانت تخف حدته ويسارع الفريقان الى الاتفاق والعمل معا في اطار الحركة الوطنية ، عندما يقوى التحدى الخارجي ، ويتصاعد الخطر الصهيوني والاستعماري . فالتنافس الحسيني النشاشيبي لم يظهر خلال الانتفاضات المتتالية طوال عهد الانتداب . كما أن بدايات الثلاثينات التي

شهدت بعث الحركة الوطنية من جديد ، لم تترك سوى مساحة ضيقة للسليبيات التي تمثلت في موقف النشاشيبيين ، اثناء ضعف الحركة الوطنية في اواسط العشرينات . والى هذا فان قيام الحزبين بصفة رسمية في منتصف الثلاثينات ، لم يخل ايضا - رغم التنافس الشخصي والعائلي - من كونه تحقيقا لبعث وطني ذلك ان الحركة السياسية الفلسطينية ارتأت ان تنظم نفسها على اسس جديدة - ايدلوجية وتنظيمية - اكثر فاعلية ، يخلمانها من الاطار الفضفاض للجنة التنفيذية وما حوت من عناصر غير متجانسة وغير مرغوب فيها كالسماسرة وعملاء السلطة .

على ان قيام الاحزاب بما فيها العربي والدفاع لم يلق ترحيبا كبيرا من قبل عامة الفلسطينيين ، بالرغم من الشعارات التي طرحها بعضها ، كالشباب والاستقلال . ذلك لان الجماهير كانت وراء الوحدة الوطنية من اجل مجابهة الخطر المشترك ، كما ان الحزبية ارتبطت في اذهان الكثيرين بمعناها العائلي او الشخصي ، ورمزت الى الانقسام او تشتت الجهد الوطني وضياعه في الزعامات المختلفة .

ولذا ما ان ظهرت بادرة لاول خطر حقيقي - بعد قيام الاحزاب - وهي اكتشاف ان اليهود - الذين دخلوا البلاد بعشرات الالوف عام ١٩٣٥ - يتسلحون بشكل مكثف حتى قامت الاحزاب بالائتلاف وشكلت لجنة الاحزاب الفلسطينية التي ضمت الاحزاب جميعها ما عدا حزب الاستقلال . ولم يكن قد مضى على وجود هذه الاحزاب سوى بضعة أشهر .

وعندما أعلن الاضراب العام (١٩٣٦) التحمت الاحزاب - جميعها - في كيان وطني أكثر تماسكا وقوة وهو اللجنة العربية العليا . وهنا تجلى الحس الوطني الصادق للاحزاب كاقوى ما يكون . وقاد هؤلاء الامة من خلال اللجنة العربية واللجان القومية . وهنا أيضا تفوقت الاحزاب على نفسها من الناحية التنظيمية . فالكيان الحزبي الذي قام قبل الثورة على ائتلاف تنظيمي مفكك ضم قطاعات عريضة من الشعب هم الانصار ، وتحت شعارات كبيرة ، تحول الى كيان منظم ومنضبط وتمثل - احسن ما تمثل - في اللجان القومية التي ارتبطت بالمركز على اساس هرمي .

ومع تصاعد الاضراب الى ثورة مسلحة بفعل مشاركة الجماهير بصورة كاسحة ، وتعاطف العالم العربي ، بلغت الاصاله الوطنية للاحزاب غايتها عندما تحول بعض

اللجان القومية - التي ضمت عناصر الاحزاب مجتمعة - الى مقاومة مسلحة سرية . كما ظهرت العصابات الثورية التي قاتلت الانجليز في جبال فلسطين ، وأسهم فيها بشكل بارز جيش الجهاد المقدس الحسيني . كما أسهم فيها الدفاعيون ولو على نطاق أضيق .

وقد رأينا ان الاضراب والثورة فقدتا زخمهما بفعل عوامل داخلية وخارجية ، بدا معها للفلسطينيين العرب أن الوساطة العربية كقيلة بتحقيق اهدافهم . وهنا برزت الخلافات الحزبية الى السطح من جديد . ولم تكد المرحلة الاولى من الثورة أن تنتهي حتى قويت هذه الخلافات وابتعد حزب الدفاع عن الصف الوطني المتمثل باللجنة العربية العليا . وبدأ بالتطلع الى خارج البلاد والسعي الى التحالف مع الامير عبد الله ، تمهيدا لاقتسام الغنائم التي كان ينتظر أن تحققها لجنة التحقيق الملكية البريطانية . ومع ذلك وبالرغم من ظهور قرارات لجنة التحقيق ومناداتها بالتقسيم ، لم يستطع حزب الدفاع أن يصمد للتيار الوطني ، الذي عارض التقسيم بعنف وقوة . وتمكن هذا التيار من جرف حزب الدفاع معه . فبعد أن قبل هذا بمبدأ التقسيم ، عاد فعدل عنه ورفضه بصورة رسمية .

ومهما يكن من أمر ، فانه على الرغم من كون هذين الحزبين جناحين من أجنحة الحركة السياسية أو الوطنية الفلسطينية عامة ، فانه كان هنالك فروق هامة بينهما . فالحسينيون ظلوا منذ بداية الانتداب أكثر التزاما بالخط الوطني . فالمفتي رغم كونه موظفا في الدولة لم يقع أسيرا لهذا المنصب الى الحد الذي تصوره البعض . فعلى الرغم من أنه كان ينحني أحيانا لضغط الانتداب الا أنه ظل مع ذلك يدرك أنه زعيم ديني و وطني مستقل ، وليس تابعا لاحد . كما أنه حاول أن يجعل من المجلس الاسلامي قلعة للوطنية ، تقابل الوكالة اليهودية . ومع مرور الزمن اكتسب المفتي توجهها شعبيا ونجح في أنه يجمع حوله جمهورا كبيرا من الموالين وبخاصة من الفلاحين ذوي المشاعر الدينية . وعلى هذا فليس بلا مفرى أن كلمة مجلسيين صارت مرادفا للحركة الوطنية أو هم الحركة الوطنية بالفعل . ومن هنا جاءت تسميتهم طوال العشرينات - وكما تظهر في مؤلفات المعاصرين - باسم الجبهة الوطنية أو الوطنيين . وغني عن القول أن هذه الحركة حافظت - في معظم الاحيان - على المبادئ الرئيسية للامة في الحرية والاستقلال والحكومة الوطنية ورفض وعد بلفور والوطن القومي اليهودي . وفي الاحداث الهامة في فلسطين مثل

هبة ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ورفض المجلس التشريعي (١٩٢٢) والمجلس الاستشاري (١٩٢٣) الى هبة السبراق كان للحسينيين دور بارز وصوت واضح .
وقد برز توجههم هذا أيضا في أوائل الثلاثينات وفي أحداث هبة ١٩٢٣ . كما أنه عندما بدأت الحركة الوطنية والسياسية تسير نحو التطرف وطالبت بمجابهة البريطانيين وقطع جميع الصلات معهم ، لم يتنكر المفتي لهذا التيار . فمع أنه حافظ على منصبه ، ورفض التنازل عن رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى - تنفيذا لسياسة عدم التعاون مع الاستعمار التي طرحتها الحركة الوطنية - فإنه كوّن من أنصاره في هذه الفترة جيشا للجهاد هو جيش الجهاد المقدس الذي كانت له غايات وطنية خالصة ، ومنهج واضح في الكفاح ضد الانجليزية والصهيونية . كما أن المفتي - شخصا - كان وراء كثير من التنظيمات ذات الطابع المتطرف ، والحلقات الجهادية .

وحتى بعد قيام كل من الحزبين ، ورغم سيطرة الروح الحزبية أحيانا كثيرة ، ظل الحسينيون ملتزمين بخطهم الوطني . وقد بدا ذلك في مفاوضاتهم مع السلطة من أجل تكوين المجلس التشريعي الذي أرادوا له أن يكون حقيقيا يمثل الأمة ، ومنطلقا لتكوين حكومة وطنية شبيهة بالحكومات العربية المستقلة التي ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة .

وبقيام الاضراب والثورة تمكن المفتي من تحقيق أعظم منجزاته الوطنية . وهنا لم يعد لمنصبه أثر كبير في توجيه موقفه الوطني ، وبدا أكثر تحورا من تقييداته من أي وقت مضى . ومع تصاعد الثورة تصاعدت مساهمة المفتي فيها . وجاء وقت راهن فيه المفتي على الثورة المسلحة كاسلوب وحيد للحل الجذري أو التاريخي للمشكلة الفلسطينية وبذلك بلغ أعظم ما حققه في مصيره السياسي كله . وعندما اضطر المفتي الى الموافقة على وقف الاضراب ، لم يعتبر ذلك وقفا للثورة ، بل هدنة مسلحة . ولذا لم يكن عجيبا ان يرفض التقسيم ويعود الى استئناف الثورة على أثر قيام لجنة التحقيق بطرح قرارات لم تستجب للاهداف الوطنية التي سعى اليها .
وقد جاء حل اللجنة العربية العليا التي هو رئيسها ، وطلب القبض عليه وفراره بعد ذلك نتيجة لموقفه الملتزم بالثورة .

أما النشاشيبيون فكانوا بصورة عامة مع الاعتدال الوطني ، ذلك الاعتدال الذى وصل أحيانا - ومع ضعف الحركة الوطنية عامة - الى درجة التخاذل أو الاستهانة بمطالب الامة . فقد كان لهم تأثير لا يستهان به في صياغة برامج الحزب الوطني المعتدل ، وسياسة خذ وطالب وبرامج الجمعيات الوطنية الاسلامية ، وحزب الزراع التي كانت تقبل بالانتداب ، وأحيانا بالتعايش مع الصهيونية . وكان الخط العام الذى ساروا عليه - أثناء قوة الحركة الوطنية - يميل دائما الى الاعتدال اذا قورن بخط الحركة الوطنية بصورة عامة والحسينيين بصورة خاصة . ومن هنا فانه لم يكن من غير المنطقي ان يطلق على النشاشيبيين اسم المعارضة ، بمعنى معارضة المجلسيين والحركة الوطنية عامة .

وفي حين أن المفتي والمجلسيين والحزب العربي كانت لهم شعبية قوية اعتمد النشاشيبيون طوال الوقت على الشخصيات النافذة أو مراكز الثقل القوية بالمال والجاه والعائلة أو بها جميعا . وعلى هذا فقد كان توجههم ذا طابع أرستقراطي .

وقد بدأ اعتدال النشاشيبيين في ممارساتهم طوال فترة الانتداب : في موقفهم من المجلس التشريعي (١٩٢٢) والمجلس الاستشاري (١٩٢٣) . وفي أحداث البراق لم يكن لهم دور بارز يباهي دور الحسينيين . بل أنهم سلكوا ما بعد أحداث البراق اسلوبا سلبيا ظهر على صفحات جريدة " مرآة الشرق " وفي أحداث أكتوبر ١٩٢٣ لم يسجل النشاشيبيون موقفا يذكر بالمقارنة بموقف الحسينيين . وحتى عندما حاولوا تشكيل تنظيمات وطنية لم يشكلوا تنظيمات عسكرية ، بل تنظيمات عمالية في مدينة يافا ، وهي التنظيمات التي شكلها فخرى النشاشيبي .

وبعد أن ظهر الحزبان بصورة رسمية ، تميز النشاشيبيون كذلك بموقفهم الأكثر اعتدالا الذى بدأ أثره في مفاوضات راغب النشاشيبي مع المندوب السامي ، من أجل تأسيس المجلس التشريعي ، وهي المفاوضات التي انتهت بقبول المجلس التشريعي - على علاته - بينما رفضه الحسينيون .

وفي الثورة كان موقفهم معتدلا أيضا . فبينما راهن الحسينيون على الثورة المسلحة ، راهن النشاشيبيون على الاضراب . ولم يخل موقفهم ذلك من كونه محاولة لاحراج المفتي وارغامه على التخلي عن منصبه .

ومع بداية انحسار الثورة - كما ذكرنا - بفعل القمع البريطاني والتدخل العربي ، كان الدفاعيون من أوائل من أبدوا استعدادهم لوقف الاضراب ولم يكونوا حريصين على شروط مسبقة ، كحرص المفتي والحزب العربي عليها . ولقد نشأ موقفهم المعتدل هذا بتأثير موقعهم الاقتصادي والاجتماعي ذلك أنهم كانوا أكثر المتضررين من الاضراب .

كما أن موقفهم بعد انتهاء الاضراب ، لم يكن متماثلا مع موقف الامة ، من حيث رفض التقسيم بلا تحفظ . ولهذا لم يلقوا من العنف والنفي والتشريد ما لقيه المفتي ورجال اللجنة العربية العليا واقطاب الحزب العربي .

وبإيجاز يمكن أن نلخص موقف الحزبين بصورة عامة على الوجه التالي: في حين أن الحزب العربي أدرك أن الارتباط بين الانتداب والصهيونية هو ارتباط عضوي ، فرفض الانتداب بصورة مبدئية ، فان حزب الدفاع أظهر قبولا للانتداب - حفاظا على مصالحه - بالرغم من أن هذا كان يعنى الاعتراف بالصهيونية أو القبول بها .

ويمكننا تصنيف كل من الحزبين العربي والدفاع على النحو التالي أيضا : " لقد كان الحزب العربي أقرب ما يكون الى احزاب الاكثرية في العالم الثالث . وهذه بالطبع في الغالب وطنية وتمثل رجل الشارع وتتبنى شعاراته . مثل حزب الوفد في مصر ، وحزب الكتلة الوطنية في سوريا ، وحزب الكونجرس في الهند التي اكتسبت اصلتها من كونها تمثل الحركة الوطنية ، وتسعى الى تحقيق غايات الامة الكبرى ، وتعتبرها أهدافا استراتيجية لها . على أن هنالك فرقا رئيسيا بين الحزب العربي وهذه الاحزاب وهو أن الحزب العربي لم تتح له فرصة خوض انتخابات أو تشكيل حكومة ، وظلت تجربته السياسية محدودة ، الامر الذي انعكس على جسمه السياسي وممارساته ، وجعل جهوده تنصب طوال الوقت على كسب الحركة الوطنية الى جانبه أكثر من تنافسه مع الآخرين على كراسي الحكم . ولعل هذا هو ما جعل بعض المؤرخين يصفونه بأنه حركة وليس حزبا .

أما حزب الدفاع فهو حزب الاقلية . وبالرغم من أنه كان ينادى بشعارات الامة أحيانا فإنه كان يراعي مصلحة فئة الاقلية الأرستقراطية . ونستطيع أن نشبهه باحزاب الاقلية في العالم الثالث . وأقرب شيء منه هو حزب الاحرار الدستوريين في مصر الذي كان يعرف بحزب أصحاب المصالح أو حزب السذوات .

وإذا نظرنا بوجه عام الى الحزبين نجدهما من الناحيتين التنظيمية
والممارسات السياسية (بمعناها الحزبي) لم يسهما اسهاما كبيرا في الحياة
السياسية الفلسطينية .

وعلى أية حال فانه ينبغي القول بأن الصفحة المشرقة في تاريخ الحزبين
العربي والدفاع كانت ثورة ١٩٣٦ تلك الثورة التي كشفت عن اصالتهما كحركتين
وطنيتين قبل كل شيء كما أنهما بلغا في هذه الثورة الاوج في التنظيم والممارسة
وهو الامر الذي عجزا عنه قبل ذلك .

قائمة بالمصادر والمراجع

- 1) Public Record Office, London
 - Air Ministry (Air)
 - Cabinet Papers (Cab)
 - Colonial Office (Co)
 - Foreign Office (Fo) أولا : وثائق انجليزية غير منشورة
 - War Office (Wa)

- 2) Oxford-St Antony's College, Middle East Centre.
 - Bowman Papers
 - Cunningham Papers.
 - Haining Papers.
 - Owen Papers.
 - MacGillivray Papers.
 - Samuel (Terber) Papers.
 - Tegart Papers. ثانيا : وثائق انجليزية منشورة

- 1) Davis, H.M: Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East, (Darham, U.S.A. 1947).
- 2) Hurewitz, J.C: Diplomacy in the Middle East a Documentary Record, 1914-1956 2 Vol. (New York, 1956).
Ingrams, Doreen: (ed.): Palestine Papers 1917-1922: Seeds of Conflict (London, 1972).

- 3) Command Papers:
 - Great Britain, Colonial Office, Palestine Disturbances in May 1921 , Report of the Commission of Inquiry with Correspondence relating there to (Cmd 1540, London 1921. The Haycraft Report).
 - Great Britains, Colonial Office, Corrospondance with the Palestine Arab Delegation and the Zionist Organization, (Cmd. 1700. London, 1922, the Churchill White Paper).
 - Great Britain, Colonial Office, Report of the Commission on Palestine, Land Settlement and Development by John Hope Simpson (Cmd. 3668, London, 1930).

- -----, Palestine Statement of Policy by H.M.G. in the U.K. (1930 White Paper, Cmd. 3692 London, 1930).
- -----, Proposed New Constitution for Palestine (Cmd 5195, London, March 1936).
- -----, Palestine Royal Commission Report (Peel Commission Report, Cmd. 5479, July 1937).

Reports:

- Great Britain. Colonial Office. Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Palestine and Trans-Jordan. 1924-1938, Colonial Nos. 12, 20, 26, 31, 40, 47, 59, 75, 82, 94, 104, 112, 129, 146, 166. London: His Majesty's Stationary Office, 1925-1939.
- Government of Palestine: A Survey of Palestine, Prepared in Dec., 1945 & Jan., 1946 . . . For the Anglo-American Commission of Inquiry.

ثالثاً : وثائق عربية غير منشورة

- (١) مركز الدراسات الفلسطينية - بيروت
 - أوراق خاصة ووثائق ل : نبيه العظمة
 - وثائق فلسطينية ل : أكرم زعيتر
- (٢) مركز الابحاث - منظمة التحرير - بيروت
 - وثائق الحركة الوطنية
 - وثائق وأوراق خاصة ل احمد الامام
 - وثائق وأوراق خاصة لعوني عبد الهادي
 - وثائق وأوراق خاصة لفوزي القاوقجي
- (٣) المركز الوطني العراقي للوثائق - بغداد
 - وثائق متفرقة
- (٤)
- يوميات غزة - لعارف العارف
- (٥) أوراق خاصة غير منشورة
 - يوميات خاصة لاكم زعيتر ، مخطوطة في كراريس (مرحلة الثلاثينات محفوظة لديه في بيروت .
 - أوراق خاصة لحسين فخرى الخالدي ، مخطوطة ، موجودة لدى ابنته ليلي الحسيني الخالدي - بيروت .

رابعاً : وثائق عربية منشورة

(١) الكيالي ، عبد الوهاب (جمع واعداد) : وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨) .

(٢) علي محمد علي : وثائق وأوراق فلسطين ج١ (اعداد هيئة الاستعلامات العامة - وزارة الارشاد القومي)

اليوميات والمذكرات المنشورة :

قاسية ، خيرية (اعداد) عوني عبد الهادي أوراق خاصة بيروت مركز الابحاث ١٩٧٧ .

: فلسطين في مذكرات القاوقجي ١٩٣٦ - ١٩٤٨ ج٢ بيروت : مركز الابحاث .

- Antonius, G:
The Arab Awakenning (London 1961).
- Ben-Gurion, D:
a) Letters to Paula (London 1971).
b) Talks with Arab Leaders (London 1974).
- Bentwitch, N & H:
Mandatory Memories 1918-1948 (Great Britain).
- Bowman, H:
Middle East Window (London 1942).
- Cohen, A:
Israel and the Arab World (London, 1970).
- Cohen, J.M.:
Palestine Retreat form the Mandate (London, 1978).
- Crossman, R:
A Nation Reborn: The Israel of Weizmann, Bevin and Ben-Gurion (London, 1960).
- Dalton, E:
The Fateful Years: Memories 1931-1945 (London, 1957).
- Duverger, M:
Political Parties (London, 1964).
- Esco Foundation, Palestine:
A Study of Jewish, Arab and British Policies, 2 Vol. (Yale 1974).
- Francis-Williams:
Lord, A Prime Minister Remembers: the War and Post-War Memories of Rt. Hon. Earl Atlee (London 1961).
- Friedman, I:
The Question of Palestine (London 1974).
- Furionge, G:
Palestine is my Country, the Story of Musa Alami (London 1969).
- Giffries, G.M.N:
Palestine: The Reality (London 1939).
- Harkabi, Y:
Time Bomb in the Middle East (Friendship Press N.Y. 1959)

- Hyamson, A:
Palestine Under the Mandate (London 1950).
- Hirsowics, L:
The Third Reich and the Arab East (London & Buffale, New York 1965).
- Hirst, D:
The Gun and the Olive Branch, The Roots of Violence in the Middle East (London 1977).
- Hurwwitz, J.C.:
The Struggle for Palestine (New York 1968).
- Kimche, J:
Palestine or Israel, the Untold Story Why We Failed. (London, 1973).
- Kirkbride, A:
A Crackle of Thorns. (London, 1956).
- Kisch, F.H.:
Palestine Diary (London 1936).
- Laqueur, W:
Communism and Nationalism in the Middle East (New York 1955).
- Lawsen, K:
A Comparative Study of Political Parties (New York 1976).
- Luca, N:
Modern History of Israel (Weidenfold Nicolson 1974).
- Machover, J.M:
Governing Palestine: The Case Against Parliament (London, 1936).
- Marlowe, J:
a- Rebellion in Palestine (London 1946).
b- The Seate of Pilate: An Account of Palestine Mandate (London 1959).
c- Arab Nationalism and British Imperialism a Study in Power Politics (London 1961).
- Meinertzhagen, R:
Middle East Diary, 1917-56 (London 1959).
- Newton, F:
Fifty Years in Palestine (London 1948).
- Nutting, A:
The Arabs (London 1964).
- Pearlman, W.M:
The Mufti of Jerusalem (London 1947).

- Porath, Y:
 a- The Emergence of the Palestine National Movement . Vol:I (London 1974).
 b- The Palestine Arab National Movement 1929-1939(London 1977).
- Quandt, W.B. Jaber, F. Lesch, A:
 The Politics of Palestine National (Berkely 1973).
- Rose, N.A.:
 The Gentile Zionists, A Study of Anglo-Zionist Diplomacy 1929-1939 (London 1973).
- Sacher, H:
 The Emergence of the Middle East 1914-1924 (New York 1969).
- Samuel, H:
 A Life Time in Jerusalem (London 1970).
- Sartory, J:
 Parties and Party System (Cambridge (1976).
- Schectmann, J.B:
 The Mufti and the Fuhrer (New York (1964).
- Tibawi, A:
 Anglo-Arab Relations (London: Lusac (1978).
- Weizmann, C:
 Trial and Error, The Autobiography of Chaim Weizmann (London 1950).
- Zeine, N, Z:
 The Struggle for Arab Independence (Beirut 1960).
- Ziff, W.B :
 The Rape of Palestine (New York 1938).

سادسا : مؤلفات عربية

- ابو الشعر : أمين : مجاهد من أبو ديس (عمان ١٩٧٧) .
- ابو النصر ، عمر ، (وآخرون) جهاد فلسطين العربية (بيروت ١٩٣٦)
- ابو بصير ، صالح مسعود : جهاد فلسطين في نصف قرن (بيروت ١٩٦٨)
- بدران ، نبيل : التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني (بيروت - مركز الابحاث ١٩٦١) .
- البرغوثي ، نمر صالح ، وطوطح ، خليل : تاريخ فلسطين (القدس ١٩٢٣)
- برو ، توفيق : العرب والترك في عهد الدستور العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤ (القاهرة ١٩٦٠) .
- توما ، اميل : أ . جذور القضية الفلسطينية (بيروت مركز الابحاث ١٩٧٤)
ب . ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية (بيروت ١٩٧٨) .
- الحسيني ، محمد أمين : حقائق عن قضية فلسطين (القاهرة ١٩٥٧)
- جانا ، محمد توفيق جانا : الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين (دمشق ١٩٣٧) .

- جريس ، صبرى : تاريخ الصهيونية ، ج ١ (١٨٦٢ - ١٩١٧)
(مركز الابحاث بيروت ١٩٧٧) .
- الجندى ، سامي : عرب ويهود - العداة الكبير (بيروت ١٩٦٣)
- خدورى ، مجيد : عرب معاصرون : أدوار القادة في السياسة (بيروت ١٩٧٣)
- خله ، كامل : فلسطين والانتداب البريطاني (مركز الابحاث بيروت ١٩٧٤)
- الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين ج ١ بيروت ١٩٦٥ .
بلادنا فلسطين ج ١ ق ٢ بيروت ١٩٦٦ .
- دروزة ، محمد عزة : أ . حول الحركة العربية الحديثة ج ٣ صيدا ١٩٥٩)
ب . العرب والعروبة في حقبة التملك التركي
(دمشق ١٩٦٠) .
- ج . القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ج ١
(صيدا ١٩٥٩ - ١٩٦٠) .
- زعيتر ، أكرم : القضية الفلسطينية (القاهرة ١٩٥٥) .
- السعيد ، أمين : الثورة العربية الكبرى (القاهرة ١٩٣٤) .
- السفري ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية (يافا ١٩٣٧)
- السكاكيني ، خليل : كذا أنا يا دنيا ، يوميات خليل السكاكيني ، اعدتها
للنشر هالة السكاكيني (القدس ١٩٥٥) .
- الشقيرى ، أحمد : أربعون عاما في الحياة العربية والدوليسة .
(بيروت ١٩٦٩) .
- الصايغ ، أنيس : الهاشميون وقضية فلسطين (صيدا وبيروت ١٩٦٦) .
- صدقة ، نجيب : قضية فلسطين (بيروت ١٩٤٦) .
- العارف ، عارف : تاريخ القدس (القاهرة ١٩٥١) .
- علوش ، ناجي : المقاومة العربية في فلسطين (بيروت - مركز الابحاث ٦٣
- غنيم ، عادل حسن : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ - ١٩٣٦
(القاهرة ١٩٧٦) .
- الغورى ، أميل : أ . فلسطين عبر ستين عاما ج ١ (بيروت ١٩٧١) .
ب . فلسطين عبر ستين عاما ج ٢ (بيروت ١٩٧٣) .
ج . المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين ومحور العرب
(ط ١ القاهرة ١٩٥٥) .

- د . المعذبون في أرض العرب (بيروت ١٩٦٠)
- قاسمية ، خيرية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨
 • (بيروت مركز الابحاث ١٩٧٣)
- كرد علي ، محمد : خطط الشام ج ٣ (دمشق ١٩٥٥)
- الكيالي ، عبد الهادي : تاريخ فلسطين الحديث (بيروت ١٩٧٠)
- محفوظ ، خضر العلي : تحت راية القاوقجي (دمشق ١٩٧٨)
- موسى ، سليمان : الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩٢٤ (بيروت ١٩٧٠)
- النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء - احوال عهد الاقطاع ج ٢
 • (نابلس ١٩٦١)
- ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين (القاهرة ١٩٥٥)
- ياسين ، عبد القادر : كفاح شعب فلسطين قبل عام ١٩٤٨ (مركز
 الابحاث - بيروت ١٩٧٥)

- Bentwich, N. " The Legal System of Palestine under the Mandate" Middle East Journal Vol:II, 1948.
- Blyth, E.M.E. " Palestine Report", Quarterly Review, 1937.
- Bowden, Tom: " The Politics of the Arab Rebellion in Palestine". Middle Eastern Studies Vol:II, 1975.
- Cohen, J:
- a- " Sir Arthur Wauchope, the Army and the Rebellion in Palestine, 1936" Middle Eastern Studies, Vol:IX, 1973.
 - b- " British Strategy and the Question of Palestine, 1936-1939" Journal of Contemporary History, Vol:VII, 1972.
- Friedman, I:
- " The McMahon-Hussain Correspondence, Comments and Areply". Journal of Contemporary History, Vol:V, 1970.
- Gibb, H.A.R:
- " The Islamic Congress in Jerusalem in Dec. 1931" in Arnold Toynbee (ed.) Survey of International Affairs 1934.
- Ghory, Emile:
- " Arab View on the Situation in Palestine International Affairs, Sept., 1936.
- Hirsovics, L.:
- " Nazi Germany and the Palestine partition Plan". Middle Eastern Studies Vol:I, 1964.
- Hurewitz, J.C.:
- " Arab Politics in Palestine." Contem-porary Jewish Record, Dec., 1942.
- Mandel, N:
- Turks, Arabs, and Jewish Immigration into Palestine: 1882-1914," Middle Eastern Affairs, No. 4. 1965.
- McTaue, J:
- " The British Military Adminstration in Palestine 1917-1920 " Journal of Palestine Studies Vol: VII, No.3, 1978.
- Ro'i, Y:
- " The Zionist Attitude to the Arabs, 1908-1914" Middle Eastern Studies Volt IV, 1968.
- Sheffir, G.:
- " Intentions and Rwsults of British Policy in Palestine: Passfield's White Paper, Middle Eastern Studies Vol: IX, 1973.

ثامنا : مقالات بالعربية

- بدران ، نبيل : " الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى " شؤون فلسطينية ، العدد ٧ ، ١٩٧٢ .
- البرغوثي ، عمر صالح : " الاقطاع في فلسطين " ، مجلة العـرب ١١ / ٣ / ١٩٣٣ .
- الحافظ ، ياسين : " من وعد بلفور الى قيام الدولة ، دور التأخر العربي في تاسيس اسرائيل " : شؤون فلسطينية العدد ٨١ / ٨٢ ب (اغسطس) ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ .
- خلف ، علي حسين : " الشيخ عز الدين القسام معلم مضيء في تاريخ فلسطين " مجلة الحرية كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ .
- الثعالبي ، عمار : " الطبقة العاملة الفلسطينية وتنظيماتها ١٩١٨ - ١٩٣٩ شؤون فلسطينية ١٩٧٦ ، العدد ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ .
- عوض ، عبد العزيز : " متصرفية القدس في اواخر العهد العثماني " شؤون فلسطينية ، العدد ٤ ، ١٩٧٦ .
- غنيم ، عادل حسن : أ . المؤتمر الاسلامي العام ١٩٣١ " شؤون فلسطينية العدد ٣٥ : ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ .
- ب . " ثورة الشيخ عز الدين القسام " ، شؤون فلسطينية العدد ١٦ كانون الثاني (ديسمبر) ٧٢ .
- قاسمية : " تطور الحكومة العربية في دمشق " شؤون فلسطينية العدد ١ آذار ١٩٧١ .
- كنفاني ، غسان : " ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين ، خلفيات ، وتفاصيل وتحاليل " شؤون فلسطينية العدد ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ .

تاسعا : جرائد ومجلات باللغة الانجليزية

- Egyptian Gazzette (Cairo)
- Manchester Guardian (Manchester).
- New York Times (New York).
- Palestine Post (Jerusalem).
- Times (London).
- Zionist Review (London).

عاشرا : جرائد ومجلات عربية

الانوار	(بيروت)	-
الاهرام	(القاهرة)	-
الاخوان المسلمون	(القاهرة)	-
الجامعة الاسلامية	(يافا)	-
الجامعة العربية	(القدس)	-
الجزيرة	(يافا)	-
الحرية	(بيروت)	-
الدفاع	(يافا)	-
الزهرة	(حيفا)	-
الزمان	(بغداد)	-
السياسة الاسبوعية	(القاهرة)	-
الشورى	(القاهرة)	-
شؤون فلسطينية	(بيروت)	-
صوت فلسطين	(دمشق)	-
مجلة العرب	(القدس)	-
الكرمكل	(حيفا)	-
الكوكب	(القاهرة)	-
الفتح	(القاهرة)	-
لسان العرب	(القدس)	-
نشرة فلسطين	(بيروت - الهيئة العربية العليا)	-
المقطم	(القاهرة)	-
النظام	(القاهرة)	-

حادى عشر : مقابلات شخصية

السيد أحمد نسبية	-
الاستاذ اكرم زعيتر	-
الاستاذ عمزة دروزة	-
الاستاذ عبد الله الكليب	-
الاستاذ كامل الدجاني	-

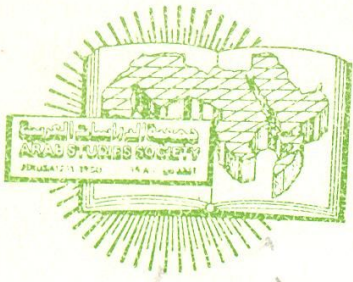
تصويب الاخطاء

=====

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٤	٢٥	٢٣مكا	٢٣ ملكا
٢٨	٣	كالنرسكي	كالفرسكي
٤٠	٦	الوفود للقلعة	الوفود لقلعة
٤٧	٢٨	المصرح	المقترح
٦٢	١٥	فان ضعفت	فقد كان لضعف
٧٢	١٢	سيح	سيلا
٧٥	١٧	متفوا	ومتفوا ضده
٧٩	٢٢	الحكومة	الحركة
٨١	٦٠٥	شو وسيمون	شو وسيمون
٨٤	١٩	انت ابوك	واطرده اباك
٩٢	١٧	التشرد	التشدد
١٢٥	٢٥	وحده	وحدة ذهنه
١٤٢	١٥	للجنة	اللجنة
١٥١	١٤	كما عرفت	كما عرفت الامة
١٦٢	٢٤	الى ركن	الى كل ركن
١٦٢	٢١	العربي الدفاع	العربي والدفاع
١٦٥	٥	او التحشدات	النشاطات او التحشدات
١٦٨	٣	خطي	حقيقه
١٧٢	٩	المركوية	المركزية
١٩٦	٢٠	تحذير	تحذير
١٩٨	٢١	الشهاب	الشباب
٢٠١	٢٠	الشهاب	الشباب
٢١٢	١٨	المحارب	المحارب
٢٢٢	٨	السلطات	السلطات اوحى بان
٢٤٧	١٢	امامك	امامكم

٢٩٢٦

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
مكتبة المسجد النبوي الكبير
بمطبعة غزة
تجددت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م



الحزب العربي الفلسطيني

و حزب الدفاع الوطني

١٩٢٧-١٩٢٤



تأليف

د. علي سعود عطية

٩٥